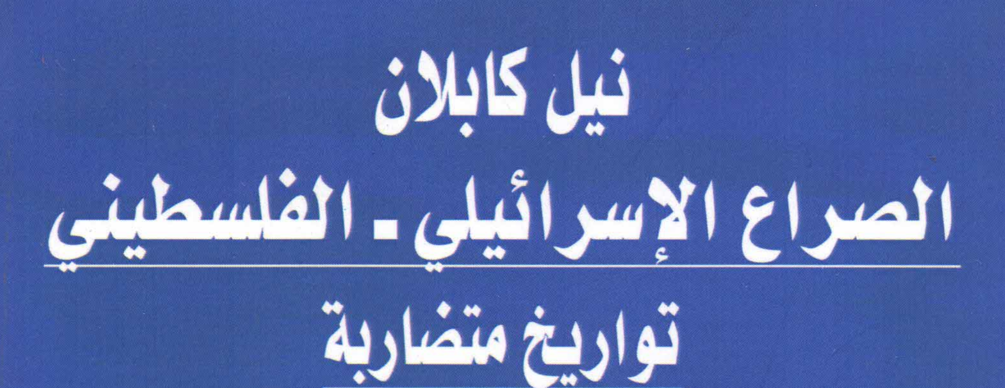


نيل كابلان

الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني

تواريخ متضاربة

ترجمة وتقديم: محمد العشماوي

مراجعة: عماد عواد

المركز القومي للترجمة

2086



يحظى الصراع العربى الإسرائيلى والفلسطينى الإسرائيلى بأهمية قصوى لكل من الأمن القومي المصري والأمن القومي العربي بحكم موقع فلسطين المهم والاستراتيجي فى المنطقة العربية. ومن هنا فالدراسات الموضوعية حول هذا الموضوع تستحق الاهتمام والمتابعة بالنسبة للعرب عموماً ومصر بصفة خاصة بحكم مكانتها ودورها وميراثها التاريخي والفكري ودورها كدولة قائدة فى المنطقة العربية.

تصميم الغلاف: عبدالحكيم صالح

الصراع الإسرائيلى ـ الفلسطينى

تواريخ متضاربة

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: رشا إسماعيل

- العدد: 2086
- الصراع الإسرائيلى- الفلسطينى: تواريخ متضاربة
- نيل كابلان
- محمد العشماوى
- عماد عواد
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:
THE ISRAEL-PALESTINE CONFLICT: Contested Histories
By: Neil Caplan

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

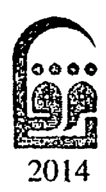
الصراع الإسرائيلى ـ الفلسطينى

تواريخ متضاربة

تأليـــــــف : نيـــل كـــابلان

ترجمـــة وتقديم : محمد العـــشماوى

مراجعـــــــة : عمـــاد عـــواد



2014

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

كابلان، نيل
الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني: تواريخ متضاربة/ تأليف: نيل كابلان، ترجمة وتقديم: محمد العشماوى؛ مراجعة: عماد عواد
ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤
٥١٢ ص، ٢٤سم
١- الصراع العربي الإسرائيلي - الفلسطيني.
٢- القضية الفلسطينية.
(أ) العشماوى، محمد (مترجم ومقدم)
(ب) عواد، عماد (مراجع)
(ج) العنوان ٣٤١,٥

رقم الإيداع : ٢٠١٢ / ١٣١٣٨
الترقيم الدولي : 978-977-216-179-9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

الباب الثالث

تقديم

أنطلق فى مقدمتى بوصفى مترجمًا لهذا الكتاب الثرى من مدرسة فكرية، تؤمن إيمانًا مطلقًا وعميقًا بأن مشكلة الوجود الإسرائيلى على أرض فلسطين تمثل المعضلة الكبرى والعقبة الكئود أمام أمن الإقليم المصرى وكذلك أمام الأمن القومى العربى، وأود أن أكون واضحًا منذ البداية لأقول بأن من قدم الصياغة الفكرية المتكاملة للأمن القومى المصرى والعربى هو أستاذان جليلان تتلمذت على أحدهما فى مقاعد الدراسة الجامعية على مستوى البكالوريوس ثم على مستوى الدراسات العليا، وهو العلامة الراحل الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع خاصة على صفحات كتابه "نظرية الأمن القومى العربى"، ومعاركه الفكرية على صفحات مجلة الأهرام الاقتصادى حول أمن المعلومات فى مصر عام ١٩٨٢، وكذلك على صفحات مجلة الموقف العربى فى أعقاب اتفاقات كامب ديفيد التى كانت تحت عنوان "سوف أظل عربيًا" فى ثمانينيات القرن العشرين.

أما الأستاذ الثانى الذى شارك أستاذنا الدكتور ربيع- وإن عن بُعد- فى صياغة نظرية الأمن القومى المصرى والعربى، وهو الأستاذ الدكتور جمال حمدان أستاذ الجغرافيا السياسية الراحل بجامعة القاهرة، وذلك فى ثنايا كتابه الرائع حول شخصية مصر: "دراسة فى عبقرية المكان" عام ١٩٦٧ الذى حوّله فى بداية ثمانينيات القرن العشرين إلى موسوعة كبرى تحت الاسم نفسه "شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان".

ومقتضى مفهوم هذه المدرسة هو أن أمن مصر القومى خط دفاعه الأول منطقة جبال طوروس فى شمال الشام ومنابع نهر النيل فى الجنوب، أما خط الدفاع الثانى فهو فلسطين، وأخيرا فإن خط الدفاع الثالث والأخير فهو شبه جزيرة سيناء التى هى فى ذاتها لا يمكن الدفاع عنها فى أى صراع عسكرى؛ وحسب الخبرة التاريخية فإنها من نصيب المهاجم لا المدافع.

وقد تحولت هذه الصياغة الفكرية للأمن القومى المصرى إلى ما يكاد يصل إلى العقيدة القتالية لمصر التى حافظت عليها طوال تاريخها، ولم نلحظ ثمة بعد عن هذه العقيدة إلا فى الفترة السابقة مباشرة على ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ فى مصر، حيث بدأ مؤشر السياسة الخارجية يحاول تغيير العداوات التقليدية فى نشاط سياسى خارجى حاول الاتجاه والإيحاء بأن عدو مصر فى أواخر العقد الأول من القرن الواحد والعشرين هو إيران وليس إسرائيل، وتجلى ذلك واضحا بمناسبة حرب لبنان ٢٠٠٦ وحرب غزة ٢٠٠٨/٢٠٠٩. وهذا فى رأيى كان أحد الأسباب التى أدت إلى اندلاع ثورة ٢٥ يناير، بجانب أسباب أخرى لعل من أهمها التزييف المستمر للانتخابات ومشروع توريث السلطة من الرئيس السابق مبارك إلى نجله جمال.

وبجانب هذه النظرية للأمن القومى المصرى؛ فإن فكر مصر السياسى قد شهد محاولات فكرية تبتعد عن النظرية السابقة وتحت عناوين عديدة، من أهمها ما يقال له "مصر أولا، وأن أمن مصر القومى لا صلة له بالأمن القومى العربى الذى هو فى رأى هذه النظرية لا وجود له، وأن لغة الحديث عن الصلة بين الأمنين المصرى والعربى هى لغة خشبية قديمة تعدتها الظروف وأودت بها التطورات التكنولوجية فى مجال التسليح والذخائر، ومن هنا فلا تثريب على مصر أن تعيش

في سلام مع إسرائيل وأن تطبّع علاقاتها معها في جميع المجالات، وأنه لا يربط مصر بالعرب إلا الجانب الثقافي واللغوي لا غير، وأن جامعة الدول العربية فيها الكفاية وأكثر؛ ومن ثم فلا حاجة لما يسمى بالوحدة العربية أو التجمع العربي؛ فضلاً عن الإسلامي في مواجهة ما تسميه النظرية الأولى بالخطر الصهيوني على مصر وعالمها العربي.

والواقع أن هذه المدرسة الفكرية الأخيرة تستمد أسسها الفكرية من كتابات الأستاذ الدكتور طه حسين والدكتور حسين فوزي والأديب توفيق الحكيم والناقد لويس عوض والذين لم يثر أي منهم- خلال النصف الأول من القرن العشرين- في كتاباته خطورة الصهيونية على مصر وأمنها القومي. ومؤخرا نضيف لهم ما أطلق عليه مجموعة كوبنهاجن وعلى رأسها الكاتب الصحفي الراحل لطفي الخولي والدكتور عبد المنعم سعيد من مؤسسة الأهرام.

ولقد كانت اتفاقات كامب ديفيد وسياسة التفاوض مع إسرائيل وتطبيع العلاقات معها منذ ١٩٧٨ في أعقاب حرب أكتوبر التي قادها الرئيس الراحل أنور السادات؛ بمثابة حجر ضخم ألقي في بركة الصراع العربي- الإسرائيلي الآسنة ولقي تجاوبا كبيرا وتشجيعا من جانب الدول الغربية، إلا أنه وجه بضغط شعبي مناوئ رفض تطبيع العلاقات مع إسرائيل من جانب الغالبية العظمى لشعب مصر والشعوب العربية بصفة عامة، ورُفض قطاع من النخبة والجماهير لمجرد فكرة التفاوض مع العدو الإسرائيلي، ناهيك عن تطبيع العلاقات معها.

ولقد أتى الزخم الكبير لأفكار المحافظين الجدد والفكر المسيحي الصهيوني واليمين الأمريكي بصفة عامة وما ارتبط به من حركة الإحياء الكبرى للأفكار التوراتية، ومعركة هرمجدون وانتظار المسيح المخلص وارث النبي داود وبناء

الهيكل الثالث وما ارتبط بكل ذلك من صعود لنظرية صدام الحضارات، إلى بروز اتجاه مضاد فى الفكر العربى والإسلامى، وحيث كان الشعور الدينى والأصولية يتنامى هو الآخر فى الجانب العربى والإسلامى؛ ومن ثم فإن حركة العودة للأصولية الإسلامية كانت الرد المباشر والمتوقع على ما شهده الحلف الأمريكى الغربى- الإسرائيلى من دعم ونفوذ خاصة بعد عملية غزو العراق عام ٢٠٠٣ وقبلها أفغانستان وحركات الانفصال والتجزئة التى شهدتها الدول العربية من الصومال إلى السودان إلى ليبيا هذه الأيام، وواكب كل ذلك إحياء لملاحم آخر الزمان فى الفكر الإسلامى؛ بما فيها فكرة المهدى المنتظر الذى سيملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا وأنه لا حل لصراع العرب مع اليهود إلا بفناء إحدى القوميتين.

ويرى قطاع لا يستهان به من المعلقين والمتابعين لأوضاع المنطقة العربية خاصة لثورات الربيع العربى التى بدأت مع بداية ٢٠١١ من تونس ومنهـا إلـى مصر ثم إلى ليبيا، والجارى على قدم وساق حاليا فى سوريا والبحـرين وبعـض مناطق الجزيرة العربية؛ أن من ضمن أسباب الانتفاضة العربيـة والتوجـه نحـو التطور الديمقراطى أن نظم الحكم قد ركنت إلى فكرة السلام والتفاوض والتطبيـع مع إسرائيل، ما أدى إلى أن الفساد قد بدأ ينخر بشدة فى هذه النظم بجانب طابعهـا الاستبدادى الأصلى، وأن ذلك كان من ضمن المحركات الأساسية لثورات الربيـع العربى. ويبدى هؤلاء المعلقون خوفهم وخشية النظـام فـى دول الغـرب وفـى الولايات المتحدة من وقوع الدول العربية والإسلامية فى يد قوى سياسـية جديـدة تعتبر أن مصدر الشرعية فيها ينبع من الحضارة الإسلامية بمفهومها الشامل، ومن هنا فإن كتابات الكثيرين تتجه لتوقع المزيد من تأجيج دواعى الصراع بين إسرائيل وبين الدول العربية والإسلامية، ويخشون من اتجاه بعض الدول الإسلامية، مثـل إيران وتركيا؛ إلى الائتلاف مع الدول العربية من منطلق إسلامى فى مواجهة الفكر

والوجود الإسرائيلى الصهيونى. والواقع أن ما يناهز ثلث قرن من الزمان منذ بداية عملية السلام والتفاوض بين العرب وإسرائيل بداية بمصر ثم الأردن وأخيرًا منظمة التحرير الفلسطينية؛ فإن هذه العملية فى حد ذاتها، وعلى الرغم من المصاعب الجمة التى اكتنفتها وبالذات على صعيد التطبيع فى العلاقات العربية- الإسرائيلية، فإن هذه العملية كانت لها آثارها رغم كل ذلك على الجانبين. ومن هنا فإن البحوث والدراسات والتقارير التى تتناول جذور وأسس هذا الصراع العربى- الإسرائيلى لها أهميتها القصوى بالنسبة إلى المتابع والمراقب والراصد الحصيف لشئون المنطقة العربية ودواعى الأمن القومى المصرى والعربى.. فعلى الأقل، ومن ناحية مصر يرى كثير من المحللين المصريين والعرب وقطاع آخر من المهتمين بالشأن المصرى، على النطاق العالمى، أن عملية السلام المصرى- الإسرائيلى خاصة بالطريقة التى مارستها بها الإدارة المصرية فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك كان لها أثر كبير فى تقويم الدور المصرى وإخراج مصر عمليا من ساحة المواجهة العربية مع إسرائيل، وبحكم أن مصر كانت هى الدولة القائد والكبرى فى المنطقة، فإن ما حققته إسرائيل من خلال عملية السلام من دعم لأمنها كان بالخصم من الدور المصرى والمكانة والهيبة على النطاقين الإقليمى والدولى. كما يؤكد الكثيرون أن تقلص هذا الدور المصرى قد حفز الجانب الإسرائيلى على دعم وجوده واتصالاته الكثيفة مع دول منابع النيل والعمل بكل الطرق على تأليبها ضد مصر وحقوقها التاريخية فى مياه النيل، ومن ثم تهديد الأمن القومى المصرى من نطاقه الجنوبى فى منابع النيل.

والدراسة التى نقوم بترجمتها بين أيدينا هى، فيما أرى، تمثل قدرا كبيرا وغير عادى من الموضوعية، وذلك إذا ما قورنت ببحوث ودراسات أخرى عديدة فى شكل كتب ودراسات عن الصراع العربى- الإسرائيلى تتحيز بشدة ضد العرب وتقف بجانب وجهة النظر الإسرائيلية. والجديد فى هذه الدراسة أنها تستعرض

تاريخ الصراع العربى- الإسرائيلى- الفلسطينى فى إطار ست مقولات أو قضايا جوهرية مثيرة للاختلاف بين أطراف الصراع حول جذوره وتطوراته التاريخية، ودور القوى المحلية والإقليمية والعالمية فى هذا الصراع، ولماذا طال أمده كل هذه المدة الطويلة، وهل هو قابل للحل أم أنه كاد يكون حالة مستعصية، ومن ثم فإنه كما يراه بعض ليس صراع حدود ولكنه بالأساس والأولى صراع وجود، فهو متصل بما هو فى عمق النفس الإنسانية ونظرتها لقضايا الوجود الكبرى، الله والكون والعالم والإنسان.

ويعطى الباحث اهتماما وتقديرًا كبيرين لظاهرة المؤرخين الإسرائيليين الجدد الذين قدموا مقتربات تحليلية هى أقرب نسبيًا من حقائق الصراع العربى- الإسرائيلى، ويهتم الكاتب بالإشارة إلى أمله فى أن يرى- يوما من الأيام- ما يماثل هذه الظاهرة على الجانب الفلسطينى، وهو ما يعزز لا محالة من إمكانات التلاقى بين أطراف الصراع توطئة لحله وتسويته إذا ما كان ذلك ممكنًا.

كما أنوه فى هذا التقديم إلى الاهتمام الكبير الذى أبداه الباحث بالجوانب النفسية السيكولوجية فى الصراع، وهو جانب بدأ فى الظهور فى نطاق الدراسات الاجتماعية عبر ما حدث من تقدم كبير ونمو مطرد فى مدرسة التحليل السلوكى التى تولى الجانب النفسى قدرًا كبيرًا من الاهتمام كمقترب فكرى وتحليلى منذ أوائل القرن العشرين.

ويقينى أن أطراف الصراع العربى- الإسرائيلى كافة، هى فى حاجة ماسة إلى مثل هذا النوع من الدراسات التى تستهدف جلاء حقيقة ذلك الصراع ليس فقط من الظاهر على السطح؛ ولكن من خلال النفاذ إلى الباطن فى الأعماق.

ولعلى أكون- من خلال ترجمة هذه الدراسة- قد قدمت إسهاما متواضعا فى نقل ما يدور ويعتمل فى عقول المفكرين والباحثين فى هذا الصراع، خاصة أولئك المنتمين منهم للعالم الغربى الذى ضرب فيه العلم الإنسانى والاجتماعى وفى مجال العلوم السياسية بسهم وافر فى إيضاح ولو جزء من الحقيقة، وهو الذى يمثل شيئا أساسيا فى مجال إسهام العلم والعلوم الإنسانية خاصة فى فهم الصراعات والنزاعات الكثيرة التى يموج بها عالمنا المعاصر إسهاما فى محاولات حلها وتسويتها.

ومع حركة النمو الكبير والمطرد فى أعداد المراكز الدراسية والاستقصائية فى مجالات العلوم والإنسانيات والشئون الاستراتيجية والسياسية الدولية فى مصر والعالم العربي، فإن من المتوقع أن يكون هناك سيل من البحوث والدراسات فى مجال الصراع العربى- الإسرائيلى وصلته بالأمنين القومى المصرى والعربى، والذى من شأنه، من خلال الحوار والتلاقح الفكرى، أن يكون ذا فائدة لمصر والعرب وكل بلاد العالم والإنسانية على وجه العموم.

محمد محمود العشماوى

تصدير

تمثل حرب يونيو ١٩٦٧ فى الشرق الأوسط وتعقيدات الصراع العربـــى- الإسرائيلى؛ أول إلهاماتى لبحثى عن موضوع لرسالة الـــدكتوراه بعـــد تخرجـــى بوصفى طالبًا جامعيًا، وكان خاطرى الأول هو حل المشكلة وكان نابعا بالضرورة من خبرتى الشخصية، لأن بلادى- كندا- كانت تحتفل بعيدها المئـــوى ومنخرطـــة فى نقاشات حية حول كيف أن الأمم الإنجليزية والفرنسية تستطيع التعـــايش فـــى تسامح تحت نظام فيدرالى واحد. وبعد عام من الدراســـة والقـــراءة الاستكـــشافية، والبحث فى لندن أثار انجذابى واهتمامى، على غير توقـــع، بالجـــذور التاريخيـــة وتطور الصراع، وحول تركيزى بالكامل من المستقبل إلى الماضى.

ومنذ ذلك الحين؛ فإننى أقوم بالبحث والكتابة والتدريس، تقريبًا بالكامل حول التاريخ والدبلوماسية وسيكولوجية الـــصراع العربـــى- الإســـرائيلى. باحثًـــا فـــى الأرشيفات عن مصادر أولية أصلية وكتابـــة المقـــالات والمـــذكرات مـــن أجـــل المحاضرات العلمية، وقد كانت تمثل جميعًا الأنشطة التى استمتعت بهـــا كثيـــرًا.. فذلك فيما أرى جعل منى مؤرخًا وضعيًا، ولكن فى الوقت نفـــسه تطـــور داخلـــى اهتمامًا عميقًا واحترامًا للأبعاد النفسية والاجتماعية لذلك الصراع.

والقليل جدًا حول النزاع واتجاهات أطرافه المختلفة هو أمر بسيط ومباشر؛ ولكنه يجعله- بصفة خاصة- أمرًا من الصعب تلخـــيص أحداثـــه وموضـــوعاته

بطريقة دقيقة إذا أردنا أن نكون عادلين فى مواجهة التعقيدات التى تكتنف ذلك الصراع. ومن أجل ظهور هذا الكتاب فى إطار سلسلة التواريخ المتضاربة؛ فقد جمعت مذكرات من المحاضرات الدراسية التى قمت بإلقائها فى مختلف الجامعات مع بعض الخواطر النقدية؛ حول كيف يتم تقديم الصراع فى الكتابات الأكاديمية وغيرها. وهذا الكتاب يضع نفسه ضمن الاستعراضات التاريخية الممكنة، ولكن محاولات تخطى إعادة سرد ما حدث؛ تكون من خلال التركيز على سلسلة قضايا جوهرية التى تبدو أنها تقف حاجزًا أمام الأطراف والمؤرخين على السواء. وأحد التحديات الرئيسية فى إخراج هذا الكتاب؛ كان هو اختيار المستوى المناسب من التفصيل وذلك فى عرض تاريخ هذا الصراع بالنسبة للطلبة الجامعيين من المستوى الأول. والقراء المهتمون سيستفيدون- كما آمل- من استخدامى الكثيف للإحالات المرجعية والإشارة إلى التفاصيل الإضافية والتعليقات والتفسيرات المضادة التى- كما ذكرت- كانت ستجعل من النص نصًا شديد الكثافة لو ضمنت داخل المتن

وفى النهاية يوجد ذلك الشىء المحير من الإدراك والتحيز، وإحدى صعوبات الكتابة حول الموضوع؛ ألا وهو أنه سيوجد حتمًا شخص ما يمكن أن تثيره كلمة أو فقرة باعتبارها تبسيطًا مخلاً أو خاطئًا لحدث ما أو لدوافع طرف ما. لقد فعلت كل ما يمكننى لأجل الاستماع لكل الأصوات التى فى عقلى؛ ولكننى أعيد النظر باستمرار وبحساسية إلى المعانى والمصطلحات ونبرة الكلام، وآمل أن القراء سيقدرون محاولاتى من أجل السماح لكل وجهات النظر والصيغ فى تاريخ هذا الصراع بأن تعبر عن نفسها أو أن يتم الاستماع لها بشكل موضوعى.

وإننى أشعر بالامتنان حقًا لمجموعة من الزملاء والأصدقاء الذين ساعدونى بكرمهم من خلال الإجابة عن تساؤلاتى ونقد الصياغة الأولية للفصول، وهم قد

يختلفون مع بعض مظاهر ما قدمته من تاريخ أو مؤرخين، ولذلك فإنني لن أذكرهم بالاسم هنا منعا للإحراج، وإنني سأقدم شكرى إليهم بصفة شخصية، أمـــا الأكثـــر كرمًا هى زوجتى مارا التى زودتنى بالمساندة العاطفية والتضحيات التى كنت فـــى أشد الحاجة إليها والتى هيأت لى أفضل الظروف خلال أيام الكتابة الطويلة.

مونتريال – كيبيك – كندا

ديسمبر ٢٠٠٨

ملاحظة حول المصادر:

يظهر هذا الكتاب فى وقت يتم فيه- على نطاق واسع- استخدام المصادر التى تعتمد على الشبكة العنكبوتية، ولقد ضمنت كتابى مراجع من هذه المصادر التى تتضمن صحفًا ومجلات (الجارديان - هاآرتس - بيتر ليمونز - ميريا) وعرضت إمكانية الدخول على هذه المقالات. والدراسة الصحيحة لهذا الموضوع، على أى حال، تحتاج إلى الاعتماد الأكثر ثقلاً والمكثف على المواد المطبوعة (الكتب - المجلات - المذكرات - الدوريات) المتاحة على أرفف المكتبات، وكذلك الملفات المتاحة فى الأرشيفات العامة. وحيثما وجد فقد أعطيت تفصيلاً للاقتباس من المصادر الأولية وتقديرات الأشخاص المباشرين؛ متجاوزًا ما يصفها المؤرخون بالمصادر الثانوية، فالأولى هى الأصلية وهى أعمدة البناء دون رتوش؛ وذلك لخلق السرد التاريخى: نصوص الإعلانات العامة، الاتصالات والمكاتبات الرسمية أو الخاصة، مذكرات المقابلات، نصوص الاجتماعات، المذكرات الشخصية، وتقديرات لما حدث من جانب من كانوا بالفعل حاضرين الحدث. وهناك مصادر أولية كثيرة متاحة بسهولة للطلبة فى مجلدات موثقة. وفى الصفحات التالية استعملت بكثافة مجموعات جرى بشدة التوصية عليها مثل: "القارئ الإسرائيلى- العربى، تحرير والتر لاكير وبارى روبين"، وكذلك "الصراع الإسرائيلى- الفلسطينى الذى حرره إيهودا لوكاتش"[1].

والمؤرخون والكتاب وغيرهم يستخدمون المصادر الثانوية من أجل عرض معالجاتهم للحوادث، وبشكل ما فإنهم يقومون بعملية طبخ لهذه المواد الأولية الخام بغية خلق أعمالهم الثانوية (مقالات - كتب) التى تعكس اختيارًا خاصًا

وتنظيمًا للمــواد وتفسيــرًا للحوادث ووجهات نظر المؤيدين (وكثير من هذا يوجد فى الفصل رقم ١١).

وكمتحدثين باللغة الإنجليزية؛ فإننا أجانــب أمــام مؤيــدى هــذا الــصراع الأساسيين فيما يخص لغة تواصلهم ومنشوراتهم وهى إما عربيــة وإمــا عبريــة، وعلى الرغم من ذلك الحاجز اللغوى؛ فقد تم إمدادنا بأعمال تعد بمثابة عينات مــن جانب عرب وإسرائيليين مترجمة للإنجليزية. وبافتراض أن معظم قرائــى غيــر قادرين على الدخول على المواد العربية أو العبرية؛ فــإن زملائــى فــى الإقلــيم يحذرون من بعض الموضوعات خاصة حوارات المؤرخين (انظر الفــصل ١١)، ولذلك فإننا باعتبارنا أجانب لا نرى سوى رأس جبل الثلج مــن خــلال الترجمــة ونفتقد المناقشات التفصيلية والأفكار الثرية المختلفة التى تستمر فى الانتــشار فــى الأدبيات العربية والعبرية الأكاديمية وكذلك المذكرات والخيالات والأفلام السينمائية.

الهــوامـــش

١. *"The Israel-Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict"*، التاريخ التوثيقى لصراع الشرق الأوسط- الطبعة السابعة المنقحة، تحرير والتر لاكيــر وبـــارى روبين، نيويورك، دار نـــشر بنجـــوين، ٢٠٠٨. وأيـــضًا *"The Israel-Palestinian Conflict: A documentary Record: 1967-1990"*، تحرير يهودا لوكاس، دار نشر جامعة كمبريدج، ١٩٩٢.

الباب الأول

مقدمة

الفصل الأول

مشاكل فى تعريف الصراع

"فلسطين قياسًا على حجمها ربما تكون البلد الأكثر خضوعًا للبحث والدراسة فى العالم"(١).

"لا يوجد ثمة صراع آخر لم يتم توثيقه وتسجيله ووضعه على خرائط مثل الصراع الفلسطينى- الإسرائيلى"(٢).

إذا كان هناك ثمة صراع معاصر يمكن تضمينه فى سلسلة تاريخية تحت مسمى "الاختلاف على الماضى"؛ فإنه- بلا شك- الصراع العربى- الإسرائيلى أو الإسرائيلى- الفلسطينى. وعلى الرغم من أن هذا الصراع يثير الجدال؛ فإنه يشكل، وفقًا لأحد الباحثين، "الصراع الوحيد الأكثر مرارة واستمرارية على الأرض اليوم"(٣)، وحقيقة الأمر أن مجرد محاولة الاستعراض البسيط لمحطاته الرئيسية فى تسلسل تاريخى؛ ستكون حتمًا موضعًا للخلاف من قبل بعض، حتى إن تم إخضاع ذلك لأدق معايير الموضوعية بشكل يبتعد عن إصدار الأحكام سواء فيما يتصل بالدوافع أو الأسباب أو التبعات، وإذا كان الاكتفاء بمجرد العرض التاريخى يمثل أمرًا محدود الأهمية؛ فإن دراسة التاريخ هى مهمة أكثر تعقيدًا.

من بين المؤشرات الدالة على صحة المقولة الخاصة بالطبيعة الخلافية لهذا الصراع؛ التنوع الضخم فيما يتصل بمصدر وتاريخ كل من الاقتباسين اللذين

يتصدران هذا التقديم. فالاقتباس الأول يمثل جزءًا من خطاب وجهه د."حايم وايزمان"، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، إلى الرئيس الأمريكي "هاري ترومان" في ديسمبر عام ١٩٤٥، أما الاقتباس الثاني فقد كتبه في أغسطس ٢٠٠٧ "ريجيس دبري"، المفكر الفرنسي الذي كان وثيق الصلة، في فترة ما، بالثوري الكوبي المعروف "أرنست وتشي جيفارا"، فالتناقض والتعارض من هذا القبيل يحدث بشكل متكرر ويوفر، بشكل مثير للسخرية، مصدرًا للاستمتاع للباحثين في هذا الصراع المستمر والمثير للارتباك.

في هذا السياق؛ فإنه ليس من المثير للدهشة أن نجد تنوعات كبيرة في طرق فهم وعرض الصراع العربي- الإسرائيلي أو الفلسطيني- الإسرائيلي. إن هذه المحاولات لتقديم التفسيرات، سواء كانت في إطار السياسة أو ممارسة الضغوط أو الإعلام أو البحث الأكاديمي أو غيرها، تمثل غالبًا انعكاسات لهذا الصراع الضاري بما يتضمنه من مرارة وتعقيد، ومن بين الأنماط التي أصبحت مألوفة في هذا الصدد أن يتم وصف ما يقدمه طرف من الأطراف بأنه "حقيقي" في مواجهة "أكاذيب" أو "أساطير" أو "دعاية" الطرف الآخر. وفي مواجهة هذا النمط توجد مدرسة أخرى تنتشر بين الباحثين والصحفيين والمحللين تنأى بنفسها عن التبسيط وتهتم بمناقشة الأفكار المتعارضة المقدمة من قبل أطراف الصراع.

ومن خلال الجزء الثاني في هذا الكتاب؛ سنستعرض تاريخ الصراع على مدار ما يقارب مئة وثلاثين عامًا من بداياته الأولى على المستوى المحلي حتى تطوره ليشمل أبعادًا إقليمية ودولية، وعلى مدار البحث سيتم تركيز الضوء على عدد من "الحجج الجوهرية" التي تبلورت وأسهمت في خلق الحقيقة المؤسفة المتمثلة في أن الصراع لا يزال ماثلاً حتى اليوم دون تسوية ويبدو مستعصيًا على

الحل. وعلى الرغم من تواضع أهدافي؛ فإنها تمثل في الوقت ذاته تحديًا كبيرًا: استكشاف هذا الصراع بجميع تناقضاته وتعقيداته، والعمل بقدر الإمكان على تحييد الجانب الأسطوري لبعض ملامحه، وتقديم توضيح لأسباب الجدال حول تاريخ فلسطين وإسرائيل.

ماذا عن الاسم؟

ينبع العديد من المشكلات من التعقيدات المرتبطة بتسمية الصراع وتحديد أطرافه الرئيسيين، فمجرد تسميته وتعريف موضوعه يعني أن المرء، على الرغم من إرادته، يتخذ موقفًا سيكون- بالتأكيد- موضع منازعة من قبل آخرين يقدمون آراء مختلفة. فالصراع الذي يتناوله بالتحليل هذا الكتاب تم توصيفه بطرق مختلفة: الصراع "اليهودي- العربي"، الصراع "الصهيوني- العربي"، الصراع "العربي- الإسرائيلي"، الصراع "الإسرائيلي- الفلسطيني".

وإذا ما اخترنا تسميته الصراع "اليهودي- العربي"؛ فإننا نضع بذلك الشعب اليهودي كافة في مواجهة الشعب العربي بأكمله، هل يعتبر ذلك تعريفًا مناسبًا أو دقيقًا؟ وكما سنرى لاحقًا، في الفصل الثاني، فإن مفهومي العرب واليهود يشيران إلى مجموعات عريضة تمتد إلى ما هو أبعد من الأطراف الذين يتنازعون بشكل مباشر على أرض فلسطين- إسرائيل. وعلى الرغم من أن بعض الكُتّاب يشيرون إلى الصراع "اليهودي- العربي"؛ فإننا سنتجنب في هذا الكتاب هذا التوصيف؛ لأنه واسع وفضفاض وقد يقود إلى الخلط والتفسيرات المضللة. وفي واقع الأمر؛ فإن مثل هذا التعريف يفتقر إلى الجوانب السياسية والوطنية والمتصلة بالأرض

للصراع الدائر اليوم، ولعل استخدام مصطلح "الصهيونى" عوضًا عن "اليهودى"؛ يوفر العناصر المفقودة فى توصيف أحد المتصارعين، فالصهاينة يعتقدون ويساندون سعى اليهود "للعودة إلى صهيون" (القدس والأراضى المقدسة)، وهو ما تم التعبير عنه فى الفترة الحديثة بدعم قيام دولة يهودية فى هذه المنطقة، وبتطبيق هذا التعريف؛ سيكون من الدقيق القول: إنه قبيل إنشاء الدولة الإسرائيلية فى عام ١٩٤٨ كان الأمر يتصل بصراع "صهيونى- عربى" وصراع "صهيونى- فلسطينى".

إذن من هم العرب؟ ليس هناك، فى الحقيقة، مفهوم مناظر وموازٍ لليهود، فالعرب يمكن تعريفهم كمجموعة قومية عرقية لهم تاريخ مشترك ولغة واحدة وجذور ثقافية منبعها القبائل العربية فى شبه جزيرة العرب. والصراع العربى- الإسرائيلى هو الاسم الأكثر استخدامًا ضمن هذه الأسماء؛ وهو- بطرق كثيرة- الأكثر تحديدًا ومناسبًا للنزاع السياسى والإقليمى منذ عام ١٩٤٨ بين دولة إسرائيل من ناحية ونحو عشرين دولة أو أكثر تعتبر نفسها عربية من ناحية أخرى.

حتى هذا التعريف للصراع والمفضل لدى بعض، يتضمن فى طياته عددًا من السلبيات، فإنه، كما لاحظنا، قد يقود إلى مفهوم خاطئ فحواه أن الصراع بدأ منذ عام ١٩٤٨ مع إنشاء دولة إسرائيل، متجاهلاً على الأقل نصف قرن قبل ذلك من صراع صهيونى/ عربى وصهيونى/ فلسطينى، كذلك فإن النظرة إلى العالم العربى على أنه كيان له اتجاهات وسياسات موحدة تجاه اليهود والصهاينة و/أوإسرائيل تعتبر مضللة. وفى الحقيقة فإن الخبرات التاريخية والسياسات والاتجاهات تتباين فيما بين الشعوب والدول العربية، الأمر الذى يعنى أنه من الخطأ تقديم العرب باعتبارهم وحدة واحدة تشكل خصمًا فى الصراع العربى- الإسرائيلى(٤).

كذلك، فإن استخدام مفهوم "العرب" قد يؤدى، أحيانًا، إلى تجاهل وجود صراع محدد بين الصهاينة (قبل ١٩٤٨) وإسرائيل (منذ ١٩٤٨) من ناحية، وبين عرب فلسطين أو الفلسطينيين من ناحية أخرى؛ ومن ثم فإنه على الرغم من أن معظم المناقشات من عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٣ تدور حول الصراع العربى- الإسرائيلى الأكثر اتساعًا، فى حين أنه منذ عام ١٩٧٣؛ وبشكل أكثر منذ ١٩٩٣، يتجه الكثيرون للنظر للصراع على أنه فى جوهره صراع أكثر ضيقًا بين الإسرائيليين والفلسطينيين حول السيادة وتقرير المصير على إقليم واحد، حتى إن كانت له أبعاد عربية أوسع.

وفى هذا الكتاب، فإننا نأخذ بالمقتربين الأخيرين فى تسمية الصراع؛ حيث نستخدم التعريف الأكثر شيوعًا والأكثر مناسبة (الصراع العربى- الإسرائيلى) لتضمين أبعاده الإقليمية الأكثر اتساعًا، بينما نعود إلى تسمية الصراع الفلسطينى/ الإسرائيلى عندما نتعرض لجوهره وأطرافه الرئيسيين، ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه الطريقة لتحديد الصراع وأطرافه تجد من يتحداها بشدة، خاصة من قبل اليمين الإسرائيلى والصهاينة[٥].

المصطلحات المثقلة بالمعانى:

كما هى الحال بالنسبة إلى صراعات أخرى، فإن استخدام المصطلحات قد يكشف عن تأييد أو انحياز من قبل الكاتب أو المتحدث، سواء كان متعمدًا أو غير متعمد، لمواقف طرف على حساب الآخر، ويبرز المخاطر المرتبطة بذلك فيما يتصل بالصراع العربي- الإسرائيلى سواء فى توصيفه العام وتسمية أطرافه

المتصارعة، بل وحتى فى تسمية الأحداث ووضع الخرائط. فكما هى الحال بالنسبة إلى الصراعات والحروب الأخرى، يتم توظيف المصطلحات للتمييز بين الأخيار والأشرار، وتنعكس مشاعر ومواقف الكاتب أو المراقب فى اختياره لمصطلحات ذات أبعاد معنوية خاصة من قبيل "الإرهابى" أو "المقاوم المدافع عن الحرية"، وفى ضوء حقيقة أن كلاً من الطرفين يدعى قول الحقيقة والنبل، فإن المراقبين ينساقون إلى تبنى مواقف عندما يشيرون إلى أعمال "عدوان" أو "مقاومة" فى مواجهة العدوان.

وفيما يتصل بتسمية أطراف الصراع توجد، لدى بعض الأشخاص، معان يلزم تبنيها أو تجنبها بشكل تلقائى، فكلمة صهيونى يمكن أن ترتبط- على سبيل المثال- بكتاب بروتوكولات حكماء صهيون، وهو تشويه يستهدف تقديم الدليل على أن اليهود أعضاء جمعية سرية تستهدف السيطرة على العالم، وفى المقابل يتم فهم مصطلح الصهيونية سلبًا من قبل العرب الفلسطينيين المناهضين للصهيونية الساعية لبسط سيطرتها على فلسطين إيريتز إسرائيل (أرض إسرائيل بالعبرية)؛ حيث يرتبط تلقائيا بأولئك الذين يرون أراضى دولة أنها ملكيتهم. وفى واقع الأمر فإن الجانب الأسطورى الذى يحيط بالعالم اليهودى قد لعب دورًا فى توليد الخوف أو الاحترام بين الذين يعارضون الصهيونية، وقد تمخضت بعض الحملات الدولية لصالح الحقوق الفلسطينية عن المزيد من التجسيد للمعزى السلبى لمصطلح الصهيونية، ومن ذلك القرار الذى يساوى بين الصهيونية والعنصرية وتبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٥ (وألغى عام ١٩٩١)[٦]. وفيما يتصل باستخدامنا لهذه الكلمة فى صفحات هذا الكتاب؛ فإنه سيشير أساسًا إلى أولئك الذين عرفوا أنفسهم تاريخيا بأنهم صهاينة، وبعبارة أخرى، المنتسبون إلى حركات

سياسية وأيديولوجية تسعى إلى إقامة وطن قومى أو دولة للشعب اليهودى فى فلسطين ايريتز إسرائيل.

وبطبيعة الحال؛ فإن بعض القراء الذين يرفضون شرعية الدولة اليهودية؛ قد يشعرون بالضيق من استخدام هذا الكتاب لمصطلحى "إسرائيل" و"الإسرائيليين" مفضلون وصف الأخيرين "الغزاة الصهاينة" أو"المحتلون"، والدول بـ "الكيان الصهيوني" أو "فلسطين المحتلة"، واستنادًا إلى المنطق ذاته، قد يجد بعض آخر صعوبة فى التعامل مع إشاراتى المتكررة إلى "الفلسطينيين" مفضلين بدلاً من ذلك الإشارة إلى هؤلاء على أنهم "عرب" بما يتماشى مع معتقداتهم بأنه لا يوجد شىء مستقل يمكن تسميته الشعب الفلسطينى له الحق فى دولة فلسطينية.

ويمكن رصد مخاوف مشابهة فيما يتصل بتسمية الوقائع والحقب فى تاريخ العلاقات العربية- الصهيونية قبل عام ١٩٤٨، والعلاقات العربية- الإسرائيلية، فحالات العنف التى وقعت خلال فترة الانتداب أطلق عليها مسميات مختلفة تحمل مضامين غاية فى الاختلاف، فوصفها بـ "القلاقل" تبدو أنها محاولة للتقليل من أهميتها، فى حين أن وصفها بـ "الشغب" قد يتضمن تلميحًا لسلوك همجى أو إجرامى من قبل السكان، الذين يقصد بهم عادة العرب وفى بعض الأحيان كذلك اليهود، وعلى خلاف ذلك يفضل بعض الفلسطينيين والعرب القوميين توصيف هذه باعتبارها "مظاهرات احتجاج" (تمخضت عن عنف) أو عمليات "مقاومة" ضد الاحتلال البريطانى والاستيطان الصهيونى لأراضيهم، ولعل الاختلافات حول تسمية حرب ١٩٤٨ (وبشكل أكثر دقة القتال فى الفترة من ديسمبر ١٩٤٧ حتى يناير ١٩٤٨) تقدم أوضح الأمثلة فى هذا الخصوص؛ فبالنسبة إلى الإسرائيليين يتصل الأمر بـ "حرب تحرير" أو "حرب استقلال" (باللغة العبرية ملحمة هاتزاموت) المفعمة بالنصر والنشوة والشعور بالانعتاق، وفى المقابل تمثل الأحداث

نفسها بالنسبة إلى الفلسطينيين "النكبة" (وتترجم بالكارثة) بما تحمله فى مضمونها من دمار لمجتمعهم وتشريد لما يقارب من سبعمئة ألف لاجئ.

وقد كانت الحروب الإسرائيلية- العربية التالية أيضًا؛ مثارًا للخلاف على تسميتها، فبالنسبة إلى إسرائيل حرب عام ١٩٥٦ مع مصر هى "حملة سيناء" أو"عملية قادش" وفقًا للخطة العسكرية التى وضعتها قوات الدفاع الإسرائيلية، أما من وجهة النظر المصرية والعربية؛ فإنها تعرف تحت مسمى "العدوان الثلاثى"؛ لتركيز الضوء على تواطؤ الجيش الإسرائيلى الغازى مع العمليات الحربية البريطانية- الفرنسية فى منطقة قناة السويس بذريعة حماية القناة من الجانبين المتحاربين. وبين هذين الموقفين، تعتبر تسمية هذه الحرب بـ "حرب السويس" أو "حرب ١٩٥٦" هى الوسيلة المحايدة للتعامل معها.

وعلى النمط نفسه، فإن الإشارة لحرب يونيو ١٩٦٧، باعتبارها حرب "الأيام الستة"، تمثل تمجيد وتركيز الضوء على سرعة ويسر النصر الإسرائيلى، بما يتضمنه ذلك ربما من ازدراء للعرب وخسارتهم. كذلك الحال لدى استخدام اسم "يوم كيبور" للإشارة لهجوم مصر وسوريا فى أكتوبر١٩٧٣ ضد القوات الإسرائيلية المتمركزة فى قناة السويس ومرتفعات الجولان؛ حيث إن هذا الاسم يقدم الحرب كما يراها الإسرائيليون دليلاً على قسوة وفظاظة العدو الذى اختار أكثر الأيام اليهودية للقيام بهجوم مفاجئ، وبشكل عام يمكن القول إن أفضل طريقة للحياد فيما يتصل بتسمية الأحداث يتمثل فى الاقتصار على الإشارة إلى الحروب بأيام وقوعها.

وفى النهاية؛ فإنه من الضرورى الإشارة إلى تعارض المتصل ببعد آخر من أبعاد الصراع العربى- الإسرائيلى، وهو الخاص بالتسميات المتباينة للخرائط الجغرافية(٧)، فالخرائط العربية تظهر الأرض المتنازع عليها باعتبارها فلسطين، دونما إشارة إلى دولة تسمى "إسرائيل"، وهو ما يمكن اعتباره عملاً سياسيًا يكشف

عن عدم الاعتراف بها، ويتناقض ذلك مع أغلب الخرائط العالمية والإقليمية المطبوعة بالإنجليزية واللغات الأوروبية بين عامى ١٩٤٩ و١٩٦٧ التى لا تتضمن فلسطين (التى اختفت ككيان محدد بعد حرب ١٩٤٧/١٩٤٩) وتتضمن فقط الدولة الإسرائيلية الجديدة داخل خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ (انظر الخريطتين ١-٦ و٢-٦ فى الفصل السادس).

ولقد أظهر العديد من الخرائط باللغة العبرية منذ عام ١٩٦٧؛ إسرائيل دون أن يوضح الخطوط الفاصلة بينه أو الأراضى التى احتلها من الأردن (الضفة الغربية) ومصر (غزة) وسوريا (مرتفعات الجولان) خلال حرب يونيو ١٩٦٧، ومؤخرًا عاود بعض الخرائط الإسرائيلية ترسيم خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ والمعروفة كذلك بـ "الخط الأخضر"، أما الخرائط التى ينشرها اليمين الإسرائيلى وحركة المستوطنين؛ فإنها تشير إلى الأراضى الفلسطينية المحتلة والمعروفة بشكل عام وعالمى تحت مسمى "الضفة الغربية" (لنهر الأردن) بأسمائها العبرية التوراتية (يهود أو السامرة) بما يؤكد تضمينها فى "إيريتز إسرائيل" الموعودة- (أرض إسرائيل) الموعودة- ويوضح النية فى إبقائها كجزء من دولة إسرائيل الحديثة. كذلك فإن هذه الأراضى (الضفة الغربية) إلى جانب قطاع غزة؛ يتم وصفها بأشكال متعددة: "الأقاليم المُدارة" أو "الأقاليم المتنازع عليها"- (وذلك فى الجانب الأكبر من المطبوعات الإسرائيلية الرسمية)، و"الأقاليم المحررة" (فى المطبوعات التى تروج لرقعة أرض أكثر اتساعًا لإسرائيل تتجاوز حدود ١٩٤٩)، و"الأراضى المحتلة" (بشكل عام ودولى) و"الأراضى الفلسطينية المحتلة".

وإذا ما نحينا جانبًا الحديث عن التشويه وعدم الدقة، فإن تقديم الخرائط وتسميتها بشكل متباين يمكن أن يعبر عن عملية تسييس فائقة كطريقة للتعبير عن دوافع عدوانية أو لتسجيل مطالب ومظالم، وعلى سبيل المثال فإن مجلدًا صدر حديثًا لمجموعة أوراق مؤتمر عقد تحت مسمى "مستقبل فلسطين وإسرائيل: من

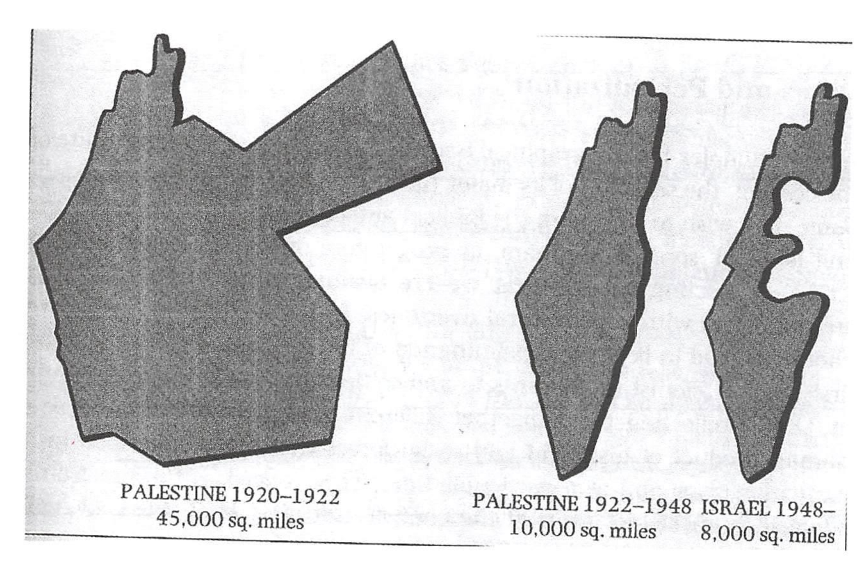
الجذور الاستعمارية إلى الواقع الحالي"، يتضمن فى مقدمته مجموعة من الخرائط أطلق عليها "الخسارة الفلسطينية من الأرض (١٩٤٦-١٩٩٩)". وكل من الخرائط الأربع توضح التغييرات فى الحجم والشكل لـ "الأراضى الفلسطينية" وتلك "اليهودية"، واستخدام كلمة "مرحلة" يسجل وجود التعمد من الجانب الإسرائيلى[٨]. وفى المقابل، فإن الخرائط الموازية التى يقدمها الصهاينة تتجاهل الفلسطينيين وتسجل المكاسب والإنجازات المتراكمة لـ "الحصول على الأراضى اليهودية" أو "شراء اليهود للأراضى"، دونما إشارة إلى خسارة أى شخص جراء ذلك.

ويبرز هذا التناقض، بشكل صارخ، عند مقارنة خريطة "المستوطنات اليهودية فى فلسطين ١٨٥٥-١٩١٤" فى كتاب "والتر لاكير" "تاريخ الصهيونية"[٩] مع ذلك المسمى "أول مستوطنة صهيونية فى فلسطين، ١٨٧٨" والوارد فى كتاب "وليد الخالدى" "قبل الدياسبورا"[١٠]، فالأول يُظهر خمس عشرة نقطة ومثلثًا أسود اللون دونما مدن أو قرى فلسطينية، ويشير جميع المناطق البيضاء اللون إلى أرض فضاء[١١]، أما الأخير فيظهر جميع القرى والمدن الفلسطينية وتلك المدن المختلطة (مئات النقاط الحمراء، وست نقاط سوداء كبيرة، ونقطة صغيرة للغاية ملونة بالأخضر تشير إلى مستعمرة حديثة باسم "بتاح تكفاه". كذلك فإن الخرائط التى توضح الأشكال المتغيرة لإسرائيل والمناطق الفلسطينية والدول المجاورة على مدار الوقت يمكن أن يتم تحريفها وتسييسها بطرق مختلفة، فالاتهامات الصهيونية والإسرائيلية للبريطانيين بقيامهم بتخفيض المساحة؛ المفترض أنه وُعد بأن تكون وطنًا قوميًا لليهود عام ١٩١٧، ويمكن التعبير عنها بثلاث خرائط مختلفة لفلسطين قبل الانتداب ١٩٢٠/١٩٢٢، والمناطق الخاضعة رسميا للانتداب ١٩٢٢/١٩٤٨ التى لا تظهر شرق الأردن، وخريطة فلسطين- إسرائيل ١٩٤٨/١٩٤٩ (خطوط الهدنة بعد الحرب)[١٢]. بالطريقة نفسها، فإنه برسم إسرائيل فى قلب خريطة تُظهر كل الدول العربية الممتدة من مراكش فى الغرب حتى دول الخليج فى الشرق

والسودان فى الجنوب، فإن الدولة اليهودية تبدو ضيقة ومعرضة للخطر. كذلك فى خرائط "مارتن جيلبرت" التاريخية والخالية من الإيضاحات، تـم تقـديم حـروب إسرائيل من ١٩٤٨ فصاعدًا بطريقة تشدد على دقة موقـف الدولـة اليهوديـة[١٣] المحاطة بدول معادية شاسعة المساحة ومدججة بالسلاح ولديها نوايا عدوانية[١٤].

وعلى الجانب الآخر، فإن التغييرات التى حدثت مع مرور الوقت يمكـن أن يتم إظهارها لتقديم إسرائيل بوصفها القوة المعتدية، وعلى سبيل المثال فإن عرض ثلاث خرائط متوالية تُظهر تنامى الأراضى التى تم تخصيصها أو السيطرة عليهـا من قبل إسرائيل منذ مقترح الأمم المتحدة للتقسيم فى عـام ١٩٤٧ حتـى خطـوط الهدنة عام ١٩٤٩؛ ثم حتى الاستيلاء على أراضٍ إضافية عام ١٩٦٧ يشكل دعوة للقارئ لأن يصل إلى نتيجة مفادها أن إسرائيل هى دولة توسعية[١٥].

وفى النهاية؛ فإن أولئك الذين يميلون لتفـسير الإنجيـل كخريطـة طريـق للحاضر؛ سيقتبسون ما يشير إلى الوعود الإلهية لموسى ويوشع بـأن العبـرانيين القدماء سيحصلون على الأرض الممتدة من "البرية ولبنان حتـى النهـر العظـيم (النيل) ونهر الفرات- كل بلاد الحيثيين- حتى البحـر العظـيم (المتوسـط) فـى الغرب". ومن جانبهم فإن المسلمين يخشون من ذلك باعتباره يمثل الخطة الرئيسية لدولة إسرائيل الحديثة وأطماعها فى أجزاء من مصر وسوريا والعراق، فى حـين ينظر اليهود الأصوليون لذلك على أنه عمل إلهى[١٦].



إسرائيل ١٩٤٨ فلسطين ١٩٢٢ فلسطين ١٩٢٠-١٩٢٢

٨٠٠٠ ميل مربع ١٠٠٠٠ ميل مربع ٤٥٠٠٠ ميل مربع

خريطة ١-١

فلسطين ١٩٢٢- ١٩٤٨، وإسرائيل ١٩٤٩.

المصدر: إسرائيل الكفاح من أجل السلام، نيويورك، مكتب الإعلام الإسرائيلى، ١٩٦٠، ص:٨.

التواريخ والتقسيم إلى فترات:

يمثل قيام الفرد باختيار تاريخ بداية الصراع، وتحديد نقاط التحول الرئيسية، وتقسيم تاريخ الصراع إلى فترات، عملاً أكثر تعقيدًا من حيث الجغرافيا التاريخية. فقد يرغب بعض فى البدء بسوابق الصراع التى أوردها الإنجيل (إسحاق وإسماعيل ولدا إبراهيم باعتبارهما آباء إسرائيل والعرب اليوم)، بشكل يجعلنا نعتقد أننا نتعامل مع صدام جوهرى له أبعاد تتجاوز الطبيعة. ومن جانبنا، فقد فضلنا، بدلا من ذلك، أن نبدأ فى الصفحات التالية دراستنا للصراع المتطور بالمهاجرين الصهاينة الأوائل فى العصر الحديث ومستوطناتهم فى فلسطين العثمانية عام ١٨٨٢؛ بشكل يعكس وجهة نظر مخالفة تذهب إلى أن هذا النزاع هو منتج بشرى لقوى تاريخية واجتماعية جرى إطلاقها فى مكان وزمان معينين، وهذا فى الواقع هو الإطار التاريخى الذى يتبناه معظم المؤرخين للصراع، أما الجزء الثانى من هذا الكتاب فسيستكشف أحداث المئة والثلاثين عامًا الأخيرة من الصراع. وهنا تجب ملاحظة ما يراه بعض النقاد أن هذا الخيار لفترات النزاع يزيد من حدة الإحساس بالعداوة بين الطرفين نتيجة لتجاهله قرونًا من الصداقة والتعاون بين اليهود والمسلمين، والعرب واليهود قبيل الانقسامات والنزاعات التى تبلورت فى عصر القومية والاستعمار(١٧).

صراع مستمر:

ترجع مجموعة أخرى من المشكلات إلى قيامنا بدراسة ومحاولة فهم صراع دائر بالفعل لم تتم تسويته بعد، صراع يُخلف ضحايا أو خسائر بشكل يومى، وتؤججه وتغذيه مشاعر المرارة والكراهية والرغبة فى الثأر التى تتوارثها أجيال بعد أجيال، كذلك فإن تناول الجذور التاريخية ونماذج مثل هذا الصراع لا تقتصر أهميته على البعد النظرى والأكاديمى فقط، فكيفية الاقتراب من الماضى

وإخضاعه للتحليل غالبا ما يحركه، بوعى أو دون وعى، ما يجرى فـــى إســـرائيل وفلسطين والشرق الأوسط ما دام الصراع تزداد حدته وتعلو نبرته ويفرز تقيحاته، كما أن كيفية عرض ماضى الصراع يمكن أن تكون لها انعكاسات حـــول كيفيـــة دراسة الأسئلة والقضايا التى تنجم عن صراع لم تتم تسويته بعـــد، وهـــذه الحالـــة توضح بجلاء القول المأثور بأن "كل التاريخ هو تاريخ معاصر".

الصراع هل يمكن تسويته أم لا؟

يدور أحد الأسئلة الرئيسية حول معرفة إلـــى أى مـــدى يعتبـــر الـــصراع العربى- الإسرائيلى بطبيعته غير قابل للتسوية؟[١٨] وعلى خلاف الحكمة المعروفة التى تذهب إلى أن كل الصراعات، بشكل أو آخر وفـــى نهايـــة المطـــاف يمكـــن تسويتها، فإن عددًا من الشخصيات القيادية فى كلا الطرفين قد خلص إلى أنه فـــى الحقيقة متورط فى صراع غير قابل للتسوية، فبينما كان "بـــن جوريـــون"، آنـــذاك المتحدث باسم العمال- الصهاينة، وتولى فى مرحلة لاحقة رئاســـة الـــوزراء فـــى إسرائيل، ينتظر تطبيق قرار مؤتمر باريس للـــسلام عـــام ١٩١٩ علـــى الـــشرق الأوسط، دعا رفاقه فى مجلس اليوشف (المجتمع الفلسطينى- اليهودى) للقاء بهدف بحث علاقاتهم مع الشعب العربى دون الانسياق وراء الأوهام قائلاً: "كل شـــخص يرى صعوبة فى مجال علاقات اليهود مع العرب لكن لا يرى الجميع أنه لا حـــل لهذه القضية، لا حل! هناك فجوة لا يمكن لأى شيء أن يسدها. من الممكن تـــسوية الصراع بين مصالح العرب واليهود فقط عن طريق المغالطـــة، ولا أدرى كيـــف سيوافق العرب على أن فلسطين يجب أن تكون لليهود- حتى لو تعلم اليهود العربية (كما نصحهم خلال المناقشات أحد مناصرى المصالحة اليهودية- العربية)، ويجب علينا التسليم بالموقف ولا نحاول تقديم علاج له... إننا، باعتبارنا أمـــة، نريـــد أن يكون هذا البلـــد لنا، والعـــرب، باعتبارهم أمة، يريدونـــــه لهـــــم، وتـــم تـــرك القـــرار فى هذا الخصوص لمؤتمر السلام"[١٩].

وهناك وجهة نظر تكاد تكون صورة مرآة لما سبق تم طرحه، أوائل عـــام ١٩٣٢، من قبل "عونى عبد الهادى" وهو محامٍ فلسطينى فـــى حـــزب الاســتقلال القومى العربى ومساعد سابق لـــ "فيصل بن الحسين"- (ملك العراق لاحقا)- فـــى مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٩١٩، ففى حديث له مع د. حاييم أورلوســوروف، رئيس الإدارة السياسية بالوكالة اليهودية بالقدس رد عونى سلبًا على المتعاطفين مع فرص التوصل إلى اتفاق صهيونى- عربى؛ ونقل عنه القول: "منذ فتــرة مــضت توصل إلى نتيجة نهائية مفادها أنه لا توجد ثمة فائدة فى المفاوضات أو محـــاولات الوصول إلى تفاهم متبادل، فهدف اليهود حكم البلاد وهدف العرب هو محاربة هذا الحكم، إنه يعرف الصهاينة تماما ويحترمهم، لكن مصالحهم تتعارض تمامًـــا مـــع مصالح العرب، ومن ثم فإنه لا يرى ثمة إمكانية للاتفاق"(٢٠).

ومن المهم أن نأخذ وجهات النظر هذه التى تشى بالتشاؤم بعين الاعتبار فى تحليلنا، خاصة حينما يعبر عنها قادة لهم وزنهم وفعاليتهم فـــى الـــصراع، وذلـــك ليتسنى مواجهة أخطار التفكير بالتمنى حول حلول وتسويات لهذا الصراع. وفـــى الفصل الأخير فإننا سنعود لتناول مسألة مدى قابلية الصراع للتسوية.

تسوية الصراع أم إدارة الصراع؟

إن استعصاء الصراع العربى- الإسرائيلى، لفترة تزيد على قـــرن، علـــى جميـــع محاولات تسويته بشكل جدى، يشكل تحديًا قويًا لمصداقية الافتراض المتفائل بـــأن كل الصراعات يمكن تسويتها، وكما سيتضح خلال استعراضنا للصراع فى البـــاب الثانى؛ فإن كلاً من الإسرائيليين والفلسطينيين قد حددا هدفيهما وعبرًا عن معتقدات

تبدو، حتى فى أدنى أشكالها، متناقضة مع بعضها بعض إذا ما وضعت جنبًا إلى جنب، ومع ذلك كانت هناك لحظات نادرة وقليلة (نوافذ للفرص) بدت فيها جميع الأطراف، فى الوقت ذاته، مستعدة وقادرة على التنازل عن بعض ما يدعى الطرف الآخر حاجته إليه للتوصل إلى اتفاق حول حل وسط والواقع أن كلا الطرفين الرئيسيين- يبدوان بشكل عام- مستعدان للاستمرار فى المزيد من نزيف الدم والحروب المستقبلية حتى يحقق أحدهما فى النهاية النصر وفقًا لشروطه.

مثل هذا الوضع يدفعنا إلى بحث إمكانية عدم تسوية هذا الصراع بالصيغة المتعارف عليها فى معاهدة دولية أو من خلال نموذج الصيغة التوافقية التى تنهى إلى الأبد المطالب والخلافات التى تنتظر حلاً، وعلى الأحرى، ربما نكون أمام صراع يمكن فقط إدارته أو احتواءه فى أحسن الأحوال فى شكل نزاع على مستوى أقل لم تتم تسويته، أو نزاع أقل حدة. إن هذا الوضع يدفعنا بشكل مباشر إلى تفرقة مبدئية فى العلاقات الدولية بين مفهومى تسوية الصراع وإدارته للصراع. وفى التعاملات اللاحقة معه، سيطلب من القارئ أن يتقبل توترًا غير سهل أو التأرجح بين فرضيات متنافسة: (١) إن الصراع يمكن أن تتم تسويته يومًا ما. (٢) إنه فى أفضل الظروف يمكن إدارته، بمعنى الإبقاء عليه بعيدًا عن مستوى الانفجار بتعبيراته الأكثر دمارًا وعنفًا وعلى الرغم من أن التعايش مع ذلك لا يمثل وضعية واضحة أو مريحة عاطفيًا أو عقلانيًا، فإنه يمثل، من وجهة نظرى، انعكاسًا للواقع ومكونًا رئيسيًا من الجهود المبذولة لفهم تاريخ الصراع ومستقبله.

الصراع العربى- الإسرائيلى الآخر:

جاءت التعقيدات التى أحدثتها أبعاد أخرى لتزيد من صعوبة عملية تعريف الصراع العربى- الإسرائيلى فى: إسرائيل وفلسطين والأراضى المجاورة؛ حيث إن سعى كل طرف لشن معركة طويلة الأمد أملا فى كسب تعاطف لاعبين آخرين من خارج دائرة الصراع، قد اتخذ ملامح مميزة فى العديد من الميادين: جماعات الضغط الدولية؛ الإعلام؛ المراكز الأكاديمية.. وعند هذه النقطة؛ فإننى أستعير الوصف الذى أطلقه- على وجه حق- أحد علماء السياسة فى وصفه للسياق الخاص بالضغط على الرؤساء الأمريكيين وأعضاء الكونجرس، حين تحدث عن الصراع العربى- الإسرائيلى "الآخر"[٢١]. ويتصل الأمر بحلبة موازية يستمر الصراع العربى- الإسرائيلى فى التفاعل عليها إما بطريقة فعلية وإما مجازية. وكما سنرى لاحقًا عندما نتعرض بالدراسة للعديد من المقولات الجوهرية، فإن خبراء القانون الدولى وحقوق الإنسان قد انخرطوا فى عملية "اتهام" أو"الدفاع" عن أحد الطرفين فى مواجهة الآخر، من خلال ما ينشرونه أو فى قاعات المحاضرات، أو فى الميادين الإعلامية والأفلام، أو حتى داخل قاعات المحاكم، الأمر الذى أفرز شكلاً جديدًا للصراع يعرف تحت مسمى "الحرب القانونية"، بمعنى استخدام القانون فى المعركة عوضًا عن وسائل أخرى بهدف تحقيق أهداف سياسية أو غيرها ليست ذات صبغة قانونية خالصة[٢٢]، ومن شأن التعامل مع الصراع من خلال مثل هذه المناظير الخارجية، يبرز مخاطر تشكيل إدراك مشوه، بدلاً من رؤية واقعية للصراع كما هو على الأرض.

تبنى وجهة نظر وإدانة الأخرى:

يكمن الاعتبار الأخير الذى يأتى ليزيد من تعقيد سعينا لتعريف الصراع، الذى لم تتم تسويته بعد، فى الاتجاه الشائع بين الكتاب والمراقبين إما لتوجيه النقد وإما للانخراط فى الدفاع والتأييد لوجهة نظر ما، فخلال عملية مناقشة نشأة الصراع ومحاولة تفسير استمراريته، قد يكون من الصعب بمكان تجنب توجيه النقد للأطراف الذين يتم النظر إليهم على أنهم مسئولون عن أخطاء تمت فى الماضى وأدت إلى انطلاق الصراع أو تعقيده، وأيضًا انتقاد الأطراف الآخرين الذين يبدون، بسلوكهم أو سياساتهم، وكأنهم يضعون العراقيل أمام التوصل إلى التسوية أو تحقيق التعايش السلمى.

وفى حقيقة الأمر، فإنه غالبًا ما يكون مستحيلاً على المحللين التركيز على وقائع الصراع وقضاياه بطريقة تتسم بالحيادية التامة ودون التأثر بمشاعرهم تجاه العدالة و/أو البحث عن الحقيقة، فكل من الفلسطينيين والإسرائيليين يضعون ادعاءاتهم وشكواهم فى إطار مفاهيمهم الخاصة للعدالة أو/الحقيقة. وأخذ ما تقدم بعين الاعتبار، فإن الصفحات التالية ستقتصر على عرض وجهات نظر الأطراف دون تبنى أى منها، أو حتى توجيه الاتهام لأيهم، كما أننى سأعود للتعرض لهذه القضية مجددًا، بشكل سريع، فى نهاية الفصل الثانى، وبإسهاب فى الفصلين الحادى عشر والثانى عشر اللذين يبحثان فى طرق تناول الأكاديميين للصراع.

وفى الخاتمة، أود القول إن هذا الكتاب ينضم إلى ما سبقه من المؤلفات التى تناولت بالبحث سؤالاً بسيطًا، وإن كان مراوغًا: ما الجوهر الحقيقى للصراع العربى- الإسرائيلى؟ وبشكل جزئى يمكن القول إنه نتيجة لطول فترة الصراع وتعقيداته، أضحت عناصره "صعبة التعريف، فضلاً عن أنها فى حالة تغيير

مستمر"، وهو ما سبق أن أبرزه "حاييم شاكيد" خلال سعيه عام ١٩٨٤ لتحديد الخصائص الرئيسية للصراع (٢٣). وإذا كان مؤيدًا وكل طرف من الأطراف لديهم مسبقًا إجابات متعارضة على السؤال السالف الذكر، فإن الهاجس الذى يطرح نفسه بقوة يتصل بكيفية تنقل الباحث أو المراقب المحايد بين ما يقدمه طرف على أنه الحقيقة وما يعتبره الآخر مجرد ضرب من ضروب الدعاية، بين الإدعاءات والإدعاءات المضادة، أو بين الروايات المتضاربة لليهود الإسرائيليين والفلسطينيين العرب؟ إن كل ما تقدم يمثل التحديات والصعوبات التى تواجه هذا العمل، وفى صفحات الفصل الثانى من هذا المؤلف سأعمل على رسم معالم بعض الأساليب المجدية لتعريف الصراع والبدء فى فهم خصائصه المميزة.

الهوامش

(١) من خطاب حاييم وايزمان إلى هارى ترومان عام ١٩٤٥ المجلد ٢٢، تحرير جوزيف هيلر، نى وبروزويك، جامعة روتجارز، الكتب المترجمة عام ١٩٧٢، ص: ٧٨.

(٢) ريجز ديبراى، ***Palestine : A Policy of Deliberate Blindness***، مجلة لوموند دبلوماتيك، الطبعة الإنجليزية، أغسطس ٢٠٠٧، ص: ٥.

(٣) جيفرى هوينكروفت، ***Zion Story***، الملحق الأدبى للتايمز، ٢٠ ـ ٢ ـ ٢٠٠٨، تاريخ الاطلاع: ١٥ مارس ٢٠٠٨.

http://entertainment.timesonline.co.uk/tol/arts_and_entertainment/the_tls/article3403151.ece.

(٤) من أجل معالجة مفيدة للموضوع انظر، مارك تيسلر " ***Narratives and Myths about Arab Intransigence Toward Israel***، فـي" ***Israeli and Palestinian Narratives of conflict : Histories' Double Helix,*** تحرير روبرت روثبرج، بلومنجتون/أنديانابوليس، دار نشر جامعة أنديانا عام ٢٠٠٦، ١٧٤ ـ ٩٣.

(٥) انظر إسحاق شامير '***Israel's Role in A Changing Middle East***'، مجلة الشئون الخارجية، عدد ربيع ١٩٨٢، ٧٩٠ ـ ٣، بنيامين نتانياهو " ***A Durable Peace, Israel and Its Place Among The Nations***" نسخة منقحة، نيويورك، ***Warner Books***، ٢٠٠٠، الفصل ٣ "***"The Theory of Palestinian Centrality"***

(٦) قرار الجمعية العامة ٣٣٧٩ فى ١٠ ـ ١١ ـ ١٩٧٥، ٧٢ صوتًا مع و٣٥ صوتًا ضد وامتناع ٣٢ صوتًا: قرار الجمعية العامة ٤٦٨٦ فى ١٦ـ ١٢ ـ ١٩٩١، ١١١ مع ٢٥ ضد وامتناع ١٣ عن التصويت.

(٧) من أجل مناقشة أولية ومباشرة انظر ميرون بن فينيستى، "***Conflict and Contradictions***"، نيويورك، فيلار بوكس، ١٩٨٦، ص ١٩١ ـ ٢٠٢ و" ***Sacred Landscape : The Buried History of The Holy Land Since 1948***"، ترجمة ماكسين كوفمان ـ لاكوستا بيركلي/ لندن، دار نشر جامعة كاليفورنيا عام ٢٠٠٠.

(٨) إسلام فاروق على، "The Poetics of Justice and the Oolitics of Opression"، The Future of Palestine and Israel : From Colonial Roots to Postcolonial Realities، تحرير إسـلام فاروق على، ميدراند، جنوب إفريقيا، Institute for Global Dialogue، ٢٠٠٧ ص: ٥ و٧.

(٩) والتر لاكير، "A History of Zionism"، نيويورك، هولت، رينهارت آنـد وينـستون، ١٩٧٢ والمعاد نشره فى نيويورك Schocken Books، ١٩٨٩، ص: ٤١، وانظر أيـضًا خريطـة مماثلة فى Howard Sachar : A History of Israel From the Rise of Zionism to Our Time، نيويـورك، Alfred A. Knopf، ١٩٧٦، ص: ٨٧، متاحـة علـى الـرابط التـالى: http//passia.org/palestine_facts/MAPS/Jewish_Yishuv/settlement_1881_1914.htm.

(١٠) وليـد خالـدى، Before Their Diaspora : A Photographic History of the Palestinians 1876 – 1948، واشـنطن دى سـى، Institute for Palestine Studies, ١٩٤٨، ص: ٣٤، ويمكن رؤيتها على الرابط :

http://www.passia.org/palestine_facts/MAPS/first_zionist_colony.htm.

(١١) لتطبيق هذه الظاهرة عن: White Patches، حول الخرائط العقلية حـول رؤسـاء اليهـود والعرب فى فلسطين/ أرض إسرائيل التى تغطى مواطن الآخر "الاقتباس من الجزء الأول"، انظر بن فينيستى، "Sacred Landscape".

(١٢) انظر مايكل كيرتوز، وجوزيف نيار، حاييم واتسمان وألين بـولاك، The Palestinians : People, History, Politics، نى وبرونزويك، الكتب المترجمة التى جرى إعدادها تحت رعاية الجمعية الأكاديمية الأمريكية من أجل السلام فى الشرق الأوسط، عام ١٩٧٥، ٢٢٥ ـــ ٣.

(١٣) انظر كيرتوز، The Palestinians، ص ٢٥١، ومارتين جيلبرت The Routledge Atlas of the Arab Israeli Conflict, الطبعة السابعة لندن / نيويورك، Routledge، ٢٠٠٢، ص: ٣٤، ٦٠ ـــ ١

(١٤) أطلس جيلبرت، Routledge ٣٧، رد الفعل الفورى على خطة الأمم المتحدة للتقسيم، ص: ٣٨ ـــ ٩ وهجوم العرب ورد الفعل الإسرائيلى، ص: ٤٠ ـــ ٢، ٤٤، إسـرائيل مـا قبـل الاستقلال ٤٣ ـــ ٤. المعركة من أجل طرق القدس ٥٢، إحساس إسرائيل بعـــدم الأمـن ١٩٤٩ ـــ ١٩٦٧، ص: ٥٣. إسرائيل الوسطى وحدود الأردن ١٩٤٩ ـــ ١٩٦٧، ص ٥:٨.

الغارات الإرهابية فى إسرائيل ١٩٥١ ــ ١٩٥٦، ص: ٦٠ــ١، ميزان القوى المتغير فـــى العالم العربى ١٩٥٣ ــ ١٩٧٣. ولربما كانت أكثر الخرائط شـــهرة، ص: ٤٥، والمـــسماة الغزو العربى لدولة إسرائيل ١٥ مايو ١٩٤٨.

(١٥) ***"From the Nile to the Euphrates : The Facts About the Palestine Problem"*** ، بيروت، لجنة إعلان المرأة، مايو ١٩٦٨.

(١٦) ***Goscua***، ٣ــ٤ المجلد الثالث الذى يبدأ بـــأن كل مكان تطأه الأقدام كما وعـــدت موســـى وذلك حسب الترجمة الجديدة للنصوص المقدسة إلى النص العبـــرى التقليـــدى- فيلاديلفيـــا، جمعية النشر اليهودية عام ١٩٨٥، ص: ٣٧٣، وانظر أيضًا الأعداد ٣٤: ١ــ ١٢ المرجـــع السابق، ص: ٢٦٧ ــ ٨.

(١٧) روث كارك فى ***Shared Histories***، ١٣ ــ ٢٢ إدوارد كوفمان ومـــان ويـــل حـــساسيان فى ***"Understanding Our Israeli Palestinian Conflict and Searching for Its Resolution"*** ***regional and Ethnic Conflicts: Perspectives Upper Saddle River, Prentice hall, 2008***، ٨٧ ــ ١٢٩. وحول العصر الذهبى للعلاقات المتناسقة بين اليهود والعرب أو بين اليهـــود والمسلمين انظر ***SD Goitein, Jews and Arabs: Their Contacts Through the Ages***. الطبعة الثالثة، نيويورك، ***Schocken***، ١٩٧٤. رافائيل باتـــاى، ***The Seed of Abraham : Jews and Arabs in Contactand Conflict***. مدينة بحيرة يالت، دار نشر جامعة يوتاه، ١٩٨٦.

(١٨) شيستر كروكار، فين أوسلار هامبسون وبـــاميلا آل، ***Grasping the Little : Analyzing Cases of Intractable Conflict, Washington,*** معهد الولايات المتحـــدة لـــصحافة الـــسلام، ٢٠٠٥، ٣٤٣ ــ ٧٢. مقالات بقلم ستيفن كوهين وشيبلى تلحمى.

(١٩) خطاب إلى فاد زامانى ***"Provisional Council of the Jews of Palestine / Ertz Israel"***، ١٠ يونيو ١٩١٩، الأرشيف المركزى الصهيونى، القدس، ترجمتى من العبرية، ***CF. N. Caplan, Futlie Diplomacy,*** المجلد الأول عن محاولات المفاوضات المبكرة ١٩١٣ ــ ١٩٣١، لندن، ***Franc Cass,*** ١٩٨٣، ص: ٧.

(٢٠) موشى شيرتوك، "فيما بعد شاريت، تقرير حول المحادثات بين حاييم أرلوسروف وعونى عبد الهادى"، ١٢ فبراير ١٩٣٢، ترجمتى من العبرية. كابلان ، *Futile Diplomacy.*: ٧ـ٨.

(٢١) ستيفن لام سبيجل، *The Other Arab–Israeli Conflict: Making America's Middle East Policy from Truman to Reagan, Chicago.*، دار نشر جامعة شيكاغو، ١٩٨٥.

(٢٢) انظـــر آن هيرزبيـــرج، *NGO Low fare Exploitation of Courts in the Arab Israeli Conflicts (Ngo monitor)*، سبتمبر ٢٠٠٨، وهو متـــاح علـــى الـــرابط: *http://www.ngo-monitor.org/article.php?id=2097.* وإننى أشكر الأستاذ رينا "*Brina Bogokh*" بجامعة بار إيلان الذى لفت نظرى إلى ذلك.

(٢٣) حاييم شاكيد، "*Continuity and Change : An Overview*" وذلـــك فـــى "*The Arab Israeli Conflict: Perspectives*"، الطبعة الثانية، آلفين روبنشتاين، نيويورك، هـــابر كـــولنز ١٩٩١، ص ١٩٧ والطبعة الأولى نشرتها دار *Praeger* عام ١٩٨٤.

الفصل الثانى

تعريف الصراع رغم الصعوبات

من الأطراف المتصارعة؟

تتمثل إحدى طرق وضع إطار لفهم الصراع الإسرائيلى- الفلسطينى فى طرح سؤالين متوازيين، وإن كانا متقلين بالمعاني، حول الأطراف المتصارعة: هل يمثل اليهود شعبًا (أمة) له الحق فى المطالبة بدولة قومية على الأراضى التى يطلقون عليها "إيريتز إسرائيل" (أرض إسرائيل)، أم أنهم مجرد جماعة دينية عالمية ليست ذات طابع سياسى، بما يعنيه ذلك من تلاشى الحقوق المتصلة بالأرض وما تولده من مطالب وطموحات؟ هل الفلسطينيون يمثلون شعبًا له حقوق سياسية قومية وطموحات خاصة، أم أنهم عرب ليس لهم أى مطلب شرعى لوطن قومى أو دولة، خاصة فى فلسطين؟

وفى بداية هذا الفصل، فإننا سنسعى لتحديد المصطلحات التالية: اليهودى، الصهيونى، الإسرائيلى، العربى، الفلسطينى، والمسلم ووضعهم فى الإطار الصحيح. وفى حين أن الأسلوب المعتاد هو أن نترك لكل جماعة مهمة تعريف نفسها، فإن آخرين، سواء من داخل الجماعة ذاتها أو خارجها، لديهم الحرية فى الاختلاف مع هذه التعريفات، وينطبق ذلك على الصراع المعاصر: العربي- الإسرائيلى، والفلسطينى- الإسرائيلى؛ حيث يعرض كل طرف أسبابًا تدفعه لتحدى تعريف الطرف الآخر لذاته، الأمر الذى يوفر بعدًا مهمًا للطبيعة الخلافية للصراع.

يمكن تعريف اليهود على أنهم شعب يضم جماعات كثيرة عرقية وثقافية ولغوية؛ لكنه يمتلك هوية مشتركة نبعت من الاعتبارات التالية:

(أ) الإيمان باليهودية كعقيدة توحيدية؛ تعود إلى أرض إسرائيل التوراتية (والمتفق بشكل عام على أنها تتوافق جغرافيًا مع دولة إسرائيل الحالية والأراضى التى تخضع للسلطة الفلسطينية).

(ب) النسب البيولوجى من حيث الميلاد لأم يهودية.

(ج) الشعور الاجتماعى- الثقافى بالانتماء إلى جذور مشتركة، فضلاً عن وحدة العادات والتقاليد والتراث والمستقبل.

وبالنظر لهذه التعقيدات، فإنه ليس مستغربًا أن أحدًا، حتى داخل الكنيست الإسرائيلى (البرلمان) ذاته، لم يتمكن من تقديم تعريف بسيط متفق عليه عالميًا لمن هو اليهودي، وفى عام ٢٠٠٨، قُدر عدد اليهود فى العالم بـ ١٣,٢ مليون نسمة، ٥,٤ مليون فى إسرائيل و٥,٣ مليون فى أمريكا، وما بين مليون ومليون ونصف المليون فى أوروبا[1]. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، اختار عدد متزايد من اليهود تعريف أنفسهم باعتبارهم شعبًا تتضمن هويته مكونات قومية- سياسية وأرضية، بالإضافة إلى روابط تقليدية وروحانية تتصل بالانتماء لمجتمع دينى عالمي، وقد انتسب هؤلاء اليهود أو أيدوا حركة عُرفت باسم الصهيونية، وعلى الرغم من وجود يهود لا ينتمون لهذه الحركة، بل ويعارضونها أو يرفضون هذا التعريف الجماعى، ويعرفون أنفسهم فقط على أنهم ينتمون إلى جماعة دينية، فإن عدد هؤلاء قد تناقص، خاصة منذ ظهور أدولف هتلر فى ثلاثينيات القرن العشرين.

ومن جانبهم؛ فإن المسلمين والعرب والفلسطينيين ربما يعودون إلى الوراء لقرون من التفاعل والعلاقات السلسة مع اليهود الذين عاشوا بين ظهرانيهم،

ويؤكدون أن هؤلاء كانوا على الدوام جماعة دينية دونما مطالب أو أهداف سياسية، ويجب أن يستمر النظر إليهم كذلك. ونشير هنا إلى أن المادة العشرين من الميثاق الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية تضمنت النص على أن "ادعاءات وجود روابط تاريخية ودينية لليهود في فلسطين لا تتماشى مع حقائق التاريخ والمفهوم الحقيقي لما تعنيه الدولة، فاليهودية باعتبارها دينًا لا تمثل جنسية مستقلة، كذلك فإن اليهود لا يشكلون أمة واحدة لها هويتها الذاتية، فهم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها"(٢).

وعلى الرغم من ذلك، فإن مثل هذه التصريحات أو التعريفات المعدة من الخارج لا تنفي الحقيقة التي يرفضها أو يعارضها بعض، والمتمثلة في أن كثيرًا من اليهود، داخل وخارج دولة إسرائيل الحالية، يرون في أنفسهم جزءًا من أمة أو شعب تمثل "إيريتز إسرائيل" (أرض إسرائيل) قلبه، إن لم يكن جسده.

وكما ذكرنا آنفًا، فإننا نستخدم مصطلح الصهاينة للدلالة على شعب (بصفة أساسية ولكن ليس حصريًا يهوديًا) يؤمن ويساند مسعى اليهود لـ "العودة إلى صهيون" من البلاد التي كانوا مشتتين فيها منذ سيطرة الرومان على فلسطين؛ وهذا الطموح الذي ظل في ثُبات عميق لقرون خلت، لكن تم الإبقاء عليه حيًا من خلال الشعائر الدينية، بدأ يأخذ شكل تعبير سياسي صريح في منتصف وأواخر القرن التاسع عشر. وعلى مدار نصف القرن الذي تلى ذلك قامت حركة صهيونية موحدة بتوظيف الجهاز التنظيمي للمنظمة الصهيونية العالمية (وصنيعتها الوكالة اليهودية لفلسطين) من أجل تشجيع عملية "تجميع المبعدين" أو هجرة اليهود إلى فلسطين/ أرض إسرائيل. وقد مثلت الهجرة جزءًا من جهد أكبر لتشييد البنية التحتية لـ "وطن قومي" مستقبلي على هذه الأرض، والتي انتقلت من الحكم العثماني إلى الحكم الإنجليزي عام ١٩١٧، وكان من المفترض تقسيمه وفق قرار الأمم المتحدة عام ١٩٤٧. وعندما غادر البريطانيون فلسطين، في منتصف مايو عام ١٩٤٨، اندلعت حرب ولدت في نهايتها دولة إسرائيل، التجسيد الأكبر للصهيونية، وتم

قبولها عضوًا فى الأمم المتحدة فى مايو ١٩٤٩. ويطلق على مواطنى هذه الدولة الإسرائيليين (Israelis) حتى لا يتم الخلط بينهم والإسرائيليت (Israelites) أو بنى إسرائيل الوارد ذكرهم فى التوراة. وفى أواخر ٢٠٠٧ بلغ عدد سكان الدولة ٧,٢ مليون، ٥,٤٧ مليون يهودى و١,٤٥ مليون من الفلسطينيين أو المواطنين العرب فى دولة إسرائيل.

فمن هم إذن العرب كما سبق أن أوردنا فى الفصل الأول، يمكن تعريف العرب على أنهم جماعة عرقية قومية لهم أصول وجذور ثقافية ولغوية؛ ترجع إلى القبائل القديمة فى شبة الجزيرة العربية (حاليًا السعودية، واليمن، ودول الخليج). وفى الوقت الحاضر يوجد ٢٩٥ مليونًا من العرب يقطنون واحدًا وعشرين دولة فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تشترك من بينها أربع دول هى: لبنان وسوريا والأردن ومصر فى الحدود مع إسرائيل، ويطلق عليها أحيانًا صفة "دول المواجهة" فى هذا الصراع.

وفضلاً عن هذه الدول المستقلة؛ يوجد شعب فلسطينى- عربى لا يملك (بعد) دولة معترفًا بها دوليًا، على الرغم من أن فلسطين معتمدة كعضو وفى جامعة الدول العربية. وفى عام ٢٠٠٦/٢٠٠٧ تم إحصاء ثمانية ملايين فلسطينى وهم موزعون فى الإقليم كالتالى:

أ) ١,٤ مليون فى غزة (من بينهم مليون مسجلون كلاجئين).

ب) ٢,٥ مليون فى الضفة الغربية (من بينهم ٧٦٠ ألفًا مسجلون كلاجئين).

ومعًا يشكل هؤلاء سكان "السلطة الوطنية الفلسطينية" أو "السلطة الفلسطينية" التى لا تزال فى عملية انتقال لم تكتمل بعد من وضعية الاحتلال إلى وضعية الدولة المستقلة.

وبالإضافة إلى ذلك يوجد:

ج) ٢,٨٣ مليون لاجئ يقطنون (٣١) مخيمًا فى لبنان (٤٢٢ ألفًا) وسوريا (٤٦١ ألفًا) والأردن (١,٩مليون)، وعدد آخر مبعثر فى باقى دول الشرق الأوسط.

د) ١,٤٥ مليون مواطن فى دولة إسرائيل، منحدرون من الفلسطينيين الذين كانوا يقيمون فى المناطق التى أصبحت الدولة اليهودية عام ١٩٤٨(٣).

وكما هى الحال بالنسبة إلى رفض العرب إعادة التعريف القومى اليهودى؛ فإنه مهما كان كم الحجج الواردة من خارج العالم العربى والفلسطيني، فإنه لا يمكنه أن يغير من الحقيقة التى قد يجرى الاعتراض عليها أو اعتبارها غير مناسبة، القائلة بأنه مع اضمحلال الإمبراطورية العثمانية أوائل القرن العشرين، كرس عدد متزايد من الناطقين بالعربية فى الشرق الوسط نشاطهم السياسى نحو إنشاء وتأسيس دولة عربية مستقلة أو اتحاد كونفيدرالى للدول فى هذا الإقليم. وحقيقة أن هذه الرؤية للوحدة العربية لم تتحقق على أرض الواقع على مدار قرن تخللته محاولات متقطعة لتحقيقها؛ كان سببًا للإحباط لدى أولئك الذين آمنوا بهذا الحلم العربى القومى.

والأمر ذاته ينطبق على الذين يُعرفون بالفلسطينيين، وكما سنرى فيما بعد؛ فإن هؤلاء العرب الذين عاشوا فى المناطق التى تم وضعها تحت الانتداب البريطانى قاموا تحت قياداتهم المحلية، وفى فترة مبكرة، بتشكيل منظمات وطنية، تمثل هدفها المباشر فى مقاومة الصهيونية وإنشاء دولة عربية مستقلة هناك؛ حيث رأى غالبية السكان الفلسطينيين فى هذه البقعة أنفسهم كجماعة مهددة فى حقوقها وأوضاعها بسبب تدفق المهاجرين اليهود، بل إنهم اعتقدوا أن تزايد أعداد المهاجرين وتنامى البنى التحتية الاقتصادية التى يعملون على توسيعها سيقود فى

نهاية المطاف إلى وقوع بلادهم تحت حكم اليهود أو الصهاينة. وعلى الرغم من الكم الهائل من التشكيك فى أصالة وصدقية المخاوف التى عبر عنها الفلسطينيون، وحول تقديمهم لأنفسهم على أنهم شعب لا يرغب فى أن تكون له صلة بالسياسات البريطانية المتعلقة بإقامة "وطن قومى لليهود"، فإن ذلك لا يمكنه بأى حال أن يغير من هذه الحقائق.

وأخيرًا، فمن المهم التذكير بأن هناك أبعادًا دينية تتصل بكل من العرب واليهود، فمنذ مجيء الرسول محمد وظهور المجتمع (الأمة الإسلامية) فى القرن السابع الميلادى وانتشار هذا الدين فى أرجاء المعمورة؛ كان أغلب عرب العالم يمارسون الإسلام، وتوجد تجمعات مسيحية مقيمة منذ القدم فى لبنان، مصر، سوريا، العراق، الأردن، لكن التاريخ والثقافة والقيم والهوية الإسلامية أصبحت جزءًا لا يتجزأ من العروبة والعرب الذين يعيشون فى هذه المجتمعات، أما أعداد المسلمين فقد امتدت وراء العالم العربى وصارت تربو على ١,٢ مليار نسمة.

وتضفى حقيقة أن الخصوم فى هذا الصراع هم كذلك مسلمون ومسيحيون ويهود؛ المزيد من التعقيدات فيما يتصل بعملية تحديد وتعريف أطرافه، فعلى الرغم من أن نسبًا متفاوتة فى كل من هذه المجتمعات قد صارت من العلمانيين، ما زال عدد لا يستهان به ممن يُصرون على تقديم أنفسهم على أساس معتقداتهم الدينية، وفى عقل هذه الشعوب فإن ما تتعامل معه باعتباره الصراع العربى- الإسرائيلى أو الإسرائيلى- الفلسطينى هو جزء من صدام أوسع بين حضارات ومجموعات دينية. فالأصوليون المسيحيون والمسلمون واليهود على السواء يميلون إلى النظر إلى صراع السيادة والسيطرة على الأرض المقدسة، كجزء من حرب أكثر عمقًا واتساعًا بين الشعب المختار (أيا كان تعريفه) أوالمؤمنين وأهل العقيدة من جانب، وأولئك الذين يكرههم الرب (أيا كان تعريفهم) أو غير المؤمنين ومن لا عقيدة لهم من جانب آخر.

إن هذا البعد الدينى للتنازع على فلسطين- إسرائيل؛ يظهر بشكل دورى فى الفترات التى يُمارس فيها العنف تحت ستار الحماية من التهديدات والمخاطر المُتصورة على الأماكن المقدسة على النحو الذى حدث عام ١٩٢٨-١٩٢٩ (انظر الفصل الرابع)، كذلك جرى استحضار الأساطير المتضاربة والمتصلة بالمدينة المقدسة (القدس) للإسهام فى الصراع، كما كانت عليها الحال مؤخرًا عام ٢٠٠٠ لنسف المفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية، وإطلاق العنف فيما عرف بـ "انتفاضة الأقصى" التى أخذت اسمها من المسجد الأقصى. ولا جدال فى أن هذا البعد من شأنه أن يُثير العواطف ويُجيشها فى أى وقت، ويعى معظم الأطراف تمامًا مخاطر إثارة هذه الحساسيات الدينية العميقة.

وحتى إن لم نتقبل هذه الرؤية المأساوية للصراع، فإن هناك أبعادًا مهمة لاستحضار البعد الدينى فيما سنتناوله فى الصفحات التالية كصدام بين حركتين قوميتين متنافستين، فوجود مثل هذا البعد يُفاقم ويزيد من مرارة صراع معقد أصلا؛ حيث يضيف لمسة تتصل بالحق مصحوبة بيقين فى حتمية النصر النهائى على الأعداء. وفى سياق الحياة البشرية، تأتى مثل هذه الرؤى الغيبية لتُطيل من أمد الصراع وتجعله أكثر استعصاء على التسوية؛ حيث يتم انتزاع الصفة البشرية عن العدو وإفقاده للشرعية، من خلال إعطاء الآمال لأولئك الرافضين بشكل مستمر للبحث عن حل وسط مع الطرف الآخر، وبذل الوعود بمكافأة أولئك الذين يرتكبون أعمال العنف والانتقام تنفيذًا للتعاليم الإلهية. وفى الحقيقة، وكما رأينا فى السنوات الأخيرة، فإن الانصهار بين القومية والدين قد ولد تيارًا ضخمًا من المثاليين المستعدين لإيذاء العدو (بما فى ذلك الاستشهاديين) تحت قيادة مبشرين مفرطى الحماسة، حتى إن كان ذلك يتناقض مع التعليمات التى تنهى عن العنف والمتضمنة فى جوهر المعتقدات الدينية(٤).

ما القضايا الأساسية موضع الخلاف بين أطراف الصراع؟

من المفيد التمييز بين القضايا الملموسة وتلك غير الملموسة فى الصراع، وتحت الطائفة الأولى نُدرج المسائل المعروفة والملموسة التى يتنازع حولها الأطراف، أما المجموعة الثانية فتشمل الجوانب النفسية والوجودية التى تعكسها الروايات التاريخية المتضاربة التى يقدمها كل طرف. وعلى الرغم من أن القضايا الملموسة موضع الصراع بين العرب/الفلسطينيين والصهاينة/الإسرائيليين، سيتم التعرض لها من خلال السياق التاريخى فى القسم الثانى من هذا الكتاب، فإننا، وبغرض التقديم، نلخصها تحت ثلاثة عناوين رئيسية:

١) السيادة على الأرض.

٢) السكان وشراء الأراضى والهجرة.

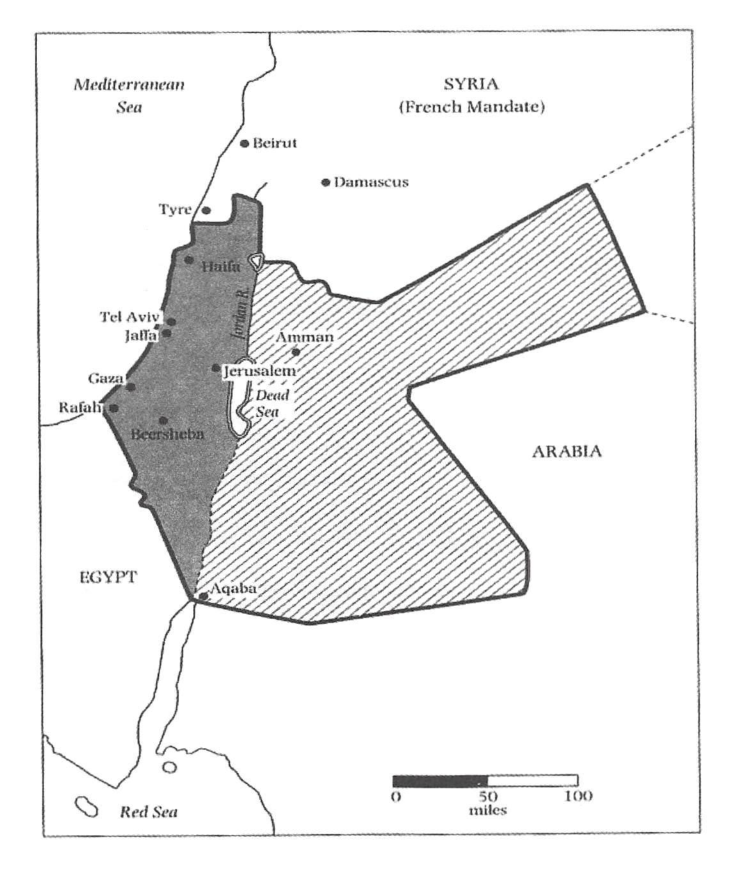
٣) الحدود.

١ - السيادة على الأرض:

يدعى كلا الطرفين الملكية الأصلية للأرض ذاتها، بما يعنيه ذلك من الحق فى الإقامة وممارسة السيادة عليها (الحق القومى فى تقرير المصير)، حتى إن كانت الحدود الفعلية للإقليم المتنازع عليه (انظر:) النقطة الثالثة فيما بعد يكتنفها الغموض إلى حد ما، فعلى الرغم من أن عديدًا من الممالك الإسرائيلية قام فى القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد، فإن المنطقة خضعت على مدار قرون عديدة لسيطرة إمبراطوريات مختلفة[٥]، ولم يتواجد كيان سياسى مستقل تحت مسمى "فلسطين" فى الفترة الممتدة من العصور القديمة إلى بدايات القرن العشرين، "وحتى كوحدة إدارية[٦] فإنها لم توجد قبل مجىء البريطانيين فى نهاية الحرب العالمية الأولى"، وفى ضوء عدم توافر خيار أفضل، عرَّفت منظمة التحرير الفلسطينية،

بشكل رسمى فلسطين بأنها الإقليم المتضمن داخل الحدود التى تم وضعها تحت الانتداب البريطانى منذ عام ١٩٢٢[٧]. ومن جانبهم، يعرف المتدينون الصهاينة حدود "إيريتز إسرائيل" (أرض إسرائيل) وفقا للمصادر الإنجيلية (انظر الفصل الأول)، فى حين قدمت المنظمة الصهيونية عام ١٩١٩ خريطة تقترح وطنًا قوميًا لليهود[٨] داخل فلسطين تمتد حدودها شمالاً وشرقًا لما يتجاوز تلك التى حددتها بريطانيا لاحقًا لمشروع الوطن القومى اليهودى. وعلى الرغم من هذا اللبس، فقد استهدف كل من العرب والصهاينة، بدءًا من عام ١٩٢٠، بسط السيادة على ذات الإقليم الواقع أساسًا غرب نهر الأردن والواقع تحت الانتداب حتى عام ١٩٤٨.

وفضلاً عن الغموض الذى يكتنف دقة الحدود، فإنه من بين النقاط التى يختلف عليها الطرفان بشكل حاد تلك المتصلة بتحديد "لمن الأرض الموعودة"؟ الأمر الذى يعود بنا بالضرورة إلى الوراء للتاريخ القديم، وهو ما سيتم تناوله فى الفصل الثالث باعتباره أول نقطة فى سلسلة من إحدى عشرة مقولة جوهرية مثيرة للجدال تُشكل فى مجملها التواريخ المتضاربة بين العرب والفلسطينيين واليهود والإسرائيليين. ويتصل بهذا سؤال آخر هو: "لمن هذه الأرض بالفعل؟"، فاستنادًا إلى حقيقة الإقامة المستمرة وصفة الأغلبية منذ العصور القديمة، مثل: المسلمون والمسيحيون أغلبية السكان الأصليين إبان وصول الموجات الأولى للمستوطنين والصهاينة فى ثمانينيات القرن التاسع عشر، وظهر فى ذلك الوقت الإقليم المتنازع عليه على الخرائط كأقضية تتبع الإمبراطورية العثمانية[٩]، واستمر الوضع على حاله حتى عام ١٩١٧ عندما وصل البريطانيون وصدر إعلان بلفور الذى وعد بتأييد إنشاء "وطن قومى لليهود فى فلسطين". وقد أسفر هذا التطور عن منح امتيازات خاصة لأقلية من سكان البلاد، الأمر الذى جعل من الإعلان (بلفور) تاريخيًا من زوايا متعددة، ونثر بذور صراع فى المستقبل (انظر الفصل الرابع).



مناطق أدخلتها بريطانيا العظمى فى فلـسطين تحـت الانتـداب بوصفها إمارة شرق الأردن ذات الحكم الذاتى.

الخريطة (١-٢) فلسطين تحت الانتداب البريطانى، ١٩٢٣.

وعندما عبرت بريطانيا عن رغبتها فى التخلى عن الانتداب، بعد مرور ثلاثين عامًا على ذلك، أقرت منظمة الأمم المتحدة الوليدة تقرير اللجنة الخاصة لفلسطين والذى قضى بتقسيم البلاد إلى دولة لليهود وأخرى للعرب مع وضع خاص لمدينة القدس، الأمر الذى رفضه العرب الفلسطينيون وزعماء الدول العربية، ليس فقط لعدم رضائهم عن الحدود المقترحة لمشروع الدولة العربية؛ ولكن أيضًا لأنهم لم يعترفوا بمشروعية إصدار الأمم المتحدة لقرار يتعارض مع رغبات أغلبية سكان البلاد، وكان من نتائج القتال الذى أعقب ذلك (١٩٤٧/١٩٤٩) إنشاء دولة إسرائيل المستقلة، فى حين تم إلحاق أجزاء أخرى من فلسطين تحت الانتداب بكل من الأردن (الضفة الغربية) ومصر (قطاع غزة).

وهكذا، فإن الأمر تعلق بشعبين تنازعا حق تقرير المصير القومى على إقليم واحد، تمكن أحدهما (يسمى الإسرائيليون)، على النحو الذى أوضحناه، من تأسيس دولته القومية مع حلول عام ١٩٤٩، فى حين تدور القضية العالقة وموضع الجدال حول معرفة ما إذا كان الشعب الآخر (الفلسطينيون) سيمارس سيادته على الأجزاء المخصصة (أو جميع الأراضى) التى يرون فيها وطنهم الأصيل.

٢) السكان وشراء الأراضى والهجرة[١٠]:

تعتبر الموضوعات المتصلة بالسكان وشراء الأراضى والهجرة فى هذا الصدد مترابطة، فالسيادة وترسيم الحدود بين الدول القومية الحديثة تقومان على أساس مبدأ احترام إرادة الأغلبية العرقية واللغوية و/أوالتجمعات الدينية التى تقطن رقعة أرض معينة. وفى حالة أقضية الإمبراطورية العثمانية، التى أضحت فيما بعد فلسطين تحت الانتداب البريطانى، ضمت أغلبية ساحقة من العرب المسلمين خلال معظم فترات التاريخ الحديث حتى عام ١٩٤٨. (انظر الجدول رقم ٢-٢ أدناه).

وعلى الجانب الآخر، مثل كل من الهجرة اليهودية وشراء الأراضى وإنشاء المستوطنات جوهر وأساس "الصهيونية العملية" التى استهدفت خلق حقائق جديدة على الأرض، وبعبارة أخرى فرض وجود كتلة ضخمة من اليهود تعمل فى

الأرض- كشروط ضرورية لإنشاء دولة يهودية فى المناطق التى عرفها الشعب اليهودى على أنها له. ومن الناحية النظرية؛ فإن توفير أغلبية يهودية عن طريق الهجرة المستمرة، والمسماة بالعبرية "أليا" *aliya* ، وشراء الأراضى كان من شأنه أن يسفر عن خلق حقائق جديدة على الأرض سواء كان ذلك سكانيًا أو اجتماعيًا أو اقتصاديا، ليوفر شروط إنشاء الدولة اليهودية فى النهاية على الأرض.

وتجدر الإشارة إلى أن قلة قليلة جدًا من المراقبين البريطانيين والصهاينة قد تنبأت- منذ البداية- بعقبات يصعب التغلب عليها نتيجة معارضة العرب الفلسطينيين، الذين كان مقدرًا لهم، وفقًا لهذه الخطة، الانتقال من وضعية الأغلبية إلى الأقلية، مع مثل هذه التحركات(١١)، وكما أبلغ "حاييم وايزمان" وزير الخارجية الأمريكى فى مؤتمر فرساى للسلام فى فبراير ١٩١٧؛ فإن الصهاينة يريدون إنشاء إدارة فى فلسطين "ستنبع من الظروف الواقعية فى البلاد، وترعى دائمًا مصالح غير اليهود هناك، على أمل أن تؤدى الهجرة اليهودية إلى أن تصبح فلسطين يهودية كما هى الحال فى بريطانيا الإنجليزية"(١٢)، وبالنسبة إلى تدفق الهجرة إلى فلسطين فقد اتسم بالضعف فى بعض السنوات والكثافة فى بعض آخر. (انظر جدول رقم ١-٢)

وكان من شأن الزيادة الضخمة فى أعداد المهاجرين اليهود من ألمانيا فى الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٥؛ أن تزيد من مخاوف الفلسطينيين بقرب موعد تفوق اليهود عدديًا عليهم. وعلى الرغم من أن ذلك كان بالفعل هو الهدف المنشود، فإنه من المثير للاهتمام الإشارة إلى أن عددًا محدودًا من القادة الصهاينة بدأ يشكك فى إمكانية تحقيق وتنفيذ البرنامج السلمى التدريجى لإعادة التشكيل الديموغرافى فى فلسطين من خلال الهجرة؛ وفى هذا الصدد نشير إلى ما خلص إليه الدكتور "حاييم أورلوسوروف"، وهو من قادة الصهيونية العمالية، من أن هدف تحويل الأغلبية

العربية إلى أقلية من خلال الأساليب التدريجية ربما يكــون صــعب المنــال دون اللجوء إلى العنف[١٣]. كذلك ذهبت قلة أخرى، خلال الثلاثينيات، إلى الاعتقاد بــأن تحقيق الحلم الصهيوني المتصل بإقامة دولة يهودية في المنطقة قد لا يتحقق؛ ممــا قد يتطلب حلولاً تستند إلى صيغ أخــرى مــن قبــل الدولــة ذات القــوميتين، أو الكانتونات أو الترتيبات الفيدرالية[١٤].

ويوضح الجدول (٢-٢) أرقام الهجرة اليهودية السنوية المُسجلة وتأثيرها في التوازن السكاني بين العرب واليهود.

جدول (٢-٢) الهجرة اليهودية إلى فلسطين (سنوات مختارة من قبل إدارة الانتداب البريطاني).

العام	الهجرة الوافدة	الهجرة الخارجة	صافي المهاجرين
١٩٢٢	٧٨٤٤	١٥٠٣	٦٣٤١
١٩٢٤	١٢,٨٥٦	٢٠٧٣	١٠,٧٨٣
١٩٢٥	٣٣,٨٠١	٢١٥١	٢٩,٦٥٠
١٩٢٧	٢٧١٣	٥٠٧١	٣٣٥٨-
١٩٢٨	٢١٧٨	٢١٦٨	١٠
١٩٢٩	٥٢٤٩	١٧٤٦	٣٥٠٣
١٩٣٢	٩٥٥٣	لا يوجد	
١٩٣٣	٣٠,٣٢٧		

١٩٣٤	٤٢,٧٥٧		
١٩٣٥	٦١,٨٥٤	٣٩٦	٦١,٤٥٨
١٩٣٦	٢٩,٧٢٧	٧٧٣	٢٨,٩٥٤
١٩٣٧	١٠,٥٣٦	٨٨٩	٩٦٤٧
١٩٣٩	١٦,٤٠٥	١٠١٩	١٥,٣٨٦
١٩٤٠	٤٥٤٧	لا يوجد	
١٩٤٣	٨٥٠٧	لا يوجد	
١٩٤٤	١٤,٤٦٤	لا يوجد	
١٩٤٥	١٢,٧٥١	لا يوجد	
١٩٤٦	٧٨٥١	لا يوجد	
١٩٤٧	لا يوجد	لا يوجد	

المصدر: الكتاب الأزرق لفلسطين (لندن)، متابعة فلسطين، الجزء الأول (ص: ١٨٥) ، الجزء الثانى (ص: ١٧).

الأرقام الموضحة عاليه منقولة عن التقديرات البريطانية للهجرة الشرعية، أما فيما يخص الهجرة اليهودية غير الشرعية فتذهب التقديرات البريطانية إلى أنها بين ٣٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ فى الفترة قبل أبريل ١٩٣٩، بالإضافة إلى ما يتراوح بين ٣٠٠٠٠ و ٣٥٠٠٠ بين أبريل ١٩٣٩ حتى ديسمبر ١٩٤٦، انظر: متابعة فلسطين، الجزء الثالث (ص: ٢٣).

وطبقًا لمصادر إسرائيلية مختلفة؛ فإن عدد المهاجرين عام ١٩٤٦ يجب أن يكون ١٧,٧٦٠ أو ١٨,٧٦٠، أما عام ١٩٤٧؛ فإنه يتراوح بين ٢١,٥٤٢ و٢٢,٠٩٨.

وبحلول عام ١٩٤٧؛ تراوح تعداد اليهود بين ٦٠٠ ألف و٦٥٠ ألفًا؛ بما يمثل عشرة أضعاف عددهم الإجمالى قبيل الحرب العالمية الأولى، وأضحت المستوطنات تشكل كتلاً ضخمة يصعب تجاهلها، ومن جانبهم شكل العرب تضاعف عددهم (وإن كان ذلك بشكل أقل من معدل زيادة اليهود) إذ يمثلون أغلبية ثلثى عدد السكان (مليون وثلاثمئة ألف خلال العقود الثلاثة) فى الوقت الذى كانت فيه الأمم المتحدة مدعوة لتوصى بخطة تتعلق بمستقبل الأراضى المتنازع عليها. وعلى الرغم من انتهاء حرب ١٩٤٨/١٩٤٩ بإنشاء دولة إسرائيل، فقد استمرت "المعركة الديموغرافية" وإن كان ذلك بأشكال مختلفة.

العام	إجمالى السكان بما فى ذلك البدو	العرب	اليهود	الهجرة اليهودية	نسبة اليهود من إجمالى السكان
١٩٣٠	٩٩٢,٥٥٩	٨١٨,١٣٥	١٦٤,٧٩٦	٤٩٤٤	١٦,٦%
١٩٣١	١,٠٣٣,٣١٤	٨٤٨,٦٠٧	١٧٤,٦٠٦	٤٠٧٥	١٦,٩%
١٩٣٢	١,٠٧٣,٨٢٧	٨٧١,٣٢٣	١٩٢,١٣٧	٩٥٥٣	١٧,٩%
١٩٣٣	١,١٤٠,٩٤١	٨٩٥,٢٩٧	٢٣٤,٩٦٧	٣٠,٣٢٧	٢٠,٦%
١٩٣٤	١,٢١٠,٥٥٤	٩١٦,٧٨٦	٢٨٢,٩٧٥	٤٢,٣٥٨	٢٣,٤%
١٩٣٥	١,٣٠٨,١١٢	٩٤١,٩٢٤	٣٥٥,١٥٧	٦١,٨٥٤	٢٧,٢%
١٩٣٦	١,٣٦٦,٦٩٢	٩٧١,٢٣٤	٣٨٤,٠٧٨	٢٩,٧٢٧	٢٨,١%

١٩٣٧	١,٤٠١,٧٩٤	٩٩٤,٣١٥	٣٩٥,٨٣٦	١٠,٥٣٦	%٢٨,٢
١٩٣٨	١,٤٣٥,٢٨٥	١,٠١٢,٢٢٤	٤١١,٢٢٢	١٢,٨٦٨	%٢٨,٧
١٩٣٩	١,٥٠١,٦٩٨	١,٠٤٤,٠٩١	٤٤٥,٤٥٧	١٦,٤٠٥	%٢٩,٧
١٩٤٠	١,٥٤٤,٥٣٠	١,٠٦٨,٤٣٣	٤٦٣,٥٣٥	٤٥٤٧	%٣٠,٠
١٩٤١	١,٥٨٥,٥٠٠	١,٠٩٨,٥١٧	٤٧٤,١٠٢	٣٦٤٧	%٢٩,٩
١٩٤٢	١,٦٢٠,٠٠٥	١,١٢٢,٤٧٦	٤٨٤,٤٠٨	٢١٩٤	%٢٩,٩
١٩٤٣	١,٦٧٦,٥٧١	١,١٥٩,٩٩٦	٥٠٢,٩١٢	٨٥٠٧	%٣٠,٠
١٩٤٤	١,٧٦٤,٥٢٢	١,١٩٦,٨٢٤	٥٥٣,٦٠٠	١٤,٤٦٤	%٣١,٤
١٩٤٥	١,٨٣٤,٩٣٥	١,٢٤٠,٨٥٠	٥٧٩,٢٢٧	١٢,٧٥١	%٣١,٦
١٩٤٦	١,٩١٢,١١٢	١,٢٨٨,٣٩٩	٦٠٨,٢٢٥	٧٨٥١	%٣١,٨

هذا الجدول تم استخلاصه من: جداول "سكان فلسطين وفقًا للديانة" و"أعداد المهاجرون سنويًا وفقًا للجنس" فى "مراجعة فلسطين" ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ للعرض على لجنة الاستقصاء الأمريكية-البريطانية، لندن، وزارة الداخلية، عام ١٩٤٦، إعادة طباعة من قبل معهد الدراسات الفلسطينية، عام ١٩٩١، الجزء الأول (ص: ١٨٥)، وتمت مراجعته (١٩٤٤- ١٩٤٦) فى ملحق الجزء الثالث (ص: ١٠-١١-١٧).

وبالنظر إلى أن الهجرة ظلت المحرك الرئيسى لزيادة السكان اليهود، فإن النزوح للخارج، أثناء الحرب وبعدها من الأرض المتنازع عليها؛ حيث إن عددًا كبيرًا من الفلسطينيين تركوا أرضهم وصاروا فى عداد المُبعدين (وادعى بعضهم أن ذلك كان نتاجًا للتطهير العرقى (انظر: الفصلين ٦ و ١١) ليصبحوا لاجئين، وإزاء هذه الوضعية طالبوا بالحق فى العودة أو التعويض عن منازلهم التى أجبروا

على تركها خلال المعارك، وهو المطلب الذى تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرارها رقم ١٩٤ فى ديسمبر ١٩٤٨[١٥]، وعلى مدار السنوات التالية تزايد عدد هؤلاء المسجلين لدى وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين من ٧٦٠ ألفًا عام ١٩٤٩ ليربو حاليًا على ٤,٦ مليون، بالإضافة إلى ما يقارب ٢,٥ مليون من اللاجئين غير المسجلين[١٦] لدى الوكالة، وتمثل وضعية هؤلاء اللاجئين والتساؤلات المتصلة بها خاصة تحديد عدد من سيسمح لهم بالعودة للعيش فى إسرائيل، وأولئك الذين ستكون عودتهم إلى المناطق الفلسطينية، فضلاً عن عدد الذين سيتم تعويضهم أو توطينهم فى أماكن أخرى، يمثل كل ذلك عنصرًا أساسيًا فى أى مفاوضات مستقبلية من أجل اتفاق نهائى إسرائيلى- فلسطينى، وتسوية شاملة بين إسرائيل والدول العربية؛ حيث يعيش أغلب اللاجئين الفلسطينيين فى معسكرات تديرها منظمة الأونوروا التابعة للأمم المتحدة.

وعلى صعيد آخر، تم تشجيع النمو المضطرد لسكان إسرائيل من اليهود من خلال حث يهود الشتات على الهجرة والانتقال للإقامة فى الدولة اليهودية؛ وقد حدثت موجة هجرة قوية ومفاجئة فى الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥١، نتيجة وصول اليهود الذين تم طردهم أو أولئك الذين فروا نتيجة الشعور بالخوف من كل من العراق واليمن وغيرهما من الدول العربية، ما أدى إلى ضخ ما يزيد على ٢٥٠٠٠٠ لاجئ- مهاجر فى عدد اليهود فى فلسطين الذى تضاعف من ٧٦ ألفا إلى ١,٤ مليون عام ١٩٥١[١٧]. وعلى الرغم من أن النذر القليل من بين هؤلاء يفكر فى العودة إلى ديارهم القديمة، فإن المفاوضين الإسرائيليين شرعوا فى طرح مطالبات بالتعويض عن الممتلكات التى تم تركها أو مصادرتها والتى تعود إلى أولئك اليهود المتحدثين بالعربية، كعنصر يلزم بحثه (فى مواجهة مطالب اللاجئين الفلسطينيين تجاه دولة إسرائيل) فى أى مفاوضات تهدف لتحقيق تسوية شاملة[١٨].

وفضلاً عن ذلك، تلزم الإشارة إلى وجود تيار ديموغرافى آخر كامن، يتمثل فـــى النمو المستمر، من خلال الزيادة الطبيعية للأقلية العربية- الفلسطينية داخل حـــدود إسرائيل، وحقيقة الأمر فإن مجرد تواجدهم فى داخل الدولة يشكل تحـــديًا لإعــلان قيام دولة ذات صبغة يهودية، وفى الوقت ذاته يمثل اختبــارًا لتعهــدات إســرائيل بتحقيق المساواة بين جميع مواطنيها والمنصوص عليها فى إعلان الاستقلال. فمنذ عام ١٩٤٨؛ تراوحت نسبة الأقلية الفلسطينية بين ١٥و٢٠% مـــن جملـــة ســكان إسرائيل، وينظر إليها بعض القوميين اليهود الإسرائيليين باعتبارها مصدر تهديـــد للجوهر الصهيونى للدولة؛ كما تُثار الشكوك بين الإســـرائيليين حـــول مـــدى ولاء المواطنين العرب داخل الدولة والذين زاد عددهم ليزبو على ١,٤ مليون مـــن ٧,٢ مليون عام ٢٠٠٨[١٩].

وتمتد الاعتبارات الديموغرافية خارج حدود إسرائيل لتشمل الأوضاع فـــى الضفة الغربية (يهود أو السامرة) وقطاع غزة، فمع احتلال إسرائيل لهمـــا خـــلال حرب يونيو ١٩٦٧، تزايد عدد الفلسطينيين العرب تحت الحكم الإســـرائيلى ليقفـــز من ٣٥٠ ألفًا إلى ما يناهز المليون، وقد مـــضت عقـــود عـــدة دون إعـــادة هـــذه الأراضي، كليا أوجزئيا، لمصر والأردن أو إخضاعها للحكم الذاتى الفلسطينى فـــى إطار اتفاق سلام، ومنذ عام ١٩٦٧ قام مئات الآلاف من يهود إسرائيل، فى خـــرق صارخ لاتفاقية جنيف الرابعة[٢٠] (انظـــر: الفـــصل الـــسابع) بتأســـيس ضـــواحٍ ومستوطنات هذه الأراضى المحتلة منذ حرب ١٩٦٧. وعلى الرغم من أن أجـــزاء من هذه المناطق تم وضعها، بعد عام ١٩٩٣، تحت سلطة الحكم الذاتى الفلسطيني، وأعيد انتشار القوات الإسرائيلية، فإن مستقبل العديد من المستوطنات الإســـرائيلية هناك لا يزال فى حاجة إلى قرار، وفضلاً عن ذلك، فإنـــه نتيجـــة لتزايـــد حـــدة الهجمات الإرهابية على المدنيين الإسرائيليين، أقدم جيش الدفاع الإســـرائيلي، فـــى

ربيع ٢٠٠٢، على إعادة احتلال أجزاء كبيرة من الضفة الغربية. وعلى الرغم من أن إسرائيل قامت فى صيف ٢٠٠٥ بإجلاء ما بين ثمانية وتسعة آلاف مستوطن كانوا يقطنون ٢١ مستعمرة فى قطاع غزة، تاركة ١,٤ مليون فلسطينى يحكمون أنفسهم، فإنهم عام ٢٠٠٨ أصبحوا خاضعين للحصار من قبل القوات الإسرائيلية. أما فيما يتصل بالضفة الغربية؛ فإنها شهدت عام ٢٠٠٨ وجود ٢,٤ مليون فلسطينى يعيشون جنبًا إلى جنب مع المستوطنين فى ١٢٥ مستعمرة والبالغ عددهم ٢٨٠ ألفًا (٤٩٠ ألفا بما فيها الضواحى اليهودية للقدس منذ عام ١٩٦٧)[٢١].

وإذا كانت قلة من الإسرائيليين تعتقد أن جميع الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧؛ يجب أن تظل تحت السيطرة الإسرائيلية، سواء لأسباب أمنية (غياب السلام وعدم الثقة فى العدو) أو لأسباب توراتية، فإن العديد من الإسرائيليين يعارضون فكرة الضم، بهدف تجنب إمكانية التحول لأقلية يهودية بين أغلبية فلسطينية عربية وفقًا للبعض، أو للتخلص من أعباء السيطرة والإدارة لمناطق محتلة يقطنها سكان حانقون من وجهة نظر بعض آخر.

٣) الحدود:

ترتبط كل من السيادة والمكون السكانى بشكل لا ينفصل عن قضية أين يتم ترسيم الحدود، وبشكل ما فإنه منذ عام ١٩٤٨، بدا وكأن إسرائيل والعرب، وبدرجة أقل الفلسطينيين والإسرائيليين يمكن النظر إليهم على أنهم يتقاتلون حول الحدود، فالمواجهات العسكرية خلال الحرب الفلسطينية الأولى ١٩٤٧/١٩٤٩ جرى إنهاؤها عبر أربع اتفاقات للهدنة بين إسرائيل ومصر (فبراير ١٩٤٩)، ومع الأردن (مايو ١٩٤٩)، ولبنان (يوليو ١٩٤٩)، وسوريا (يوليو ١٩٤٩)، فإن هذه الاتفاقات لم تتحول إلى اتفاقات حددت بشكل مؤقت خطوط وقف إطلاق النار بين

مُتحاربين، دامت لعدة عقود، عوضا عن حدود مُتفق عليها ومعترف بهـا دوليًـا. وقد بات هذا "العمل غير المكتمل" المتصل بالحـدود غـداة حـرب ١٩٤٨ أحـد الأسباب فيما وقع لاحقًا من خروق وغارات، بلغت ذروتها باندلاع حروب كبـرى فى أكتوبر ١٩٥٦ (إسرائيل ضد مصر) ويونيو ١٩٦٧ (إسـرائيل ضـد مـصر والأردن وسوريا) وأكتوبر ١٩٧٣ (مصر وسوريا ضد إسرائيل). وعلى الـرغم من أن الاتفاقات التى تم توقيعها عامى ١٩٧٩ و١٩٩٤ قد سوت موضوع الحـدود بين إسرائيل ومصر والأردن، فما زالت توجد حدود متنازع عليها يلـزم التعامـل لدى جلوس كل من إسرائيل وسوريا ولبنان للتفاوض حول اتفاقات سلام.

ومنذ عام ١٩٩٣، أضحت قضايا الحدود جزءًا من المـأزق الإسـرائيلى- الفلسطينى، فى وقت كان من المفترض فيه أن يقوم الطرفـان بتنفيـذ الاتفاقـات المؤقتة لانسحاب إسرائيل من أراضٍ محتلة ١٩٦٧ والانتقـال إلـى حكـم ذاتـى فلسطينى على أقاليم جرى تحديدها كنواة لدولة فلسطينية مـستقلة فـى المـستقبل. ووفقًا لإطار السلام الفلسطينى- الإسرائيلى الذى تم الاتفاق عليه فى أوسـلو عـام ١٩٩٣ شكلت مسألة الحدود إحدى قضايا "الوضع النهائى" التى يجب تسويتها على طريق تنفيذ حل الدولتين، وقد كان موضوع رسم الحدود بـين إسـرائيل ودولـة فلسطين المستقبلى موضع بحث ونقاش فى المفاوضات التى لم تكتمل فـى كامـب ديفيد وطابا عامى ٢٠٠٠ و٢٠٠١.

الروايات المتنافسة.. الحق فى مواجهة الحق، والضحية فى مواجهة الضحية:

بشكل عام؛ فإن الادعاءات والادعاءات المضادة، على النحو الذى أبرزنـاه فى القسم السابق، تتميز بالقدرة على بحثها من زاوية المصالح التى مـن الممكـن التوصل لحلول وسط حولها فى إطار الديناميكيات التقليدية للمواقف التفاوضية، أما

بالنسبة إلى الموضوعات غير المادية التى تضم الأبعاد السيكولوجية، الأساطير، الصور النمطية، والروايات المتناقضة[٢٢] فهى جميعًا تنتمى إلى طائفة أخرى؛ حيث إن هذه الموضوعات ذات الطبيعة الوجودية تتضمن إشباع مطالب حقوق مطلوبة أو تصحيح لدعاوى عدم العدالة، أكثر من كونها تتصل بأشياء ملموسة يمكن، على الأقل نظريًا، تسويتها من خلال التقاسم أو التعويض أو المبادلة أو الصياغات الماهرة، وكما سنوضح فى الفصل الثانى عشر، فإن مثل هذه الموضوعات هى الأكثر صعوبة فى حلها.

ويبرز التمييز بين المصالح التى يمكن التفاوض حولها والحقوق التى لا يمكن التفاوض بشأنها- بشكل واضح- فى السيرة الذاتية للأكاديمى الفلسطينى، والناشط خلال فترة ما، سارى نسيبة؛ حيث تضمن النص على ما يلى: "إن الحقوق الأساسية الخاصة بنا- حق اليهود التاريخى فى أرض الأجداد، وحق الفلسطينيين فى بلد تمت سرقته منهم- هى حقوق متصارعة بشكل جوهرى، وتلغى كل منها الأخرى. وبقدر ما يطالب كل طرف بالعدالة التاريخية، بقدر ما تتضاءل الخدمة للمصالح الوطنية الحقيقية، بشكل تقع فيه العدالة فى صراع مع المصالح"[٢٣]. وجاءت المؤرخة نتاشا جيل لتدعم من هذه الفكرة مُحذرة من أنه: "فى مكان التفاوض؛ فإن الإصرار على الحقوق والاعتراف والتوفيق لا يفضى إلى أى نتيجة، بل إنه أضحى أداة للتصلب ورمزًا للقضايا التى توقع بعملية السلام على ركبتيها"، وتضيف المؤرخة: "إن الحقوق تمثل جزءًا من صراع لم تتم تسويته على التاريخ، وسيتم استدعاؤها على الدوام، أما الاعتراف فإنه لا يأتى أبدًا بالشكل الذى يطلبه كل طرف"، وفيما يتصل بالمصالحة تشير الكاتبة بطريقة حكيمة إلى أنها "ستكون النتيجة وليس السبب فى تحقيق السلام"[٢٤]، فالسلام يتم بناؤه بالضرورة على المصالح والحلول الوسط.

وتفرض الحاجة إلى فهم مدى عمق واستمرارية الـصراع لفتـرة طويلـة؛ تركيز الاهتمام على الأساطير والرموز والصور النمطيـة أكثـر مـن الحقـائق الموضوعية المزعومة، وهو ما سيكون موضع الدراسة فى الفصل الحادى عـشر الذى سيتعرض لقضايا التحيز والموضوعية وأثرهما فى تناول المؤرخين للصراع؛ حيث سنلاحظ كيف أن كل طرف يقوم بتفسير تفاصيل خبرته التاريخية بما يؤكـد مشاعره العميقة بالظلم الواقع عليه كضحية للطرف الآخر، الأمر الـذى أوضـحه بحق (بينى موريس) فى استعراضه التاريخى للصراع منذ ١٩٨١ بتقديمـه لكـل طرف على أنه يؤمن بعمق بأنه ضحية عدوانية الطرف الآخر ونواياه الشريرة[٢٥].

وفى الفصل الثانى سيتم استعراض تاريخ الصراع خلال مراحله المختلفـة بشكل يذكرنا بكيفية تأثير مثل هذه المدركات المتوازية لدى الطـرفين والمتـصلة بمظاهر التعبير عن الشعور بأن كلاً منهما ضحية للآخر، وحقيقة الأمر فإن مثـل هذه المدركات تشكل ربما أكثر العقبات صعوبة أمـام قـدرة كـل طـرف علـى الانخراط فى المفاوضات؛ وقدرته على الاعتـراف بـشرعية وحقـوق الطبيعـة الإنسانية للطرف الآخر.

طرق تصور الصراع:

يقدم المؤرخون وعلماء السياسة مقترحات متعددة لكيفية النظـر للـصراع، ولعل من بين أكثرها شيوعًا هو ذلك المتصل بالمقترب الخطى، وبعبـارة أخـرى التعامل من منطلق خط زمنى بدءًا من تاريخ محدد متفق عليه أو نقاط تحول مهمة (بعضها يمثل محددات لمراحل زمنية)، ويسمح هذا المقترب بالإضافة، سواء تعلق الأمر بلاعبين جدد ومستويات إضافية من التعقيد، فرضت نفسها على نـزاع بـدأ

بسيطًا فى أبعاده[٢٦]. ويذهب بعض المؤرخين وعلماء السياسة لتصوير الصراع كنمط يمر بحلقات متتابعة: تقيح وتفاقم المظالم- تبلور التوترات- اندلاع الحروب- انتهاء الحروب بشكل مؤقت دون تسوية للأسباب الحقيقية للصراع، لتبدأ حلقة جديدة من المظالم والشكاوى الجديدة وما يعقبها من توترات تمهد الطريق لاندلاع جولة جديدة من القتال، وكلما زادت دائرة الحلقة كان ذلك دليلاً على التصعيد فى العنف وإدخال مكونات أو لاعبين أو مستويات جديدة من التعقيد لم تكن موجودة من قبل فى المرحلة الأولى للصراع. ومؤخرًا تم طرح مقترب اللولب المزدوج الذى يظهر تركيز المتصارعين على تصفية حساباتهم الماضية بشكل يغذى ويُحدد مسار عملية مستمرة وفقًا لمنطق ضربة مقابل أخرى، وفى هذا الصدد يذهب "روبرت أ. روتبرغ" إلى القول بأن "الفلسطينيين والإسرائيليين منحصران معا فى شرك صراع مُحكم، تغطيه تعقيدات تاريخية متصاعدة وعدم اتفاق جوهرى ويغلب عليه سوء إدراك للدوافع"[٢٧].

ومن بين الطرق التى يمكن اللجوء إليها لتقييم التغييرات فى شكل الصراع، تتبعه من وجهة نظر تركز على العامل الجغرافى مع مرور الوقت، وذلك من خلال عرض ومناقشة سلسلة من الخرائط الجغرافية المتغيرة، فكما تم إيضاحه فى الجزء الأول شكَّل التغيير فى التوازن الديموغرافى ونموذج تملك اليهود للأراضى واستقرارهم فيها عاملاً رئيسيًا فى الفترة التى سبقت عام ١٩٤٨، الأمر الذى يمكن إبرازه بخرائط تبرز إما خسائر الفلسطينيين وإما إنجازات الصهاينة[٢٨]، كما أن الحدود المتغيرة لفلسطين وإسرائيل يُمكن كذلك متابعتها من خلال الخرائط التى أعيد رسمها فى أعقاب الحروب (١٩٤٧ - ١٩٤٩ و١٩٦٧ - ١٩٧٣) والاتفاقات فى عام ١٩٧٩ (المعاهدة بين مصر وإسرائيل) وعام ١٩٩٤ (المعاهدة بين الأردن

وإسرائيل) و١٩٩٣-١٩٩٨ (الاتفاقات المؤقتة الإسرائيلية- الفلسطينية). كما يلجأ أساتذة العلوم السياسية، فى بعض الأحيان، إلى أسلوب توضيحى مختلف لتقديم الصراع العربى- الإسرائيلى انطلاقًا من الدوائر البسيطة الداخلية إلى الأطراف، أو أساليب أكثر تعقيدًا لصانعى القرار فى مواجهتهم للأزمات المتتالية على فترات[٢٩].

وأخيرًا واستنادًا إلى أعمال الخبراء فى مجال الدبلوماسية وتسوية الصراعات، يمكن فهم هذا الصراع باعتباره يتفاعل على مستويات متعددة؛ حيث يذهب المؤرخ والدبلوماسى الإسرائيلى السابق، الذى شارك فى المفاوضات مع السوريين، "إيتامار رابينوفيتش"، إلى القول بأنه "لا يوجد نزاع عربى- إسرائيلى واحد، وإنما على الأرجح سلسلة من الصراعات المستقلة وإن كانت متداخلة" يقدمها على النحو التالى:

١) الصراع الأساسى بين إسرائيل والفلسطينيين، هو "صراع كلاسيكى بين حركتين قوميتين تدعيان الملكية وتسعيان للسيطرة على الأرض نفسها".

٢) صراع أوسع بين إسرائيل والقومية العربية، "صراع قومى سياسى ثقافى ويتزايد بعده الدينى؛ يتسلح كل طرف فيه بمواريثه الثقافية والتاريخية" وأساطيره القومية الفضفاضة.

٣) سلسلة من النزاعات الثنائية بين إسرائيل والدول العربية المجاورة تنطلق من مصالح جيو استراتيجية وجيو بولوتيكية متعارضة.

٤) صراعات أوسع تتصل بالتنافس بين القوى الكبرى والاستعمار، ومقاومة الهيمنة الأوروبية[٣٠].

وفى توجه مشابه يؤكد "استيفان كوهين"، عالم النفس المتخرج فـــى جامعـــة هارفارد وذو الخبرة فى مجال الوساطة بين شخصيات مؤثرة إسرائيلية وعربية فى إطار ورش عمل مغلقة، أن الصراع يعمل على مستويات متعددة، ويذهب إلـــى أن التسوية الناجحة سوف تتوقف ليس فقط على التعامل مع هذه المــستويات، ولكــن الأهم من ذلك فهم كيفية تفاعلها فيما بينها[٣١].

وفى النهاية؛ فإنه بغض النظر عن المنهجية التى يتبعها المرء فى تـــشخيص وتصوير الصراع، فإننى من جانبى أرى أنه توجد على الأقل مستويات يلزم أخذها فى الاعتبار عند محاولة فهم وتحديد جوهر الصراعات الإســـرائيلية- الفلـــسطينية والعربية- الإسرائيلية:

١) شعبان يسعيان إلى تقرير مصيريهما باعتبارهما كيانين قوميين يتنافسان على السيادة على الأرض ذاتها (وهو ما يتم التعامل معه فى صفحات هذا الكتـــاب وغيره باعتباره جوهر الصراع).

٢) تشابـــك هذا الصـــراع الأساسى (ذى الطابع المحلى) بدرجـــات متباينة مع تدخـــلات أطـــراف خارجية (اللاعبون الإقليميون، ومجتمعـــات المهجـــــر، والقوى العالمية).

ويستند تقسيم هذا الكتاب إلى الخطين السابق الإشارة إليهما؛ حيـــث يركـــز الضوء على المستوى الأول فى الفصول من الثالث إلى السادس (الفترة حتى عـــام ١٩٤٩)، ويتضمن الفصل السابع عناصر مهمة تتصل بالمستوى الثـــانى، ليعـــود ويركز من جديد عبر الفصول من الثامن إلى العاشر على الصراع الرئيسى.

الأمثلة والتناظرات:

عندما يترك التحليل المنطقى الهادئ جوانب غير مفهومة من الصراع، يلجأ بعض الكتاب إلى القصص والأساطير المثقلة بالمعانى لتوضحيها، ومن بين أكثر القصص الرمزية المجازية استخدامًا تلك التى طرحها مؤرخ الثورة الروسية، وكاتب قصة حياة جوزيف ستالين، "إسحاق دويتشر"، ففى مقابلة صحفية عقب حرب يونيو ١٩٦٧ سرد قصة رمزية تحت عنوان: "الرجل الذى سقط"، ومضمونها كما يلى:

ذات مرة قفز رجل من أعلى منزل احترق فيه عدد من أفراد عائلته، وعلى الرغم من أنه نجح فى إنقاذ حياته فإنه أثناء قفزه ارتطم برجل واقف أسفل المنزل وكسر ساقيه وذراعيه، وبالنسبة للرجل الذى قفز لم يكن أمامه لإنقاذ نفسه إلا هذا الخيار، أما فيما يخص الآخر الذى تكسرت أطرافه فإن هذا الشخص كان سبب مأساته. وفى مثل هذا الموقف إذا تصرف الطرفان بأسلوب عقلانى فإنهما لن يصيرا أعداء، فبعد نجاة ذلك الذى قفز كان يمكنه أن يساعد المصاب ويخفف من ألمه، والأخير كان يمكنه أن يدرك أنه كان ضحية ظروف لم يكن فى مقدور أى من الطرفين التحكم فيها.

ولننظر الآن إلى ما يمكن أن يحدث إذا ما تصرف الطرفان بطريقة غير عقلانية: الرجل المصاب يلوم الشخص الناجى على أنه السبب فى معاناته ويقسم على الثأر منه، فى حين يقوم الناجي، مدفوعًا بالخوف، بتوبيخ وضرب الشخص

المصاب عندما يلتقيا. ويعاود المصاب تكرار القسم بالانتقام ويتعرض مجددًا للعقاب، وتتمثل النتيجة فى أن تلقى العداوة المريرة بظلالها على الرجلين طوال حياتيهما وتسمم أفكاريهما[٣٢]، على الرغم من أن الأمر قد وقع منذ البداية بطريق المصادفة.

وللوهلة الأولى تبدو هذه القصة تلخيصًا متبصرًا وسريعًا للصراع على النحو الذى تبلور غداة النصر الذى حققته إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧، كما أنها تمس الأعصاب باستحضار الظروف القاسية التى وضعت الناجين من المحرقة اليهودية الباحثين عن ملاذ آمن ومرافئ أمن فى مواجهة الفلسطينيين العرب الذين عانوا إثر ذلك، إلا أنه بعد تمحيص دقيق يتهاوى التشبيه ويدفع كل طرف بأنها أساءت تمثيله بالصور المرسومة (انظر: الفصل السادس)[٣٣].

ولقد قدم كُتّاب آخرون- ذوو ميول أدبية- ومن بينهم "عاموس عوز" و"إيزهار" و"سارى نسيبة" قصصًا مليئة بالرموز من قبيل:

- رجلان متعاركان يمسك كل منهما بعنق الآخر، ويخشى كل منهما أن يكون الأول فى ترك خصمه.
- رجلان يوشكان على الغرق فى البحر، يتصارعان للتعلق بقطعة خشب واحدة فقط تطفو على سطح الماء.
- مُتصارعان يخشى كل منهما أن يصرع الآخر؛ حيث إن كليهما يقفان على رمال متحركة تجذبهما إلى أسفل[٣٤].

وتوجد صورة مجازية أخرى تُظهر اليهود والفلسطينيين كطرفين؛ يلزم عليهما أن يتقاسما المنزل أو الشقة ذاتها، إما بطريقة لطيفة كمستأجرين لحجرات

مستقلة يتقاسمون الردهات، وإما بشكل عنيف، يبرز الصهيونيين كغــزاة للمنــزل يقومون بطرد سكانه الأصليين – الفلسطينيين– ويلقون بهم فــى الطريــق. ومــن جانبه، ربط "عاموس عوز" دائمًا المأزق الحالى بصورة الاختلال الــوظيفى بــين زوجين فى حاجة ماسة إلى صيغة طلاق جيدة(٣٥).

مثل هذه الصور، وإن كان من شأنها أن تضيف رؤية جديــدة، فإنــه يــتم المنازعة فيها والاختلاف عليها، بشكل يذكرنا بالحاجة للتعامل معها بحرص حتــى نتجنب الوقوع فى شرك العروض المشوهة للواقع أوالنتائج المُضللة.

الصراع من وجهة نظر مقارنة:

من بين الطرق المستخدمة لفهم صراع ما؛ أن نطرح السؤال التــالى علــى أنفسنا: إلى أى حد يتشابه مع غيره، وفى أى من جوانبه يبدو وكأنــه فريــد مــن نوعه؟ وحقيقة الأمر فإن التساؤل الذى يطرح نفسه هو معرفة مــا إذا كــان مــن الممكن أن نشرح أو نفهم جيدًا الصراع من خلال اللجوء إلى المقارنة أو المقاربــة أو من خلال البناء على تشابهات مع وقائع فــى التــاريخ الــدولى أو التطــورات المعاصرة؟ وإذا كان الرد بالإيجاب، فأى صراع آخر يمكن النظر إليه علــى أنــه يقدم نموذجًا مشابهًا؟ وخلال سعيهم لمساعدة القارئ على فهم الــصراع العربــى– الإسرائيلى بطريقة أفضل، يعمد الأكاديميون ورجال الدعاية علــى الــسواء إلــى استخدام نماذج أو تشابه مع صراعات أخرى، ومن بين تلك التى تــم اســتخدامها بشكل متكرر نشير إلى ما يلى:

أ) تقديم الكيان اليهودى قبل عام ١٩٤٨ (إسرائيل فيما بعد)؛ على أنه دولة استعمارية- استيطانية، فى حين تم وصف قوته الدافعة (الصهيونية) بأنها حركة استعمارية هدفت إلى ملء ما اعتبروه أرضًا خالية بالسكان الأجانب وتملك الأرض من خلال السيطرة، أو نزع الملكية و/ أو طرد السكان الأصليين[٣٦].

ب) تقديم الصهيونية على أنها حركة تحرر وطني، تهرع لنجدة اليهود من وضعيتهم الهشة كأقلية مشتتة (المهجر) وتُسهل تجميعهم فى وطنهم القومى السابق، ولكنها تصطدم بعقبة تتمثل فى وجود شعب آخر يسكن الأرض ويسعى لتحقيق تحرره الوطنى على الإقليم ذاته[٣٧].

ج) النظر إلى المسعى الصهيونى والإسرائيلى لتأسيس والإبقاء على أغلبية يهودية فى دولة يهودية؛ على أنه نوع من أنواع العنصرية التى مارسها البيض فى إفريقيا الجنوبية (الأفريكانز) الذين طبقوا نظام "الأبارتيد" العنصرى من أجل طرد أو السيطرة على الأغلبية الأصيلة من الأفارقة السود[٣٨].

د) مقاربة الصهيونية، سواء كانت فى تجسيدها الأول أو فيما بعد حرب ١٩٦٧، كحركة لملء الأرض المحتلة بالمستوطنين اليهود، مع فرض البروتستانت على كاثوليك أيرلندا، وقيام بريطانيا بحمايتهم تحقيقًا لأهدافها الخاصة[٣٩].

وحقيقة الأمر، أن الصورتين فى كل من النقطة (أ) و(ب)؛ ليستا مجرد تعبير عن وسائل من قبل أطراف خارجية لمحاولة فهم الصراع، وإنما يعكسان الأساس والعمود الفقرى لروايات الفلسطينيين والإسرائيليين، وهو ما سنتناوله بالنقاش فى الفصل الثالث باعتباره يمثل واحدًا من الإحدى عشرة مقولة جوهرية مثيرة للخلاف تناقشها هذه الدراسة.

وينتج عن رؤية الصراع من خلال واحدة من هذه الصور بدلاً من غيرها؛ تبعات مهمة حول كيفية تفسير الحقائق وتقييم الحجج التى تقدمها الأطراف المتصارعة، وفى هذا الخصوص كتب أحد المؤرخين الإسرائيليين:

فى جميع النماذج التى يتم اللجوء إليها لشرح الصراع العربى- الإسرائيلى يمثل وجود أو غياب الدليل التاريخى أمرا حاسمًا، شأنه فى ذلك شأن اختيار المجتمع، سواء كان فى العالم القديم أو المعاصر، والذى تجرى مقارنة فلسطين وإسرائيل به، فالمجازفات أو الرهانات فيما يتصل بهذا الاختيار كبيرة وعميقة، إن التمييز بين المطالبات المتعارضة، سواء كانت حقيقية أو متخيلة، سيستمر فى كونه تحديًا كبيرًا للباحثين والعامة، وأيضًا بالنسبة للمراقبين(٤٠).

وإذا كان إقناع القارئ بصحة أى من النماذج السابقة على غيره ليس من بين نواياى، فإننى أسعى فقط إلى الإشارة إلى وجود أربع مقاربات أو مقارنات بهدف إظهار تنوع التفسيرات المتصارعة الممكنة، وفى الفصول التالية سأحرص على عرض وجهات نظر متشابهة ومتناقضة؛ كما تم التعبير عنها فى الإطار التاريخى للصراع، وأترك للقارئ مهمة ومسئولية اختيار أيها تبدو أكثر إقناعًا.

الهوامش

(١) *Jewish People Policy Planning Institute, website: http:/www.jpppi.org.il*، دخول يوم ٢٤ مارس ٢٠٠٩، المكتب المركزى للإحصاء، إسرائيل، *Statistical Abstract of Israel, 2008, Table* خاصة: *Website::http://www.cbs.gov.il/reader/* *2.1 and 2.27*، دخول ٢٤ مارس ٢٠٠٩.

(٢) الميثاق الوطنى الفلسطينى، قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى، ١ – ١٧ يوليو ١٩٦٨، دخول ٢٣ مارس ٢٠٠٨ موقع إلكترونى: *http://www*. *yale.edu/lawweb/avalon/mideast/plocov.htm#art20*

(٣) مكتب الإحصاء المركزى الفلسطينى، *http://www.pcbs.gov.ps/DesktopDefault.aspx?tabID=3845&lang=en*، *website :* دخول: ٢٦ فبراير ٢٠٠٨ وكذلك موقع وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين: *http//www.un.org/unrwa-publications-/pdf/uif/dec08.pdf* ، دخول ٢٤ مارس ٢٠٠٩.

(٤) *Bernard Wasserstein, Israel and Palestinians: Why Do They Fight? Can They "Stop?"*، الطبعة الثالثة، *New Heaven. CT. London,* دار نشر جامعة ييل/ لندن، *Profile Books*، عام ٢٠٠٨، ص: ١٥٦-١٦٩.

(٥) انظر: خرائط الحدود المتغيرة لفلسطين التاريخية" فى مؤلف *Jacob Lassner and S. Ilan Troen* بعنوان: *"Jews and Muslims in the Arab World: Haunted By Pasts, Real and Imagined"*، الناشر *Rowman and Littlefield*، ٢٠٠٧، ص: ٣٥٣-٣٦٦.

(٦) *Wasserstin, Israelis and Palestinians* ص: ٩٩.

(٧) المادة الثانية من الميثاق الوطنى الفلسطينى، دخول على الموقع ٩ سبتمبر ٢٠٠٨، *http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/plocov.htm#art2.cf.Wassertin*، مرجع *Israelis and Palesinians*، ص: ١٢٣.

(٨) Zionists Plan for Palestine: February 1919 ، مرجع Martin Gilbert: "The Routledge Atlas of the Afrab-Israeli Conflict، الطبعة السابعة، لندن نيويورك، ٢٠٠٢، ٢٠٠٩، كذلك Wassertein, Israelis and Palestinians، ص: ١٠٣-١٠٤.

(٩) فيما يتصل بالخرائط الموضحة للوحدات الإدارية العثمانية انظر: Gilbert, Routledge Atlas، ص: ٤-٥، وكذلك Mark Tessler, A History of the Israeli-Palestinian Conflict، الناشر Bloomington Indianapolis, Indiana University Press، ١٩٩٤، ص: ١٦١.

(١٠) من أجل دراسة وفحص الأبعاد الديموغرافية للصراع انظر Wasserstein، Israelis and Palestiniens، الفصل الأول.

(١١) انظر على سبيل المثال: -Kenneth W. Stein, The Land Question in Palestine: 1917 1939، وكذلك: Chapel Hill, University North Carolina Press: Wasserstein, Israelis and Palestinians، الفصل الثانى.

(١٢) حاييم وايزمان، Trial and Error: السيرة الذاتية لحاييم وايزمان، لندن، الناشر Hamish Hamilton، ١٩٤٩، ص: ٣٠٥.

(١٣) رسالة من أرلوسورولف إلى وايرزمان بتاريخ ٣ يوليو ١٩٣٢، Weizmann Archives. ويبدو أن هذا الخطاب المكتوب أصلاً باللغة الإنجليزية قد تمت ترجمته إلى العبرية ونقله بعد ذلك إلى الإنجليزية مرة أخرى. انظر على سبيل المثال From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Until 1948، والذى قدمه وليد خالدى، الطبعة الثانية، واشنطن، معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧، ص: ٢٤٥-٢٥٤، وللاطلاع على مناقشات أكثر حول هذه الرسالة المهمة انظر: Neil Caplan, "Zionist Visions in the Early 1930s فى Studies in Contemporary Jury: An Annual، المجلد الرابع، إصدار Jonathan Franket، أوكسفورد، مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٨٨. كذلك: Shlomo Avineri, "The Socialist Zionism of Chaim Arlosoroff"، الصادر فى Jerusalem Quartelry، شتاء ١٩٨٥، ص: ٨٤-٨٧.

(١٤)انظر "Kaplan, "Zionist Visions، وكذلك Neil Caplan, Futile Diplomacy، المجلد الثانى، Arab –Zionist Negotiations and the End of Mandate، لندن، Frank Cass، ١٩٨٦، الفصل الأول.

(١٥) الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٤|٣، الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨، قرارات الأمم المتحدة عن فلسطين والصراع العربى- الإسرائيلى، المجلد الأول: ١٩٤٧ـ١٩٧٤. الطبعة المنقحة تحرير جورج طعمة، واشنطن، معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨، ص:١٦.

(١٦) انظر إدارة شئون المفاوضات لمنظمة التحرير الفلسطينية: "اللاجئون الفلسطينيون" مايو ٢٠٠٨، جرى الدخول عليها فى ٥ سبتمبر ٢٠٠٨على موقع:
http://www.nad-plo.org/facts/refugees/palestinians%20Refugees.pdf.

(١٧) المكتب المركزى للإحصاء، إسرائيل، *Statistical Abstract of Israel*، المتاح على موقع *http://www.cbs.gov.il/reader/cw-usr-view-folder?ID=141.* وبسبب ذلك فإن الأشكيناز أو الطابع الأوروبى للسكان اليهود الإسرائيليين بدأ ينخفض وتحرك التوازن السكانى من ٧٥% أشكيناز عام ١٩٤٨ إلى ٥٥% عام ١٩٦١؛ مما أعطى الفرصة لتضخم عنصر السافاردين "الشرقيون والبحر متوسطيون من اليهود" ومن أجل وصف وتحليل نقدى للمشاكل التى واجهت المهاجرين اليهود إلى إسرائيل من الدول العربية فى ذلك الوقت، انظر *Howard M. Sachar: "A History of Israel: From the Rise of Zionism to Our Time", New York, Alfred A. Knopf*، ١٩٧٩، ص: ٣٩٥-٥٠٩، كذلك: *Tom Segev. 1949, "The Frist Israelis"*، دار نشر *Arlen Neal Weinstein*، نيويورك، فرى برس، لندن، وأيضًا: *Collier Macmilan*، ١٩٨٦، الفصل السادس بعنوان *"Nameless People"*.

(١٨) على سبيل المثال: *Justice for Jews in Arab Countries*، وقد تم الدخول على الموقع بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط: http://www.justiceforjews.com . وللحصول على تقرير عن مؤتمر هذه المنظمة الذى عقد فى لندن بتاريخ يوليو ٢٠٠٨، انظر: *Nathan Geffay, "The Other Middle East Refugees", Jerusalm Report, 4* أغسطس ٢٠٠٨، ص: ٣٣-٣٤. كذلك يمر مطالعة *Micheal R. Fischbach, "Palesinians and Mizaerhi Jewish Property Claims in Discourse and Dipolmacy",* فى كتاب *Exile and Return: Predictions of Palestinans and Jews"*، تحرير *Ann M. Lesch, Ian S. Lustick*، فيلادلفيا، دار نشر جامعة بنسلفانيا، ٢٠٠٧، ص: ٢٠٧-٢٢٤. وأيضًا: *Yehouda Shenhav, "Arab Jews, Population Echange, and the Palestinian Right of Return"* فى كتاب كل من *Lesch and Lustick, "Exile and Return"*، ص: ٢٢٥-٢٤٥، كذلك: *Michael R. Fischbach, "Palestinian Refugee compensation and Israeli Counterclaims for Jewish Property in Arab Countries"*، فى *Journal of Palestine Studies*، العدد ٣٨، خريف ٢٠٠٨، ص: ٦-٢٤.

(١٩) *Statistical abstract of Israel*. ٢٠٠٨،.

(٢٠) اتفاقية جنيف الخاصة بحماية الأشخاص المدنيين فى وقت الحرب، ١٢ أغسطس ١٩٤٩ متاحة على موقع: *http://www.unhchr.ch/htm/menu3/b/92.htm* .

(٢١) أرقام السكان الفلسطينيين مأخوذة من مكتب الإحصاء المركزى الفلسطينى *website : http://www.pcbs.gov.psdesktopdefault.aspx?tab2=3845&lang=en*، فى حين يصعب الحصول على إحصاءات يمكن الاعتماد عليها دون خلاف، وتشير الأرقام الواردة فى *The Statistical Abstract of Israel* لعام ٢٠٠٧، إلى أن ٢٧١٠٠٠ إسرائيلى يعيشون فى محليات فى "يهود أو السامرة" بنهاية ٢٠٠٦. وبصفة عامة فإن المعلومات الأكثر مصداقية وغير المنتقدة عن المستوطنين اليهود صعب الحصول عليها. *The Statistical Abstract of Israel, 2007* تشير إلى ٢٧١٠٠ يعيشون فى محليات يهودية فى "جوديا وسماريا" فى نهاية ممكن الحصول عليها من الموقع الإلكترونى الخاص بـ *Foundation for Middle East Peace* والذى تم الدخول له يوم ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط http://www.fmep.org . انظر كذلك: *Gershom Gorenberg, "The Accidental Empire: Israel and the Britsh of Settements: 1967-1977"*، نيويورك، *Times Books*، ٢٠٠٦، ص: ٣٦٤. وأيضا: *Idith Zertal and Akiva Eldar, "Lords of the Land: The War over Israel's Settlements in the Occupied Territories: 1967-2007"*، المترجم من العبرية بواسطة *Vivian Eden*، نيويورك، كتب الأمم، رقم ١٤.

(٢٢) من أجل الحصول على تطبيق أكثر على وضعية الروايات الإسرائيلية والفلسطينية المتنافسة، انظر مقدمة *Paul Scham* لمؤلف *"Shared Histories: A Palestinian-Israeli Dialogue"* تحرير كل من *Paul Scham, Walid Salem and Benjamin Porgrund*، إصدار *Walnut Creek, CA Left Coast Press*، ٢٠٠٥، ص: ١-١٢.

(٢٣) سارى نسيبة مع أنطونى ديفيد، *"Once upom a Country: A Palestinian Life"*، نيويورك، إصدار *Farrar, Straus and Giroux*، ٢٠٠٧، ص: ٥٠٨.

(٢٤) *Natasha Gill, "The Arab Peace Plan: Say No to Rights, Recognition"*، فى *The Forward*، ٦ يونيو ٢٠٠٧.

(٢٥) *Benny Norris, "Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict (1881-1999)"*، نيويورك، إصدار *Alfred A. Pnopf*، 2001.

(٢٦) من أجل الحصول على عينات للتسلسلات الزمنية المختلفة انظر: *"The Arab-Israeli Conflict: Prespectives"*، الطبعة الثانية، تحرير *Alvin Z. Rubinstein*، نيويورك، الناشر *Harper Colins*، ١٩٩١، ص: ٢١٥-٢٢٢. أيضا: *Bickerton and Carla L. Klausner, "A History of the Arab-Israeli Conflict"*، الطبعة الخامسة، الناشر *Upper Saddle River. NJ, Pearson/Prentice Hall*، ٢٠٠٧. كذلك في الصفحات الأولى من كل فصل في *Wasserstein, "Israelis and Palestinians"*، ص: ١٧٩-١٩٤، وأيضًا *David W. Lesch, "The Arab-Israeli Conflict: A History"*، نيويورك-أكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٠٨، ص: ٤٦٧-٤٧٢ وفي نهاية صفحات ٤٦٨-٤٧٩.

(٢٧) *Robert I. Rotberg, "Building Legitimacy through Narrative", in Israelis and Palestinians Narratives of Conflict: History's Double Helix"*، تحرير *Robert I. Rotberg*، الناشر *Bloomington-Indianapolis*، دار نشر جامعة أنديانا، ٢٠٠٦، ص: ٢.

(٢٨) من بين أفضل الخرائط المتاحة من هذا النوع تلك التي في وليد خالدي، *« Before their diaspora : A photographic history of the Palestinians, 1876-1948"*، واشنطن، معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٤٨، ٣٤، ٨٤، ٢٣٧، ٢٣٩ متاحة على موقع *http://www.passia.org/palestine_facts/maps*.

ومن أجل مناقشة نقدية مفيدة انظر *Gideon Biger « The Boundaries of Israel – Palestine, Past, Present, and Future: A Critical Geographical View"*، الدراسات الإسرائيلية، ١٣:١، ربيع ٢٠٠٨، ص:٦٨_٩٣.

(٢٩) انظر على سبيل المثال العمل الرائد الذي قام به *Michael Brecher, "The Foreign Policy System of Israel: Setting, Images, Process"*، لندن تورنتو ملبورن، الناشر جامعة أكسفورد، ١٩٧٢، وكذلك: *Decisions in Israel's Foreign Policy, New Haven*، جامعة ييل، ١٩٧٥.

(٣٠) انظر *Itamar Rabinovish, "Waging Peace: Israel and the Arabs: 1948-2003*، نسخة محدثة ومنقحة، دار نشر برينستون، ٢٠٠٤، ص: ٣-٥.

(٣١) *Stephan Cohen, "Intractability and the Israeli-Palestinian Conflict"*، في *Grasping the Nettle*، ص: ٣٤٨-٥٠.

(٣٢) *Isaac Deutscher, "The Arab Israeli- War, June 1967"*، من مقابلة تمت مع مجلة *The New Left* بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٦٧، ومنشورة في *in The Non-Jewish Jew and Other Essays London, oxford*، لندن، الناشر جامعة أكسفورد، ١٩٦٨، ص: ١٣٦-١٣٧، وهي نفس القصة المختلقة من *Nusseibeh* في *Once upon a Country*، ص: ٤٦٢.

(٣٣) يلاحظ أن الادعاء هنا يتجاهل الصهيونية ما قبل المحرقة باعتبارها دافعًا وسببًا للمطامح اليهودية الصهيونية في الهجرة إلى فلسطين/ أرض إسرائيل، وهي لا تذكر أهداف ما قبل المحرقة والمخاوف من القادمين الجدد على السكان المحليين، كما أنه لا يقول شيئًا عن عدم مبالاة المجتمع الدولي الذي فتح المزيد من الأبواب للهرب من جانب الناجين من المحرقة، ما أدى إلى السماح للشخص القافز إلى الأرض في مكان آخر دونما جرح وإيذاء الشخص الفلسطيني الذي يقف في الجانب الأسفل.

(٣٤) نسيبة، *"Once Upon A Country"*، ص: ٤٨٣-٤٨٥. انظر كذلك المرجع السابق ص: ٤٨٦-٤٨٧.

(٣٥) *Amos Oz, "How to Cure a Fanatic princeton."*، دار نشر جامعة برينستون، ٢٠٠٦، ص: ١٩-٢٠-٦٢.

(٣٦) من بين الكثيرين انظر *Joseph A. Massad, "The Persustebnce of the Palestinian Questions: Essays on Zionism and the Palestinians"*، مقالات عن الصهيونية والفلسطينيين لندن، الناشر *Routledge*، ٢٠٠٦.

(٣٧) ضمن الكثيرين انظر *Jacob Tsur, "Zionism: The Saga of a National Liberation Movement"*، الناشر *NJ Transaction*، ١٩٧٧، كذلك *Amos Elon, "The Isralis: Founders and Sons"*، نيويورك، الناشر *Holt Rinehart Winston*، ١٩٧١.

(٣٨) من بين الكثيرين انظر: مروان بشارة *"Palestine/Israel: Peace or Apartheid: Prospects for Resolving the Conflict"*، لندن، *Zed Books/Halifax, Fernwood*، ٢٠٠١. ومن أجـل نظرة شاملة وذكية لاستخدام وإساءة استخدام المقاربة بين إسرائيل وجنوب إفريقيـا انظـر: *Heribert Adam and Kogila Moodley, "Seeking Mandela: Peacemaking between Israelis and Palestinians"*، الناشر جامعة تامبيل، ٢٠٠٥.

(٣٩) انظر على سـبيل المثـال: *sIan Lustick, "Unsettled and Disputed Lands: Britain and Iralad, France and Algeria, Israel and West-Bank-Gaza"*، نيويورك، جامعة كورنيـل، ١٩٩٣. وأيـضاً *Thomas G. Mitchell, "Native vs. Settler: Ethnic Conflict in Israel/Palestine, Northern Irland and South Africa, wesport,act: greenwood press, 2000.*، الناشر جرين وود، ٢٠٠٠.

(٤٠) *S. Ilan Troen, "De-Judaizing the Homeland: Academic Politics in Rewriting the Histor of Palestine"*، مسائل إسرائيلية، عددا ١٣-١٤ (٢٠٠٧)، ص: ٨٨٢-٨٨٣. انظـر كذلك الفصل الثالث من هذا المؤلف.

الباب الثانى

تواريخ متضاربة

الفصل الثالث

ما وراء ١٩١٧: جذور الصراع

صلات قديمة وذكريات تاريخية:

لدى تحديدنا لطبيعة الصراع؛ كان من بين الخيارات التى فضلناها للتعامل معه بوصفه صراعًا، أخذ شكله الحالى فى نهاية القرن التاسع عشر، بين يهود صهاينة مهاجرين وسكان عرب محليين (مسلمين ومسيحيين)، وكان مقدرًا لهذين المجتمعين التنافس على ممارسة حق تقرير المصير على منطقة صغيرة، ولكن مهمة استراتيجيًا أو حساسة دينيًا، من مناطق الإمبراطورية العثمانية.

إن ما سبق لا يعنى أن الصلات القديمة والذكريات التاريخية لا صلة لها بالموضوع؛ حيث تتم عادة الإشارة إلى التاريخ الذى سبق القرن التاسع عشر، وإن كان ذلك بطريقتين مختلفتين، فمن جانب، يمكن للطرفين، بل يقومان بذلك بالفعل، استدعاء ذكريات قرون من التسامح والاحترام والتعاون اليهودى- المسلم المثمر منذ القرن السابع الميلادى باعتباره نموذجًا يلزم تذكره بل والعمل على تكراره، إذا ما كان ذلك ممكنًا، للتغلب على العداوة السائدة حاليًا. وعلى الرغم من ذلك، فإن ما يحدث بشكل أكثر تكرارًا عودة الشعبين إلى جذوريهما التاريخية باعتبارهما كيانات قبلية ودينية لبناء هويتيهما أو وعييهما القومى المعاصر، فضلاً عن دعم ادعاء الملكية الأصلية للأرض المتنازع عليها (التى وعد بها الرب)[١]، ويقودنا ذلك إلى

مناقشة أولى المقولات الجوهرية المثيرة للجدال- من بين الإحدى عشرة مقولة التي نبحثها في هذه الدراسة- من كان هناك أولاً؟ ولمن كانت الأرض منذ البداية؟ إن كلا الطرفين يقدم ماضيًا محفوفًا بالجوانب الأسطورية، يتم تناقله من خلال نصوص مكتوبة أو شفهية بين الأجيال لإثبات أن أجدادهم كانوا "هناك" أولاً، وأن الأسلاف وسلالاتهم سيطرت على الأرض لفترات ممتدة من الزمان، و/أو أن الأرض موضع النزاع وعدهم الرب بها.

ومن وجهة نظر بعض؛ فإن هذا الأمر يتم حسمه بشكل رئيسي من خلال التحليل اللاهوتي وتفسير النصوص المقدسة، وفي هذا الخصوص، يمكن أخذ براهين على الإدعاءات اليهودية من المقاطع العبرية المقدسة خاصة نصوص التوراة (الكتب الخمسة للنبي موسى والتي هي جزء من العهد القديم من الإنجيل المسيحي) التي تُسجل أنه قبيل مجيء المسيح بألفي عام وعد الرب بأرض معينة باعتبارها "ملكًا دائمًا" لإبراهيم وذريته(٢)، ولقد كان لإبراهيم ولدان إسحاق وإسماعيل. وعلى الرغم من تجوالهم وتشتيتهم وطردهم بالقوة عبر قرون، فإن اليهود من سلالة إبراهيم، من خلال إسحاق ويعقوب، قد حافظوا على تواجد مستمر على الأرض حتى إن كان ذلك، ولفترات طويلة، بأعداد محدودة كأقلية. أما فيما يتصل بالمسلمين فإنهم يعترفون بوجود نسب وتراث روحي مشترك مع أغلبية الأنبياء العبريين، ويدرجون المسيح عيسى في هذا السياق، وفضلاً عن ذلك فإنهم يقدسون إبراهيم (أبراهام) باعتباره الأب المشترك لكل المسلمين والعرب وغيرهم من الشعوب السامية، ويرون أصلهم المشترك يمر من خلال إسماعيل بن إبراهيم، وخلال انتشار الدين الإسلامي الجديد في منتصف القرن السابع الميلادي، استولى العرب على المنطقة المسماة فلسطين وعاشوا فيها بوصفها جزءًا من الإمبراطوريات الإسلامية المتعاقبة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر تضمن الخلاف حول الأرض، بالنسبة إلى بعض، بعدًا جديدًا يتعلق بما إذا كانت الحدود التوراتية الموعودة سيتم التمسك بها في الوقت الحاضر، وأي من الشعوب الحالية يمكن توصيفه على أنه سلالة إبراهيم وله الحق في إرث هذه الأرض[٣]. وحول هذه النقاط فإن الأصوليين الدينيين لا يجدون مشكلة في قبول صدقية وقداسة الوعود الإلهية كما وردت في نصوصهم الدينية المقدسة. أما أولئك الذين يؤمنون بأديان أخرى (دون الحديث عن غير المتدينين على الإطلاق)؛ فإنهم لا يرون ما يجرهم على قبول ادعاءات على الأرض استنادا إلى نصوص دينية معينة.

ومن المثير للاهتمام أن عددًا من العلمانيين الاشتراكيين الصهاينة البارزين من قبيل "بن جوريون" و"موشى ديان"؛ قد أثرتهم النصوص العبرية في التوراة، وبالنسبة إليهم يقدم الكتاب المقدس برهانًا على صلة اليهود بفلسطين/إيريتز إسرائيل المعاصرة، ويتم استخدامه كمرجع إرشادي[٤] في مجال الآثار، وسند قانوني. وخلال شهادته أمام اللجنة الملكية المعروفة باسم "لجنة بيل" والمكلفة آنذاك ببحث الشكاوى ضد نظام الانتداب البريطاني عام ١٩٣٧، شرح "بن جوريون" مطالب اليهود في فلسطين على النحو التالي: "الإنجيل هو سلطتنا، الإنجيل الذي كتبناه بلغتنا العبرية في هذه البلاد هو سلطتنا، إن حقنا قديم قدم الشعب اليهودي"[٥].

وفضلاً عن المكونات الدينية، توجد كذلك عناصر علمانية للروابط القديمة بالأرض، فعملية البحث عن الآثار أضحت أداة إما لتأكيد وإما دحض الادعاءات بصلات الأجداد مع المجتمعات القديمة والتي يُطلقها اليوم كل من العرب والفلسطينيين في الأراضي المتنازع عليها، ولإظهار هذه البراهين والأدلة على الملكية الأصلية يعكف علماء الآثار، المحترفون منهم والهواة، على البحث في باطن الأرض المتنازع عليها لتأكيد حقيقة استمرارية الوجود والسكن في عصور

الكنعانيين والفينيقيين والفيلسيين والعبريين وغيرهم من الشعوب. وعلى سبيل المثال، يذهب بعض الفلسطينيين إلى حد ادعاء امتداد صلاتهم ونسبهم إلى شعوب ما قبل وجود العبرانيين فى عصر التوراة، كما أن بعض الكتاب العرب والمسلمين يفسرون التاريخ القديم بشكل يبرهن على أن "العرب عاشوا فى فلسطين منذ عصور ما قبل التاريخ وقاموا حتى بمنح ديانتهم وأدبهم لليهود[٦]، ومن جانبهم، يركز اليهود على فترة الإنجيل للتأكيد أن وجودهم القومى سبق وصول العرب الذين قفزوا إلى الهلال الخصيب خلال توسع الإسلام خارج الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى.

وكما هو معلوم، يمكن تفسير الاكتشافات الأثرية بطريقة انتقائية لخدمة غايات مختلفة، فباستطاعة الفلسطينيين أن جمع- بسهولة- براهين كافية لدعم ما يعتقدونه حول دفعهم الرئيسى بأحقيتهم فى الأرض منذ القدم، كما أنهم لا يواجهون أى صعوبات فى تقديم الوقائع التى تدحض وتكشف زيف الادعاءات اليهودية، ومن جانبهم، يستطيع اليهود تفسير البراهين الأثرية بطريقة تساعدهم فى تأكيد ارتباطهم المستمر بالأرض، فضلاً عن التشكيك فيما يطرحه منافسوهم الفلسطينيون، وتتضافر مع ذلك الأعمال الأدبية المنشورة، على مدار القرون، التى تؤيد مواقف كل من الطرفين فى هذا الجدال الذى لم يتم حسمه[٧]، فى وقت يبدو فيه دور الحوار الأكاديمى ضعيفاً فى حل هذه الخلافات، على النحو الذى أوضحته المناظرة الأخيرة بين مؤرخ إسرائيلى معاصر "بينى موريس"، وآخر فلسطينى- أمريكى "جوزيف مسعد"، والتى جاءت فى إطار اقتراح تأسيس لجنة من الباحثين للبحث عن "الحقيقة التاريخية والعدالة السياسية"؛ حيث انتهت إلى طريق مسدود فيما يتصل بالإجابة عن السؤال المتصل بمن كان هناك على الأرض أولاً[٨]، وكما هو شأن معظم المقولات الإحدى عشرة التى سنستعرضها خلال الدراسة، فإن هذه المقولة لا يمكن لأى طرف أن يضعها لصالحه.

اللقاءات الأولى ١٨٨٠/١٩١٤:

فى ضوء تركيزنا فقط على المئة والثلاثين عامًا الأخيرة للصراع، فإنه من المفيد البحث فى السياق الذى ظهرت فيه كل من الحركتين القوميتين. فمنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ السكان الناطقون بالعربية فى الإمبراطورية العثمانية الإسلامية، مترامية الأطراف ومتعددة الثقافات، يشعرون بشكل متزايد، وإن كان منفردًا، بأنهم عرب راغبون فى تأكيد "عروبتهم"، وفى بعض الحالات أكثر ربما من هويتهم باعتبارهم مسلمين أو مواطنين عثمانيين، وقد ساير هذا التعريف المتنامى وفقًا لهوية عربية قومية التطورات فى أوروبا؛ حيث أضحت اللغة والأرض من العوامل المحددة للدول والمجتمعات الجديدة. ولقد شكل القوميون العرب فى البداية حركة أقلية فى مواجهة أغلبية كان ولاؤها للإمبراطورية العثمانية، وفضلاً عن قيامهم بتكوين تجمعات سرية، فهم ناقشوا أفكارًا جديدة فى نوادى ضباط الجيش، وعملوا على تنمية وتشجيع استخدام اللغة العربية والنهوض بثقافتها فى الصالونات والمنتديات الأدبية.

أسهمت ثلاثة عوامل فى بلورة هذا الشعور المتجدد بالفخر والانتماء للعروبة، كان أولها الدافع الإسلامى؛ حيث كان الرسول محمد عربيًا وكانت القبائل فى شبة الجزيرة العربية المكون الأصلى لتكوين الأمة الإسلامية (مجتمع)، كما أن القرآن المقدس كُتب باللغة العربية، وشكلت الأفكار الواردة من أوروبا الدافع الثانى، خاصة تلك التى تشجع القومية اللغوية الثقافية، وقد انتشرت هذه الأفكار من خلال التجار، والمبشرين بالمسيحية، وكان للمسيحيين العرب، على وجه الخصوص، دور فى السعى لتأكيد الفكر الجديد المتصل بوحدة جميع الناطقين بالعربية لتجاوز الخلافات والمناقشات بل وأيضًا الغيرة بين المسلمين والمسيحيين[٩]، ويمثل الدافع الثالث لخلق الوعى العربى المتميز فى ردة الفعل تجاه

"الثورة التركية الشابة" فى القسطنطينية عام ١٩٠٨ ضد التوجهات المركزية للإمبراطورية العثمانية، فقد كان رد فعل العرب بشكل قوى ضد سياسية "التتريك" التى حلت محل السياسات المرنة المتصلة بلا مركزية العلاقة بين الأقاليم ومركز الخلافة العثمانى، وقامت مجموعة من القوميين العرب بتأسيس "الحزب اللا مركزى" الذى هدف إلى تحقيق الحكم الذاتى، إن لم يكن الانفصال عن الإمبراطورية المتهالكة.

مع بدايات القرن العشرين؛ شعر المفكرون القوميون العرب بأحقيتهم فى تقرير المصير استنادا إلى إقاماتهم كأغلبية وبشكل دائم فى هذه المنطقة، حتى إن كان ذلك فى إطار خلافة إمبراطوريات إسلامية منذ القرن السابع. ولكن فى هذا التوقيت بالتحديد، واجه هذا الإدعاء تحديًا كبيرًا فى المنطقة المعروفة باسم فلسطين على يد حركة وعى قومى منافسة بين اليهود فى أوروبا؛ حيث ركز أغلبهم، تحت مسمى الصهيونيين، اهتمامهم ليس على أرض أوروبية ولكن على الأرض المقدسة، وبعد مرور عقد على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية أشار كاتب قومى عربى ومسئول سابق فى الإمبراطورية العثمانية هو السيد "نجيب عزورى" إلى وجود:

> **ظاهرتين مهمتين، من طبيعة واحدة، لكنهما متعارضتان... يقظة الأمة العربية من جانب، والجهود المستترة من قبل اليهود لإعادة بناء مملكة إسرائيل القديمة على نطاق واسع من جانب آخر، وكان مُقدرًا على كليهما أن تتصارعا حتى يكتب النجاح لإحداهما. إن مستقبل العالم كله (تنبأ الكاتب) سيعتمد على النتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبادئ متعارضة[١٠].**

وعلى غرار القوميين العرب فى الإمبراطورية العثمانية، قامت مجموعات من يهود أوروبا بإصدار نشرات وتكوين جمعيات لإعادة تقديم أنفسهم بصيغة أكثر علمانية وقومية، وبعد مرور عدة عقود من المناقشات الداخلية والإصدارات بدأ المستوطنون الأوائل فى كل من أوروبا وروسيا بالرحيل فى بدايات الثمانينيات من القرن التاسع عشر؛ إلى المنطقة المعروفة عمومًا باسم فلسطين ويطلق عليها الشعب اليهودى "إيريتز إسرائيل" أو "أرض إسرائيل". وعلى صعيد آخر، نظم "تيودود هيرتزل" فى مدينة بازل بسويسرا، عام ١٨٩٧، المؤتمر العالمى الأول للصهيونية وقام بتأسيس إطار تنظيمى لحركة كرست نفسها لتعزيز الوعى القومى بين اليهود، وتعبئة دعم القوى الدولية فى ذلك الحين للمساعدة فى الحصول على الأرض التى أمل الصهاينة اليهود فى إعادة بناء وطنهم القومى ودولتهم المستقبلية فيها، وبناء عليه كانت الصهيونية تعمل على تحقيق التجمع فى أرض واحدة كاستجابة لما كان يعرف آنذاك بـ "المسألة اليهودية" التى كان يمكن تلخيصها فى حينه كما يلى: ماذا سيكون مصير يهود أوروبا الذين، كأفراد ومواطنين، تحرروا مؤخرًا من وضعية الدونية والخضوع، ولكنهم يواجهون بشكل متزايد، كمجموعة، صعوبة فى الانخراط فى نسيج القوميات والدول القومية الجديدة؟ ألم تؤكد عمليات العنف ضد السامية التى نظمتها عدة دول أوروبية (المذابح المنظمة) هشاشة وضع اليهود وعدم قدرتهم على الانصهار فى الثقافات المحيطة بهم؟ وبدت الإجابة عن هذا السؤال متمثلة فى إقامة دولة مستقلة لهم.

وعلى الرغم من حقيقة تشتتهم بين العديد من الدول، فإن اليهود كان يجمعهم دين مشترك وعادات، تراث تاريخى، ولغة مشتركة يستحدثونها (اليديش) وأخرى خاصة بالطقوس الدينية (العبرية). وعلى الرغم من أن قليلاً من المفكرين راودهم، فى البداية، حلم تحويل مجتمعهم إلى مجموعة قومية واحدة، استهدفت الحركة

الصهيونية إقناع المجتمعات اليهودية فى مختلف الأراضى بإعادة توجيــه أنفــسهم ليس فقط من الناحية الفكرية، ولكن أيضًا التعبئة لعملية الانتقال المــادى و"العــودة إلى صهيون"، الأرض الموعودة فى التوراة للعبرانيين القدامى، وهى الأرض التى كانت معروفة آنذاك بشكل عام تحت مسمى فلسطين وتتم إدارتها كإحدى ولايــات الإمبراطورية العثمانية، وباستثناء حقيقة أنهم لم يتواجدوا بــشكل ملمــوس علــى الأرض التى يرغبون فى أن تكون وطنهم القومى، فإن الــصهيونيين العلمــانيين، الذين عرفوا بمسمى "الصهاينة" كانوا يحاكون الحركات القومية الحديثــة وعمليــة بناء الأمة التى قام بها الإيطاليون والفرنسيون وغيرهما من الشعوب الأوروبية(١١).

ولقد كُتب الكثير عن هذه الفترة المبكرة التى تم خلالها نثر بذور الــصراع الدائر حاليًا، وتُبرز هذه الكتابات سعى قادة الحركة الصهيونية، فى عالم الــسياسة الدولية آنذاك، لخطب ود الإمبراطورية العثمانية التى كانت تحكم الإقلــيم موضــع الاهتمام، وفيما بعد وجه كل من القوميين العرب والصهاينة جهودًا على مــستوى دبلوماسى رفيع تجاه بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة.. وغيرهــا مــن القــوى الكبرى، وهكذا بدأت معالم نموذج يتطلع بموجبه كل من الطرفين المتصارعين إلى الحصول على تأييد قوى من الخارج لمطالبه، بما يعنيه ذلك مــن عنــصر مُعقــد للصراع يتمثل فى إضافة بُعد خارجى ولاعبين جــدد للتنــافس الجــوهرى بــين الحركتين القوميتين الصاعدتين والمتنافستين على الأرض ذاتها. وقد التقى ممثلون عن الحركتين العربية والصهيونية عدة مرات خلال عامى ١٩١٣ و١٩١٤؛ بهدف مناقشة احتمالات التوصل إلى توافق يستبعد الأطراف الخارجية، لكن هذه اللقاءات لم تسفر عن شىء(١٢). وعلى أرض الواقع؛ فإن أول لقــاء بــين رواد الــصهاينة المستوطنين من جانب، والسكان الأصليين الناطقين بالعربية (مسلمين ومــسيحيين) من جانب آخر، تضمن مراحل من سوء الفهم، والشك، والاحتكاك، بالتوازى مــع نماذج من التعاون وعلاقات حسن الجوار(١٣).

ســؤال ضمنى:

قدمنا فى الجزء السابق مُقتبسات عكست الإدراك العربــى المبكــر لــصدام صاعد مع الصهاينة فى فلسطين وفى العقود الأخيرة مــن حيــاة الإمبراطوريــة العثمانية، عبر سياسيون ومسئولون صحفيون عرب كذلك عن مخاوفهم فــى هــذا الخصوص[١٤]، فكيف نظر الصهاينة الأوائل للسكان المحليين؟ هل توقعــوا ثمــة مشكلات فى علاقاتهم مع العرب؟ إن هناك أدلة عديدة تشير إلى أن الصهاينة كانوا على دراية بالمخاوف والشكوك والعداوة التى عبر عنها سكان الأرض التى يُهاجر إليها الصهاينة، ولقد قام الكاتب العبرى ذائع الصيت "آهاد ها آم" بنــشر مجموعــة من التقارير المحيرة عما شاهده خلال جولته فى المستوطنات فى "إيريتز إسرائيل" عام ١٨٩١[١٥]. وقد وجد "تيودور هيرتزل" نفسه مضطرًا إلى الكتابة إلى "يوســف ضياء خالدي"، عمدة القدس، عام ١٨٩٩ للدفاع عن الصهيونية فى محاولة لتهدئــة المخاوف والانتقادات التى عبر عنها فى هذا الخصوص[١٦]، وتتعدد الأمثلة علــى الجهود التى بذلها الصهاينة لتحليل و/ أو تبديد المعارضــة التــى أبــداها ســكان فلسطين[١٧] العثمانية، لكن أيًا من هذه الجهود اتــسم بالاســتمرارية أو الفعاليــة؛ بالمقارنة بالنجاحات التى حققتها الصهيونية من خلال الدبلوماسية رفيعة المستوى. وفى هذا الصدد لا يمكننا إلا أن نتساءل عما إذا كان من شأن محــاولات أفــضل لخطب ود السكان المحليين، من خلال أنشطة تمس القاعدة العريضة، أن تؤدى إلى جسر الهوة بين كل ما يريده الشعبان على هذه الأرض المتنازع عليها، وعلــى أى حال، فإننا سنعود لمناقشة هذا السؤال فى الفصل الحادى عــشر باعتبــاره إحــدى "الفرص الضائعة" لتفادى تفاقم الصراع.

الاستعمار والقومية:

إن تناول الجذور الأوروبية لإعادة إحياء الحركة القومية اليهوديــة وبحثهــا عن "العودة إلى صهيون"، يدفعنا إلى دراسة المقولة الثانيــة الجوهريــة المثيــرة للجدال، والتى ما زالت محل نقاش ليس فقط بين طرفى الصراع، ولكن أيضًا مــن قبل الساعين إلى شرحه ودراسته، والمتصلة بالأسئلة التاليــة: هــل كــان الحــل

الصهيونى للمسألة اليهودية بمثابة شكل يهودى مختلف لليقظة والكفاح الوطنى للحصول على الاستقلال؟ أم أن الصهيونية كانت جزءًا من توسع استعمارى عدوانى فى الشرق الأوسط، يجد سبب وجوده فى استغلال ونزع ملكية والهيمنة على السكان الأصليين؟

إن كلاً من القومية العربية والصهيونية الوليدتين؛ لم تتصادما فى فراغ على قطعة أرض، وإنما كان ذلك يجرى فى إطار أوسع من الضغط القوى والمتواصل ذى الطابع الاقتصادى والسياسى والثقافى على الإمبراطورية العثمانية التى ناهزت الأربعمئة عامًا، وكانت فى مرحلة الأفول وفى طريقها إلى التفكك. ومن منظور التاريخ اليهودى والحركة الصهيونية البازغة؛ فإن اليهود الذين انتقلوا إلى فلسطين اعتبروا أنفسهم عائدين، بينما نظر إليهم أغلب السكان الفلسطينيين على أنهم (فى أفضل الأحوال) متطفلون، أو (فى أسوأ الأحوال) غزاة، وهو ما يضعنا أمام صدام فى المقتربات التى يصعب التوفيق بينها من خلال إقناع طرف بصحة وجهة نظر الطرف الآخر. وحقيقة الأمر، فإن الطريقة التى قد يقع عليها اختيار المرء للإجابة عن السؤال المتصل بمعرفة ما إذا كانت الحركة الصهيونية تعبيرًا شرعيًا عن القومية اليهودية أم أنها جزء من توسع استعمارى عنيف من شأنها أن تفضى إلى العديد من النتائج، أولاً: التأثير بقوة فى طريقة تقدير المعلومات التاريخية وتفسير الدلائل والحجج التى يُقدمها الأطراف. ثانيًا: وربما أكثر خطورة، أنها ستتضمن اختيار تأييد طرف ضد آخر من خلال تأييد مطالبه وعرضه للأحداث ورفض موقف الطرف الآخر؛ فقبول الرواية الصهيونية المتصلة بالعودة يتعارض مع الرواية الفلسطينية الخاصة بالتعرض للغزو والاستعمار.. وفى المقابل، تأييد التفسير الاستعمارى يقوض شرعية القضية الصهيونية، وفى مثل هذه الحالة فإن المراقبين والباحثين والصحفيين الذين يعتبرون أنفسهم غير محايدين، سيتحولون

على الفور- بمجرد إضفائهم المصداقية على وجهة نظر فى مواجهة الأخرى- إلى جزء من الجدال ذاته بما يتضمنه ذلك من الموافقة أو الرفض من قبل الأطراف المعنية. وحتى الإجابة عن السؤال بالقول بأن "كلا الطرفين على حق" تتضمن اتخاذ موقف يمكن النظر إليه من قبل أى من الطرفين على أنه خاطئ بنسبة خمسين فى المئة.

وفيما يتصل بالأجيال الجديدة؛ حظى منظور الاستعمار- الاستيطانى بشعبية كبيرة بين الباحثين فى أرجاء العالم؛ وفى بعض الدوائر الأكاديمية أضحى أمرًا بديهيا لا يتطلب حتى الإثبات أو النقاش(١٨). وحتى فى داخل إسرائيل فإن "جيل ما بعد الصهيونية" والعديد من "المؤرخين الجُدد" (انظر: الفصل الحادى عشر) يتبنون عن إدراك هذا المقترب ويتحدون التيار الرئيسى الذى نظر إلى المستوطنين الأوائل على أنهم قاموا بأعمال خيرة دون إيذاء للسكان المحليين. ونشير فى هذا الصدد إلى "إيلان تروين" الذى ينتقد النظرة إلى الصهيونية كحركة استعمارية- استيطانية؛ يذهب إلى أن المقترب الشائع الآن هو تشويه للحجج التى، فى وقت سابق، كانت مقنعة بدرجة كافية لخلق اعتراف واسع بالحقوق القومية اليهودية- الصهيونية فى المجتمعات الغربية والدوائر والأوساط الأكاديمية، ويصف "تروين" هذا المقترب على أنه "نموذج للانحراف فى الدراسات المتصلة بفلسطين" فى القرن العشرين، ساعيًا لإقناع قرائه بضعف هذا التوجه(١٩).

ومن بين الأمور المتوقعة، أن نجد باحثين إسرائيليين آخرين وغيرهم، ممن يؤيدون النظرة إلى الصهيونية كحرمة وطنية يهودية(٢٠)، يرون أن النموذج الذى يُقدم إسرائيل باعتبارها "وجودًا استعماريًا" غير مقتنع، بل وقد يشكك بعض فى دوافع أولئك الذين يدافعون عن هذه الرواية، ويقدمونهم على أنهم من صانعى

الدعاية متحدين الأسس التى استند إليها مثل هذا التوجه. ونشير كذلك إلى أنه بعد متابعته للتحول فى النظرة لإسرائيل فى الدوائر العلمية الغربية خلال السبعينيات من القرن الماضي، وصف المؤرخ فى الجامعة العبرية "يعقوف جيلبير" الموقف على النحو التالى:

"إن الشعارات الفلسطينية ذاتها التى كان لها تأثير ضئيل فى الرأى العام الأوروبى فى فترة ما بين الحربين العالميتين، وفى أعقاب حرب ١٩٤٨، بدأت الآن تجد أرضا خصبة فى إطار عقدة الشعور بالذنب التى أعقبت فترة الاستعمار، وقد تم تشجيع هذه العملية من خلال الدولارات- الناتجة عن البترول العربي، وغيرها من أشكال التمويل التى انتشرت فى الجامعات الأمريكية ومؤخرًا فى إسرائيل ذاتها، وبدأت تباشير هذا التغيير فى الاتجاهات، فى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين مع صعود ما سمى بحركة "المؤرخين الجدد" الذين تمثل إسهامهم الرئيسى فى تحويل دراسة الصراع العربى- الإسرائيلى من مقولة الإنجازات الإسرائيلية إلى مقولة المحنة الفلسطينية، وجرى تصوير الفلسطينيين على أنهم قليلو الحظ ضحايا للعنف والظلم الإسرائيلى، والتواطؤ الإسرائيلى- الأردنى، ودبلوماسية الخيانة من قبل البريطانيين والعرب، بل ويصف بعض الإسرائيليين بالتصلب وعدم الرحمة وأنهم مستعمرون قُساة استغلوا المحرقة للحصول على تأييد العالم لدولة يهودية على حساب حقوق الفلسطينيين فى أرضهم"[٢١].

ويثور التساؤل حول إمكانية شرح النموذج الاستعماري فقط باعتباره نتاجًا للتغيير فى التوجهات الأكاديمية والسياسة الدولية؟ وعلى الرغم من أنه قد يكون هناك من الأسباب النبيلة والخبيثة لتفسير ارتقاء نموذج معين على حساب آخر فى وقت معين، فإنه من قبيل التشويه؛ تخيل أن الرواية القائلة بأن: "الصهيونية هى من قبيل الاستعمار"؛ قد جرى اختراعها لاحقًا بغرض ترجيح كفة المناقشات المعاصرة ودحض الرواية الصهيونية، أو أنها مجرد أداة تم اصطناعها من قبل المعادين للسامية ومن يكرهون إسرائيل لإدانة اليهود ونزع شرعية مطالبتهم بدولة. وما تفتقده الانتقادات على النحو الذى أشرنا إليه عاليه، هو حقيقة أن نموذج الاستعمار- الاستيطانى هو أكثر من مجرد مفهوم نظرى؛ فهو أيضًا جزء لا يتجزأ من رواية فلسطينية أصيلة تستند إلى خبرة واقعية، تماما كما هى الحال بالنسبة إلى الرواية اليهودية المضادة الخاصة بـ "العودة إلى صهيون" التى تعتبر أصيلة على خلفية خبرة واقعية لليهود فى الشتات، ولا يمكن رفضها بوصفها عملية غسيل للمخ أو مجرد دعاية، ولسوء الحظ فإن الباحثين- أطراف هذا النقاش- نادرًا ما يرتفعون فوق الاتجاهات الشائعة والعمياء للأطراف الذين يمثلونهم، ويعتقدون أن "روايتنا تقص الحقائق، وروايتهم من قبيل الدعاية"[٢٢]، وسنعود لتناول هذه النقطة فى الفصل الحادى عشر من هذا الكتاب.

إن التعامل الأكاديمى المعاصر مع الصهيونية على أنها ظاهرة استعمارية- استيطانية، يمكن النظر إليه على أنه يمثل استمرارية للأسانيد المُقدمة من قبل الفلسطينيين القوميين الناشطين ضدها منذ بداية عشرينيات القرن العشرين، إن لم يكن قبل ذلك، وفضلاً عن الاحتجاجات السياسية سريعة الزوال، والرسائل، والكتيبات، وجدت هذه الأسانيد أول تعبير قوى لها فى عام ١٩٣٨ مع نشر "جورج أنطونيوس" لكتابه الواسع التأثير (يقظة العرب)[٢٣]، ومن أهم الذين أسهموا فى دعم

هذا الاتجاه في العقود الأخيرة الباحث الفرنسي "ماكسيم رودنسون" الذي نشر مقالاً مفعمًا بالمعاني عام ١٩٦٧ تحت عنوان "إسرائيل: واقع استعماري"[٢٤]، فضلاً عن عميد المؤرخين الفلسطينيين "وليد خالدي"[٢٥]، والأستاذ الفلسطيني الأمريكي "إدوارد سعيد"، وتتضمن العناوين الرئيسية والفرعية في كتاب "إدوارد سعيد" (مأساة فلسطين)، الذي أُعيد نشره عدة مرات ويتم الاقتباس منه عادة، جوهر النقد المناهض للاستعمارية، وقد عنون الجزء الثاني من كتابه "الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها"، وهو ما يتم التعامل معه من خلال قسمين، الأول: "الصهيونية وسلوك الاستعمار الأوروبي، والثاني: "زيادة السكان الصهيونيين، وتفريغ السكان الفلسطينيين"[٢٦]. ويُمثل "جوزيف مسعد" الأستاذ بجامعة كولومبيا، توجهًا أكثر راديكالية لأنصار هذا المقترب؛ حيث تقترح كتاباته أن عبارة "الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني" مُضللة نتيجة لتضمّنها توازنًا يساوي بين متصارعين متساويين أو ذوي مطالب متساوية الشرعية. وبالنسبة إليه فإنه يلزم أن نتحدث عن غزو استعماري- استيطاني، وعدوان نظمه طرف عنصري يرغب في التسيد (الصهيونيين) على آخر (الفلسطينيين) فقط يحاول الدفاع عن نفسه[٢٧].

وخلال المناقشات التي تفشل- بشكل واضح- في إقناع أولئك الذين يرون أن الصهيونية شكل من أشكال الاستعمار، يقدم كُتّاب من قبيل "تورين" و"جيلبر" وغيرهما حججًا مضادة، إما ترفض صراحة التشبيه بالاستعمار، وإما تبرز الصفات التي لا تجعل من الصهيونية نوعًا من أنواع الاستعمار الخالص، وعلى سبيل المثال، يطرح "تورين" دليلاً على القبول المسبق من قبل المجتمع الدولي (الأوروبي) إعادة "تشكيل" اليهود، وحقهم في العودة وبناء وطنهم في فلسطين/إيريتز إسرائيل، ويصف السلوك اليهودي على أنه بناء مجتمع جديد (اليوشيف) يهدف إلى معارضة، وليس إعادة إنتاج، الحقائق الأوروبية في الشرق الأوسط:

"التأقلم والتحول ورفض أوروبا يتردد صداه خلال الواقع الثقافى والذهنى لليوشيف (إسرائيل)، فقد كان واضحًا بشكل صارخ أن الصهيونية لم تكن عاكفة على تقليد أو توطن مباشر، فالصهاينة لم يعتبروا أنفسهم أجانب أو غزاة، فعلى مدار قرون فى الشتات عانوا من الشعور بالغربة، أما فى "إيريتز إسرائيل" (أرض إسرائيل) فإنهم أبدوا نشاطًا خلاقًا كبيرًا ليشعروا بأنهم فى ديارهم، كما لو كانوا أهل البلاد الأصليين. ولقد كان تجدد الشباب هذا هو الذى أقنع شريحة واسعة من العالم بأن اليهود لهم الحق فى الاستقلال داخل قطعة الأرض الذين تركوا بصماتهم عليها بشكل مميز"(٢٨).

ومن بين الأسانيد الأخرى التى تم تقديمها ضد نموذج "الصهيونية= الاستعمار" نشير إلى ما يلى:

- كانت المستوطنات الصهيونية والأنشطة الاستعمارية أنشطة لبناء الأمة من قبل شعب راغب فى الاندماج مع الأرض، أكثر منها لخلق موقع متقدم لاستغلال الموارد لصالح القوى الاستعمارية الأجنبية.

- لم يكن لجوء الصهيونية للقوة نتاجًا لخطة أصلية للغزو العدوانى، وإنما كرد فعل للعنف العربى.
- قام الصهاينة بشراء الأرض، وليس الاستيلاء عليها أو سرقتها.

- تشمل الصهيونية خليطًا من عناصر منبثقة عن وسائل وممارسات "الاستعمارية، ومناهضة الاستعمار، وفترة ما بعد الاستعمار"(٢٩).

والجدال حول ما إذا كان يلزم النظر للصراع وفقًا للنموذج الاستعمارى أو للرواية اليهودية القومية المنافسة، من وجهة نظرى، لا يمكن حسمه لصالح طرف، فوجود حجج مضادة لا يعنى الكثير لأولئك الذين يؤيدون بقوة أحد النموذجين؛ حيث يكون من السهل تفنيدها باعتبارها تخدم مصلحة أو تعبيرًا عن التعالى. وفى

هذا الخصوص نشير إلى حوار دار مؤخرًا بين باحثين فلسطينيين وإسرائيليين ذوى عقلية متفتحة ونوايا حسنة، انحدر، عندما أثير ملف الصهيونية/ الاستعمار(٣٠)، بعيدًا عن الموضوعية ليعكس موقفًا حاميًا تتوالى فيه الحجج وما يقابلها من حجج مضادة؛ فأولئك الذين مالوا لدعم "قضية إسرائيل" أو"قضية فلسطين" بدوا غير قادرين على الذهاب أبعد من اتهام مؤيدى النموذج المضاد بكونهم جداليين عدوانيين، كما لو كان الأمر يتعلق بتسجيل نقاط. وفى معالجتنا للصراع؛ فإننا سنتناول كلاً من هاتين الصيغتين المتضاربتين كتعبيرات أصيلة لروايات كل من المتصارعين.

ضحايا فى مواجهة ضحايا:

ربما كانت الخلافات غير القابلة للتسوية بين من يرون الصراع الإسرائيلى- العربى؛ إما على أنه صدام قوميات وإما كغزو استعمارى- استيطانى، يتغذى على كيفية رؤية كل طرف لذاته باعتباره ضحية للطرف الآخر، وكما سنوضح فى موقع آخر من هذه الصفحات؛ فإن البعد الخاص بـ "الضحايا فى مواجهة الضحايا" هو فى حد ذاته عامل من عوامل استعصاء الصراع على الحل، فالصهاينة الأوائل كان يغمرهم الشعور بالقيام بمهمة تتمثل فى إصلاح الظلم والمعاناة التى عانى منها اليهود على مدار قرون كضحايا كراهية واضطهاد دينى، ثم عنصرى- بيولوجى. والحماسة والتضحيات التى تطلبها الجهد المبذول للرحيل من أوروبا للذهاب إلى ما اعتبروه أرض الأجداد؛ ربما يفسر، جزئيًا، العمى من جانب الرواد الصهاينة عن الآثار السلبية التى سيوقعونها على قطاعات من السكان المحليين فى فلسطين العثمانية، فهؤلاء الصهاينة المثاليون، بما فى ذلك الاشتراكيين والدوليين بينهم، جاءوا محملين بأحكام مسبقة، سادت آنذاك، عن تفوقهم كأوروبيين

فى مواجهة "محليين بدائيين" يحتاجون للاستقرار السياسى والتقدم الاجتماعى والاقتصادى الذى يحمله الصهاينة معهم لآسيا الغربية. وحقيقة الأمر، نظر الصهاينة للعرب ليس باعتبارهم أندادًا لهم ولكن كشعب متخلف ليس له أى رابطة خاصة بإقليم معين؛ كشعب لا يحترم فقط إلا القوة (فى إشارة إلى فترات القمع التركى)، سينحنى أمام سلطة أكثر تفوقًا، ولقد تمحورت خطط الصهاينة الأوائل وافتراضاتهم عن فلسطين والفلسطينيين حول شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"[٣١].

ومن جانبهم، نظر السكان المحليون فيما سيعرف بفلسطين/إسرائيل إلى اليهود الجدد الوافدين؛ على أنهم أفراد فى شعب غامض كان فيما مضى رقيقًا، ليصبح الآن مائلاً إلى السيطرة على العالم، بل إنهم على قناعة (شأنهم فى ذلك شأن العديد فى ذلك الوقت) بنظريات المؤامرة لـ "بروتوكولات حكماء صهيون"[٣٢]، وقد سهل ذلك عملية "شيطنة" الصهيونية باعتبارها قوة إمبريالية خطيرة لها اتصالاتها السرية فى كل عواصم العالم، وتمثل هدفها الوحيد فى اغتصاب أرض الفلسطينيين وغيرهم من العرب.. وهكذا فإن المتحدثين باسم القومية العربية عملوا على تعبئة أنصارهم من خلال الدعوة لمقاومة الهيمنة الأجنبية من قبل الغزاة اليهود غير المرغوب فيهم، وكما سنرى مجددًا، عبر العقود التالية للصراع، فإن هذا الشعور بوضعية الضحية، سيصبح ملمحًا مستمرًا لإدراك كل طرف لنفسه، الأمر الذى لا يمكن التخلص منه فقط من خلال الكلمات الرقيقة التى تعكس حسن النوايا.

الهوامش

(١) من أجل عرض ممتاز ومتوازن لتاريخ اليهود القديم والتاريخ العربى الإسلامى وصلتهم بالصراع الحالى، انظر: *Mark Tessler, A history of the Israeli-Palestinian Conflict, Bloomington, Indianapolis,* دار نشر جامعة أنديانا، ١٩٩٤، (الطبعة المزيدة ٢٠٠٩)، الفصلان ١ ـ ٢ . وانظر أيضا: *Raphael Patai, The Seed of Abraham : Jews and Arabs in Contact and Conflict, Salt lack city,* نشر جامعة يوتاه، ١٩٨٦،٢٩٦ـ٣٠٤.

(٢) فى الترجمات التقليدية لسفر التكوين، الفصل ١٧، الآية ٨، قال الله لإبراهيم: "سأعطيك ولذريتك الأرض التى أنت فيها غريب كل أراضى كنعان لتملكها ملكية أبدية وسأكون أنا ربهم". والآيات الأخرى التى تعد اليهود فى سفر التكوين ١٢:٧، ١٣:١٤، ١٦:٧، ١٥:١٧، ١٨:٢٦، ٢٦:٣ ، ٤:٢٨، ١٢:٣٥:١٣. سفر الخروج ٦:٤: سفر اللاويين ٢٤:٢٠، الأعداد ١٢:٣٤:٥٣:٣٣:١٦:١٤، ١٣ وجوشوا ١:٢ ـ ٤.

(٣) من أجل تعليق حديث حول إسحاق وإسماعيل، انظر: *Reuven Firestone, Children of ÷Abraham : An introduction to Judaism for Muslims, Hoboken Katv 2001, 10-12.* ومن أجل التفسير الجغرافى المثير للجدال والتجديدى انظر كمال صليبى، *The Bible came from Arabia, London, Jonathan Cape, 1985.*

(٤) موشى ديان، *Living with the Bible, London : Weidenfeld and Nicolson, 1978.*

(٥) مذكرات عن الأدلة تم تسجيلها يوم الثلاثاء ٧ يناير ١٩٣٧، فى المقابلة التاسعة والأربعين للجنة الملكية لفلسطين، نصوص الدليل جرى الاستماع إليها فى جلسات عامة (مع الفهرس)، كولونيال رقم ١٤٣، لندن *HMSO 1937, 288* وأعيد نشرها فى *The Rise of Israel* المجلد

٢٢ وتحرير لجنة فلسطين الملكية والتى قدم لها : *Aaron S. Klieman, New York, London : Garland, 1987.*

(٦) محمد جميل بيهوم، *"Arabism and Jewry in Syria" , 1957,* مترجم فى : *Arab Nationalism and Anthology*، تحرير وتقديم سيلفيا ج. حاييم، بيركلي/لـوس أنجلـوس، نـشر جامعـة كاليفورنيا، ١٩٦٢، ١٢٨ – ٤٦: والاقتباس من مقدمة حاييم، المرجع السابق، ٣٨.

(٧) حديثًا تحدى شلوم وصاند المؤرخ بجامعة تل أبيب الأسطورة القومية والمـستمرة للـشعب اليهودى القديم والتى بلغت ذروتها فى الصهيونية والدولة اليهودية وذلك فـى *Comment le peuple juif fut inventé ?, Paris, Fayard, 2008.*، وكعينة من الكتابات الجدلية الأكاديميـة والشعبية على الجانبين لهذه المسألة، انظـر مقـالات *Ilene Beatty* و *Alfred Guillaume,* والتى أعيـد نـشرها فـى *From Haven to Conquest : Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948,* تحرير وتقديم وليد خالدى، بيروت ١٩٧١، الطبعة الثانيـة فى واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧، ٣ ـــ ٣٠، وعاموس إيلـون، *The Israelis : Founders and Sons, New York : Holt, Rinehart and Winston*، ١٩٧١، ص: ٢٨٠-٢٨٩، كـذلك *G. W. Bowersock, "Palestine: Ancient History and Modern Politics"*، فى *Journal of Palestine Studies*، العدد ٥٦، صـيف ١٩٨٥، ص: ٤٩-٥٧ والتى أعيد نشرها فى *Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question,* تحرير إدوارد سعيد وكريستوفر هتشنز، لنـدن، فرسـو، ٢٠٠١، ص: ١٨١-١٩١. كـذلك *Hershel Shanks, "Archaeology as Cultural Survival: The Future of the Palestinian Past"*، فى *Journal of Palestine Studies*، العدد ٢٣، ١٩٩٤، ص: ٧٠-٨٤. انظر أيضًا: *"Cultural Bias in the Archaeology of Palestine"*، فى *Journal of Palestine Studies*، العدد ٢٤، ١٩٩٥، ص: ٤٨-٥٩. كـذلك: *Yael Zerubavel, "Recovered Roots: Collective Memory and the Making of Israeli National Tradition"*، شيكاغو–لندن، نشر

جامعة شيكاغو، ١٩٩٥، ص: ٢٢-٣٦. وأيضًا: *F Palestine Zeru Bavel, recovered roots:*
نشر *collective memory and the making of Israeli National tradition, Chicago/London,*
جامعة شيكاغو، ١٩٩٥، ٢٢ـــ٣٦. *Howard Marblestone, « The Great Archiological*
Debate », نشرة الدراسات الإسرائيلية، ١٦:١ (نهايـــة ٢٠٠٠)، ٢٣،٩ وآمـــي دوكـــسر
مـــاركيوس، *The view from Nebo : How Archeology is Rewriting the Bible and*
Reshaping the Middle East, Boston, MA : Little, Brown, 2000 : Netty C. Gross,
« Demolishing David » , Jerusalem report, 11 september 2000, 40,6 ونادية أب
والحاج، *Facts on the Ground : Archeological Practice and Territorial Self-fashioning*
in Israeli Society, شيكاغو، دار نشر جامعة شيكاغو، ٢٠٠١. ويعقوب لوزوويك، *Right*
to exist : A Moral Defense of Israel's Wars, New York, Doubleday, 2003, 23-41
وجـــون كـــويجلي، *The Case for Palestine : An International law Perspective,* طبعـــة
محدثة ومنقحة، تحرير دورهام، *N.C.* لندن، دار نشر جامعـــة ديـــوك، ٢٠٠٥، الفـــصل ٨
وجاكوب لاسنر وس. إيلان تـــوين، *Jews and Muslims in the Arab World : Haunted by*
Pasts, Real and Imagined, Lanham Roulder Rowman and Little field, 2007, الفصل ٨،
ونـــور مـــصالحة، *The Bible and Zionism : Invented traditions, Archeology and Post-*
colonialism in Palestine- Israel, London/New York, Zed Books, 2007. ومـــن أجـــل
مشاكل المحاولات الأخيرة لإنشاء علاقة من خلال *DNA*، انظـــر *Diana Muir, Applbaum*
and Paul S. Appelbaum, « The Gene wars », Azur 27، شتاء ٢٠٠٧، دخول على الموقع
٢١ مارس ٢٠٠٨، *http://www.azure.org.il/Magazine/Magazine.asp?ID=347*.

(٨) *« History on the Line : Joseph Massad and Benny Morris Discuss the Middle East"*
فـــي *Joseph A. Massad, The Persistence of the Palestinian Question :* مقـــالات عـــن
الصهيونية والفلسطينيين، لندن، *Routledge* ٢٠٠٦، ١٦٣ ـــ ٥.

(٩) انظر إيلي قدوري، *« Religion and Politics » in the Chathem House Version and other Middle Eastern Studies, London, Weidenfeld and Nicolson, 1970, 317-50.*

(١٠)نجيب عزوري، *Le réveil de la nation Arabe dans l'asie turque...Partie asiatique de la question d'Orient et programme de la Ligue de la Patrie Arabe, Paris, Plon, 1905, 5,* مقتبسة من *Neville G. Mandel , The Arabs and Zionism befor World War I,* بيركلـــي، دار نشر جامعة لوس أنجلوس، كاليفورنيا، ١٩٧٦، ٥٢.

(١١) وكعينة لبعض الدراسات الأساسية والكلاسيكية عن الصهيونية، انظر *The Zionist Idea : A Historical Analysis and Reader,* تحريـــر وتقـــديم *Arthur Hertzberg, Garden City: Doubleday and Herzl Press, 1959,* والتى أعيد طبعها فى نيويورك: *Atheneum, 1969:* والتـــر لاكيـــر، *A history of Zionism, New York: Halt, Rinehart and Winston, 1972* والتي أعيد إصدارها فى نيويورك: *Schocken Books, 1989*، مع مقدمة جديـــدة للمؤلـــف: شلوم وافينيـــرى، *The Making of Modern Zionism: Intellectual origins of the Jewish State, New York: Basic Books, 1981; Amnon Rubinstein, From Herzel to Rabin: The Changing Image of Zionism, New York: Holmes and Meier, 2000.* ومن أجل بعـــض التحليلات الأخيرة والتفسيرات انظر: *Lozowick, Right to Exist, 42-9*

(١٢)*Mandel, "Arabs and Zionism"*، الفـــصلان ٩-١٠، و *Chaplan, "Futile Diplomacy I*، القصل الأول، و *N.J. Mandel, "Attempts at an Arab-Jewish Entente"*، ١٩١٤، *Middle Eastern Studies* (١٩٦٤-١٩٥٦)، ص: ٢٣٨-٢٦٧.

(١٣) وضمن الأدبيات الثرية عن العلاقات العربية - اليهودية فى الفترة الأخيرة العثمانية انظـــر *Amile Marmorstein, « European Jews in Muslim Palestine»* وذلك فى *Palestine and Israel in 19th and 20th centuries,* تحريـــر *Ily Kidouri and Sylvia G. Haim, London:*

Frank Cass, 1982 1-14; Yaacovro'i, « The Zionist Attitude to the Arabs, 1908-1914"
وذلك في المرجع الـسابق. ١٥ــــ٥٩ *Mandil, Arabs and Zionism ; Gerschon Shafir,*
Land, Labor and the Origins of the Israeli-Palestinian Conflict, 1882-1914,
كامبريدج/نيويورك: دار نشر جامعة كامبريدج، ١٩٨٩، تحرير محــدث، بيركلــي، لــوس
أنجلوس، دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٦، رشيد خالــدى، *Palestinian Identity : The*
Construction of Modern National Consciousness, New York :، دار نــشر جامعــة
كولومبيا، ١٩٩٧، الفصل الخامس.

(١٤) *Mandel, Arabs and Zionism, 76-92, 210-22 ; R. Khaledi, Palestinian Identity,* الفصل ٦.

(١٥) *Ahad Ha-Am (Asher Zvi Ginzberg), « Truth from Eretz Israel », ha-melitz, 19-30,*
يونيو ١٨٩١، والمترجم فــي *Alan M. Dowty, « Much ado about little : Ahad H'am's*
« Truth from Eretz Israel, Zionism and the Arabs" الدراســات الإســرائيلية، ٥:٢
(٢٠٠٠)، ١٥٤-٨١.

(١٦) *Theodor Herzl to Youssuf Zia al khalidi,* ١٩ مارس ١٨٩٩، مترجم وأعيد إنتاجه فــي
From Haven to Conquest, تحرير وليد خالدى، ٩١-٣، وانظر أيضًا المناقشة المطولــة
في *R.Khalidi, Palestinian Identity, 69-84.*

(١٧) *Yaacov Ro'i, « The Zonist Attitude to the Arabs, 1908-1914 », (1968),* وأعيد إنتاجــه
فــي *Palestine and Israel in 19th and 20th Centuries,* تحريــر *Kduri and Haim 15-59*
لكير، *History of Zionism,* الفصل ٥، *Alan Dwty, Israel/Palestine,* الطبعة الثانية، *Malden,*
MA/Cambridge. بريطانيا، *Polyty Press, 2008, 40-4.*

(١٨) انظر ضمن مئات من المنشورات الحديثة المجموعة المعنونة " *The Future of Palestine*
and Israel From Colonial Roots to Postcolonial Realities, تحرير إسلام فاروق علــي،
Midrand, جنوب إفريقيا: *Institute for Global Dialogue, 2007*

(١٩) *S.Ilan Troen, "De-judaizing the Homeland: Academic Politics in Rewriting the History of Palestine" Israel Affairs, 13:4 (2007), 872-84.*

(٢٠) *Jacob Talmon, Israel Among the Nations, London: Weidenfeld and Nicolson, 1970 ; Jacob Tsur, Zionism: The Saga of the National Liberation Movement, New Brunswick, Ng: Transaction, 1977; Conor Cruise O. Brien, The Siege: The Saga of Israel and Zionism, New York: Simon and Schuster, 1986.*

(٢١) *YoavGelber, "The history of Zionist Historiography: From Apologetics to Denial", In Making Israel*، تحرير بينى موريس آن أربور: دار نشر جامعة ميتجن، ٢٠٠٧، ٦٥.

(٢٢) *Dan Bar-on and Sami Adwan, « The Psychology of Better Dialogue Between two Israelis and Palestinian Narratives of* فى *Separate but Interdependent Narratives" conflict: History's double Helix.* تحرير روبرت روثبرج، *Bloomington, Indicnapolis,* دار نشر جامعة أنديانا، ٢٠٠٦، ٢٠٥ــ٢٤.

(٢٣) جورج أنطونيوس، *The Arab Awakening, London, Hamisch Hamilton, 1938, 361-412.* ومن أجل نظرة نقدية انظر ســيلفيا حــاييم، *« The Arab Awakening, A Source for the Historian ? » Die Welt des Islams, New Ser., 2 :4 (1953) 237-50* والذى ستتم مناقشته فى الفصل الحادى عشر من هذا الكتاب.

(٢٤) *Maxime Rodinson, « Israel: Fait Colonial? », Les Temps Modernes, 22 (1967) 253 Bis, 17-88* والذى أعيدت ترجمته مــؤخرا، *Israel : A Colonial Settler-State ?*، ترجمــة *David Thorstad,* تقديم *Peter Buch, New York : Anchor foundation, 1973.*

(٢٥) *From Haven To Conquest*

(٢٦)إدوارد سعيد، *The question of Palestine, New York : Vintage, 1980, 56-114 :* الطبعــة الثانية مع مقدمة جديدة وخاتمة، نيويورك، *Vintage, 1992.* وهناك تقديم أكثر فعالية وأكثر

حداثة فى التاريخ الفلسطينى تحت هذا الضوء يمكن أن نجده فى رشيد خالـــدى، *The Iron Cage : The story of the Palestinian Struggle for Statehood, Boston, MA, Bacon, 2006.*

(٢٧) *Massad, The Persistence of the Palestinian Question, 143, 152-3-161.*

(٢٨) *Troen, "De-Judizing the Homeland", 875.*

(٢٩) *Derek G. Penslar, Israel in History: The Jewish State in Comparative Perspective, London/New York, Routledge, 2007, 91* (الفصل ٥ عمومًـــا)، *Gelber, The History of Zionist Historiography", 64-9.* وانظـــر أيـــضًا: *Gerschon Shafir, « Zionism and Colonialism : A Comparative Apporach »* وذلك فـــى *The Israel/Palestine Question,* تحرير *Ilan Pappé, London/New York : rootledge, 1999, 81-96.* وغالبا فإن شافير يـــتم وضعه ضمن الاجتماعيين النقديين، وهو يتجه نحو تأييد النموذج الاســـتعمارى ولكـــن مـــع تحديدات معينة.

(٣٠) *Shared Histories : A Palestinian-Israeli Dialogue,* تحريرات *Paul Sham,* وليـــد ســـالم وبنيامين بوجروند، *Wallnotcreek, CA, Leftcoast press, 2005, 75-91.*

(٣١)انظـــر *« The Land Without A People » The Ironic Juxtaposition of Maps, (1)* والتـــى تظهر القـــرى الفلـــسطينية والمـــدن و(2) *The People Without a Land"* والتـــى تظهـــر المستعمرات الصهيونية الأولى فى وليد خالدى، *From the Haven to Conquest, 94-5.*

(٣٢)انظر كمثال الدليل المقتبس فى *Patai, The Seed of Abraham, 279-96.*

الفصل الرابع

العرب واليهود تحت الانتداب البريطانى
خندقة المواقع ١٩١٧-١٩٢٨

فى أواخر عام ١٩١٧، زحفت القوات البريطانية من قواعدها فـــى مـــصر مجتاحة مواقع الجيش التركى لتستولى على النصف الجنوبى من فلسطين إلى خـــط يقع شمالى القدس ويافا، وقد تمت السيطرة على الجزء المتبقـــى مـــن الأراضـــى المتنازع عليها فى فلسطين (إيريتز إسرائيل) فى هجوم لاحق خلال عـــام، وعلـــى مدار الثلاثين عاما التالية بدأ ما أصطلح فيما بعد على تسميته بالصراع العربـــى- الإسرائيلى؛ يبرز ويتفاقم ويرسخ داخل فلسطين تحت الحكم البريطانى، فخلال فترة الانتداب بدأ الخلاف بين جماعتين قوميتين فى التبلـــور وازدادت حدتـــه تـــدريجيا استنادا إلى تنافس وليد أشار إليه "نجيب عزورى" وغيره خلال فترة ما قبل الحرب.

جاء انعقاد مؤتمر السلام لعام ١٩١٩، فى فرساى، ليزيد من تعقيد الصراع الصهيونى- الفلسطينى ويساهم فى تشكيله فى آن واحـــد، ففـــى أعقـــاب الحـــرب العالمية الأولى حلت فى المناطق الشرقية من البحر المتوسط، بدلاً مـــن ولايـــات الإمبراطورية العثمانية التى ناهزت من العمر أربعمئة عام أو خرجت مهزومة من الحرب، دول ذات السيادة ومناطق متمتعة بحكم شبه ذاتى تم وضـــعها مـــن قبـــل عصبة الأمم الوليدة، تحت سلطة الانتداب للعديد من القوى المـــسيحية الأوروبيـــة،

لتظير خريطة جديدة للشرق الأوسط تُبين الانتداب الفرنسى على سوريا ولبنان، والبريطانى على العراق وفلسطين.

وسيركز هذا الفصل على دراسة آثار تسويات ما بعد الحرب، والحكم البريطانى على الصراع وأطرافه، ومن خلال التعرض للصراع المتطور خلال تلك الفترة سنعمل على بحث ثلاث مقولات جوهرية مثيرة للجدال أسهمت فى زيادة تعقيد الصراع واستعصائه على التسوية، وهى على وجه التحديد كما يلى:

١) هل قام البريطانيون بخلق أو مفاقمة الصراع بين الفلسطينيين العرب واليهود الصهاينة من خلال تفضيلهم طرفًا على الآخر؟

٢) هل مثلت احتجاجات ومطالبات القادة الفلسطينيين تعبيرًا شرعيًا عن شعور قومى فلسطينى أصيل؟

٣) هل حملت الصهيونية معها الضرر؛ أم المنفعة للسكان المحليين الفلسطينيين وللإقليم؟

تعهدات وقت الحرب.. أرض فلسطين الموعودة لأكثر من طرف:

وللتناول الصحيح لفترة الانتداب البريطانى؛ قد يكون من الضرورى العودة قليلا إلى الوراء لتتبع التعهدات والوعود التى قطعتها بريطانيا، وكان لها تأثير فى المطالب المتناقضة لكل من العرب والفلسطينيين والصهاينة لعقود مقبلة، فإزاء تحالف الإمبراطورية العثمانية مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى، سعت كل من بريطانيا، فرنسا، روسيا لدعم عملياتها الحربية بشبكة تحالفات دبلوماسية بُغية

توسيع دائرة مصالحهم ومناطق نفوذهم فى منطقة الشرق الأوسط، وكانت الإمبراطورية البريطانية سباقة فى تقديم ثلاث مجموعات من التعهدات فيما يتصل بالأوضاع بعد أن تضع الحرب أوزارها، ولقد كُتب الكثير حول "المسألة الشرقية" أو "المسألة العربية" والدوافع والمناورات التى قام بها جميع اللاعبين، وما يلى هو تبسيط لبعض هذه الموضوعات المعقدة.

تاريخيًا، يمتد التعهد الأول الذى تم تقديمه إلى المراسلات المتبادلة بين أمير مكة "الشريف حسين" (فى الحجاز التى أضحت فيما بعد المملكة العربية السعودية) والسير "هنرى مكماهون" المندوب السامى البريطانى فى القاهرة، ففى الفترة الممتدة من يوليو ١٩١٥ حتى مارس ١٩١٦ تم تبادل اثنتى عشرة مذكرة وخطابًا بينهما، الأمر الذى أسهم فى إعداد المسرح لإطلاق ثورة عربية مناهضة لتركيا بدأت فى يوليو ١٩١٦ بزعامة "الشريف حسين" ونجليه "عبد الله" و"فيصل"، الذين توقعوا فى المقابل المساندة البريطانية لحصول العرب على الاستقلال بعد هزيمة الأتراك العثمانيين[١]، وخلال الفترة نفسها كان ممثلون من كل من بريطانيا، وفرنسا، وروسيا القيصرية منشغلين بتقسيم الإقليم إلى مناطق نفوذ، سواء من خلال الحكم المباشر أو غير المباشر، بينهم. وتضمنت الخطط قيام "دولة عربية أو اتحاد كونفيدرالى بين دول عربية" تتقاسم فيه كل من فرنسا وبريطانيا النفوذ أو تطبيق نظام الحماية، ووفقًا لنصوص الاتفاقية المصنفة "سرى للغاية" التى استمدت اسمها من موقعيها البريطانى سير "مارك سيكس" والفرنسى "جورج بيكو" فى مايو ١٩١٦؛ تم وضع فلسطين تحت "إدارة دولية"[٢].

وقد جاء التعهد الثالث الذى تم تقديمه فى وقت الحرب، وهو الأكثر اتصالاً بموضوعنا، فى شكل تصريح بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ والذى وعد

بمساندة بريطانيا لـــ "وطن قومى لليهود" فى فلسطين، والذى يبرز ليس فقط الدور المهم الذى لعبته القوى الخارجية فى هذا الصراع، وإنما أضحى واحدًا من الوثائق المثيرة للعديد من النقاش والجدال التى شكلت مستقبل فلسطين وإسرائيل، على الرغم من أنه كانا نصًا قصيرًا تضمن فقط ٦٧ كلمة:

> **"تنظر حكومة جلالة الملكة بعين العطف لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وستستخدم كل إمكانياتها لتسهيل تحقيق هذا الهدف، ومن المفهوم تمامًا أن شيئًا لن يتم الإقدام عليه من شأنه المساس بالحقوق الدينية والمدنية للمجتمعات غير اليهودية فى فلسطين أو الحقوق والوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى دولة أخرى".**

وقد تم توجيه هذا القرار الحكومى فى شكل خطاب مقتضب من وزير الخارجية "آرثر بلفور" إلى اللورد "والتر روتشيلد" رئيس الاتحاد الصهيونى البريطانى.

تضافر خليط من اعتبارات السياسة الواقعية والمشاعر الدينية؛ لدفع أعضاء الحكومة البريطانية إلى التعاطف مع الجهود المتوالية والمبذولة من قبل جماعات الضغط المشكلة من القيادات الصهيونية، وتضمنت الاعتبارات السياسية الرغبة فى الحصول على المساندة اليهودية الدولية سواء للعمليات الحربية البريطانية أثناء الحرب أو لمصالحها فى أعقابه، وقد تشابك ذلك مع المعتقدات الدينية للعديد من الساسة ذوى النفوذ، التى ولدت لديهم قراءاتهم فى نبوءات التوراة تعاطفًا مع تطلعات الشعب اليهودى المشتت للعودة إلى الحياة فى بلاد أجداده. وكانت الصياغة النهائية لإعلان بلفور محل صياغات متعددة خلال الشهور الخمسة التى سبقت صدوره، وإذا ما نحينا جانبًا بعض مظاهر الشعور بالإحباط فيما يتصل باختيار

كلمة "إقامة" بدلاً من "إعادة بناء" (التى كان من شأنها الاعتراف بحق وجد مسبقًا لليهود للعودة)، نظر الصهاينة إلى إعلان التأييد الصادر عن قوة عظمى على أنه إنجاز كبير لحركتهم(٣).

مثلت العبارات الغامضة التى كشفت عما أصبح يعرف فيما بعد على أنه "الالتزام المزدوج" من جانب بريطانيا، أكثر النقاط إثارة للجدال على المدى البعيد؛ فالالتزام الإيجابى للصهاينة كان مشروطًا بتوصية سلبية تتعلق بعدم الإضرار بالحقوق الدينية والمدنية لسكان فلسطين المحليين، وقد تضمنت هذه التركيبة تناقضات وعدم توازن داخلى، كان سببًا إضافيًا من أسباب رفض الفلسطينيين والقوميين العرب للإعلان، ومن بينها الإشارة إلى السكان المحليين على أنهم "غير اليهود" وليس باعتبارهم "عربًا" أو"فلسطينيين"، فضلاً عن أن الحماية التى نص عليها الإعلان اقتصرت على "حقوقهم المدنية والسياسية" ولم تشمل تلك السياسية والوطنية(٤).

تناول العديد من الكتابات لشرح العلاقة بين هذه التعهدات الثلاثة إذا ما تم أخذها معا، وعمّا إذا كانت تحظى بتناغم فيما بينها فى هذه الحالة، كذلك طرحت التساؤلات حول ما إذا كانت بريطانيا تعتقد حقًا فى قدرتها على الوفاء بكل هذه الوعود، وعلى حين تعامل معظم الكتاب مع التعهدات التى تم قطعها وقت الحرب باعتبارها الأساس وراء اعتبار أن فلسطين/إسرائيل جرى "الوعد بها مرتين" أو أنها الأرض التى "وعد بها كثيرًا"(٥)، نفى بعض آخر أن تكون هذه التعهدات المتشابكة متعارضة بالضرورة، مشيرون إلى أنها كانت تطبيقًا للممارسات الدبلوماسية التقليدية القائمة على حسابات إمبريالية وقتية(٦).

وقد كان من شأن هذا السلوك البريطانى الإسهام فى خلق مشاعر استياء من الإمبريالية بين العرب (بعد حالة من المساندة المبدئية) من جانب، وحالة من عدم الثقة والشك العميق بين اليهود من جانب آخر. فلقد دفع القوميون العرب بأن بريطانيا، على الرغم من تأكيداتها المتعاقبة، خانتهم لعدم قيامها بتنفيذ الوعود التى قطعتها وفقًا لمراسلات مكماهون/حسين بالاعتراف باستقلال العرب فى مناطق محددة تشمل فلسطين؛ ومن جانبهم ادعى البريطانيون أن المنطقة التى صارت تحت الانتداب فى فلسطين قد تم استبعادها من الوعد الخاص بالاستقلال للعرب، وكانت المحاولات التى جرت لتقديم توضيح رسمى للالتزامات المتصلة بالأرض التى قدمها سير "مكماهون" (المائدة المستديرة التى عقدت فى قصر سان جيمس أوائل عام ١٩٣٩) غير مقنعة، بل إنه حتى اليوم ما زال الباحثون منقسمين حول وضعية هذه المراسلات وحقيقة الوعود (أوالنفاق اللغوى) البريطانى للعرب[٧]، إلا أن هناك شيئًا واحدًا مؤكدًا؛ أن هذه الوعود المتناقضة خلال الحرب قد أدت إلى خلق توقعات مبالغ فيها ومتناقضة لدى كل من العرب، الفلسطينيين، الصهاينة على السواء، الأمر الذى فاقم من التوترات القائمة والشكوك المتبادلة.

الالتزام البريطانى المزدوج:

سعت بريطانيا فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الأولى مباشرة إلى تحقيق مصالحها فى الإقليم، مع إشباع الحد الأدنى من بعض مطالب حليفتها فرنسا، وعملائها الجدد العرب والصهاينة، فخلال العام الذى شهد انعقاد مؤتمر باريس للسلام على سبيل المثال، أدى المسعى البريطانى لتحقيق التناغم بين هذه العناصر المتضاربة إلى خلق حالة من التوافق تم التوصل إليها عبر وساطة

شخصيات رسمية من قبيل الكولونيل "ت.آى.لورنس" (لورانس جزيرة العرب) بين كل من الأمير "فيصل" الذى اعتلى (مؤقتًا) عرش دمشق، والدكتور "حاييم وايزمان" ممثلا للمنظمة الصهيونية العالمية، وقد تمخضت جهود التوفيق هذه عن توقيع اتفاقية مهمة، لكنها لم تر النور جزئيًا نتيجة الإصرار الفرنسى على حكم دمشق وخلع الأمير فيصل إثر تنصيبه ملكًا على سوريا عام ١٩٢٠[٨]، كذلك اتخذ اعتراف بريطانيا، وإن كان بشكل جزئى، بالتعهدات التى قطعتها خلال الحرب للملك حسين، شكل إيجاد عروش لوليده خلال عام ١٩٢١: فيصل (العراق)، وعبد الله (شرق الأردن).

وخلال هذه الفترة، تمسك العرب، والفلسطينيون، والصهاينة (كما هى الحال بالنسبة لمؤيديهم اليوم) بتفسيرات مختلفة لدور بريطانيا ومسئوليتها، وكما سبق إيضاحه أدى عدم تحقيق آمال القوميين العرب بالحصول على الاستقلال بعد نهاية الحرب إلى حالة من المرارة بين صفوفهم؛ وبدت لهم وضعية الانتدابات الجديدة وكأنها توسعات استعمارية مقنعة أو مجرد تعديلات شكلية على الحكم الاستعمارى، وقد رفض معظم العرب شرعية إعلان بلفور وشروط الانتداب (انظر ما يلى) التى استندت إلى تعهدات بريطانية، وفضلاً عن شعورهم بالإحباط وخيبة الأمل من عدم تحقق الاستقلال غداة الحرب. اعتبر القوميون العرب الدور البريطانى شائنًا وضارًا بحقوقهم ومصالحهم، سواء فيما يتصل بأثره الاستعمارى الواسع فى حجب الاستقلال العربى أو فى تطبيقه الخاص بفلسطين عبر بنود الانتداب التى تشجع إنشاء وطن قومى لليهود، وقد انعكس هذا التوجه فى جميع التظلمات الرسمية، والمذكرات، والإعلانات التى صدرت عن الزعماء الفلسطينيين المعترف بهم- المؤتمر الفلسطينى العربى ولجنته التنفيذية العربية- فى العشرينيات، واللجنة العربية العليا ابتداء من عام ١٩٣٦.

تضمنت كتابات المحللين والباحثين هذه النظرة النقدية للدور البريطاني، ومن أوائل الأمثلة على ذلك الدكتور جورج أنطونيوس فى كتابه (يقظة العرب) الصادر عام ١٩٣٨، ولقد لخص منهج دراسى حديث تجريبى للمدرسة العليا للطلبة العرب والإسرائيليين فى الرواية الفلسطينية التى تعكس هذه النظرة النقدية للدور البريطانى على النحو التالى:

"وجدت الإمبريالية البريطانية فى الصهيونية الأداة المثلى لتحقيق مصالحها فى المشرق العربى ذى الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للإمبراطورية، وبالمثل استغلت الصهيونية الطموحات الاستعمارية لبريطانيا لكسب تأييد دولى والحصول على موارد اقتصادية لتحقيق مشروعها الخاص بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وقد نتج عن هذا التحالف للإمبريالية البريطانية والصهيونية... إعلان بلفور... وهو مثل صارخ للسياسة البريطانية القائمة على الاستيلاء على أرض وموارد أمة أخرى ومحو هويتها، إنها سياسة قائمة على العدوان والتوسع وقمع التطلعات للتحرر الوطنى... وبالنسبة للفلسطينيين؛ فإن عام ١٩١٧ كان الأول من بين العديد من الأعوام التى عمتها الأحزان، والحروب، والكوارث، والقتل، والتدمير، والتشريد.(٩)"

ولا حاجة للقول بأن تقييم الصهاينة وإسرائيل للدور البريطانى كان مختلفاً، فقد عبر قادة الصهيونية آنذاك عن عرفانهم بالجميل لبريطانيا؛ باعتبارها أول القوى الكبرى التى تعترف بمطلب الشعب اليهودى بالعودة وإعادة بناء وطنه

القومى فى فلسطين، كما شعروا أكثر بالارتياح نتيجة الدعم الذى أبدته قوى غربية أخرى، سواء فرادى أو مجتمعين من خلال تبنى عصبة الأمم لشروط الانتداب على فلسطين، كما يوجز المنهج الدراسى التجريبى المشار إليه عاليه الرواية الصهيونية حول موضوع الإسهام البريطانى على النحو التالى:

"وُلدت الحركة الصهيونية فى التجمعات الرئيسية للسكان اليهود فى أوروبا، وتمثل هدفها فى عودة الشعب اليهودى إلى أرضه، ووضع نهاية لوضعه غير العادى بين أمم العالم ... والمرة الأولى التى عبرت فيها دولة عن تأييدها للصهيونية كانت فى خطاب وجهه اللورد بلفور...تضمن تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومى لليهود على أرض إسرائيل"(١٠).

ويلاحظ على هذه الرواية تركيزها على منح الدور الرئيسى لليهود أنفسهم، فى حين تم إسناد الدور الثانوى لبريطانيا، ويتماشى هذا مع التغيير الذى لحق بالسياسة والأطروحات للصهاينة فى الفترة التى تلت عام ١٩٢١ من خلال تقديم أنفسهم كطرف مضطهد كان عليه دائمًا التعامل مع وعود بريطانية لم يتم الوفاء بها، ودعم فاتر على أرض الواقع، وميل ظاهر تجاه العرب فى السلوك البريطانى.

وقد مثل تأسيس إمارة شرق الأردن على أجزاء من الأراضى الفلسطينية شرق نهر الأردن منتصف عام ١٩٢١ (فى إطار عملية تأسيس عرش لعبد الله نجل حسين) نقطة تحول مهمة، فاستبعاد هذه المنطقة من تطبيق بنود الانتداب الخاصة بالوطن القومى اليهودى مثَّل، بالنسبة للكثيرين من الصهاينة، خيبة أمل عظمى، واعتبره أتباع الزعيم اليهودى "فلاديمير جابوتنسكى" "خيانة" بريطانية، و"أول تقسيم" لوطنهم القومى المرتقب(١١).

وخلال السنوات التالية؛ أرسل ممثلو الصهيونية شكاواهم ومظالمهم إلى لندن وعصبة الأمم، متهمين الإدارة البريطانية فى فلسطين بعدم الأمانة فى تنفيذ السياسات التى يتوقعون لها الإسهام فى نمو الوطن القومى لليهود، وقد تم التعبير عن هذا التوجه بطريقة معتدلة ومهذبة من قبل التيار الرئيسى فى الحركة الصهيونية، إلا أن الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين شهدت ظهور تعبيرات أكثر راديكالية (أحيانًا معادية للاستعمار) بل وأعمال عنف قامت بها الجماعات المنشقة من قبيل "أرجون زفاى لومى" (الأرجوان) وجماعة "سترن" (لوهامى هروت إسرائيل)(١٢)، وبرزت الانتقادات الصهيونية لبريطانيا بالخيانة فى الكتابات والمذكرات(١٣)، ومن الأمثلة على ذلك، مذكرات "مناحيم بيجين" (الثورة) اتهامات واسعة النطاق ومبالغ فيها - إذا ما تم التدقيق فى التاريخ بدقة وعناية- من بينها العداء والنفاق البريطانى تجاه اليهود، ووجود "مخطط" أو "خطة رئيسية" للسيطرة على فلسطين:

> **"سيقوم العرب، إذا ما لزم الأمر، بالتمرد ضد "الغزو الأجنبى"؛ وسيظل اليهود إلى الأبد مجرد أقلية مهددة، وهو ما يعنى أن كلا الطرفين سيحتاج للحماية العسكرية... وستكرر هذه الدائرة على الدوام، وقد تم تشجيع العرب، أحيانًا بطريقة صريحة، على تنظيم هجمات على اليهود، الأمر الذى يعقبه وصول لجان تحقيق تقوم بإعداد تقارير، ويصدر فى أعقابها كتاب أبيض يتم بموجبه وقف الهجرة أو تقييدها إلى مستوى لا قيمة له"(١٤)**

وحتى اليوم، يمكن للمرء أن يجد فى المواقع الإلكترونية "العمل المسيحى لصالح إسرائيل" سلسلة من الأعمال الموجهة ضد اليهود خلال فترة الانتداب فى

إطار مؤامرة تحريضية يتم نسبها إلى بريطانيا(١٥). ومما سبق تظهر ملامح موقف لم تنجح فيه بريطانيا، التى أدت مساعيها لتنفيذ "التزامها المزدوج" وفقًا لشروط الانتداب إلى إشاعة الإحباط لدى طرف أو آخر، وغالبًا كلاهما؛ فقد كان من المستحيل عليها أن تُرضى كلاً من مشاعر الخوف والاعتراض المتكررة ومظاهر المقاومة من قبل الأغلبية العربية من جانب، وشكاوى الصهاينة المتكررة من عدم وفائها بالوعود التى قطعتها لمساندة مشروعهم من جانب آخر. وقد تشابكت هذه الآراء المتناقضة حول الدور البريطانى مع أسانيد وحجج أخرى، من بينها على سبيل المثال التساؤل عما إذا كان الصهاينة عائدين إلى بلادهم أم غزاة لبلاد الآخرين؟ هل كانت الاعتراضات الفلسطينية أصيلة أم مصطنعة؟ وفى حين أن هذه المقولة الجوهرية الثالثة لا تبدو، مثل المقولتين السابقتين اللتين سبق تناولهما (انظر: الفصل الثالث)، صعبة على الفهم، فإن الرؤى المختلفة حول طبيعة الدور البريطانى أسهمت فقط فى إضافة المزيد من الزيت على النار.

وفى الجزء الباقى من هذا الفصل؛ سنرى المزيد من الدلائل على كيفية انعكاس هذه الاختلافات على أنماط العلاقات الفلسطينية- اليهودية- البريطانية خلال فترة الانتداب، وهو ما سيقودنا إلى التعرض للمقولتين الجوهريتين الرابعة والخامسة: هل كانت معارضة القومية الفلسطينية للصهيونية أصيلة تستند إلى مظالم حقيقية، وهل جلبت الصهيونية معها الضرر أم النفع للسكان المحليين الأصليين؟

تطبيق الانتداب.. حلقات من الاحتجاجات ولجان التحقيق:

فى الإطار الأوسع لخيبة الأمل العربية عمومًا، إثر تسويات ما بعد الحرب التى شهدت تقسيم الشرق الأوسط لمناطق نفوذ فرنسية وبريطانية، تحت نظام الانتداب، قام عرب فلسطين الذين كانوا فى السابق منخرطين فى الجهود القومية الهادفة للحصول على الاستقلال، بتغيير محور تركيزهم فى الفترة التالية مباشرة

للحرب ١٩١٨-١٩٢١؛ من الكفاح القومي العربى إلى نموذج محلى أكثر خصوصية للقومية الفلسطينية- العربية، فمع تلاشى الآمال فى تضمين فلسطين (باعتبارها سوريا الجنوبية) فى كونفيدرالية عربية بقيادة الأمير "فيصل" فى دمشق، ركزت القيادة الفلسطينية على التصدى للبرنامج الصهيونى فى فلسطين ذاتها، وهو البرنامج الذى كان من شأن وضعه موضع التنفيذ أن يُغلق الباب نهائيا أمام إمكانية قيام دولة عربية مستقلة هناك[١٦].

شأنه فى ذلك شأن الجماعة اليهودية المنافسة؛ عمل المجتمع الفلسطينى، بدءًا من عام، ١٩٢٠، على تأسيس "دولة داخل الدولة"، وقد تشكل الجهاز السياسى الفلسطينى فى بداياته من مؤسستين رئيسيتين هما: مؤتمر فلسطين العربى المكون من الجمعيات المحلية الإسلامية والمسيحية، والمجلس الإسلامى الأعلى. وقام المؤتمر الفلسطينى العربى بانتخاب لجنة تنفيذية عُرفت باسم اللجنة العربية التنفيذية تم من خلالها تمثيل كل أطياف الروابط العائلية والإقليمية والدينية، وحتى منتصف الثلاثينيات كانت اللجنة بمثابة المدافع الرئيسي عن المصالح الفلسطينية فى اللقاءات مع المسئولين البريطانيين، كما قامت بإرسال وفود إلى كل من لندن وجنيف لهذا الغرض[١٧].

ومنذ عام ١٩٢٠؛ بدا كل من العرب والصهاينة منحصرين فى أنماط متكررة من الشكاوى لمسئولى المستعمرات البريطانية، سواء فى فلسطين و/أو لندن، من السلوك العدوانى أو غير المبرر للطرف الآخر، وكذلك من المعاملة غير العادلة التى يلقونها من السلطات مقارنة بما يحصل عليه الطرف الآخر، وحتى التطورات غير المهمة أو الرمزية سرعان من كان يتم إضفاء الصبغة القومية عليها فى ظل سعى كلا الطرفين لتثبيت موقعه تجاه الآخر، ومن قبيل ذلك القرار البريطانى بالاعتراف بالعبرية كإحدى لغات التعاملات الرسمية الثلاث فى البلاد، وفى سك العملة والطوابع البريدية.

تم وضع فلسطين تحت الانتداب بوثيقة قانونية دولية تضم ٢٨ مادة؛ جــرى التصديق عليها منتصف عام ١٩٢٢، دخلت حيز التنفيذ بعد عام، وقــد تــضمنت الوثيقة حالة الغموض والتناقض التى بُنى عليها تصريح بلفــور؛ بــل وتــضمنت المقدمة والمواد ٤،٢،٦ فقرات أكثر انحيازًا للصهاينة مما ورد فى التصريح ذاتــه، وبصفة خاصة اعتراف المقدمة بـــ "الروابط التاريخية للشعب اليهــودى بفلــسطين والأسس لإعادة بناء وطنهم القومى فى هذه البلاد"، وقدمت الوثيقة للأطراف الثلاثة بشكل ما من أشكال "الدستور"، يُحدد التزامــات ومــسئوليات بريطانيــا، كــسلطة انتداب، تجاه كل من اليهود والسكان المحليين، ومن ثــم أضــحت الوثيقــة نقطــة مرجعية للمسئولين من قيادات الطرفين لتقديم شكاواهم الرسمية.

وطوال فترة الحكم البريطانى، رفض ممثلو الــشعب الفلــسطينى شــرعية الانتداب ذاتها؛ باعتبارها خرقًا لأجزاء من المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم، كمــا أوضحوا أن أحكام الانتداب المتصلة بالوطن القومى اليهودى تتناقض مــع مبــادئ تقرير المصير والتعهدات التى وردت فى تصريحات بريطانية أخــرى، ومبــادئ الرئيس "ودرو ويلسون الأربعة عشرة" وتقرير لجنة كينج كــرين فــى أغــسطس ١٩١٩[١٨]. وعلى مدار الأعوام التالية؛ ســعى البــاحثون فــى القــانون الــدولى والمعلقون السياسيون بمهارة تحليلية للدفاع عن المواقف الفلسطينية أو الصهيونية، وكأن الأمر يجرى فى ساحة القضاء، سواء لإثبات أن تــصريح بلفــور ووثيقــة الانتداب على فلسطين تفتقد إلى الشرعية أو أنها، على العكس مــن ذلــك، مثلــت ممارسات شرعية وفقًا للقانون الدولى (الأوروبى) والدبلوماسية الدولية[١٩].

وعلى الرغم من الاحتجاجات الفلسطينية، فقد تم إقرار الانتداب ودخل حيــز التنفيذ، وتولت بريطانيا بموجبه مهمة إدارة فلــسطين، بــشكل يقــارب الوضــع

لمستعمرة للتاج البريطاني، وإن كان ذلك وفقًا "لالتزام مزدوج": أن تشجع قيام الوطن القومي اليهودي، وفي الوقت ذاته إعداد سكان البلاد لوضعية الحكم الذاتي والاستقلال، وكان على بريطانيا تقديم تقارير سنوية للّجنة الدائمة للانتداب في عصبة الأمم، والتي أضحت بدورها ملتقى للممثلين عن كل من الفلسطينيين العرب والصهاينة.

وطوال فترة الانتداب ظلت القضايا الخلافية ثابتة دون تغيير يذكر وعلى وجه التحديد: الهجرة اليهودية، بيع الأراضي لليهود، إنشاء مؤسسات للحكم الذاتي، وعلى حين طالب الممثلون العرب بتقييد أو إلغاء النقطتين الأولى والثانية، متمسكون بتطبيق الثالثة (وفقًا لما نصت عليه المادة ٢ من وثيقة الانتداب)، طالب ممثلو الصهاينة بتأييد تنفيذ النقطتين الأولى والثانية (كما تم إيضاحه في المادة الثانية وغيرها من نصوص الوثيقة) بدعوى أن ذلك سيحقق منافع وتقدمًا للبلاد ولكل سكانها، وفي المقابل فإنهم سعوا للضغط في اتجاه معارض للخطوات التي من شأنها تقريب البلاد من الحكم الذاتي الديمقراطي، انطلاقًا من حقيقة أنه تلبية لرغبة السكان المحليين يجب ألا تبرر تجاوز الهدف المنصوص عليه والمتصل بإنشاء وطن قومي يهودي.

وبالنظر لفترة الانتداب إجمالاً؛ نلاحظ أن النمط التالي كرر نفسه باستمرار على فترات مختلفة:

- صدور إجراء إداري تنفيذًا لأحد أوجه البرنامج الصهيوني (على سبيل المثال تقديم جدول حكومي جديد للهجرة، أو لشراء الأراضي وبناء مستوطنة يهودية جديدة سواء من قبل السلطات أو شخص أو هيئة يهودية استنادًا إلى ترخيص حكومي).
- تعبير الفلسطينيين عن عدم رضائهم عن هذه الإجراءات التي يرونها غير عادلة وتدعم المصالح الصهيونية على حسابهم.

- تحول هذه الشكاوى، مع تراكم الشعور بالإحباط وغيرها من الأحداث المثيرة، بشكل دورى إلى أعمال عنف ضد الصهاينة و/أو الإدارة البريطانية.
- لجوء البريطانيين لإجراءات بوليسية أو عسكرية لإعادة النظام واحترام القانون، ثم النظر فى اتخاذ خطوات سياسية (ضئيلة) للتعاطى مع شكاوى الفلسطينيين.
- تكليف لجنة تحقيق بجمع الأدلة وتقدم التوصيات (غالبا فى شكل كتاب أبيض) لاتخاذ خطوات مُسكِّنة تهدف إلى حل الشكاوى الفلسطينية الأكثر إلحاحًا.
- تعبير الجانب الصهيونى عن تذمره من طريقة تعامل البريطانيين مع الشكاوى الفلسطينية.
- شكوى الفلسطينيين من عدم مناسبة أو/ والنفاق المتضمن فى الحلول البريطانية المقترحة، و/أوقدرة الطرف الصهيونى على الالتفاف عليها، أو التخطيط لتوصيات تمهد لتغييرات فى السياسة البريطانية فى فلسطين.

المصادمات والمواجهات خلال السنوات الأولى للانتداب:

يمكن رصد هذه الدائرة (احتجاج/ لجنة/ توصية) فى فترات اندلاع العنف فى أبريل ١٩٢٠، مايو ١٩٢١، أغسطس١٩٢٩، أبريل ١٩٣٦.. ففى الحالة الأولى أسفرت ثلاثة أيام من الشغب الموجه ضد اليهود فى القدس خلال فترة تقاطعت فيها الاحتفالات الدينية بأعياد النبى موسى، القيامة، الفصح.. عن سقوط خمسة قتلى و ٢١١ جريحًا من اليهود، وأربعة قتلى عرب و٢٥ جريحًا (معظمهم من الشرطة البريطانية). وقد أسهمت الأخبار الواردة آنذاك من سان ريم عن أنه سيتم إيكال مهمة الانتداب على فلسطين إلى بريطانيا، وكذلك الاحتجاجات التى تم خلالها رفع صورة "فيصل" باعتباره "ملك سوريا وفلسطين" فى تأجيج التوترات السياسية والدينية السائدة آنذاك؛ وتمثل رد فعل القيادات الصهيونية على ذلك فى تقديم

الأحداث على أنها "مذبحة"، وانتقاد "قلة من مثيرى الشغب العرب"، فـضلاً عـن توجيه اتهام صريح للإدارة البريطانية بالتواطؤ وتشجيع مثيرى الشغب من خـلال عدم المبالاة وإظهار العداء تجاه اليهود، وقد أعقب ذلك تحقيـق عـسكرى (لجنـة بالين) ركز على جوانب القصور من قبـل الإدارة العـسكرية البريطانيـة (التـى استُبدلت بعد فترة قصيرة بأخرى مدنية) فى الحفاظ على الأمن والنظام[٢٠].

وفيما يتصل بأعمال الشغب التى اندلعت فى القدس عام ١٩٢٠، وما تلاهـا من اعتقال "فلاديمير جابوتنسكي" وغيره من اليهود المتورطين فى محاولة تـشكيل عصابات دفاع يهودية مسلحة، فإنها مثلت نقطة تحول مهمة فى المناقشات الـدائرة آنذاك بين القادة الصهاينة حول قضية تكوين ميليشيات لحماية اليهود من هجمـات العرب، وفى ديسمبر من العام نفسه أقدم "الهستدروت" (الاتحاد العام للعمال اليهود فى فلسطين صاحب القوة والنفوذ) بوضع أسس تشكيل "الهاجاناة" (الدفاع)، كقـوة يهودية شبه عسكرية سرية تحولت عام ١٩٤٨ لتصبح قوات الـدفاع الإسـرائيلية، ولقد استعانت "الهاجاناة" فى بنائها لنفسها بالخبرات الـسابقة وبكـوادر منظمـات المراقبة التى تم تشكيلها فى الفترة التـى سـبقت مرحلـة عـام ١٩١٤ لحمايـة المستوطنات اليهودية البعيدة، وخضع قادتها وتمويلهـا لمـساءلة ورقابـة القيـادة السياسية للمستوطنات، كما أن عناصرها عملوا فى سكون وبموافقة بريطانية ضمنية[٢١].

وفى مايو ١٩٢١، وفى ظل إدارة مدنية جديـدة بقيـادة الـسير "هربـرت صمويل"، قام العرب بشن هجوم على اليهود فى يافا والمستوطنات فـى المنـاطق المجاورة لها، وإثر مناوشات بين فصيلين فى استعراضات لاحتفالات شهر مـايو فى ضواحى تل أبيب، وقعت أعمال سلب ونهب و"مطاردة لليهود فى يافا"، سرعان ما امتدت لأماكن أخرى وشملت فندقًا يأوى المهاجرين اليهـود الجُـدد، وبلغـت

حصيلة ستة أيام من الهجمات المتقطعة خمسين قتيلاً يهوديًا و ١٥٠ جريحًـــا، وقـــد أعقب هذه الأحداث توجيه القادة الصهاينة انتقادات للتراخى البريطانى فى حمايـــة اليهود، كما أبدوا قلقهم العميق إزاء قرار المندوب السامى وقف الهجـــرة مؤقتًـــا، وهى الخطة التى كانوا يخشون أن تمثل سابقة سياسية تقود إلى تكريس فيتو عربى واقعى على جهود التقدم نحو تحقيق الوطن القومى اليهودى.

فى شهادتهم أمام لجنة التحقيق التى ترأسها كبير قـــضاة محكمـــة فلـــسطين العليا، السير "توماس هاكرفـــت"، ركـــز المتحـــدثون باســـم الـــصهاينة وقـــاطنى المستوطنات على الدور الملىء بالضغينة الذى لعبه الدهماء العـــرب[٢٢]، ومثيـــرو الشغب، والعملاء الأجانب.. وحقيقة الأمر؛ فإن الملخـــص الـــذى أعدتـــه اللجنـــة لمضمون هذه الشهادات يستحق الاقتباس؛ حيث إنه يمثل خطًا للنقاش والجدال تـــم استخدامه مرارًا طوال فترة الانتداب:

"لقد أفادنا الشهود اليهود بأنه لم تكـــن هنـــاك بـــشكل رئيسى قضية خاصة بمعاداة اليهود فى ذلك الوقـــت (مـــايو ١٩٢١)، وإنما تم التخطيط لحركة مناهضة لليهود من قبـــل أشخاص، مدفوعين بالرغبة فى تـــشويه ســـمعة الحكومـــة البريطانية، عملوا على نشر الـــسخط وإثـــارة الاضـــطرابات وزعزعة السلام، من خلال استثارة عامة الشعب ضد اليهود، وقد سعى الشهود إلى إيضاح أن مجمل المتاعب يرجع إلـــى الدعاية التى تمارسها قلة تأسف على رحيل النظام الـــسابق، نتيجة لقيام الإدارة البريطانيـــة بوضـــع نهايـــة للامتيـــازات وفرص الكسب التى تمتعوا بها فى الـــسابق... ولقـــد جـــزم

الشهود بأن الصهيونية ليست لها أدنى صلة بالمشاعر المعادية لليهود التى وقعت فى يافا".

وفضلاً عن رفض "لجنة هاكرافت" لهذا التفسير، فإنها أوضحت أن "المشاعر ضد اليهود أصيلة للغاية، ومنتشرة على نطاق واسع، وعميقة للغاية، حيث لا يمكن الركون إلى التفسير السطحى المشار إليه عاليه".

ومن شأن هذه اللقطة السريعة أن تقدم مثلاً مبكرًا على الحجة المتكررة المتصلة بأصالة القومية الفلسطينية ومدى معارضتها للصهيونية، وهى من بين المقولات الجوهرية الإحدى عشرة التى يتناولها هذا الكتاب، وتجعل من الصراع موضع جدال شديد. فخلال فترة الانتداب ذاتها، وبعد ذلك فى الكتابات الأكاديمية، روج العديد من أنصار الصهيونية لفكرة أن العرب المقيمين فى فلسطين لم يكونوا حقا معارضين لمجيء اليهود، سواء لعدم وجود رابطة بينهم وهذه البلاد، أو لأن الجميع كان على دراية بأن الصهيونية ستعود بالنفع على السكان المحليين.

ردود فعل الصهيونية إزاء المعارضة العربية- الفلسطينية:

كما سنرى فيما بعد، كان من الصعب على أولئك الموجودين على الأرض فى فلسطين؛ ألا يلاحظوا المظاهر المتتالية للتعبير عن المعارضة الفلسطينية- العربية للصهيونية، ولكن كيف تعامل قادة مظاهر القلق والاحتجاج بل والمقاومة الفلسطينية؟ لقد ذهب بعض إلى القول بأن الرواد الصهاينة الأوائل، إما بسبب التعجرف وإما السذاجة، لم يروا الذين كانوا غير مرئيين أو جزء محايد من المشهد على أرض الواقع، وإذا كان من الممكن تصديق القول بأنه، فى بعض النقاط، كانت شكاوى الفلسطينيين "مسألة غير مرئية" للعديد من اليهود فى المستوطنات،

فإن هناك دلائل قوية على أن عدم إثارتها فى العلن كان نتاج قرار رواعٍ ذى طـابع تكتيكى. لذلك فإنه وراء الأبواب المغلقة، وعلى الرغم من الإدانات العلنيـة لمـن أُطلق عليهم مثيرو الشغب والتحدى لمصداقية المحتجين الفلسطينيين، انشغل اليهود والصهاينة، بشكل دورى، فى عملية تفكير ذاتى ونقاشـات داخليـة حـول كيفيـة التعامل مع الرفض العربى.

أفرزت عمليات التقييم مجموعة واسعة من التفسيرات ووسائل التعاطى مـع المعاداة التى يواجهها الصهاينة[٢٣]، وحقيقة الأمر فإن الأغلبية العظمى من اليهـود والصهاينة– مدفوعون بالسعى والحاجة لوطن قومى فى فلسطين ومتأثرون بإيمانهم بشرعية مطلبهم الذى يحظى فى الوقت ذاته باعتراف دولي– لم يكونـوا قـادرين على، أو راغبين فى قبول أو تفسير اضطرابات عامى ١٩٢٠، ١٩٢١ على أنهـا مظاهر حقيقية لمخاوف وقلق فلسطينى مشروع[٢٤]. وبالنظر إلـى الـوراء؛ فـإن المرء قد يميل إلى التوصل إلى نتيجة مفادها أن الردود العلنية عكست نوعًـا مـن الإنكار سواء لخدمة الذات أو حتى لخداعها. وفى المقابل، توصل عدد قليـل مـن القادة الصهيونيين وقاطنى المستوطنات إلى نتيجة مفادها أن المقاومـة الفلـسطينية للصهيونية كانت رد فعل طبيعى وحقيقى (وليست ظاهرة مصطنعة أو وقتية)، وقد دفع ذلك بعضًا منهم إلى استنتاج مؤلم مؤداه أنه لـسوء الحـظ أن هـذا الـرفض يتعارض مع، وربما يفضى إلى سد الطريق أمام تنفيذ البرنامج الصهيوني، الأمـر الذى أفرز بدوره مجموعة من النتائج؛ حيث ذهبت أقلية داخل هذه الأقلية إلـى أن الحلم الصهيونى لا يمكن تحقيقه ويجب التخلى عنه، وقد تحول هؤلاء الأشـخاص الذين "تخلوا عن المهمة" ليصيروا "غير صهيونيين" أو"معادين للصهاينة"؛ وكانـت هناك إجابات أخرى، أكثر شيوعًا، فهناك من اعترفوا بواقعية وشرعية المعارضـة الفلسطينية، ومن ثم بدءوا فى البحث عن سبل أقلمة عقيدتهم للخروج من الطريـق

المسدود الذى وجدوا أنفسهم فيه. وفيما يتصل بموقف حركة الصهيونية الإصلاحية فقد هيمنت عليه الصفة الاستعمارية دون استحياء: الاستمرار فى جعل الوجود اليهودى حقيقة ثابتة لا يمكن إزالتها، من خلال استخدام القوة لتجاوز معارضة السكان المحليين، وإذا كانت هذه المعارضة، لسوء الحظ، حتمية وفقا لهذا التحليل، فإن الرد يلزم أن يكون من خلال الاستمرار فى الهجرة، وتملك الأراضى، وتقوية المستوطنات عسكريًا ليتسنى إقامة الدولة اليهودية القادرة على الدفاع عن نفسها، وقد عرف هذا المقترب باسم "الجدار الحديدى" استنادًا إلى ما ورد فى مقالين نشرهما في نوفمبر ١٩٣٣ القائد التصحيحى "فلاديمير جابوتنسكي"، وعلى الرغم من أن العديد من قادة الجناح اليسارى للصهاينة العماليين ربما لا يقرون بما قيل فى هذا الخصوص، فقد كان لديهم العزم نفسه على الاستمرار فى الهجرة وحيازة الأراضى والاستعداد العسكرى (من خلال الهجاناة) ما دامت تطلبت الأمور ذلك[٢٥].

وعلى الطرف النقيض، كرست منظمات مثل "عهد السلام" (برت شالوم)، والوحدة (إيهود) وغيرهما، الجهود لتحقيق المصالحة العربية-الصهيونية، من خلال حد الصهيونية من مطالبها والتخلى عن هدف إقامة الدولة اليهودية، والبحث عن بدائل دستورية أخرى، من بينها خيار الدولة ذات القوميتين أو ذلك القائم على الترتيبات الفيدرالية التى تأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن العرب- الفلسطينيين، يجب أن يكون لهم الحق، على قدم المساواة مع اليهود، فى المشاركة فى حكم دولة مستقلة فى فلسطين[٢٦]. وفى هذا السياق يلزم التأكيد على حقيقة أن مثل هذا التقدير "لاحتياجات الآخر" كان مقتصرًا على قلة ضئيلة من الصهاينة واليهود، فى حين استمرت الأغلبية فى الاعتقاد بشرعية حركتهم، وضرورتها التاريخية من أجل إنشاء الدولة اليهودية.

وبالنسبة للكثيرين، فإنه من الناحية النفسية يتضمن الاعتقاد في جدية الصهيونية وضرورتها التاريخية منطقيا استبعاد إمكانية وجود مطالب فلسطينية منافسة يمكن أن تكون صحيحة كذلك، ومن هذا المنطلق كان من السهل الاعتقاد بأن الاحتجاج والمعارضة من قبل الفلسطينيين هى مجرد أمور وقتية ومصطنعة، وقد تم تطبيق هذا المقترب ليس فقط للاستهلاك العام، كما كانت عليها الحال فى الشهادات التى تم الإدلاء بها أمام لجان التحقيق، ولكن أيضًا فى الاتصالات الداخلية؛ حيث سعى المسئولون الصهاينة، عن إدراك أو بدونه، لإيجاد الأسباب والدلائل على أن الرفض الفلسطينى ليس من الصعب تجاوزه، وأنه يفتقر إلى مشاعر شعبية تحركه من قبيل الوطنية، وإنما هو مجرد تلاعب ناتج عن مصالح شخصية وذاتية (من قبل التجار، وملاك الأراضى والإنجليز المتآمرين لصالح العرب أو المخادعين المناهضين للبريطانيين).

ومن جانبهم، رأى الصهاينة الاشتراكيون، الذين مثلوا العمود الفقرى للموجة الثانية للهجرة ١٩٠٤-١٩١٤، أن هذا الصدام من منظورهم الأيديولوجي: المجتمع المحلى مجتمع إقطاعى يتطلع فيه الفلاح الفلسطينى والطبقة العاملة للتحرر- ويتصل الأمر هنا بالمدينة الفاضلة التى يمكن فقط تحقيقها بدعم من الهجرة اليهودية المكثفة، وبمساندة حركة عمالية يهودية قوية، فضلاً عن إقامة دولة يهودية. وبالرجوع إلى الوراء، كشف الباحثون عن زيف هذه الرؤية، باعتبارها ساذجة، فى أفضل الأحوال، ومنافقة، فى أسوأها، فضلاً عن أنها معبأة بالمغالطات من قبيل الإصرار على مفهوم الأغلبية اليهودية بما يعنيه ذلك من استبعاد أو تهميش وضع العمال العرب... وهكذا يمكن القول بأنه على الرغم من مثاليتهم الأيديولوجية، أساء الصهاينة العماليون وأثاروا نفور السكان المحليين، بدلا من أن يكونوا منقذيهم[٢٧].

جعل الصحراء تزدهر:

ارتبطت المواقف والحجج الصهيونية السلبية التى لم تعترف بوجود رفض أو مقاومة فلسطينية، بمجموعة أخرى من البراهين الإيجابية مفادها أن الصهيونية، على عكس ما تتضمنه الشكاوى الفلسطينية، من قيامها بالاستيلاء على الممتلكات وحرمان الآخر من حقوقه، جلبت مكاسب اقتصادية واجتماعية للسكان جميعًا وللإقليم كافة، وقد عبر عن ذلك أحد الكُتّاب الصهيونيين عام ١٩٤٥ على النحو التالى:

"لقد راود اليهود، على الدوام، الأمل فى أن الفوائد التى ستعود بها تنميتهم لفلسطين على العرب ستسفر، بشكل طبيعى، مع مرور الوقت عن أن يتقبل العرب تصريح بلفور، وعلى الرغم من الهجمات عليهم، التى لم يكن هناك ما يبررها، عامى ١٩٢٠-١٩٢١، قام اليهود ببذل كل الجهود حتى يتمكنوا من العيش فى صداقة وود مع جيرانهم العرب؛ ولم يقتصر الأمر على التصريحات المهيبة فى المؤتمرات الصهيونية وغيرها من المناسبات، التى تم التأكيد عليها فى الوثائق الرسمية، بل إنهم سعوا إلى تطبيقها فى مجالات مختلفة للحياة اليومية اقتصادية واجتماعية وثقافية، وفضلاً عن آلاف العرب الذين تم توظيفهم فى المستوطنات الزراعية اليهودية القديمة، وجد المئات منهم فرصًا للعمل فى المنشآت الصناعية الجديدة، كذلك أثرى ملاك الأرض العرب من بيع الأرض لليهود، والفلاحين من بيع من منتجاتهم لهم، وملاك الأراضى من تأجير المساكن وغيرها من الممتلكات"(٢٨).

وحقيقة الأمر، ارتبط كل من هذه الحجج السلبية والإيجابية عضويًا فى عقلية الكثير من الصهاينة، الذين توقعوا أن يتقبل السكان المقيمون فى فلسطين المهاجرين اليهود بذات الروح التى تضمنتها رواية تيودور هرتزل الخيالية، عام ١٩٠٢، (الأرض القديمة الجديدة) على اعتبار ما يمكن أن يجرى فى فلسطين عام ١٩٢٣:

"انظر إلى هذا الحقل! (يتعجب القائد العربى رشيد بك) لقد كان مستنقعًا خلال طفولتي! لقد اشترت الشركة الجديدة (يقصد بذلك الشركة الصهيونية لشراء الأراضى) هذه القطعة بثمن رخيص، ثم حولتها لأفضل أراضى البلاد، إنها تتبع هذه المستوطنة الجيدة أعلى التل، إنها قرية مسلمة- ويمكنك ملاحظة ذلك من المسجد، لقد صارت حياة قاطنيها أفضل من أى وقت مضى، إنهم يتعايشون مع بعضهم بشكل لائق، وأولادهم أفضل صحيًا ويتعلمون، ولم يتدخل أحد فى شئون دينهم أو عاداتهم القديمة، لقد أصبحوا أكثر رخاء... هذا كل شيء".

ويتعجب زائر، رفيع المقام، من أصل بروسى: "أنتم غريبو الأطوار أيها المسلمون، ألا تنظروا إلى أولئك اليهود على أنهم غزاة؟ وأجاب رشيد بك: إنك تتحدث بغرابة أيها المسيحي، هل يمكنك أن تطلق على شخص صفة السارق فى حين أنه لم يأخذ منك شيئا، بل قدم إليك شيئًا فى المقابل؟ لقد أثرانا اليهود كيف نكون غاضبين عليهم؟ إنهم يعيشون بيننا كأخوة، فلماذا لا نحبهم؟"[٢٩].

طوال فترة الانتداب، كان المسئولون الصهاينة على دراية تامة بأن عليهم تبرير طلباتهم المتكررة لزيادة الهجرة اليهودية وللحصول على المزيد من فرص شراء الأراضي، من خلال إثبات أن أنشطتهم قد عادت بالفائدة على المستوى المحلى (للفلسطينيين) وأيضًا للخزانة البريطانية فى شكل إيرادات، ما يجعل من فلسطين أقل عبئًا لدافع الضرائب الإنجليزية، وقد تطلب كل ذلك الكثير من الجهد لإعداد إحصاءات تثبت ما سبق؛ ومن جانبها، لم يكن أمام لجان التحقيق خلال فترة الانتداب إلا أن تعبر عن انبهارها إزاء المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية (على سبيل المثال النمو السكانى ومعدل وفيات الأطفال) التى أظهرت اختلافات صارخة بين المناطق الفلسطينية التى بها تواجد يهودى كبير، مقارنة بتلك التى يقل فيها عددهم، وأيضًا بين فلسطين ككل والدول المجاورة، وعلى سبيل المثال، أبدت لجنة بيل (انظر: الجزء ٥) انبهارها بما شاهدته عام ١٩٣٦:

"يظهر الأثر الإيجابى للهجرة اليهودية على رفاهية العرب من خلال الزيادة الملحوظة فى نسبة السكان العرب بالمناطق الحضرية التى تأثرت بالتنمية اليهودية، وتوضح المقارنة بين إحصاءات السكان لعامى ١٩٢٢ و١٩٣١ زيادة فى السكان فى حيفا خلال ست سنوات كانت بنسبة ٨٦% وفى يافا ٦٢% والقدس ٣٧%، بينما كانت فى المدن العربية الخالصة مثل نابلس والخليل بلغت نسبة الزيادة ٧% فقط، بل وانخفضت فى غزة بنسبة ٢%"[٣٠].

ولقد كان من شأن الأعمال الأكاديمية والشعبية خلال هذه الفترة، التى حملت عناوين من قبيل: (فلسطين أرض الميعاد) و(الحصاد فى الصحراء)، أن تساعد فى تدعيم هذه الحجة لدى الرأى العام، خاصة خلال عقدى الثلاثينيات والأربعينيات[٣١]. ويلاحظ أن التركيز على معادلة (الصهيونية تعادل التقدم) قد رافقته ملاحظات تحط من قدر العرب المحليين على تنمية الاقتصاد وتحقيق التطور، ويربط المتحدثون باسم الصهيونية، بدءًا بـ "حاييم وايزمان" إلى ما دونه، عادة الصراع العربى- الصهيونى بصراع بين "قوى التدمير: قوى الصحراء" من جانب، و"قوى الحضارة والبناء" من جانب آخر[٣٢]، وقد عهد ممثلو الصهاينة منذ عام ١٩٤٧ الضغط على الأمم المتحدة لتضمين صحراء النقب فى حدود التقسيم للدولة اليهودية استنادًا إلى الحجة التالية:

> **"هذا الإقليم غير الآهل بالسكان والمهجور، يمكن تنميته فقط من خلال نظم للرى جسورة ومتكاملة والتى نحن فقط مستعدون وقادرون لعملها، فترك صحراء النقب للعرب يعنى تركها للإهمال الأبدى والخراب، وفقط اليهود الذين كانوا مستعدين لاستثمار كل طاقاتهم ومواردهم فى النقب دونما أغراض تجارية يمكن أن يستصلحوا هذه الأراضى الواسعة وأن يستغلوا مناجمها المطمورة فى باطن الأرض"[٣٣].**

ومن بين النتائج المثيرة التى صاحبت التركيز على أن الصهيونية هى من تحمل مهمة تحقيق الرخاء الاقتصادى، الدفع بأن الاقتصاد الفلسطينى الذى جرى تطويره خلال فترة الانتداب مثل قوة جذب لعدد لا بأس به من المهاجرين غير

المُسجلين أو الشرعيين من الدول المجاورة[٣٤]، ولم يقتصر الأمر على استخدام هذا الوضع فى تأييد الدعاوى الصهيونية بشكل عام، وإنما تم توظيفه، فى الوقت ذاته، لتقويض مقولة وجود معارضة فلسطينية أصيلة، من خلال الإشارة إلى: (أ) أسهم العرب، شأنهم فى ذلك شأن اليهود المهاجرين، فى ازدحام وتناقص الأراضى داخل فلسطين. (ب) لا يوجد ثمة شىء ذو طابع خاص يميز الفلسطينيين عن العرب؛ حيث إن كل سكان الإقليم كانوا فى حالة حركة دائمة دونما ارتباط خاص بإقليم معين، وقد عادت هذه الحجة- التى تهدف إلى التشكيك فى وجود روابط خاصة بين العرب والأرض المتنازع عليها- لتطفو مجددًا على السطح، وإن كان بشكل مغاير، فى الثمانينيات من القرن العشرين، عندما قام "جوان تيترز"- وهو أمريكى غير متخصص- بنشر دراسة مثيرة للجدال بعنوان "منذ زمن سحيق"، رأى فيها أحد الناقدين خدعة وقحة تستهدف الإبقاء على أسطورة "فلسطين التائهة"، وصورة الأرض الخالية من السكان التى تنتظر مجيء الصهاينة ليقوموا بنشر الحضارة فيها[٣٥].

ومنذ نهاية العشرينيات بدأ الفلسطينيون وأنصارهم يعترضون على صحة مقولة "النعم الاقتصادية"؛ بعرض دلائل على معاناة الفلاح المستأجر الذى طُرد من الأرض وأُجبر على الرحيل والعيش فى ظروف قاسية أو المعاناة من البطالة فى المناطق الحضرية، حتى إن كان بعض العرب قد حقق مكاسب من بيع الأراضى أو من إسهامات اليهودى فى اقتصاد فلسطين تحت الانتداب، ولقد تلقت لجان التحقيق البريطانية والدولية طوال فترة الانتداب شكاوى واستمعت إلى شهادات قدمت وصفا للأوضاع الصعبة التى أفرزها التزايد السكانى والتغيير الاقتصادى عقب وصول المهاجرين، خاصة فى أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات[٣٦].

وعلى المستوى السياسى، لاحظ المراقبون "انعدام الصلة" بين المنافع الاقتصادية والرضا السياسى، وعلى سبيل المثال فإن لجنة "بيل" وجدت أنه على الرغم من أن العرب استفادوا من تنمية البلاد بسبب الهجرة اليهودية؛ فإن ذلك لم يكن له ثمة أثر على التخفيف من عدائهم للصهيونية، ويعيد تقرير اللجنة صياغة شهادة عربية فى هذا الخصوص على النحو التالي:

" أنتم تقولون إن وضعنا أفضل، وأن منزلى أصبح أكثر ثراء بعد دخول الغرباء إليه! ولكنه منزلى، ولم أقم بدعوة الأجانب إليه أو طلبت منهم إثراءه وأنا لا يعنينى مدى فقره أو خلوه من الأثاث، طالما أنا السيد هناك"[٣٧].

ولقد كان على المسئولين الصهاينة أيضًا مواجهة حقيقة أن قلة قليلة، إن وجدت أصلاً، من قادة المجتمع الفلسطينى قد رحب بهم على النحو الذى تخيله "هرتزل" فى شخصية "رشيد بك". وكان "فلاديمير جابوتنسكي" واحدًا من الصهاينة الذين لم يندهشوا من ذلك؛ حيث إنه لم يشارك على الإطلاق وجهة النظر التى ذهبت إلى أن "المواطنين الأصليين" سيبيعون مقر ميلادهم مقابل منافع اقتصادية[٣٨]، وقد شاركه الرأى، خلال الثلاثينيات، الزعيم العمالى المنتخب حديثًا رئيسًا للوكالة التنفيذية اليهودية "ديفيد بن جوريون"، والذى أوضح لزملائه فى الوكالة: "لا توجد قيمة لدى القادة العرب للجانب الاقتصادى للتنمية، حتى إن أقروا- ولا يفعل ذلك جميعهم- بأن هجرتنا جلبت منافع مادية للبلاد، إنهم يقولون- ومن وجهة نظر عربية أعتقد صحة ذلك- لا لعسلكم، ولا للدغتكم"[٣٩].

استمرت هذه الآراء المتضاربة، حول ما إذا كانت الصهيونية قد جلبت النفع أم الخراب والخسارة الاقتصادية لفلسطين، طوال فترة الانتداب، ومثلت جزءًا مهمًا من المساعى والمحاولات للتأثير فى مواقف الأطراف الثالثة ذات الثقل، وكما هى الحال بالنسبة للمقولات الجوهرية الأخرى، بذلت، ولا تزال، جهودًا كثيرة لمحاولة تحديد أى من الطرفين على حق فيما يتصل بهذه النقطة الخلافية.

الهدوء المُخادع:

انطلاقا من الرغبة فى تهدئة التوترات التى أخلت بالهدوء فى البلاد عـامى ١٩٢٠و١٩٢١، قام كل من وزير المستعمرات البريطـانى "وينـستون تـشرشل"، والمندوب السامى فى القدس "هربرت صمويل" بدراسة "تقرير هايكرفـت" حـول أعمال الشغب فى يافا، بهدف رسم سياسة بريطانيا المستقبلية على أسـس ثابتـة، وقد كان يحدوهم الأمل فى تحقيق ذلك من خلال اتخاذ خطـوات لإقامـة هيئـات تمثيلية من جانب، وإصدار تصريحات رئيسية حول السياسة البريطانية من جانـب آخر. وفى تطور سريع، تم تقديم مقترحات لإنشاء مجلـس تـشريعى، ومجلـس استشارى، و"وكالة عربية" – إلا أن ذلك تم التخلى عنه نتيجة لمقاطعـة الزعمـاء الفلسطينيين الذين رءوا فى التحرك الجديد اعترافًا وحماية للوطن القومى اليهودى، فضلا عن عدم إقراره بسيطرة الأغلبية العربية(٤٠). وخلال الفصل الحادى عـشر تحت عنوان "فرص ضائعة" سنقوم ببحث السؤال الخاص بمـا إذا كـان رفـض الفلسطينيين لهذه الأشكال المحدودة من الحكم الذاتى قد أفقدهم أداة كان من الممكن أن يكون بها بعض التأثير فى الحد من تقدم الصهيونية.

مثل الكتاب الأبيض الذى أصدره "تشيرشل" فى يونيو ١٩٢٢- الـذى كـان ردًا جزئيًا لإدارة أزمة الشغب فى يافا فى مايو ١٩٢٢- محاولة مهمـة لتوضـيح والموازنة بين كل من جانبى التزام بلاده المزدوج، وكان من المفترض أنه سيبقى نافذا خلال الخمسة عشر عامًا التالية باعتباره جازمًا فيما يتصل بكيفيـة تخطـيط بريطانيا لحكم فلسطينى. وفى حين أكد- بشكل مهيب- التزام حكومة جلالة الملكة بدعم تحقيق الوطن القومى اليهودي، أعلن "تشرشل" أنـه سـيتم تحديـد الهجـرة اليهودية وفقا لـ "الطاقة الاستيعابية الاقتصادية للبلاد"، مشيرا إلى أنـه لـن يـتم

السماح لها بالإضرار بالاقتصاد الفلسطينى، ولكن فقط بدعمه لتحقيق التقدم والرفاهية فى البلاد. وفى مسعى إضافى لتهدئة المخاوف العربية، نفى الوزير البريطانى أن إعلان بلفور قد تضمن أن "كل فلسطين ستتحول إلى وطن قومى لليهود، وإنما أوضح ضرورة إنشاء هذا الوطن فى فلسطين"، الأمر الذى مهد المسرح، سواء بشكل إرادى أوغير إرادى، لتقسيم فلسطين مستقبلاً، وكذلك فى محاولة غير مباشرة لتوبيخ "حاييم وايزمان"، أكد "تشرشل" أن الحكومة البريطانية ليست لديها النية لجعل "فلسطين يهودية، كما هو الوضع بالنسبة لإنجلترا الإنجليزية"(٤١).

وقد تميزت الأعوام الخمسة التى أعقبت صدور هذا الكتاب الأبيض، والتصديق على الانتداب، بعدم وقوع أحداث مهمة، بل إنها كانت فترة سلام، مما حدا بكل من البريطانيين وقادة الصهاينة للاعتقاد بأن مظاهر التعبير عن عدم الرضا الفلسطينى خلال عامى ١٩١٩-١٩٢١، قد أضحت ماضيًا عبر عن ظاهرة وقتية عابرة وليست بالعمق والأصالة التى بدت عليه آنذاك، واستخلص الكثيرون أن هذه المعارضة ستتلاشى عندما يستمتع السكان بالمنافع الاقتصادية وغيرها، التى ستأتى فى ركاب المهاجرين الصهاينة الأوروبيين، وإذا كان المسئولون البريطانيون والصهاينة قد عملوا فى ظل مثل هذه الفرضيات المتفائلة فى منتصف العشرينيات(٤٢)، فإنها سرعان ما تهاوت مع تجدد التوتر والعنف عام ١٩٢٨ و١٩٢٩.

الهوامش

(١) بالنسبة للخرائط التى تشير إلى المناطق التى تم وعد العرب بها وتلك التى يشارك فيها الحلفاء حسب اتفاقية سايكس بيك وانظر *Martin Gilbert, "The Routledge Atlas of the Arab-Israeli Conflict"*، الطبعة السابعة، لندن، نيويورك، ٢٠٠٢، ص: ٥-٦.

(٢) *Grey to Cambon,* ١٦ مايو ١٩١٦، والتى أعيد إنتاجها فى *The Arab Israeli Conflict : Readings and Documents,* تحرير نورتون مور، طبعة منقحة وملخصة برينستون، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٧٧، ٨٨٠-٣.

(٣) الدراسة الكلاسيكية للجذور والسياسات المحيطة والملابسة لوعد بلفور هى التى قام بها *Leonard Stein, The Balfour Declaration, London : Valentine Mitchell, 1961.* ومن أجل الدراسة القانونية *The balfour declaration* والنقدية ضد الصهيونية انظر *"The Balfour Declaration: An appraisal of international law" W.T. Mallison,* فى *The transformation of Palestine,* تحرير إبراهيم أبو اللغد، الطبعة الثانية، *Evanston* دار نشر جامعة نورثوسترن، ١٩٨٧، ٦١-١١١، *W. Thomas Mallison and Sally V. Mallison, The Palestine Problem in International Law and World Order, Harlow,* بريطانيا، لونجمان، ١٩٨٦، الفصل الأول.

(٤) *George Antonius, The Arab Awakening : The Story of the Arab National Movement, New York: G.P. Putnam's sons, 1946*، الأصلية *Hamish Hamilton, 1938,* وأعيد طبعها فى نيويورك: *Capricorn, 1956*، ٣٩٤-٧، ٤٠٠-٢. رشيد خالدى، *Palestine Identity: The Construction of Modern National Consciousness, New York,* دار نشر جامعة كولومبيا، ١٩٩٧، ٢٢-٣، و *The Iron Cage: The Story of the Palestine Struggle for Statehood, Boston, MA, Bacon, 2006, 32-3, 36.*

(٥) *Aaron David Miller, The Much too Promised Land: America's Illusive Search for Arab Israeli Peace, New York, Random House, (Bantam Dell) 2008; Colin Chapman, Who's Promised Land? The Continuing Crisis over Israel and Palestine, Grand Rapids, MI: Baker Books, 2002.*

(٦) انظر على سـبيل المثـال Ilie Kedourie in "the Anglo-Arab Labyrinth, the McMahon-Husayn Correspondence and Its Interpretations, 1914-1939, Cambridge, دار نـشر كمبريدج، ١٩٧٦، وأعيد طبعها فى لندن: Frank Cass, 2000, و Julius Stone, Israel and Palestine: Assault on the Law of Nations, Baltimore, MD: دار نـشر جامعـة جـونز هوبكينز، ١٩٨١، الفصل الأول، Isaiah Friedman, Palestine, A Twice-Promised Land? New Brunswick, NG. Transaction, 2000.

(٧) أنطونيوس، Arab Awakening, الفـصول ٨ و٩ و١٠ و١٣، Robert John and Sami Hadawi, The Palestine Diary, المجلد الأول، تقديم أرنولد تويمبى، نيويورك: New world press, 1970, 299-312; Kidouri, In the Anglo Arab Labyrnith; Asaiath Friedman, The Question of Palestine 1914-1918: British –Jewish-Arab Relations, London, Routledge and Kagan Paul, 1973, and Palestine, A Twice-Promised Land?; Charles D. Smith "The Invention of a Tradition: The Question of Arab Acceptance of the Zionist Right to Palestine During World War I", مجلة الدراسات الفلسطينية، ٢٢:٢ (شـتاء ١٩٩٣)، ٤٨ـ٦١، قسم الحقوق الفلسطينية فى الأمم المتحـدة « The Origins and Evolution of the Palestine Problem: 1917-1988- PART 1, 1917-1947" Posted 30 يونيو و ١٩٩٠، وتـم الدخول على الموقع ١٣ أبريل ٢٠٠٨.

(٨) http ://domino.un.org/UNISPAL.NSF/561c6ee353d740ib8525607d00581829/aeac80e7 40c782e485256115007lfdb0.

(٩) لقد صارت الاتفاقية الوليدة علامة فارقة وإن يكن بـدون جـدال فـى سـجلات الجهـود الدبلوماسية العربية الصهيونية. وانظر: Neil Caplan, Futile Diplomacy, المجلد ١: Early Arab-Zionist Negociation Attempts, 1913-1931, London Frank Cass, 1938, 36-46 و "Faisal Ibn Husain and the Zionists : A Reexamination With Documents", International History Review, المجلد:٤ (نوفمبر ١٩٨٣)، ٥٦١ـ٦١٤.

مقتبسة « PRIME » project, (“ Palestinians and Israelis Learn the Narrative Of the Other”) فـى Dan Bar-on and Sami Adwan, « The Psychology of Better Dialogue Between Two Separate but Interdependent Narratives" فـى Israelis and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix, تحرير Robert Roothberg, Bloomington, Indianapolis, دار نشر جامعة أنديانا، ٢٠٠٦، ٢١٩ـ٢٠.

(١٠) المرجع السابق، ٢١٩/٢١.

(١١) الخريطة ١-١. *Bernard Wasserstein* يرفض هذا التفسير باعتباره دعاية يمينية من جانب البريطانيين تتجه إلى تقليص الأرض التي وعد بها لليهود كوطن قومي. انظر كتابه *Israelis and Palestinians: Why Do They Fight? Can They Stop?* الطبعة الثالثة، *New Haven, CT/London,* دار نشر جامعة ييل/ لندن: *Profile books, 2008, 102-6.*

(١٢) حول المجموعة الأخيرة انظر، *Joseph Heller, The stern gang: Ideology, Politics and Terror, 1940-1949, London/Portland, OR Frank Cass 1995.*

(١٣) انظر على سبيل المثال : *William B. Ziff, The rape of Palestine, New York/Toronto : Longmans. Green and Co., 1938 : Samuel Katz, days of fire : The Secret Story of The Making of Israel, Jerusalem: Steimtsky's (London: W.H. Allen), 1968; Benjamin Natanyahou, A durable peace: Israel and its place among the Nations,* طبعة منقحة، نيويورك، *Warner Books, 2000*، الفصل الثاني (*The betrayal*)

(١٤) مناحم بيجن، *The revolt (Story of the Irgun)*، تقديم الحاخام مينير كاهان، لوس أنجلوس: *Nash publishing, 1971 (ORIG. New York : Schuman/London :W.H.Allen, 1948/1951), 30-2.* وبالنسبة للاتهامات المفصلة لتشجيع بريطانيا والتلاعب بالمعارضة العربية للصهيونية، انظر *Natanyahou, A durable peace, 55-72.*

(١٥)http://christianactionforisrael.org/medigest/june97/backgrnd.html/ دخول يوم ١٣ أبريل ٢٠٠٨.

(١٦) *Yehoshya Porath, The Emergence of the Palestine Arab National Movement, 1918-1929, London: Frank Cass, 1947,* الفصل الثاني، خالدي، *Palestinian Identity,* الفصل ٧.

(١٧) انظر مثلا *Porath, Emergence* الفصول ٣ و٧ و٨. *Ann Mosely Lesch, Arab Politics in Palestine, 1917-1939: The Frustration of a National Movement, ITHACA, NY/London,* دار نشر جامعة كورنيل، ١٩٧٩، ٩٠ـ١٠١، ١٥٢ـ٧٠.

(١٨) على سبيل المثال *; Porath, Emergence, 42-9* الوثائق الأساسية من ١٩١٨ـ١٩١٩، أعيد إنتاجها في *A Documentary History of the Arab Israeli Conflict,* تقديم تاريخي من جانب *Charles L.Geddes, New York, etc.: Praeger, 1991, 23-8, 39-78* وتوجد عينة في *David W. Lesch, The Arab Israeli Conflict, A History, New York/Oxford,* دار نشر جامعة أوكسفورد، ٢٠٠٨، ٨٥ـ٩٠.

(١٩) بالنسبة للقضية العربيـــة انظـــر، *W.F.Boustany, The Palestine Mandate : Invalid and Impracticable : A Contribution of Arguments and Documents towards the Solution of the Palestine Problem, Beirut, American Press, 1936; Henry Cattan, Palestine and International law: The Legal Aspects of the Arab-Israel Conflict,* الطبعة الثانية، تقديم *W.T.Mallison, GR., London: Longmann, 1976*، الفصلان الثانى والثالـــث. *W. Thomas Mallison and Sally V. Mallison, The Palestine Problem in International Law and world order, Harlow, UK: Longman, 1986,* الفصلان الأول والثانى. وبالنـــسبة للقـــضية الـــصهيونية، انظـــر *Nathan feinberg, Studies in International Law : With Special Reference to the Arab-Israel Conflict, Jerusalem : Magness Press,* الجامعة العبرية عام ١٩٧٩، *Alan Dershowitz, The Case of Israel, New York ; John Wiley, 2003,* الفـــصل الرابع.

(٢٠) تقرير عن محكمة التحقيق...فيما يخص المظاهرات فى القـــدس فـــى أول يوليـــو ١٩٢٠، *National Archive, Kew. England* (وهو المكتب العام للسجلات السابق). *FO 371-5121, File E 9379/85/44 : Neil Caplan, Palestine, Jewry and the Arab Question, 1917-1925, London: Frank Cass, 1978, 57-61*

(٢١) *Caplan, Palestine Jewry, 76-9: Anita Shapira, Land and power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948*، ترجمة وليم تيمبلر، *Stanford, CA,* دار نشر جامعة سانفورد، ١٩٩٩، ٩٧ــــ٨، ١٢٤ ــ ٥. *Yaacov Lozwick, Right to Exist : A Moral Defence of Israel's Wars, New York, Etc: Doubleday, 2003, 70-1*

(٢٢) *Colonial office, Palestine: Disturbances in May 1921, CMD.1540, October 1921*، (تقرير هاى كرافت)، اقتباس من صفحة ٤٤، *Caplan, Palestine Jewry, 85-7, 94.*

(٢٣) عـــاموس إيلـــون، *The Israelis : Founders and Sons, New York, Halt, Rinehart and Winston, 1971, 154, 158 ; Caplan, Palestine Jewry, 207, 199-203 : Anita Shapira, 357*

(٢٤) من أجل الدراسة النفسية الكاملة لهذه الظاهرة، انظـــر *Stanley Cohen, States of denial, Knowing about atrocities and suffering, Cambridge, UK/Maldine, MA: Polity/Blackwill, 2001*

(٢٥) *V.Jabotinsky, "The Iron Wall"*، (نشر أصـــلا فـــى روســـيا، *O Zheleznoi Stene, in rassvyet, 4 November 1923*، أعيـــد طبعهـــا *in the Jewish Herald (South Africa), 26 November 1937* وتـــم الـــدخول علـــى الموقـــع *http://www.information-*

: Extract reproduced as doc. 11 in Israel in The clearinghouse.info/article14801.htm
Middle East: Documents and Readings on society, Politics, and Foreign Relations.
قبل ١٩٤٨ وحتى الآن، الطبعة الثانية. Itamar Rabinovish and Jehuda Reinharz لبنان،
نشر جامعة برانديز / University press of New England, 2008, 41-3 cf. Ian Lustick, « To
Build and To Be Built by : Israel and the Hidden Logic of The Iron Wall »، الدراسات
الإسرائيلية ١:١ ربيع ١٩٩٦، ١٩٦ــ٢٣٢. Shapira, Land and Power, 154-63 ; Avi
Shlaim, The iron wall : Israel and the Arab World, London, Allen Lane/ دار نشر
بينجوين، ١١،٢٠٠٠ــ١٦.

(٢٦) Dissenter in Zion : From the Writings of Judah L. Magness, تحرير وتقديم أرثر
جورين، Cambridge, MA, Harvard University, 1982.

(٢٧) Gershon Shafir, Land, Labor and the origins of the Israeli Palestinian conflict, 1882-
1914, Cambridge/New York دار نشر جامعة كامبريدج، ١٩٨٩، طبعة محدثة، بيركلي.
لوس أنجلوس، دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٦. ولوجهات نظر نقدية لسياسات حزب
العمل الصهيوني حول عمل العرب والتضامن الطبقي اليهودي العربي، انظر Michael
Shalir, Labor and the Political Economy in Israel, Oxford, دار نشر جامعة جامعة
أوكسفورد، ١٩٩٢. Zeev Sternhell, The Founding Myths of Israel : National,
Socialism, and the Making of the Jewish State, ترجمة David Maisel, Princeton, دار
نشر جامعة برينستون عام ١٩٩٨.

(٢٨) Israel Cohen, The Zionist Movement, London: فريدريك مولر، ١٩٤٥، ١٨٢ الفصل ٧
بعنوان "Outrages, Inquires and Congresses".

(٢٩) Theodor Herzl, Old New Land, (Altneuland), ترجمة عن الألمانية، (١٩٤١، ١٩٦٠)
وقامت بالترجمة Lottah Levensohn, مع مقدمة جديدة قام بها Jacques Kornberg, New
York, Markos Werner and Herzl Press, 1987, 124, cf.different renderings in Ilon, The
Israelis, 161; ووالتر لاكير، A History of Zionism, New York: Schocken, 1976, 133.

(٣٠) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين، ١٢٩.

(٣١) Walter Clay Lowdermilk, Palestine, Land of Promise, الطبعة الثانية، نيويورك، لندن:
Harper and Bros., 1944 : Maurice Samuel, Harvest in the desert, Philadelphia, جمعية
النشر اليهودية، ١٩٤٤. ESCO Foundation for Palestine, Inc, Palestine A Study of
Jewish, Arab, and British policies, New Haven, CT: 1947.

(٣٢) خطاب وايزمان لمؤتمر الفيزيـائيين، القـدس، *Palestine Post, 24 April 1936. P.1 ; Cf. A.W.Kayyali, Palestine : A Modern History, London : Croomhelm, 1978, 191.*

(٣٣) *David Horowitz, State in the Making,* ترجمة *Julian Meltzer, New York : Alfred A. Knoph, 1953, 268*

(٣٤) *Fred M. Gottheil, "Arab Immigration into Pre-State Israel 1922-1933" in Palestine and Israel in the 19th and 20th centuries,* تحرير إيلى كيدورى وسيلفيا حـاييم، لنـدن، *Frank Cass, 1982, 143-52: Arieh L. Avneri, The Claim of Disposition, Jewish Land–Settlement and the Arabs, 1878-1948, New Brunswick, NG: Transaction books, 1984,* ترجمها عن العبرية جماعة ترجمة *Kfar Blum, 30-7.*

(٣٥) *Joan Peters, From Time Immemorial: The Origins of the Arab-Jewish Conflict over Palestine, New York: Harper and Row, 1984,* وبالنسبة للانتقادات المهمة لهـذا العمـل انظر *Norman G. Finkelstein, "Disinformation and the Palestine Question: The Not-So-strange case of Joan Peters's, From Time Immemorial, in Blaming The Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question,* تحرير إدوارد سعيد وكريـستوفر هيتشينز، *London: Verso, 2001, 33-69 and his image and Reality of the Israel-Palestine Conflict,* الطبعة الجديدة والمنقحة، نيويورك، *W. Norton,* (الطبعة الثانية لنـدن: *Verso, 2003,* الفـصل ٢: *(Yehoshua Porath, "Mrs. Peters's Palestine New York review of books, 32:21-2, 16 January 1986,* متاحـة علـى موقـع *http://www.nybooks.com/articles/5249 ; "Mrs. Peters's Palestine and Exchange (Ronald Sanders, Danial Pieps, Yehoshua Porath), New York review of books, 35:5, 27 March 1986,* متاح على موقع *http://www.nybooks.com/articles/5172.*

(٣٦) انظر مثلا مذكرة اللجنة التنفيذية العربية حول الكتاب الأبيض فى أكتـوبر ١٩٣٠ والتـى أعدها عونى عبد الهادى، القدس، ديسمبر ١٩٣٠ والتى أعيد إنتاجها (بالإنجليزية) فى وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ــ ١٩٣٩: من كتابات وأوراق أكرم زعيتـر (بالعربيـة) تحرير *Bayan Nuwayhid al-hout,* بيروت، مركز الدراسـات الفلـسطينية، ١٩٧٩، *167,* صفحات ٣٤٢ــ٥٠. *doc.* (الأرض)، ٣٥٠ــ٢ (الهجرة)، *and doc, 168* (خطاب تقديم يوم ٥ ينـاير ١٩٣١)، ص. ٣٥٤: *Kayyali, Palestine, 205 : John Ruedy, « Dynamics of Land Alienation », "In The Transformation of Palestine"* تحرير إبراهيم أبـو اللغـد، ١١٩ــ٣٨. جانيت أبو اللغـد، *"The Demographic Transformation of Palestine"* فـى المرجع السابق، ١٣٩ــ٦٣.

(٣٧) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين، ١٣١. *cf* المرجع السابق، ١٢٥ـــ٣٠.

(٣٨) جابوتينسكي، *« The Iron Wall »,* ٤ نوفمبر ١٩٢٣ وكذلك خطابه إلى *F.Kisch,* ٤ يوليو ١٩٢٥، مقتبس من *Caplan, Palestine Jewry, 198-9,* خالدي، *Iron Cage, 72.*

(٣٩) ديفيد بنجوريون، *My Talks with Arab Leaders,* ترجمة آريا روبنشتاين وميشا لـــوفيش، تحرير ميشا لوفيش، القـــدس: *Keter, 1972, 80, 15 (for Musa Alami's reported remark)* "أنه يفضل أن تبقى الأرض فقيرة ومتروكة لمئات السنين الأخرى حتـــى يـــصبح العـــرب قادرين على تنميتها وازدهارها".

(٤٠) *Porath, "Emergence"*، ص: ١٤٧-١٥٨ و ١٦٩-١٧٨. كذلك *Lesch, "Arab Politics in Palestine"* الفصل الثامن. وفيما يتصل بردود الأفعال اليهودية على نفس المقترحات انظر: *Caokab, "Palestine Jewry"*، الفصل الثامن.

(٤١) *Colonial Office: Correspondence with the Palestine Arab Delegation and the Zionist Organization, CMD. 1700*، يونيو ١٩٢٢ (الكتاب الأبيض لتشيرشل). والمعاد إنتاجها فـــى الطبعـــة السابعة المنقحة، تحرير والتر لاكير وباري روبـــين، *Israel-Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict, New York, Penguin Books, 2008, 25-9.*

(٤٢) وبالنسبة للقطة من التفـــاؤل والإدراكـــات البريطانيـــة للهـــدوء انظـــر *Colonial Office, Palestine :* تقرير المندوب السامي حول إدارة فلسطين، ١٩٢٠ ـــ ١٩٢٥، *Colonial no. 15, 1925 ; Caplan, Palestine Jewry, 195-7.*

الفصل الخامس

انهيار الانتداب

التمرد والتقسيم والكتاب الأبيض (١٩٢٩/١٩٣٩)

تحول السياسات الفلسطينية إلى الراديكالية:

نتيجة للارتفاع المفاجئ فى مستوى التوتر ذى البعد الدينى- القومى، بدأ الهدوء المخادع فى التلاشى مع حلول شهر سبتمبر ١٩٢٨، فبعد عام من الاستفزازات والمظاهرات حول الأماكن المقدسة الإسلامية واليهودية، خرج المصلون من صلاة الجمعة، أواخر أغسطس عام ١٩٢٩، لمهاجمة اليهود فى القدس، وترتب على الشائعات التى تم تناقلها عن مهاجمة اليهود للمسلمين إلى اندلاع حالات عنف فى مناطق أخرى، بما فى ذلك الهجوم بضراوة على مجتمعات يهودية - غير صهيونية- وأخرى يهودية شديدة التحفظ مقيمة منذ فترة طويلة فى الخليل وصفد، وقد أسفرت هذه المواجهات عن مقتل ١٣٣ يهوديًا وجرح ٣٣٩ أغلبهم على يد العرب الذين قُتل منهم ١١٦ وجُرح ٢٣٢، بشكل عام على يد قوات الشرطة والجيش البريطانى[١].

ما زالت مذبحة الخليل، على وجه خاص، حاضرة فى ذاكرة اليهود باعتبارها أسوأ أحداث "عام تربات"، الاسم العبرى للعام المقابل لسنة ١٩٢٩[٢]؛ حيث قُتل ٥٩ رجلاً وامرأة وطفلاً وجُرح ستون، كما شهدت الأحداث الاغتصاب

والتمثيل ببعض الجثث من قبل الغوغاء، وعلى الرغم من هذا العدد من الـضحايا، تمت حماية ما يقرب من ثلاثمئة شخص من يهود الخليل بفضل شجاعة عدد قليل من جيرانهم الفلسطينيين، وكان من شأن ترحيل ما تبقى من يهود الخليل إلى القدس أن يترك أثرًا كبيرًا لعقود من الزمان، وفى أعقاب عام ١٩٦٧ التى انتزعت خلالها إسرائيل السيطرة على المدينة من الحكم الأردنى، سعى بعض اليهود إلى إعادة بناء مجتمعهم فى الخليل التى يقطنها مئات الآلاف من الفلسطينيين(٣).

دفعت اضطرابات ١٩٢٩، بريطانيا إلى إرسال "لجنة شو" للتحقيق بهدف التعرف على الأسباب الكامنة وراءها، وتقديم توصيات للحلول الممكنة، وخلال الفترة من ١٠/٢٤ حتى ١٩٢٩/١٢/٢٧ استمعت اللجنة إلى المسئولين والشهود من البريطانيين، والصهاينة، والعرب. وخلال شهاداتهم، سعى المتحدثون باسم الصهاينة لتجريم مفتى القدس بالتحريض الدينى المتعمد من جانب، والإدارة البريطانية لعدم جاهزيتها وتباطؤها فى فرض الأمن والنظام، وبالنسبة للشهادات التى قدمها الفلسطينيون، فقد تضمنت عرضًا للمصاعب الناجمة عن الهجرة، وشراء الأراضى والمخاوف من هيمنة اليهود، وعلى الرغم من أن مثل هذه المخاوف لم يكن لها سند بالفعل آنذاك، نتيجة انخفاض عدد اليهود الوافدين لفلسطين، فإن الرأى العام الفلسطينى غلب عليه طابع الحذر والتحفز جراء التصريحات والتحريض خاصة من قبل أعضاء الحركة الصهيونية التصحيحية وغيرهم، المطالبة بالسيطرة على الحائط الغربى (حائط المبكى)، المقدس لدى المسلمين كذلك (حائط البراق) باعتباره الموقع الذى عرج منه النبى محمد إلى السماء(٤).

شعر الصهاينة وقادة المستوطنات بخيبة أمل كبيرة؛ إثر نشر تقرير "لجنة شو" فى ٣١ مارس عام ١٩٣٠، فقد أعطى مصداقية أكبر لمخاوف العرب وشكاواهم

أكثر من تلك الخاصة باليهود[٥]، وأعقب ذلك على الفور صدور قرار بإرسال لجنة تقصى حقائق برئاسة السير "جون هوب سيمسون"، ركز تقريرها على الآثار الاقتصادية للهجرة اليهودية وشراء الأراضى على الفلاحين الفلسطينيين، وفى أعقاب تقييم هذه التقارير أصدر مجلس الوزراء البريطانى "كتابًا أبيض" جديدًا فى أكتوبر عام ١٩٣٠ يحمل اسم "اللورد باسفيلد" وزير المستعمرات، وفى الوقت ذاته أوصت لجنة قانونية مشكلة من قبل عصبة الأمم بعدة طرق لتهدئة الصراع، خاصة الدينى، حول الأماكن المقدسة.

أوقع "الكتاب الأبيض" الصادر عن "اللورد باسفيلد" الكثير من الأسى فى نفوس الصهاينة لتركيزه على معاناة العرب، إذ رأى ضرورة التعاطى معها من قيود يتم اقتراحها على بيع الأراضى والهجرة اليهودية، كما اقترح "الكتاب الأبيض" استئناف المحادثات المعلقة بهدف إنشاء هيئات للحكم الذاتى فى فلسطين[٦]، إلا أن القيود محل البحث والمتصلة بالهجرة اليهودية وشراء الأراضى بدت كأنها تم إسقاطها من قبل رئيس الوزراء البريطانى "رمزى ماكدونالد"، نتيجة للضغوط الهائلة التى مُورست عليه على مدار شهور، والذى وجه خطاب تعهدات فى هذا الخصوص لـ "حاييم وايزمان" فى فبراير ١٩٣١... وهكذا، فإن ما تم اعتباره فى البداية أسوأ نكسة تتعرض لها الحركة الصهيونية وأكبر نصر يحصل عليه الفلسطينيون فيما يتصل بتأييد صانعى السياسة البريطانيين، سرعان ما انتهى إلى مأزق جديد؛ حيث لم يخرج أى من الطرفين من الأزمة بثقة كافية فى إمكانية ارتكانه إلى المساندة البريطانية لتحقيق مطالبه[٧].

وفى واقع الأمر مثلت الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣١؛ نقطة تحول مهمة فى العلاقات العربية- اليهودية- البريطانية على أرض فلسطين، استخلص خلالها كل

طرف عددًا من الدروس المهمة، فلقد أوضحت الأحداث الأخيرة أهمية وقدرة الرموز الدينية (التهديدات للأماكن المقدسة) على حشد كل من المجتمعين في مواجهات عنيفة تشوبها نبرة قومية مميزة، وعلى الرغم من أن توصيات لجنتي "شو" و"سيمسون" لم تنفذ كاملة، فإنها فتحت الباب لإعادة النظر في بعض أسس الانتداب وتطبيق نصوصه المتصلة بالوطن القومي اليهودي؛ وبدأت تطفو على السطح، في الدوائر الصهيونية، أفكار عن "المساواة" في الترتيبات الحكومية، والتقسيم إلى "كانتونات" وغيرها من الإجراءات الدستورية، في وقت بدأت فيه العلاقات تتطور بشكل إيجابي مع الأمير عبد الله عبر الأردن[٨].

وقد تطلب الأمر بالنسبة للقادة الفلسطينيين بعض الوقت لاستيعاب الصدمة وخيبة الأمل اللتين أحدثهما خطاب "ماكدونالد" إلى "وايزمان"، والذي نُظر إليه على أنه خيانة وتمت تسميته بـ "الخطاب الأسود"، وبدأ الجيل الشاب يتشكك في جدوى دبلوماسية التذلل للبريطانيين (القبعة في اليد) التي يتبناها المجلس التنفيذي العربي، داعيًا إلى تبني أشكال أقوى من المقاومة[٩]. وإذا كانت تقارير مفوض التنمية "لويس فرنش" الصادرة في ديسمبر ١٩٣٠ وأبريل ١٩٣٢ حول التنمية الزراعية وتسوية مشكلة الأرض؛ لتؤكد صدقية العديد من الشكاوى الفلسطينية، فإنها تركت الباب لتبرئة الصهاينة إلى حد ما من خلال الإشارة إلى أن حجم مشكلة الأراضي أضحى أقل مما كان يتم الادعاء به من قبل[١٠]، وانطلاقًا من الرغبة في تصحيح "الخطأ التكتيكي" المتصل برفضهم المقترحات البريطانية عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣، بدأ الساسة الفلسطينيون العرب التطلع إلى إعادة فتح باب المناقشة لإعادة إنشاء مجلس تشريعي منتخب ديمقراطيًا.

فى نهاية أكتوبر ١٩٣٣؛ قام الفلسطينيون القوميون بالتنسيق الدقيق لتنظيم احتجاجات متزامنة فى حيفا ويافا وغيرهما من المدن فى تحد سافر موجه للبريطانيين أكثر منه لليهود أو الصهاينة، وقد أسفر تدخل الشرطة البريطانية لفض هذه المظاهرات غير المرخص بها عن ٢٥ قتيلاً و ٢٠٠ جريح[١١]، وتكمن أهمية الأحداث (التى لا يتذكرها بعض جيدًا) فى أنها شكلت مقدمة للإضراب العام عام ١٩٣٦، وأيضًا فى إقناع عدد بدأ يتزايد من المسئولين البريطانيين والقادة الصهاينة بأنهم أضحوا يتعاملون مع حركة قومية أصيلة، وليس مجرد عصابات من قطاع الطرق يعملون لخدمة مثيرى الشغب وذوى المصالح ممن يتلاعب بهم "الأفندية".

وفى واقع الأمر، بدت السياسات الفلسطينية- العربية خلال الثلاثينيات أكثر تنظيمًا وفاعلية وموجهة من القاعدة؛ حيث اتسم الجيل الشاب بالثورية وسئم أسلوب وطريقة تعامل القادة الأكبر سنًا، ومن جانبها، أضحت "اللجنة التنفيذية العربية" محط انتقادات متزايدة بسبب اعتدالها وتعاونها مع البريطانيين، واحتجاجاتها غير المجدية على قيام سلطات الانتداب بتنفيذ سياسات الصهيونية، كما جرى تشكيل أحزاب سياسية جديدة لا تستند بشكل كامل إلى الولاءات الأسرية أو العشائرية[١٢]، وشهدت المرتفعات الواقعة فى شمال البلاد انخراط الداعية الإسلامى "عز الدين القسام" فى عمليات حرب عصابات ضد الأهداف البريطانية والصهيونية حتى مقتله فى إحدى المعارك فى نوفمبر ١٩٣٥، وكان تشييع جثمانه الذى شاركت فيه أعداد غفيرة من الفلسطينيين؛ مناسبة لزيادة حدة التوتر السياسى الذى كان موجودًا بالفعل فى البلاد لأسباب أخرى، فقد كان رد لندن السلبى على الضغوط الفلسطينية لتأسيس مجلس تشريعى منتخب سببًا فى إضفاء الطابع الراديكالى على الفكر السياسى الفلسطينى، كذلك تزايدت المخاوف إزاء الزيادة الحادة فى الهجرة اليهودية فى عامى ١٩٣٣ و١٩٣٤، خاصة ١٩٣٥؛ حيث تم تسجيل أعلى معدل

(٦١٨٥٤ مهاجرًا) طوال فترة الانتداب. وتزايدت حالـــة التـــصعيد فـــى التـــوتر السياسى مع الكشف عن النشاط اليهودى لتهريب السلاح، فى حـــين أدت الـــضجة التى أحاطت بطرد فلاحين من الأرض، خاصة فى وادى الحواريث، فى أغسطس ١٩٣٣، إلى تكثيف حدة الانتقاد على بيع الأراضى لليهود ومن ثم المآســـى. وفـــى الإجمال يمكن القول إن المشكلات والشكاوى التى كانت أســـاس انـــدلاع أحـــداث ١٩٢٩، لم يتم حلها سواء من خـــلال لجـــان تقـــصى الحقـــائق أو التحقيـــق، أو التصريحات السياسية أو التغيير فى قواعد الانتداب وإدارته.

الإضراب العام والتمرد (١٩٣٦):

فى أعقاب عدد من الاغتيالات وعمليات الهجوم والهجوم المضاد من قبـــل العرب واليهود فى منتصف أبريل ١٩٣٦، فرض البريطـــانيون حظـــر التجـــوال وأعلنوا حالة الطوارئ، ومن جانبها أعلنت "اللجنة العربية العليـــا"، التـــى شـــكلت مؤخرًا كمظلة تضم فصائل سياسية فلسطينية، إضرابًا عامًـــا صـــاحبته انتفاضـــة مسلحة، فعلى الرغم من بدئه على شكل "قلاقل"؛ فإنه سرعان ما تطور إلـــى مـــا صار يعرف بـــ "الثورة" العربية- الفلسطينية أو "التمرد"، متحديًا بشكل جدى الحكم البريطانى والسياسة الصهيونية فى فلسطين خلال الفترة من ١٩٣٦ إلـــى ١٩٣٩. وعلى الرغم من الانتقادات التى تم توجيهها للإدارة المدنية البريطانية سواء فيمـــا يتصل بعقم تعاملها مع العنف، والبطء فـــى تعبئـــة قواتهـــا العـــسكرية لملاحقـــة المتمردين، فإنه مما لا شك فيه أن كثيرًا من الإجراءات التـــى اتخـــذتها الـــشرطة والجيش (التفتيش، الغرامات الجماعية، حظر التجوال، هدم المنازل) كانت قاســـية، وخلَّفت الكثير من المعاناة والمرارة فى أوساط السكان الفلسطينيين[١٣].

وبعد مرور أكثر من خمسة أشهر من أعمال الهجوم اليومى والتدمير وشلل الحياة جراء الإضراب العام والتمرد؛ أسفرت الدبلوماسية السرية فى لندن وتمخضت عن صدور بيانات عامة، فى أوائل أكتوبر ١٩٣٦، من قبل ثلاثة من الحكام العرب المجاورين (ابن سعود فى الجزيرة العربية- عبد الله فى شرق الأردن- الأمير غازى فى العراق) تحث الفلسطينيين على العودة للحياة الطبيعية، والثقة فى قدرة بريطانيا العظمى على إيجاد حل عادل لمعاناتهم، وكرد فعل (تم الترتيب له كذلك مسبقًا) نادت اللجنة العربية العليا بإنهاء الإضراب العام وبدأت حدة التمرد فى التراجع، وتم التوصل إلى وقف إطلاق النار، ووضع سابقة مهمة فى تاريخ الصراع تمثلت فى الدعوة والسماح للقادة الإقليميين بالتدخل فى الشأن الفلسطينى، ويشير المؤرخون، عمومًا، إلى نقطة التحول تلك على أنها أضرت أكثر مما ساعدت الفلسطينيين(١٤).

وفقًا للإحصاءات البريطانية، تمثلت حصيلة الشهور الستة التى سبقت وقف إطلاق النار، فى "أكثر من ألف متمرد عربى قتيل"، معظمهم فى صدامات مع الجيش والشرطة، بالإضافة إلى ٣١٤ شخصًا فقدوا أرواحهم (١٩٥ عربيًا و٨٠ يهوديًا)، و١٣٣٧ جريحًا (٨٠٤ عرب و٣٠٨ يهود)(١٥)، وبكل المقاييس فإن الحماسة ودرجة التنظيم (فى ظل لجان قومية مرتجلة وعشوائية) كانت مثيرة للدهشة، على الرغم من أنها كانت مصحوبة بدرجة من العنف والترهيب موجهة مباشرة للفلسطينيين الذين لم يبدوا الالتزام الكافى والولاء للإضراب و /أو التمرد المسلح(١٦).

نقطة تحول.. لجنة "بيل" الملكية:

أثار اندلاع الإضراب شكوكًا حول ما إذا كان استمرار الانتداب ما زال ممكنًا، وقد أسهمت مجموعة من المتغيرات المهمة خلال الثلاثينيات فى تعزيز هذه الشكوك، خاصة تدهور أحوال اليهود الأوروبيين بعد صعود هتلر لسدة الحكم، والحركات الناجحة المطالبة بالاستقلال فى الدول العربية المجاورة، وفضلاً عن ذلك بدا واضحًا للبعض عدم قدرة بريطانيا على الوفاء بالتزامها المزدوج وفقًا لنصوص الانتداب، خاصة مع تمزق البلاد بين مجتمعين متصارعين ينظر كل منهما إلى الآخر بمنطلقات قومية.

مهد الهدوء الذى ساد بعد وقف إطلاق النار، الطريق أمام الحكومة البريطانية لإرسال لجنة ملكية كانت على أهبة الاستعداد بتكليفات أكثر اتساعًا وشمولاً من أى لجنة أخرى سبقتها:

> **"الوقوف على الأسباب الكامنة للاضطرابات التى اندلعت فى فلسطين منتصف أبريل، والبحث فى الطريقة التى يتم بها تطبيق الانتداب خاصة فيما يتصل بالالتزامات تجاه كل من العرب واليهود، ومعرفة ما إذا كان لدى أى من العرب أو اليهود شكاوى مشروعة حول الطريقة التى جرى بها تطبيق الانتداب، وفى حالة اقتناع اللجنة بجدية أى من تلك الشكاوى تقوم بالتوصية بإزالة مصدرها ومنع تكرارها."**[١٧]

وصلت اللجنة التى عرفت بعد ذلك باسم رئيسها "بيل" إلى فلسطين فى الحادى عشر من نوفمبر ١٩٣٦؛ لتبدأ عملها بجمع الأدلة وسماع الشهادات من المسئولين البريطانيين وممثلى الصهاينة والعرب، وفى القدس استمعت اللجنة

لستين شاهدًا فى جلسات عامة و٥٣ شاهدًا فى جلسات خاصة، وبعد مغادرتها إلى لندن فى شهر يناير وقبل أن تعكف على صياغة تقريرها استمتعت اللجنة إلى شاهدين آخرين فى جلسات عامة، وثمانية من خلال الاتصال بالكاميرات[١٨].

صدر التقرير أوائل يوليو عام ١٩٣٧؛ فى صيغة "كتاب أبيض" يتضمن ٤٠٤ صفحات، ويعتبر حتى اليوم دراسة شاملة للصراع بكل تعقيداته؛ وبأسلوب عميق بعيد عن العاطفة، أبدى كاتبو التقرير تقديرهم لنمو وديناميكية المستوطنات اليهودية، فيما أقروا بالتطلعات القومية والمعاناة التى دفعت كلاً من اليهود والعرب لرفض الآخر، وكذلك رفض استمرار الحكم البريطانى. ومن بين النتائج الجريئة التى توصلت إليها اللجنة تلك المتصلة بأن الانتداب لا يمكن العمل به، وفى واحد من أكثر الأسطر اقتباسًا، أكد التقرير: "أن صراعًا يتعذر السيطرة عليه نشب بين مجموعتين قوميتين داخل حدود ضيقة لدولة صغيرة"، واستطرد التقرير قائلاً:

"ولا توجد ثمة أرضية مشتركة بينهما ... فالمجتمع العربى يغلب عليه الطابع الآسيوى، والمجتمع اليهودى فى أغلبيته العظمى أوروبى، والمجتمعان يختلفان فى الدين واللغة، كما أن حياتهما الثقافية والاجتماعية، وطرق سلوكهما وتفكيرهما غير متوافقة مثلها فى ذلك مثل أهدافهما القومية، وهذه الأخيرة، هى أهم العقبات أمام السلام... إن الإصرار على أن المواطنة الفلسطينية ليس لها أساس معنوى، هو من قبيل العبث، وكلا من العرب واليهود ليس لديهما الشعور بخدمة دولة واحدة"[١٩].

واقترح التقرير تقسيم البلاد المتنازع عليها، باعتباره الخيار الوحيد الذى يعطى شيئًا من الأمل فى التسوية:

"من الواضح أن المشكلة لا يمكن حلها بإعطاء إما العرب وإما اليهود كل ما يريدون، والإجابة عن سؤال أى منهما سيحكم فلسطين فى النهاية يجب أن تكون بالتأكيد "ليس أيا منهما"، ونعتقد أن أى سياسى متعقل يمكن أن يفترض ... أن على بريطانيا إما أن تسلم للعرب سلطة حكم أربعمئة ألف يهودى، سهلت حكومة بريطانيا دخول أغلبهم إلى فلسطين بموافقة عصبة الأمم، وإما، فى حالة ما أصبح اليهود أغلبية، أن يتم تسليم حكم أغلبية تصل إلى مليون عربى لليهود، وإذا كان أى من الجنسين يمكنه أن يحكم فلسطين بكاملها، فإننا لا نرى سببًا يمنع من أن يحكم كل منهما جزءًا منها".

وعلى الرغم من اعترافهم بأن فكرة تقسيم بلد صغير طُرحت من قبل وتم رفضها فى ضوء صعوبات متوقعة لا يرغبون فى التقليل من شأنها، فإن أعضاء اللجنة توصلوا إلى نتيجة مفادها: "إن هذه الصعوبات لا تبدو مستحيلة بالمقارنة بتلك الكامنة فى استمرار وضعية الانتداب أو أى ترتيبات بديلة... فالتقسيم يبدو أنه يوفر على الأقل فرصة لتحقيق السلام النهائى، وهو ما لا نراه ممكنًا فى أى خطة أخرى"(٢٠).

وقد رافقت هذه التوصية المثيرة مقترحات بفرض قيود مؤقتة على بيع الأراضى ووضع سقف للهجرة يتم تحديده، للمرة الأولى، ليس على أساس "الطاقة

الاستيعابية لاقتصاد فلسطين" (كما جاء فى كتاب تشرشل الأبـيض عـام ١٩٢٢)، وإنما وفقا للمناخ السياسى فى البلاد. ومن جانبها، رحبت حكومة بريطانيا بالتقرير وبدأت فى الاستعداد لاتخاذ خطوات نحو تنفيذ توصياته الأساسية.

أما فيما يخص ردود الفعل الفورية لمقترحات "بيل"؛ فقد كانت فى معظمهـا سلبية، فالمجتمع الفلسطينى كان متحدا تحت راية اللجنة العربية العليا فـى رفـض المقترحات، وتجديد طلباته بإنهاء الانتداب، ووقـف الهجـرة اليهوديـة وشـراء الأراضى، وإنشاء دولة عربية مستقلة، وما أثار سخط القيادة الفلسطينية افتـراض التقرير بأن "العرب ويهود فلسطين يقفان كطرفين متساويين ضد بعضهما بعـض"، كذلك تم رفض الحل المقترح من جانب اللجنة؛ حيث بدا كأنه يتعامل مع "القـضية اليهودية باعتبارها الموضوع الأساسى الذى يجب حله دونما إشارة للقضايا العربية على المحك"، هو ما تم اعتباره افتئاتا غير مقبول علـى الحقـوق العربيـة، وقـد تضمنت المذكرة التى وجهتها اللجنة العربيـة العليـا إلـى وزيـر المـستعمرات البريطانى فى هذا الخصوص ما يلى:

"إن عرب فلسطين هم أصحاب البلاد وعاشوا فيها قبل الاحتلال البريطانى لمئات السنين، وما زالوا يمثلـون فيهـا الأغلبية الساحقة، ومن جانب آخر يمثل اليهود أقليـة مـن الغزاة الذين لم يكن لهم قبل الحرب وجود قوى فـى الـبلاد التى انقطعت صلاتهم السياسية بها منذ ألفـى عـام، ومـن الصعب أساسًا، سواء فى المنطق أو الأخلاق لتبرير محاولة استعادة هذه العلاقات المقطوعة بإنـشاء الـوطن القـومى اليهودى المزعوم، هذه المحاولة ليـست لهـا سـابقة فـى

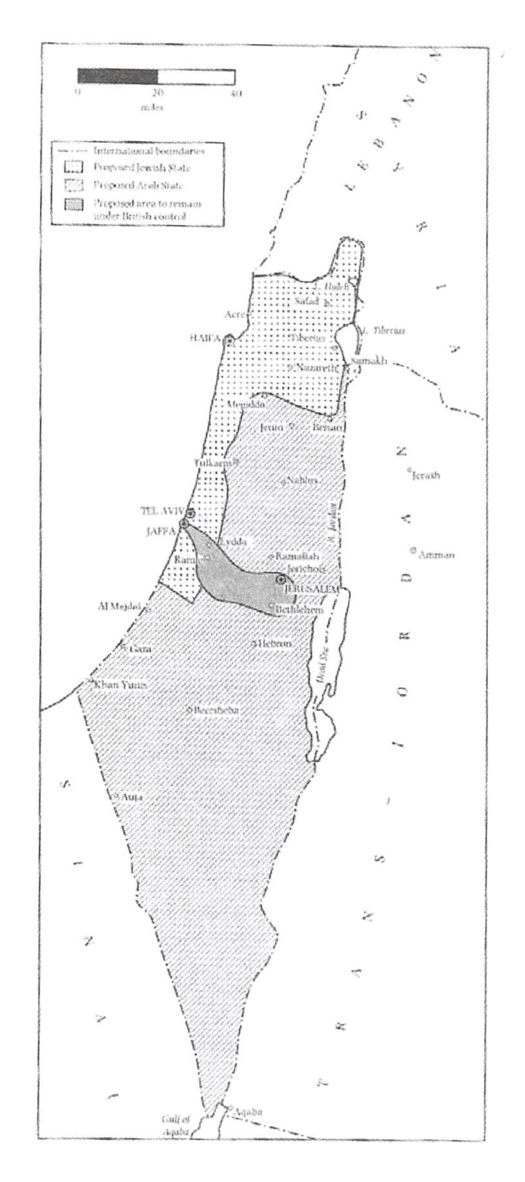
التاريخ القديم أو المعاصر على السواء، ولا تستند إلى شيء سوى قوة السلاح البريطانى، والافتقار إلى الحس بالواقع السياسى لدى اليهود"[٢١].

فى هذا السياق عادت الثورة لتشتعل مجددًا - وإن كانت بقوة أكبر- خاصة بعد إقدام المتمردين على اغتيال المفوض البريطانى بالنيابة فى "تازاريت" أواخر سبتمبر ١٩٣٧، وما تبعه من إجراءات بريطانية أكثر قسوة وصرامة بما فى ذلك اعتبار رئيس اللجنة العربية العليا، مفتى فلسطين الحاج أمين الحسيني، خارجا عن القانون، ما دفعه إلى الفرار إلى بيروت، ثم لبغداد، فطهران، فبرلين، واعتقال أعضاء آخرين فى اللجنة أو منعهم من الدخول للبلاد، الأمر الذى خلق فراغا فى القيادة كانت له أثارًا كارثية على الحركة الوطنية الفلسطينية خلال العقد التالى. وخلال مناقشتنا "الفرص الضائعة" فى الفصل الحادى عشر، سنتعرض للبحث فيما إذا كان قرار الفلسطينيين برفض مقترح لجنة "بيل" تقسيم البلاد حكيمًا، وهل كان من شأن قبولهم له المساعدة فى تقييد المزيد من النمو للوطن القومى اليهودى؟

كان لتقرير لجنة "بيل" وما أعقبه من تجدد التمرد أصداء إقليمية؛ فالأمير عبد الله، الذى كان فى موضع يؤهله للحصول على مكاسب إقليمية من مقترح لجنة "بيل" بضم الأجزاء العربية من فلسطين إلى مملكته فى شرق الأردن، رحب بتردد بتقرير اللجنة الملكية، لكن سرعان ما تراجع عندما توالت أصداء رفض قادة الدول المجاورة وإدانتهم لخطة التقسيم، وتم تشكيل لجان فى دمشق وبغداد وغيرهما لمساندة المتمردين الفلسطينيين والتضامن معهم، وقد بلغ الرفض ذروته بعقد مؤتمر عربى عام فى بلودان بسوريا، أوائل سبتمبر عام ١٩٣٧، حضره ٤٠٠ مندوب، ومن بين أبرز القرارات التى صدرت دعما للفلسطينيين، قرار يشير إلى أن الدول

العربية قد تجد نفسها مدفوعة للتحالف بشكل أوثق مع أعداء بريطانيا الأوروبيين[٢٢]، وكان من شأن ردود الأفعال تلك أن تقلق القادة البريطانيين؛ حيث هدد هدم الرضاء العربى فيما يخص فلسطين؛ الاستقرار الإمبراطورى فى الشرق الوسط، وأثار تعاطف المسلمين فى شبه القارة الهندية فى وقت تصاعدت فيه حدة التوترات مع قوى فاشية أوروبية.

وإزاء أول اقتراح صريح بإقامة "دولة" يهودية، وليس فقط "وطنًا قوميا"، وجد الصهيونيون أنفسهم أمام خيارات صعبة انقسمت حولها الحركة ككل وأحزابها وفصائلها، وقد اعتمد المؤتمر الصهيونى المنعقد فى زيورخ، فى يوليو ١٩٣٧، قرارات معقدة، بأغلبية صوت أو صوتين، وافقت على مبدأ التقسيم وإن انتقدت بشدة كثيرا من تفاصيل الخطة، وفوضت الجهاز التنفيذى للتفاوض مع البريطانيين من أجل تقسيم أفضل[٢٣]، وخلال ١٩٣٨ أعدت الوكالة اليهودية تقارير ودراسات بحثية تفصيلية عن سكان واقتصاد فلسطين قدمتها إلى "لجنة متابعة فنية" ترأسها اللورد "جون وودهيد". ومن جانبهم، قاطع العرب تلك اللجنة التى زارت فلسطين من أواخر أبريل إلى أوائل أغسطس ١٩٣٨، وأعدت تقريرًا خلص إلى أن التقسيم غير عملى وكان من الصعب على اللجنة أن توصى بخطة بديلة بالإجماع[٢٤].



الخريطة (١-٥) خطة تقسيم لجنة "بيل"، يوليو ١٩٣٧.

التراجع عن التقسيم:

نظرة صانعي السياسة في لندن إلى النتيجة غير المتوقعة وغير الحاسمة للجنة "وودهيد"؛ تعني أن حكومة صاحبة الجلالة لم تعد متمسكة بحل التقسيم، وعوضا عن ذلك فإنها ستقوم بدعوة وفود عربية وصهيونية إلى مؤتمر مائدة مستديرة[٢٥]؛ وقد أثرت لعبت الحسابات الاستراتيجية المتصلة بولاء الدول العربية خلال المواجهة المتوقعة مع ألمانيا وإيطاليا في قرارات وسلوك بريطانيا آنذاك، ما وضع الصهاينة في موقف غير مريح في وقت جرت فيه الاستعدادات لعقد مؤتمر في قصر سان جيمس بلندن، وحذر فيه وزير المستعمرات "مالكوم ماكدونالد" من أنه في حالة فشل المؤتمر في التوصل إلى تسوية مُتفق عليها، ستأخذ حكومة صاحب الجلالة على عاتقها مهمة إعلان سياسة جديدة في فلسطين.

رفض المندوبون العرب والفلسطينيون في لندن لقاء نظرائهم الصهاينة، سواء كوفد أو فرادى، وعُقد ما يقرب من ٣٦ جلسة عربية- بريطانية، وصهيونية- بريطانية بالتوازي (وثلاث جلسات ثلاثية سرية) أوائل ١٩٣٩؛ لم تسفر جميعها عن شيء سوى الإحباط وعدم التوصل إلى اتفاق بشأن سياسة مستقبلية تجاه وإزاء هذه الأزمة، وأصدر "ماكدونالد" كتابا أبيض في مايو ١٩٣٩ داعيا لوضع قيود جديدة على الهجرة اليهودية وبيع الأراضي، حيث لا يسمح خلال السنوات الخمس التالية إلا بدخول ٧٥ ألف يهودي، على أن تكون موافقة العرب بعد ذلك ضرورية، وفضلاً عن ذلك يخول المندوب السامي "سلطات عامة لمنع وتنظيم عملية انتقال الأراضي لليهود" بغية حماية المزارعين العرب[٢٦]. وفيما يتصل بفلسطين؛ فإنها ستصبح مستقلة خلال عشرة أعوام، وإن كان الاستقلال النهائي سيتم منحه بعد فترة انتقالية. رأى "ماكدونالد" أنها لا يمكن أن تنتهي "إلا

عندما يكون هناك تعاون على أرض الواقع بين العرب واليهود، أو على الأقل توافر ضمانات على أن هذا التعاون سيستمر"[٢٧].

قدم كل من "الكتاب الأبيض" الصادر عن وزير المستعمرات من جانب، وما دار فى محادثات لندن من جانب آخر، أمثلة صارخة على عدم جدوى الجهود البريطانية للعب دور "الوسيط النزيه" بين العرب والصهاينة فى صراعهم على فلسطين، وقد اشتكى الزعيم الفلسطينى "عونى عبد الهادى" فى هذا الصدد قائلاً: "فى المقام الأخير وضعت السياسة البريطانية العرب تحت رحمة التعاون مع اليهود؛ حيث إنهم يعلمون أن هؤلاء لن يسمحوا أبدا بقيام دولة مستقلة"، كذلك احتج مندوبون عرب آخرون فى مؤتمر "سان جيمس" على أن الموقف يعنى وضع عراقيل مهينة لا يمكن التغلب عليها أمام حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم[٢٨].

ومن جانبه، ذهب "ديفيد بن جوريون"، فى خطاب وجهه إلى زوجته، إلى أن المقترحات البريطانية فى "سان جيمس" تعادل "وضع اليهود تحت رحمة العرب"، وأنها "خطة غبية وشريرة وقصيرة النظر"[٢٩]. وفى أعقاب نشر "الكتاب الأبيض" بعد مرور شهرين نظم سكان المستوطنات حركة احتجاجات عنيفة، فيما أقسم "بن جوريون" على محاربة الكتاب الأبيض وكأنه لا توجد حرب ضد ألمانيا، والحرب إلى جانب بريطانيا ضد ألمانيا النازية وكأنه لا يوجد ثمة "كتاب أبيض"[٣٠].

وجد كلا الطرفين أخطاء فى السياسة البريطانية الجديدة، فقد أثار "الكتاب الأبيض" سخط الصهاينة بقيوده التى فرضها على الهجرة، وبافتراضه أن أسس وعود بلفور والانتداب قد تم الوفاء بهما، وفضلاً عن ذلك بدت السياسات الجديدة لهم على أنها ليست أكثر من محاولة حمقاء لتهدئة العالم العربى. وفى حقيقة الأمر، خرج الفلسطينيون من مؤتمر سان جيمس ومع صدور "الكتاب الأبيض" بمكسبين سياسيين:

١) الاعتراف المبدئى من قبل سلطة الانتداب بحق فلسطين فى الاستقلال، حتى إن كان ذلك مشروطًا ومؤجلاً.

٢) التسليم بحق الفلسطينيين فى حماية وضعهم كأغلبية بمنع اليهود من تخطيهم عدديًا، ومنح الفلسطينيين أداة لممارسة هذا الحق (الاعتراض أو الفيتو على الهجرة بعد مضى خمس سنوات).

وعلى الرغم من ذلك، استمر مفتى فلسطين فى منفاه، يؤازره عدد من القادة الفلسطينيين، فى موقفه الصلب الرافض للسياسة البريطانية الجديدة التى لا ترضى المطالبة بالاستقلال الكامل والفورى لفلسطين[٣١]، وبالعودة إلى الوراء، فإنه يمكننا أن نتساءل عما إذا كان الفلسطينيين قد فقدوا فرصة لاحتواء أو وقف التوسع المستقبلى للوطن القومى اليهودى فى تلك اللحظة التاريخية الحاسمة من خلال عدم السعى لوضع المقترحات التى تضمنها "الكتاب الأبيض" الخاصة بدولة فلسطينية مستقلة موضع التنفيذ، وهى الدولة التى كان من الممكن أن ترى النور بعد مرور عشرة أعوام بأغلبية عربية واضحة نتيجة لوضع القيود على الهجرة اليهودية وشراء الأراضى (انظر: الفصل ١١).

اللجوء للقوة.. العنف والإرهاب والصراعات القومية:

وإذا كان يمكن وصف هذين المكسبين بأنهما ثمرة للتمرد، فإن كلفتهما بدت عالية من حيث الضرر الذى لحق بقدرات الفلسطينيين كمجتمع قومى يسعى للحفاظ على أرضه فى مواجهة أقلية يهودية تناضل من أجل إنشاء دولة لها، فخلال انتفاضتهم الأولى ضد الحكم البريطانى والبرنامج الصهيونى نجح المتمردون فى

إحداث الكثير من الدمار، وتمكنوا فى بعض اللحظات من السيطرة على مناطق واسعة فى البلاد، وقد أحصت السجلات البريطانية الرسمية لعام ١٩٣٨، على سبيل المثال، ٥٧٠٨ حوادث عنف شملت ٩٨٦ هجومًا على الشرطة أو الجيش، و٦٥١ هجومًا على المستوطنات أو الأحياء اليهودية، و٣٣١ واقعة إلقاء للقنابل، و٢١٥ عملية اختطاف، و٧٢٠ هجومًا على مكاتب الاتصالات التلغرافية، و٣٤١ حادثة تخريب للطرق والسكك الحديدية، و١٠٤ اعتداءات على أنابيب البترول، و٤٣٠ واقعة اغتيال أو محاولة للاغتيال. وفى المرحلة الثانية من الثورة التى أصابها الوهن منتصف ١٩٣٩، أشارت السجلات الرسمية إلى أن قوات الجيش والشرطة البريطانية قتلت ألف متمرد آخرين، بينما صدرت أحكام بالإعدام على ٥٥ شخصًا، والحبس على ٣٣٠٠، وتوضح الأرقام الرسمية للخسائر الأخرى "نتيجة الأعمال الإرهابية وأنشطة العصابات" فى الفترة ١٩٣٧-١٩٣٩ أنها بلغت ١٥٠٠ قتيل، منهم ١١٥ بريطانيًا و٣٥٠ يهوديًا و٩٠٠ عربى، فضلاً عن الآلاف من الجرحى(٣٢).

وبالتأكيد فإن هذه الأرقام البريطانية تقلل من حجم الخسائر الحقيقية، خاصة فى أوساط الفلسطينيين، فالعدد الأكبر من الضحايا الفلسطينيين- العرب كان نتاج الانشقاقات وأعمال القتل بين الفصائل(٣٣) المتمردة المتنافسة، والمجموعات المؤيدة والمناهضة لمفتى القدس. يضاف إلى ذلك أعمال القمع العنيفة التى مارسها الجانب البريطانى، وقد دفع كل ذلك المؤرخ "رشيد خالدى" إلى أن ينعى "التطور المأساوى الذى أدى لتضحيات ثورة أعوام ١٩٣٦-١٩٣٩، التى أدى قمعها إلى بداية النهاية لفلسطين العربية"(٣٤)، وحقيقة الأمر شكل الفراغ فى القيادة الذى أعاق الفلسطينيين خلال فترة المنازلة الحاسمة خلال السنوات الأخيرة للحكم البريطانى، أكثر هذه الخسائر أهمية. (انظر: الفصل السادس).

وعلى الجانب اليهودي، أفرزت المرحلة الثانية من التمرد عاملاً جديدًا تمثل فى تزايد العمليات التى قامت بها الميليشيات المنشقة والتى لم تلتــزم باســتراتيجية القيادة الصهيونية الرسمية المتصلة بضبط النفس (هافالجــا بالعبريـــة). وبحلــول خريف ١٩٣٧، وإزاء استئناف وتصاعد أعمال التمرد، تضاءل مــستوى الالتــزام باستراتيجية ضبط النفس، خاصة بين منتسبى الأرجون (المعروفة حتى ذلك الوقت باسم الهاجاناة ب)، ففى يوليو ١٩٣٩ أسفر تفجيران كان وراءهما "الأرجون" عــن مقتل ٧٤ وجرح ١٢٩عربيًا فى سوق حيفا الرئيسية، مما أطلــق أعمــال هجــوم انتقامية استهدفت اليهود والمدنيين العرب[٣٥]، أما فيما يتصل بتنظــيم "الهاجانـــاة" السرى؛ فقد عدل من تكتيكات عملياته ضد الأهداف العربية مــن خــلال تنظــيم "تشكيلات ليلية خاصة" تولى عملية إرشادها "أورد تــشارلز وينجيــت" (مــسيحى متشدد وصهيونى) الذى عمل لفترة بالجيش البريطانى فى فلــسطين[٣٦]، وخــلال العقد الذى تلى ذلك، التحق جناح آخر منشق وأشد راديكالية، متمثلاً فى "عــصابة ستيرن"، إلى ما أضحى يُعرف بـــ "الثورة اليهودية" ضد الحكم البريطانى (انظــر: الفصل السادس)[٣٧].

وتُمثل ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ ذروة مسيرة طويلة لعــسكرة الــصراع بــين الفلسطينيين العرب واليهود، فمن المناوشـــات المحليـــة المبكـــرة بـــين الفلاحـــين الفلسطينيين والبدو والمستوطنين الصهاينة وتأسيس تنظيم الحراس اليهــود خــلال العصر العثمانى، تصاعدت وتيرة ودور اللجوء للسلاح مع تحول الصراع بين كلا المجتمعين إلى صراع ذى صبغة قومية خلال فترة الانتداب، فكما سبق أن لاحظنا أخذت منظمة "الهاجاناة" شبه السرية، منذ ديسمبر ١٩٢٠، علـــى عاتقهـــا تـــسليح وتدريب اليهود الذين بدءوا نشاطاتهم الأولى فى أحـــداث مـــايو ١٩٢١، ونـــوفمبر

١٩٢٢ وأغسطس ١٩٢٩، وهو الأمر الذى ينقلنا إلى مناقشة المقولة السادسة الجوهرية التى نبحثها: هل كان لجوء الفلسطينيين (العرب) والصهاينة (الإسرائيليين) للعنف مبررًا، أم مثل ذلك أمر تلزم إدانته؟ وبشكل أو بآخر يمكن النظر إلى هذه النقطة على اعتبارها امتدادًا للمقولة التى تناولت السؤال حول توصيف تحركات الصهاينة وما إذا كانت عودة إلى أراضيهم أم غزوا لأراضى الآخرين. وخلال عملية تقارع الحجج، سيسعى مؤيدو كل طرف لتقويض دعاوى الآخر من خلال التركيز على سلوكه ذى الطابع الشرير والعدوانى العنيف، كما سيؤكد كل طرف فى معرض دفاعه على أنه لم يبدأ بالعنف وإنما كان يقوم بالرد على عنف الطرف الآخر. وفى فترة ما بعد ١٩٤٨؛ فإن صيغًا متعاقبة لهذه المقولات الجوهرية تم تقديمها من خلال طرح صياغات أخرى للسؤال: من كان المعتدى، ومن كان يدافع عن نفسه؟ أى من الطرفين كان "الإرهابى"، وأيهما كان من "يحارب من أجل الحرية"؟

ومن وجهة نظر الفلسطينيين، شكل مجرد وصول مهاجرين يهود إلى ما يعتبرونه وطنهم القومى أمرًا مرفوضًا بحد ذاته، خاصة عندما يُعلن القادمون الجُدد بصراحة عن نيتهم التحول يومًا ما إلى أغلبية؛ ويؤسسون دولة يهودية ذات سيادة، يُجبر السكان الأصليون داخلها على احتلال مرتبة الأقلية، وهو ما يدفع بهؤلاء إلى التساؤل: ألا يعطيهم ذلك الحق فى الاعتراض، بل وحمل السلاح عند الضرورة لمنع حدوث ذلك؟ فعلى الرغم من تأييد المجتمع الدولى (الأوروبى) لها، مثلت الصهيونية أمرًا مفروضًا عليهم وتعدٍ، بل وإنها تضمنت فى جنباتها صفة العدوانية حتى إن كان الكثير من خطواتها الصغيرة تماشت مع حرفية ونصوص القانون أو تمت دون لجوء فعلى للقوة المادية.

ينحى بعض المعلقين ممن يناصرون قضية الفلسطينيين باللائمة مباشرة على بريطانيا؛ لتجاهلها وتخطيها لرغبات العرب وقيامها بتزويد الصهيونية بالحراب التى بدونها ما كان لهم أن يوطدوا وجودهم هناك، وعلى سبيل المثال كتب المؤرخ الشهير "أرنولد توينبى" عام ١٩٧٠:

"يتمثل السبب فى وجود دولة إسرائيل اليوم إلى جانب مليون ونصف مليون لاجئ فلسطينى فى أنه خلال ثلاثين عامًا تم فرض الهجرة اليهودية على الفلسطينيين العرب بالقوة العسكرية البريطانية إلى أن وصل عدد كبير من المهاجرين وتم تسليحهم بشكل جيد وأصبحوا قادرين على درء الخطر عن أنفسهم بدباباتهم وطائراتهم"(٣٨).

وعودة للوراء فى عام ١٩٣٨، لخص "جورج أنطونيوس"، المثقف الثرى الذى عاش فى القدس، والذى عرض المشكلات المستعصية التى تمت معاصرتها آنذاك حين أوقع عنف التمرد الدمار على جميع الأطراف فى أنحاء البلاد، ولخصها فى العبارات التالية:

"ليس هناك من أمل فى حل دائم للمشكلة فلسطين إذا ما لم يتم رفع الظلم، فالعنف، سواء المادى أو المعنوى، لن يقدم حلاً فهو ليس فقط أمرًا يستحق الشجب ولكن أيضًا يجعل من إمكانية التوصل إلى تفاهم بين العرب والبريطانيين واليهود أمرًا بعيد المنال، وحقيقة الأمر أنه من خلال لجوئهم للعنف تمكن العرب من لفت الاهتمام إلى معاناتهم، وهو ما

أخفق فى تحقيقه ممثلوهم فى لندن والقدس وجنيف خلال عشرين عامًا".

واستنادا إلى التمييز الذى أقامه بين كل من العنف "المادى" وذلك "المعنوى" استرسل "أنطونيوس" قائلاً:

"لكن العنف يضر بأهدافه، وما يحققه بشكل فورى تقل أهميته نتيجة الضرر المترتب عليه حتمًا، ولن يتمخض العنف فى فلسطين عن حل، وتتمثل الطريقة الحكيمة لوضع نهاية له فى إزالة الأسباب التى أدت لاندلاعه؛ حيث يلزم مواجهة حقيقة أن عنف العرب كان نتاجًا طبيعيًا للعنف المعنوى الذى مُورس تجاههم، وأنه ليس من المرجح أن يتوقف، أيا كانت شدة القمع، ما لم يتم إنهاء العنف المعنوى".

وفى معرض تناوله لما سماه "طريق العدالة والمنطق السليم"؛ وجه الكاتب أصابع الاتهام إلى الصهيونية قائلاً:

"لا مجال لوطن آخر فى بلد يقطنه بالفعل شعب على درجة كاملة من يقظة الوعى، ولا يمكن التغلب على عواطفه تجاه منازله وربوع بلاده، ولا توجد إمكانية لتواجد أمة ثانية فى فلسطين إلا من خلال الطرد أو التدمير النهائى للأمة التى تمتلكها"[٣٩].

إن مثل هذا الشعور الذى برز مع بلوغ العنف ذروته فى فلسطين فى الفترة ١٩٣٦- ١٩٣٩، ما زال جزءًا من مشاعر الفلسطينيين بالظلم إثر خسارتهم التامة لوطنهم عام ١٩٤٨ لصالح الحركة الصهيونية المنافسة.

يتضح مما سبق كيفية وأسباب رؤية الفلسطينيين لأنفسهم خلال مئة وثلاثين عامًا من الصراع؛ باعتبارهم الطرف المضطهد الذى كان عليه أن يواجه عدوانًا يهوديًا وصهيونيًا لا مبرر له. أما من وجهة النظر الصهيونية فتبدو الصورة مختلفة تمامًا؛ حيث يرون العودة لما يعتبرونه وطنهم القومى، الذى كان آنذاك فى حالة من التخلف وقلة السكان، أرض إسرائيل (فلسطين)، لا يبرره فقط الوعد الإلهى، وإنما تعترف به القوى العالمية وعصبة الأمم، ومن ثم مثّل اتخاذ معارضة الفلسطينيين لوصولهم مظهر الهجوم المادى من وجهة نظر الصهاينة عملاً عدوانيًا لا يمكن التسامح معه، بشكل لا يختلف عن الأعمال الوحشية التى تعرض لها اليهود فى شرق أوروبا وغيرها، وقد كان من الطبيعى أن تتطلب هذه التهديدات من اليهود حماية أنفسهم خاصة فى ضوء عدم اليقين من قدرة ورغبة السلطة الحاكمة (بريطانيا بعد ١٩١٧) فى توفير الحماية الكافية.

ولا يتقبل كثير من الكتاب اليهود والإسرائيليين مقولة التوازى والمعاملة بالمثل أو التشابه بين العنف الذى مارسه كل من الجانبين، ففى معرض مراجعته للتاريخ، ذهب الكاتب الإسرائيلى "ياكوف لوزويك" إلى عدم وجود مسئولية مشتركة عن أى "دائرة" من دوائر العنف، وكل ما يراه هو صدام بين قوى متضادة للبناء (الصهاينة) والهدم (الفلسطينيين) خلال فترة الانتداب، ووفقًا له- وآخرين- فإن الرفض الفلسطينى لا مبرر له وغير عقلانى وحتى غير مشروع؛ نظرًا لخصائصه وطابعه المتعطش للقتل (الإبادة الجماعية ومناهضة السامية)[٤٠]. وفى المقابل يعترض الكاتب الفلسطينى "رشيد خالدى" على وجهة النظر السالفة وينعتها بـ "الاتهام السخيف السائد بأن الفلسطينيين لم يحركهم سوى العداء للسامية"، بينما فى الحقيقة يلزم النظر إليهم على أنهم "مجرد... شعب مُحتل يسعى للدفاع عن وضعه كأغلبية وتحقيق استقلاله داخل بلده"[٤١].

غير أن جميع الأطروحات للقضية الصهيونية؛ ليست بمثل الوضوح المتحيز الذى عبر عنه "لوزويك"، ويمكننا فى هذا الصدد الإشارة إلى التحليل الذى قدمته المؤرخة الإسرائيلية "أنيتا شابيرا" للجوء الصهاينة للقوة ما بين ١٨٨١ و١٩٤٨؛ حيث بدأت دراستها المهمة "الأرض والقوة" بإعادة تشكيل النظرة العالمية للرواد الأوائل وذريتهم المولودة فى فلسطين واصفة إحساس العزلة واليأس الذى تلخصه فى جملة "لا يوجد ثمة خيار"، وبعبارة أخرى، لا خيار آخر سوى قتال العرب للسيطرة على البلاد، ووفقًا لها: "الوعى بوجود صراع فلسطينى- يهودى غير قابل للتوفيق يتضمن افتراضًا غير إرادى بالتعامل مع عقدة مستعصية للغاية ولا يمكن قطعها إلا بالسيف"(٤٢).

وعلى خلاف "لوزويك"- وغيره من الكتاب- لا تجد "شابيرا" صعوبة فكرية أو معنوية فى الاعتراف وتفهم الأسباب التى دفعت الفلسطينيين لرفض الصهيونية، فمع النمو الاقتصادى والسكانى للمستوطنات خلال فترة الانتداب؛ حدثت تغييرات راديكالية فى رؤية اليهود ونظرتهم لأنفسهم؛ نقلتهم من الإحساس بالضعف وعدم القدرة على الدفاع عن النفس ويمكن تحويلهم إلى ضحايا بسهولة، إلى وضعية الطرف الذى يملك عزيمة قوية وثقة بالنفس والقادر على الدفاع عن نفسه، وقد أقرت "شابيرا" بأن هذه "الثقة المتزايدة" و"التأكيد الجديد للذات" نُظر إليهما من قبل الفلسطينيين باعتبارهما "نوعًا من الغطرسة"، وفقًا لها فإن الهجرة اليهودية المتزايدة وشراء الأراضى أثبتت للفلسطينيين أن المشروع الصهيونى "يتضمن فى طياته مكونًا عدوانيا"(٤٣)، وبالفعل فإن الأدبيات الأيديولوجية للصهيونية الاشتراكية تضمنت جملة مثل "الفتح وانتزاع العمل".

ووفقًا لـــ "شابيرا"؛ فإن النفسية الصهيونية "تشكلت من معـــايير متـــضاربة تشمل حركة تحرير وطنى وحركة استعمار أوروبى فى بلد شـــرق أوســـطى"(٤٤)، وبهذا الطرح تكون قد قبلت ودمجت بين وجهى المقولة الجوهرية التـــى ناقـــشناها سابقًا (الفصل الثالث) والمتصلة بالتساؤل حول ما إذا كانت الصهيونية ضربًا مـــن الاستعمار أم القومية؟ وقد قادتها دراستها لتطور الاتجاهات الصهيونية نحو العرب واستخدام القوة إلى التمييز بين مقتربين: ففى الفترة من ١٨٨١ إلى ١٩٣٦ ذهبـــت إلى أن الفكر الصهيونى هيمنت عليه "الروح الدفاعية" التى جرى اســـتبدالها بعـــد ١٩٣٦ بـــ "الروح الهجومية"؛ وقد عكس هذا التحول التغيير فى مقدراتها فى مجال السياسة الدولية، وعلى الصعيد الإقليمى المتصل بالشئون العربية والفلسطينية، فـــ "الروح الدفاعية" تأسست حول افتراضات تدريجية فيما يتصل بقـــدرة الـــصهيونية على الازدهار تحت حماية النظامين التركى والبريطانى بشكل يؤدى فى النهاية إلى تحقيق أغلبية يهودية يمكنها السيطرة بطريقة سلمية على البلاد؛ استنادا إلى الثقـــل العددى: تزايد أعداد المهاجرين، مشروعات البنية الاقتـــصادية التحتيـــة، شـــراء الأراضى، بناء المستوطنات، الاستيطان الجماعى.

هذه الافتراضات المتفائلة بدأت فى التلاشى مع بداية الثلاثينيات عندما تنبـــه الفلسطينيون إلى الخطورة التى تمثلها الإنجازات الصهيونية على تطلعـــاتهم لحـــق تقرير مصيرهم القومى على ذات الإقليم المتنازع عليه. ووفقًا لـــ "شـــابيرا" مـــع حلول منتصف الثلاثينيات؛ كانت "الروح الدفاعية" قد تغيرت بالفعل وبدأت تعمـــل كـــ "حضانة للعداء والإبعاد"؛ ما فتح الطريق أمام تأثر الثقافة السياسية للمستوطنات بالمكون "القومى" الذى بدأ فى الانتـــشار بـــين الـــشباب علـــى حـــساب المكـــون "الاشتراكى"(٤٥)... وهكذا فإن الصورة المتصلة بالمـــستوطن الـــشجاع، العامـــل، والحارس التى مثلت الجوهر خلال فترة سيادة "الروح الدفاعية"، بدأت تتوارى ليتم

إحلالها بأخرى إبان فترة "الروح الهجومية" تدور حول المقاتل السرى أو المحارب الجسور: "الصورة الجديدة لليهودى المعتز بنفسه والشجاع المستعد للحرب"، وبدأ الشباب اليهود يعتقدون أن "الأرض هى أرضهم فقط، وصاحب هذا الشعور إحساس آخر شديد الضراوة بالملكية والتملك والسعادة بالقتال من أجلها"(٤٦).

ومع بدء مرحلة التمرد العربى، وكذلك تدهور أوضاع المجتمعات اليهودية الأوروبية، أدركت أعداد متزايدة من ساكنى المستوطنات حالة من التشاؤم والشعور بأن الوقت بدأ ينفد بالنسبة للمشروع الصهيونى؛ حيث تزايد الوعى القومى لدى العرب فى فلسطين والبلاد المجاورة لها، وفضلاً عن ذلك كان من الواضح لديهم المصلحة البريطانية فى إرضاء القوى القومية العربية، والرجوع عن الوعود المرهقة لصالح الصهاينة التى تضمنتها وثيقة الانتداب. وقد تضافرت كل هذه العوامل، التى برزت بشكل مؤلم وواضح إبان الثورة العربية ومؤتمر سان جيمس، لدفع ساكنى المستوطنات لمواجهة "المستقبل المخيف لحرب بلا نهاية فى الأفق"، وكان من بين النتائج التى تمخضت عن ذلك التغيير البطيء فى المفهوم لينتقل من "القوة العددية" إلى "القوة العسكرية الملموسة"(٤٧). وعلى صعيد الصراع الداخلى بين الأجنحة اليمينية واليسارية، جرى تحريض الصهيونية العمالية التى دعمت سياسة ضبط النفس لتصبح، وفقًا لما ذكرته "شابيرا" من أنصار "دعوة الأرجون لتقديس العنف باعتباره المنهج السياسى الكلى"(٤٨)، وقد تعلق الأمر بتحدى "وجودى" بالنسبة لأنصار "مناحيم بيجن"، مؤسس "الأرجون" ورئيس وزراء إسرائيل فى المستقبل الذى حور دون خجل مقولة ديكارت المعروفة "أنا أفكر إذن أنا موجود"، فوفقًا له:

> **"توجد أوقات فى تاريخ الشعوب لا يكفى فيها الفكر وحده لإثبات وجودهم، الشعب ربما يفكر ومع ذلك يتحول أبناؤه، بأفكارهم وعلى الرغم منها، إلى قطيع من العبيد،**

هنالك أوقات يصرخ كل شيء في داخل الإنسان.. إن احترامك لنفسك كبشر يكمن في مقاومة الشر، إننا نقاتل إذن نحن موجودون"[٤٩].

ولقد كان لهذا الفهم للذات من قبل الصهاينة والمتصل بطبيعة وهدف العنف قبل عام ١٩٤٨ أصداءه على الصراع الأوسع، وعلى تطور اتجاهات موازية لدى الفلسطينيين خلال الخمسينيات وما بعدها، ومن بين هذه التطورات التحول التدريجي من البطولة الثورية إلى الرغبة في التضحية بالذات لصالح الوطن؛ الاستعداد للموت أو القتل من أجل القضية؛ السعي الشخصي للشهادة، وهو الأمر الذي نجد تشابهًا له عند التدقيق في المناقشات الفلسطينية الداخلية في الستينيات وما تلاها حول دور الكفاح الثوري المسلح في البحث، غير الناجح حتى ذلك الوقت، عن دولة فلسطينية. (انظر: الفصل ٨)[٥٠].

وتمثل الاعتبار الثالث فيما سماه عالم السياسة "إيان لوستيك" الاستخدام "الأناني" للرعب من كلا الجانبين سواء قبل أو بعد ١٩٤٨، وكما أثبت لوستيك بشكل مُقنع تضمنت أهداف اللجوء للرعب ليس فقط استرعاء الانتباه لقضية، والإضرار بالعدو، ودفعه إلى الارتباك، بل إن هناك وظيفة مهمة للرعب تتمثل في تحرير وتعزيز الصور الذاتية للطرف الذي يُعد نفسه للمعركة[٥١]. إن هذه الآراء حول الحتمية والقوة التطهيرية للعنف يمكن النظر إليها باعتبارها العنصر المُفسد للإدراك الذاتي لدى الطرفين، واعتقاد كل منهما عن حق بأنهما الضحية.

والواقع أن الاستخدام المفرط والتوظيف العاطفي لمصطلح "الرعب" و"الإرهاب" يمكن أن يخلق ستارًا من الدخان، يلزم على المحلل الدقيق تفاديه، وبالنسبة للبعض، بمن فيهم الصهاينة في الثلاثينيات والأربعينيات[٥٢]، عبرت كلمة "الإرهاب" عن شيء يلزم الفخر والاعتزاز، وبالنسبة لآخرين- بمن فيهم الإسرائيليون والأمريكان في مواجهة منظمة التحرير الفلسطينية بدءًا من

الستينيات- يتصل الأمر بمصطلح "حاطٍ من القدر" يُستخدم لتشويه سمعة ومصداقية الأعداء. ومنذ الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، جرى العمل على استخدام هذا المصطلح لتشويه سمعة الخصوم والمنتقدين، حتى بات يفقد الكثير من فحواه.

ولقد استمر الأطراف فى اللجوء للعنف ليس فقط خلال فترة الانتداب وإنما حتى الآن، وإن كان بأشكال مختلفة، تتناسب مع تطور الصراع والتطور الملحوظ فى تكنولوجيا الحرب ووسائل القتل، كما استمرت الحجج التى يتم سوقها لتبريره أو تعظيمه ولم يتم التغلب عليها؛ حيث يلتزم مؤيدو كل طرف بنسق متوقع سلفًا؛ فمنذ البداية يقدمون عرضًا منمقًا لرغبتهم العميقة فى السلام، فى حين يقومون بتوثيق وشجب افتقار الطرف الآخر لمثل هذه الروح، ويعقب ذلك الادعاء بأن لجوءهم للعنف هو أمر مشروع من أجل الدفاع عن النفس ضد التهديدات والعدوان غير المبرر والمتعمد من قبل الجانب الآخر، وفى النهاية يقدمون أدلة لدحض دعاوى الطرف الآخر بأنه كان يتصرف هو الآخر دفاعًا عن النفس.. وهكذا فإنه نتيجة الاعتقاد العميق والكامن فى أعماق النفس بأحقية قضيته وصحة نواياه وسلوكه، يُصبح أنصار كل طرف منحصرين داخل دائرة مغلقة من الحجج حينما يستعرضون تاريخ اندلاع العنف، ويوجهون اللوم بيسر للطرف الآخر باعتباره المسئول عن العنف الذى ما زال قائما حتى اليوم.

الهوامش

(١) المملكة المتحدة، *A Survey of Palestine*، معد فى ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ لمعلومية اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق عام ١٩٤٦ وأعيد طبعه عـام ١٩٩١ مـن جانـب مركـز الدراسات الفلسطينية- واشنطن العاصمة، المجلد الأول ص: ٢٤.

(٢) وبالمشابهة فإن الصهاينة والإسرائيليين يتذكرون ويشيرون إلى إنـدلاع الأحـداث عـام ١٩٣٦ من خلال التقويم العبرى، *Tartzah*.

(٣) موشـيه كـوهين، (*Massacre Remembered*) و(*A Related to Thanks Giving*) *Post Jerusalem* تحرير الأسبوع المنتهى فى ٢٦ أغسطس ١٩٨٩ ص: ٩-١٠ ؛ *Hibron Scroll* (تقرير شاهد عيان من أهارون ريوفين بريتزويج، ٢ سـبتمبر ١٩٢٩)، المرجـع الـسابق ص:١١؛ *Herb Keinon* (*Memories of a Massacre*) *Jerusalem Post* تحريـر الأسـبوع المنتهى ١٩٩٦ ص:٨.

(٤) المكتب الكولونيالى، اللجنة الفلسطينية حول اضطرابات أغـسطس ١٩٢٩، شـهادة تـم سماعها فى محفل مفتوح، الكولونيال رقم ٤٨، ١٩٣٠؛ *Porath, Emegence,* الفصل السابع ؛ مطر، مفتى فلسطين الفصل الثالث، كما يمكن رؤيته فى الجدول (٢-١) أرقام مكتب الهجرة اليهودية لعام ١٩٢٧ و١٩٢٨ كانت ٢٣٥٨ مهاجرًا و١٠ لكل واحد.

(٥) المكتب الكولونيالى، فلسطين: تقرير اللجنة عام ١٩٢٩ حول الاضطرابات شهر أبريل ١٩٣٠.

(٦) المكتب الكولونيالي، فلسطين: تقرير اللجنة حول الهجرة والاستقرار فى الأرض والتنميـة الذى أعده السير جون هوب سيمسون، أكتوبر ١٩٣٠، مقتـبس مـن *Haven to Conquest:* قراءات فى الصهيونية والمشكلة الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ (تحرير). وجـرى تقديمـه بواسطة وليد خالدى، بيـروت ١٩٧١/ واشـنطن معهـد الدراسـات الفلـسطينية، ١٩٨٧ ص:٣٠٣-٧؛ فلسطين: تصريح حول السياسة أكتـوبر ١٩٣٠ (*Passfield white paper*) -

وأعيد إنتاجه فى *A Documentary History of the Arab Israeli Conflict*، تحرير مع مقدمة تاريخية من تشارلز جيذز. نيويورك دار نشر بريجر، ١٩٩١ ص:١١٣-٤٠.

(٧) من رمزى ماكدونالد إلى حاييم وايزمان فى ١٣ فبراير عام ١٩٣١، وأعيد إنتاجها فى *The Israel- Arab Reader*: تاريخ موثق لصراع الشرق الأوسط، الطبعة الرابعة، والتر لاكير وبارى روبين – نيويورك دار نشر بينجوين ٢٠٠٨ ص.٣٦-٤١ ؛ *Niel Caplan*، *Futile Diplomacy* المجلد الأول محاولات المفاوضات العربية – الإسرائيلية المبكرة، ١٩١٣-١٩٣١ لندن فرانك كاس ١٩٨٣ ص:٨٤-٧.

(٨) *Neil Caplan , Futile Diplomacy* المجلد الثانى: المفاوضات العربية -الصهيونية وإنهاء الانتداب، لندن: فرانك كاس ١٩٨٦ الفصل الأول.

(٩) من أجل تقويم جيد لردود الأفعال العربية والصهيونية على أزمة ١٩٢٩-١٩٣١، انظر أفراهام سيلا، *The Muslim World LXXXIV* : ١-٢ يناير-أبريل ١٩٩٤، ص:٦٠-٩٤. وانظر أيضا مارتن كولينيسكي، *Low, Order and rights in Mandatory Palestine*، ١٩٢٨-٣٥ لندن دار نشر سان مارتن ١٩٩٣ ؛ ويلدون متيوس، *Confronting an Empire*، تكوين أمة : القوميون العرب والسياسة الشعبية فى فلسطين الانتداب، لندن/نيويورك: *I.B. Tauris*، ٢٠٠٦.

(١٠) مؤسسة *ESCO* لفلسطين، *Palestine a Study of Jewish, Arab, and British policies, New Haven* دار نشر جامعة يال ١٩٤٧ المجلد الثانى ص: ٧١٣-٢٢؛ *Kinnet W. Stein, The Land Question in Palestine, 1917-1939* دار نشر جامعة نورث كارولينا ١٩٨٤ الفصل الخامس؛ *Bernard Wasserstein, Israelis and Palestinians*: لماذا يتقاتلون؟ هل يمكن إيقافهم؟ الطبعة الثالثة دار نشر جامعة يال/لندن *Profile Books 2008* ص:٥١-٣.

(١١) عصبة الأمم اللجنة الداشمة للانتدابات، مضبطة الاجتماع الخامس والعشرون جنيف ٣٠ مايو وإلى ١٢ يونيو ١٩٣٤، ١٤ أبريل ٢٠٠٨ *www.domino.un.org/unispel.NSF/3d14c9e5cddaa296d85256cbf005aa3ev/eced90aa109e98d405256616005091 68* ؛ كولينيسكى *Law Order and Wrights* ص:١٧٢-٨١ ؛ ماتيس و *Confronting and Empire, Construction a Nation*، الفصل ٧.

(١٢) *Yihoshua Porath The Palestinian Arab National Movement, 1929/1939*، مـــن المظاهرات غلى التمرد، لندن: فرانك كاس ١٩٧٧ الجزءان الثانى والخامس؛ *Ann Mosely Lesch, Arab Politics in Palestine, 1917/1939*: إحباطات الحركة القومية نيويورك-لنـــدن دار نشر جامعة كورنيل ١٩٧٩ الجزءان الخامس والتاســـع؛ مـــاتيوس *Confronting and Empire*، بناء أمة الجزء الثانى؛ رشيد خالدى *The Iron Cage* قصة النضال الفلسطينى من أجل الدولة، بوسطون مساتسوشتس دار نشر بيكون ٢٠٠٦ ص:٨٢-٩٠.

(١٣) قارن مـــثلاً *John Marlowe, Rebellion in Palestine* لنـــدن دار نـــشر *Cresset* ١٩٤٦، الفصول العاشر والثانى عشر والرابع عـــشر مـــع *A.W.Kayyali, Palestine a Modern History*، لندن *Croom Helm* ١٩٧٨ الفصل السابع. ومن أجل دراسات معتمدة على الأرشيف انظـــر مايكـــل كـــوهين *Sir Arthur Wauchope, The Army and the Rebillion in Palestin* ١٩٣٦ دراسات الشرق الأوسط رقم ٩ (١٩٧٣، ص:١٩-٣٤)؛ *Tom Bowdin, The Politics of the Arab Rebellion in Palestine 1936-1939*، دراســـات الـــشرق الأوســـط رقـــم ١١؛ ٢ (مايو١٩٧٥) ص:١٦٠-٩.

(١٤) *Marlowe, Rebellion in Palestine*، ص: ١٦٥؛ إيلـــى قـــدورى (*Great Britain and Palestine: the Turning Point*) وذلـــك فـــى *Islam In The Modern World and Other Studies, New York* دار نـــشر *Holt Rineheart and Winston*، ١٩٨٠، ٩٣-١٧٠؛ *G.C.Hurewitz, The Struggle* نيويـــورك دار نـــشر نورتـــون١٩٥٠، ٧١؛ *Porath, Palestinian Arab National Movement* ص:٢١٤؛ كياللى، *Palesrine: a Modern History* ، ١٩٨-٩؛ *Aaron S.Klieman* (*The Arab States And Palestine*) وذلك فى ما حرره إيلى قدورى و *S.G.Haim* فى كتاب الصهيونية والعروبة فى فلسطين وإسرائيل، لندن دار نـــشر فرانك كاس ١٩٨٢، ص:١١٨-٣٦؛ رشيد خالدى القفص الحديدى، ص:١٢٤.

(١٥) *A Survey of Palestine*، ١: ص:٣٨. ومن أجل إعادة التقويم النقدى لهذه الأرقـام انظـر وليد خالدى (*Note on Arab Casualties in the 1936-39 Rebellion*) وذلك فى كتاب *From Heaven to Conquest* ، الملحق رقم ٤ صفحة: ٨٤٦-٩.

(١٦) *Marlowe, Rebellion*، الفـصل العاشـر؛ *Hurewitz, Struggle* ص:٦٧-٧٢؛ *Porath (Palestinian Arab National Movements)* الفـصل الـسابع؛ *Lesch, Arab Politics in Palestine*، ص:٢١٧-٢٧. *Tom Bowden*، وذلك لتقويم فاعلية الهجوم المضاد البريطانى ضد هذه الانتفاضة وهو يعطى انطباعًا أقل عن الأساتذة الآخرين والمراقبين وذلك من حيث درجات تنظيم التمرد الفلسطينى وفاعليته التى يرى أنها (لـصوصية مـن مـستوى عـال ومتقدم) ويضعها فى منتصف الطريق ما بين (قطع الطريق البدائي) و(الحـرب الثوريـة الشعبية المتقدمة). *Bowden , The Politics of the Arab Rebillion in Palestine*، ١٩٣٦-٣٩ ص:١٦٩.

(١٧) تقرير اللجنة الملكية، لندن، يوليو ١٩٣٧.

(١٨) مضبطة الشهادات والأدلة أمام اللجنة الملكية لفلسطين، لندن ١٩٣٧ رقم ١٣٤ التى أعيد إنتاجها فى المجلد رقم ٢٢ من *The Rise of Israel* تحت اسم اللجنة الملكية من أجل فلسطين تقديم *Aaron S. Klieman* نيويوك- لندن، دار نشر جارلاند، ١٩٨٧.

(١٩) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين، ص:٣٧٠-١.

(٢٠) المرجع السابق، ص:٣٧٥-٦.

(٢١) مذكرة مقدمة من اللجنة العربية العليا إلى اللجنة الدائمة للانتدابات ووزيـر المـستعمرات (القدس ٢٣ يوليو ١٩٣٧) الجزء الرابع الذى أعيد إنتاجه فـى *The Rise of Israel* المجلـد الـسابع عـشر، *Arab-Jewish Relations* ، ١٩٢١-١٩٣٧ تحريـر وتقـديم *Aaron S. Klieman*، لندن دار نشر جارلاند ١٩٨٧ ص:٢١٨.

(٢٢) قرارات بلودان التى نوقشت واقتبسها كريستوفر سايكس، *Crossroads To Israel*، ١٩١٧-١٩٤٨ دار نشر بلومينجتون لندن دار نشر جامعة إنـديانا ١٩٦٥ (*Midland Paper Back 1973*) ص:١٧٧. ومن أجل الوثائق المهمة والأولية التى تبرز النشاطات اليوميـة انظـر

Despatches from Damascus: Gilbert Macereth and British Policy in the Levant، ١٩٣٣-١٩٣٩ تحرير مايكل فراى وإيتامار رابينوفيتش، تل أبيب مركز دايان ١٩٨٥ ص:١٧١-٩٥.

(٢٣) *Political Resolution of the Twentieth Zionist Congress* الخاص بتقرير اللجنة الملكية لفلسطين وأعيد إنتاجه في كتاب الذى حرره جون نورتون مور *The Arab Israeli Conflict* دار نشر جامعة برينستون ١٩٧٤ المجلد الثالث ص:١٨٤-٦ وكذلك الذى تم اقتباسه في مؤسسة *Isco, Palestine* دراسة فالسياسات اليهودية والعربية والبريطانية رقم ٢ ص:٨٥٤-٦ وآلان جيرسون (*Israel, The West Bank and International Law*) لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٧٨ ص:٨٧-٨. ومن أجل معالجة تفصيلية حول هذه النقاشات انظر إسحاق جالنور، *The Partition of Palestine* القرارات المصيرية فى الحركة الصهيونية، البانى دار نشر جامعة نيويورك ١٩٩٥.

(٢٤) انظر أيضًا كاتز، *Partner to Partition* خطة تقسيم الوكالة اليهودية فى عصر الانتداب، دار نشر فرانك كاس لندن ١٩٩٨.

(٢٥) *Cmd, 5893*.

(٢٦) *Palestine: Statement of Policy, Cmd. 6019*، لندن *HMSO*، مايو ١٩٣٩.

(٢٧) ماكدونالد، مضبطة مؤتمر سان جيمس مع العرب واليهود، وكلاهما فى ٦ مارس ١٩٣٩ وجرى اقتباسه من جانب كابلان، *Futile Diplomacy* رقم ٢ ص:١١١.

(٢٨) مضبطة مؤتمر سان جيمس مع العرب. رقما ١ و١٧، مارس ١٩٣٩ وجرى اقتباسها فى كابلان، *Futile Diplomacy* رقم ٢ ص:١١٢.

(٢٩) مقتبس من كابلان *Futile Diplomacy* ٢:١١٢.

(٣٠) *Shabtai Teveth Ben Gurion: The Burning Ground*، ١٨٨٦-١٩٤٨ بوسطون دار نشر *Houghton Mifflin*، ١٩٨٧ص:٧١٨ والفصول من ٤٠-١.

(٣١) كابلان *Futile Diplomacy* ٢ : ١١٠-١٣؛ رشيد خالدى القفص الحديدى، ١١٤-١٦.

(٣٢) *A Survey of Palestine* ، ١ ص:٤٣-٤٦-٤٩.

(٣٣) فى تقويمه النقدى لهذه الأرقام يقدر وليد خالدى العدد الكلى للعرب المقتولين بأكثر مـن ٥ آلاف والمجروحين أقل من ١٥ ألفا. وانظر وليد خالدى: مذكرة عن الضحايا العـرب فـى تمرد ١٩٣٦-١٩٣٩ والمنقولة من كتـاب *From Heaven to Conquest* الملحـق الرابـع ص:٨٤٩.

(٣٤) رشيد خالدى: القفص الحديدى ص:٦٤، ٦٦-٧، ١٠٧-٨، ١١-١٢.

(٣٥) *A Survey of Palestine* ، ١ : ص:٤٥.

(٣٦) عن وينجيت انظر ليونارد موسـلى (*Orde Wingate and Moshe Dayen*) ، *And David Ben Gurion (our friend: what Wingate did for us) Juwish Observer and Middle East Review* – ٢٧ سبتمبر ١٩٦٣ ص:١٥-١٦ وكلاهما أعيد إنتاجه فى الفصل ٣٩ من كتاب *From Heaven to Conquest* ص:٣٧٥-٨٧؛ كريـستوفر سـايكس *Crossroads to Israel* ، ١٩١٧-١٩٤٨ دار نشر جامعة إنديانا ١٩٧٣ ص:١٨٢-٣؛ *Edwin Samuel, A Life Time in Jerusalem* دار نشر الجامعات الإسرائيلية ١٩٧٠ ص:١٦٩-٧١؛ صامويل كاتز *Days of Fire*؛ القصة السرية لإنشاء إسرائيل، القدس *Steimatsky's (London W.H.Allen)* ١٩٦٨، ص:٣٤-٥.

(٣٧) *Yihoda Power (From Cooperation to Resistance)*: الهاجاناة ١٩٣٨-١٩٤٦ دراسـات الشرق الوسط رقـم ٢ (١٩٦٥-١٩٦٦) ص:١٨٢-٢١٠؛ *G. Bowyir Bill, Terror Out of Zion:* أرجون تيزفاى ليـومى *LEHI , and the Palestine Underground* ، ١٩٢٩-١٩٤٩ نيويورك دار نشر سان مارتن ١٩٧٧ (وأعيد إصداره باسم: *Terror Out of Zion*: الحرب من أجل استقلال إسرائيل، مع مقدمة جديدة للمؤلف وتقديم مشيه أرينز، دار نـشر بـرونس ويك ١٩٩٦؛ بيجال إيلام (*Haganah, Irgun and Stern: Who did What?*) القـدس الربـع سنوية رقم ٢٣ ربيع ١٩٨٢ ص:٧٠-٨.

(٣٨) *A.G. Toynbee, Forward to Robert John and Sami Hadawi, The Palestine Diary* ، المجلد الأول نيويورك دار نشر نيو ورلد ١٩٧٠ *P. xiv*.

(٣٩) جورج أنطونيوس، *The Arab Awakening* ، لندن دار نشر هــاميش هــاميلتون، ١٩٣٨ ص:٤٠٩-١٢.

(٤٠) *Yaacov Lozowick, Right to Exist:* دفاع أخلاقى عن الحروب الإسرائيلية - نيويورك دار نشر *Doubleday* ٢٠٠٣ ص:٦٣-٧٩ والفصل الثانى منه عنوانه (الانتــداب البريطــانى: القرار بالإنشاء والتدمير) والفصل الثالث بعنوان (١٩٤٨: القرارات حول إبادة الجنس).

(٤١) رشيد خالدى، القفص الحديدى ص:١١٩.

(٤٢) أنيتا شابيرا، *Land and Power* اللجوء الصهيونى للقوة ، ١٨٨١-١٩٤٨ ترجمـــة ويليـــام تيمبلر دار نشر جامعة استانفورد ١٩٩٩ ص:٢٨٣.

(٤٣) المرجع السابق، ص:١٠٧، ١٣٩.

(٤٤) المرجع السابق ص:٣٥٥.

(٤٥) المرجع السابق ص: ٢١٥، ٢٧٥.

(٤٦) المرجع السابق ص:١٨٦، ٢٧٥.

(٤٧) المرجع السابق ص:٢٢١-٢.

(٤٨) المرجع السابق ص:٢٤٨.

(٤٩) التركيز الأصلى فى مناحيم بيجن، *The Revolt* (قصة الأرجون) مع تقديم الحاخــام منيــر كاهانا، لوس أنجلوس دار نشر ناش ١٩٧٢ (والأصل نيويورك / دار نشر شومان لندن دار نشر و.هـــ. ألن ١٩٤٨/١٩٥١)، ص:٤٦.

(٥٠) انظــر *Yezid Sayigh, Armed Struggle and the Search for State* ، الحركـــة الوطنيـــة الفلسطينية، ١٩٤٩-١٩٩٣ دار نشر جامعة أوكسفورد واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧.

(٥١) *Ian S. Lustick (Changing Rationales for Political Violence in the Arab-Israeli Conflict)* مجلـــة الدراســـات الفلــسطينية رقـــم٢٠: ١ (خريـــف ١٩٩٠) ص:٥٤-٧٩

و *Terrorism in Arab Israeli Conflict: Targets and Audiences* وذلك فـــي *Terrorism in context*، تحرير مارتا كرينشو، جامعة بارك دار نشر جامعـــة ولايـــة بنـــسلفانيا، ١٩٩٥ ص.٥١٤-٥٢ وحول أفكار عن دور العنف فى الصراع انظـــر *Lisch, Arab Politics in Palestine*، الفصل التاسع (الاســـتخدام الـــسياسى للعنـــف)؛ *Sheila H.Catz, Women and Gender in Early Jewish And Palestinian Nationalism*، دار نشر جامعة فلوريدا، ٢٠٠٣ الفصل الخامس (*Politicizing Masculinities: Shahada and Haganah*).

(٥٢) انظر على سبيل المثـــال: *Geula Cohen, "Woman of Violence: Memories of a Young terrorist 1943-1948"*، ترجمة هيليل هالكين، نيويـــورك، دار نـــشر *Holt, Rinehart and Winston*، ١٩٦٦. وللاطلاع على دراسة تفـــصيلية أنظـــر: *Joseph Heller, "The Stern Gang: Ideology, Politics, and Terror 1940-1949"*، لندن- بورت لاند، فرانك كاس، ١٩٩٥.

الفصل السادس

المحرقة/ الاستقلال / النكبة

خلال الحرب العالمية الثانية والأعوام الأخيرة لفترة الانتداب، حكم البريطانيون فلسطين بمقتضى "الكتاب الأبيض" لعام ١٩٣٩ والمتضمن تفسيرا مُعدلاً لالتزاماتهم تجاه المجتمعين (الفلسطيني واليهودى)، وهو التفسير الذى تم تحديه مرارًا من قبل كلا الطرفين ومؤيديهما إقليميًا ودوليا، وظل السؤال الخاص بما إذا كانت بريطانيا فضلت طرفًا على الآخر فى هذه الحقبة من سياستها الفلسطينية، كما كانت عليها الحال فى فترات سابقة، من النقاط والمقولات الجوهرية التى لم يتم حسمها فى التواريخ المتضاربة لفلسطين وإسرائيل، وفى هذا الفصل سنركز على أثر المحرقة فى أوروبا فى الموقف فى فلسطين وإنشاء إسرائيل؛ حيث نلاحظ أنه على مدار هذا العقد، المهم والخطير، برزت عدة مقولات جوهرية مثيرة للخلاف بين الصهاينة (الذين سرعان ما تحولوا إلى إسرائيليين) والفلسطينيين والعرب؛ نظرًا لأن الصدام بينهما اكتسب أبعادًا دراماتيكية ووصل لحدود الأزمة.

المحرقة والهجرة اليهودية إلى فلسطين:

خلال شهادته أمام أعضاء لجنة "بيل" بالقدس فى الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٣٦، استهل "د.حاييم وايزمان" كلمته بعرض تفصيلى لـ "المشكلة

اليهودية كما تبدو لنا اليوم"، واستنادًا إلى الأحداث الأخيرة والإشارات غير المتعاطفة أو المُعادية لليهود الصادرة عن قادة ألمانيا وبولندا، أسس رئيس المنظمة الصهيونية العالمية مطالبه الخاصة بحاجة اليهود للهجرة لفلسطين؛ حيث أشار إلى العدد المتزايد من اليهود "الذين ينقسم العالم بالنسبة لهم حول أماكن لا يمكنهم العيش فيها، وأماكن لا يمكنهم دخولها"[١]، وكان ذلك قبل سنتين كاملتين من المذبحة سيئة السمعة (ليلة الكريستال) فى ألمانيا والنمسا، التى أعطت إنذارًا للعالم عن الخطط العنيفة التى يُعدها النظام النازى لليهود فى أوروبا، وخلال سنوات قليلة خضع اليهود فى الأراضى التى حكمها النازيون للحرمان من حق الاقتراع، والتجميع فى أماكن محددة، والانغلاق فى "الجيتو"، والإبعاد، والقتل على يد عصابات، وأخيرا التصفية الجماعية التى قضى فيها ثلثا عدد يهود أوروبا المُقدر بـ٩ ملايين[٢]. وفى هذا الفصل نبحث عن الروابط التى تمت إقامتها بين:

أ) المحرقة والصراع العربى- الصهيونى قبل ١٩٤٨.

ب) المحرقة وإنشاء دولة إسرائيل (الاستقلال).

ج) المحرقة اليهودية والنكبة الفلسطينية[٣].

منذ الثلاثينيات وحتى اليوم، قام كل من اليهود والفلسطينيين والعرب باستخدام، أو إساءة الاستخدام، للمحرقة فى حُججهم فيما يتصل بموضوع من تحققت حقوقه ومن حُرم منها فى إطار تنازعهم على فلسطين / إسرائيل، وبالنظر إلى هذه الحجج المتناقضة يبرز تعدد محاولات إقامة المقارنات والتوازى بين القضايا واستخلاص "الدروس" من هذا الحدث غير المسبوق فى التاريخ الإنسانى[٤]، وفى تناولنا لهذا الموضوع سنحاول الابتعاد عن سوء الاستخدام والتوظيف لأغراض أخرى، فيما نسعى بدقة لعرض كيف أن الأطراف ذاتها كانوا، فى بعض الأوقات، مُذنبين فى هذا الخصوص[٥].

سبق أن لاحظنا، فى الفصل الخامس، كيف بدأت الأحداث فى أوروبا تـؤثر فى المجتمعين اليهودى والعربى فى فلسطين، خاصة مع الزيادة الحادة فى الهجـرة اليهودية غداة وصول هتلر لسُدة الحكم فى ألمانيا عام ١٩٣٣؛ ولكن الخـلاف مـا زال مستمرًا حول عدد من القضايا.. فكلا من العرب الفلسطينيين واليهود، لأسباب متباينة، يثيرون أسئلةً مُحيرة عن أسباب امتناع الدول الأخرى- خاصة الولايـات المتحدة ودول الكومنولث قليلة السكان- عن إظهار المزيد من الكرم فـى زيـادة حصص المهاجرين إليها، ورفع قيود منح تأشـيرات الـدخول، بـل والترحيـب باللاجئين اليهود، ويقدم الجدول (١-٦) مقارنة للهجرة اليهودية إلى كل من وإلـى الولايات المُتحدة وفلسطين خلال الفترة ١٩٣٣ـ١٩٤٤[٦].

Year	*Jewish immigrants to USA*	*Jewish immigrants to Palestine*
1933	2372	30.327
1934	4134	42.359
1935	4837	61.854
1936	6252	29.727
1937	11.352	10.536
1938	19.736	12.868
1939	43.450	16.405
1940	36.915	4547
1941	23.737	3647
1942	10.608	2194
1943	4705	8507
1944	n.a.	14.464

الجدول (١-٦) الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى فلسطين:

ويختلف المراقبون والمؤرخون حول سؤال آخر يدور حول: هل يُلام قـادة الحركة الصهيونية لعدم إعطائهم الأولوية للقيمة الإنسانية لحمايـة الأرواح خـلال فترة النازى، على المميزات السياسية التى يوفرها توظيف مأساة اللاجئين اليهـود

كحجة لدعم دعوى الصهيونية والمستوطنات فى فلسطين بإقامة دولة هناك؟ وعلى الرغم من أن هذه الموضوعات تستحق البحث والتقصى العميق أخلاقيًا وتاريخيًا، فإنها تخرج، فى واقع الأمر، عن إطار الدراسة الحالية(٧)، وستتناول الصفحات التالية انعكاسات أزمة اليهود الأوروبيين على الموقف فى فلسطين؛ حيث بلغ التنافس القومى طورًا أكثر حدة؛ وكان الأثر الفورى لصعود النازية فى أوروبا جليا. وفضلاً عن الافتقار المتزايد للأمن للمجتمعات اليهودية فى مختلف الدول الأوروبية، كان هناك شعور متعاظم بخيبة الأمل فى ضوء قلة عدد الدول التى أبدت استعدادا للتدخل لحماية الأقليات المُستهدَفة أو لاستقبال اللاجئين منهم، وكان ذلك واضحًا بعد النتائج المُحزنة لمؤتمر "إيفيان" فى يوليو ١٩٣٨ الذى تم تنظيمه لتعبئة الموارد لاستقبال اليهود الراغبين فى الهجرة من أوروبا، ومنذ تلك اللحظة تم إطلاق العنان لقادة اليهود فى العالم لاعتبار فلسطين الملجأ الأساسي، إن لم يكن الوحيد لإنقاذ أو لخلاص اليهود(٨).

ولم يكن مستغربًا أن تثير الزيادة الضخمة فى أعداد السكان اليهود مخاوف العرب الفلسطينيين من أن تجتاحهم موجات المهاجرين اليهود، وقد كانت هذه المخاوف- كما رأينا فى الفصل الخامس- عاملاً أسهم فى اندلاع التمرد عام ١٩٣٦؛ بالإضافة إلى تنامى مشاعر الإعجاب بالحركات والأيديولوجيات الفاشية والنازية بين القوميين العرب الذين رعوا فى القوة الاستعمارية البريطانية والفرنسية والحركة الصهيونية فى فلسطين أعداءهم الرئيسيين، وخلال سنوات قليلة سعى مُفتى القدس، الحاج أمين الحُسينى القائد المنفى للحركة القومية العربية الفلسطينية، لإقامة تحالف مع الرايخ الثالث(٩)، وبدوره أسفر التجمع للقوى المُعادية عن زيادة الشعور بين يهود فلسطين بالخطر وهشاشة مصيرهم(١٠).

وخلال الشهور والسنوات التالية لإصدار إعلان "ماكدونالد" عن السياسة البريطانية، فى مايو ١٩٣٩، سعى ممثلو الصهاينة ومؤيدوهم لممارسة ضغوط مُكثفة ومتزايدة على السياسيين والدبلوماسيين الأوروبيين من أجل إلغاء قيود الكتاب الأبيض على الهجرة اليهودية حتى تكون فلسطين ملجأ لأولئك الذين يسعون للفرار من جحيم النازية الأوروبية. وفى مايو ١٩٤٢، أصدر مؤتمر صهيونى طارئ، عُقد فى فندق بلتيمور بمدينة نيويورك، قرارات تدعو إلى الهجرة الجماعية إلى أرض "إيريتز إسرائيل" (إسرائيل) وإقامة كومنولث يهودى (بمعنى الدولة) فى أعقاب الحرب فى فلسطين غير المُقسمة[١١]. وقد ذهبت قرارات "مؤتمر بلتيمور" إلى ما هو أبعد من تكرار رفض الصهاينة الرسمى لسياسة الكتاب الأبيض، لتشكل أول طلب صهيونى صريح وكامل لإقامة دولة وليس مجرد وطن قومى، وليس على جزء من فلسطين المُقسمة.. وهكذا كانت المحرقة التى كانت فى طريقها لدخول أخطر أعوامها بالنسبة لقتل اليهود، كانت حاضرة فى عقول وقلوب الوفود المُجتمعة فى المؤتمر الصهيونى الطارئ؛ وكما ذكر آنذاك القائد الصهيونى الأمريكى سيلفر أباهيليل:

"لن نتمكن حقًا من إنقاذ يهود أوروبا ما لم تكن هناك هجرة حرة لفلسطين، ولن نحصل على هجرة حرة لفلسطين ما لم يتم الاعتراف بحقوقنا السياسية هنالك، ولن يُعترف بحقوقنا ما لم يتم الاعتراف بصلتنا التاريخية بهذا البلد وتأكيد حقنا فى إعادة بناء وطننا القومى، وكل هذه السلسلة سينفرط عقدها إذا فُقدت حلقة واحدة منها"[١٢].

ويقدم هذا المنطق مثلاً معبرًا بوضوح عن المقولة السابعة الأساسية المُختلف عليها والمتصلة بالتساؤل عن الرابطة، أيًا كانت، التى يلزم إقامتها بين تصفية الشعب اليهودى فى أوروبا خلال المحرقة والقضية الخاصة بمن يجب أن يحكم فلسطين / إسرائيل؟

وعلى خلاف الموقف الصهيونى الموضح عاليه، سعى رد الفعل العربى إلى الفصل، بقدر الإمكان، بين الصراع على فلسطين عن المسألة اليهودية الأوروبية. وفى الصفحات الختامية من كتابه "يقظة العرب" الذى أعده "جورج أنطونيوس" أواخر ١٩٣٧ وأوائل ١٩٣٨، بدا المؤلف على وعى تام بالأثر الذى يمكن أن تمارسه المأساة اليهودية على الصراع فى فلسطين:

> **"إن التخفيف من مأساة اليهود يجب البحث عنه فى مكان آخر غير فلسطين؛ حيث إن الدولة صغيرة جدا لتحمل زيادة أكبر فى سكانها، وقد تحملت بالفعل أكثر من نصيبها، ويقع على كاهل بريطانيا، التى قادت هذا العمل الخيرى على حساب العرب، أن تستثمر الموارد الضخمة لإمبراطوريتها وأن تمارس هناك بعضا من مظاهر العمل الخيرى الذى تحض عليه ..."**

وفقًا لرأى "أنطونيوس"، كانت المعاملة التى شهدها يهود ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية "عملاً شائنًا لمن اقترفوه وللحضارة الحديثة"، ولكن:

> **"وضع العبء الأكبر على كاهل فلسطين العربية كان تهربًا تعيسًا من الواجب الذى يقع على كل العالم المُتحضر، كما أنه عمل شائن أخلاقيًا ولا توجد مُدونة للأخلاق تُبرر**

اضطهاد شعب من أجل محاولة التخفيف من اضطهاد آخـــر؛ إن علاج طرد اليهود لم يكن له أن يتم من خلال السعى لطرد العرب من وطنهم القومى، كذلك بالنـــسبة لتخفيـــف محنـــة اليهود، التى لم يكن لها أن تتم إلا من خلال إحـــداث محنـــة شعب برىء ومسالم"[١٣].

بعد مرور سبعة أعوام وفى نهاية ١٩٤٤، كرر "مؤتمر الإسكندرية" بمصر، الذى أرسى أسس جامعة الدول العربية وأصدر قرارات بدعم فلسطين، المطالبـــات العربية السابقة بـــ "وقف الهجرة اليهودية، والمحافظة على الأراضـــى العربيـــة، وتحقيق استقلال فلسطين". وعلى حين؛ عبرت الوفود فى المؤتمر عـــن "الأســـف للفظائع التى وقعت على يهود أوروبا من جانب دولها الديكتاتوريـــة"، رددوا دفـــع "أنطونيوس" بأن "قضية أولئك اليهود لا يجب مزجها مع الصهيونية؛ حيث إنه لـــن يكون هناك أكثر ظلمًا وعدوانية من حل مشكلة اليهود من خلال القيام بظلم آخـــر، بمعنى إيقاع الظلم على عرب فلسطين"[١٤]. وفى لقاء على بارجة عسكرية أمريكية فى البحر الأحمر أوائل عام ١٩٤٥ حاول ممثل الرئيس الأمريكى- دون جـــدوى- إقناع "ابن سعود" ملك السعودية بفتح أبـــواب فلسطين من أجـــل اليهـــود اللاجئين الناجين من أوروبا، وأصـــر الملك العربى بشدة على أن مأساة يهود أوروبا يجب أن تحلها دول أوروبا المسيحية[١٥].

وفى أعقاب هزيمة النازية فى ألمانيا، ألقى مـــصير اليهـــود النـــاجين مـــن المحرقة الذين تم تجميع الكثير منهم فى معسكرات، بظلاله على كل الجهود لتسوية الصراع الحاد بين الفلسطينيين العرب ويهود المستوطنات، وخلال السنوات الثلاث المتبقية من الانتداب البريطانى لجأ العديد من الجماعات اليهودية الناشـــطة، الـــذى

شعر بالإحباط، إلى أعمال إرهاب متزايدة ضد بريطانيا وضد العرب معلنًا "ثورة اليهود" ضد الحكم البريطاني، وتعاون مع "الهاجاناة" لتشكيل حركة مقاومة يهودية موحدة، وإن كانت مؤقتة(١٦)، كذلك نظم بعض الجماعات الصهيونية عمليات سرية لنقل اللاجئين اليهود الناجين بالقوارب إلى سواحل فلسطين اختراقا للحصار البريطانى، وعلى حين نجح عدد محدود من القوارب فى خرق الحصار، وتم الإمساك بالعديد من اليهود اللاجئين وإيداعهم معسكرات بريطانية فى جزيرة قبرص المجاورة، وحظيت الأحداث بتغطية إعلامية فعالة ومؤثرة على الرأى العام فى أوروبا وأمريكا، خاصة ما تعلق منها بسفينة "Exodus" عام ١٩٤٧ التى تمت إعادة ركابها إلى الأراضى الأوروبية(١٧).

وفى الوقت الذى أيد بعض، بإخلاص وتعاطف، وجهة النظر القائلة بأن إنقاذ يهود أوروبا اللاجئين يتم من خلال فتح أبواب فلسطين لهم. استمر العرب والفلسطينيون فى الدفع بأن المحرقة هى مشكلة مسيحية- أوروبية، وقضية عامة تتطلب حلاً عالميا، تتحمله بشكل رئيسى القوى الأوروبية وحلفاؤها، ومع ذلك لم يتمكن العرب من إثناء أغلب الدوائر الغربية عن تأييدها للحل الصهيونى عبر فلسطين للناجين من المحرقة، ولم يلق الاعتراض الفلسطينى، القائل بأن حل مشكلة الناجين من أوروبا بإرسالهم إلى فلسطين يشكل ظلمًا، آذانًا صاغية؛ حيث فوض الرئيس الأمريكى ممثله فى اللجنة الحكومية للاجئين، "إرل هاريسون" بزيارة معسكرات اللاجئين وكتابة تقرير عن الموقف والرغبات التى يتم التعبير عنها، وقد أثر هذا التقرير الذى تضمن بشكل متوقع أن جميع اللاجئين يريدون الذهاب لفلسطين، فى قرار "ترومان" بالضغط بشكل علنى من أجل القبول الفورى بهجرة مئة ألف لاجئ يهودى إلى فلسطين(١٨).

اللجنة البريطانية- الأمريكية للتحقيق:

استجابة للنقد المتزايد لسياستهم فى فلسطين والمتصلة بـالاجئين اليهـود، الذى تزامن مع تدخل أمريكى متزايد ومباشر فى التعامل مع تبعات الحـرب فـى أوروبا، وافق صانعو السياسة البريطانيون، فى أكتوبر١٩٤٥، على إنـشاء لجنـة بريطانية- أمريكية، تحت رئاسة القاضى "جوزيف هاتشيـسون" والـسير "جـوم سينجلتون" وعضوية ٦ من الأمريكان و٦ من البريطانيين، لزيارة أوروبا (بما فى ذلك معسكرات الأفراد المشردين) وفلسطين أوائل ١٩٤٦، وقامت اللجنة بالاستماع للشهادات، وتسلم الطلبات من البريطانيين والعرب وممثلـى اليهـود[١٩]، ونظـرًا لتجاوز الأحداث لها من جانب وصدور تقرير للأمم المتحدة بعد ١٦ شـهرًا مـن جانب آخر، فإن تقرير اللجنة البريطانية- الأمريكية لا يجرى تذكره حاليًـا، إلا أن توصياتها- التى أدت آنذاك إلى خلاف رسمى أمريكى- بريطـانى حـول كيفيـة التعاطى مع قضيتى اللاجئين وفلسطين- تستوجب تناولها بالبحث؛ حيث إنها تلقـى ضوءًا مهمًا على مواقف الأطراف المتنافسة التى قادت إلى طريق مسدود خـلال عامى ١٩٤٥ـ١٩٤٦ خاصة تحت ضغط الموقف فى أوروبا بعد الحرب[٢٠].

وعلى غير ما يشتهى المتحدثون الرسميون باسـم العـرب والفلـسطينيين، ربطت اللجنة- بشكل متعمد وواضح- موضوعات الناجين من المحرقة ومـستقبل فلسطين بدلاً من الفصل بينهما، واقترح التقرير، علـى وجـه التحديـد، الـسماح بالدخول الفورى لمئة ألف من الناجين اليهود كبادرة إنسانية وسياسية، وفيما يخص الترتيبات الدستورية، نحّت اللجنة جانبًا كلاً من التقسيم (كما اقترحته لجنة بيل قبل ٩ سنوات) والدولة الموحدة (التى طالما طالب بها المتحـدثون الرسـميون باسـم

العرب) وأوصت بأن تكون حكومة فلسطين مستقبلاً مؤسسة على مبدئى عدم الهيمنة و"القومية الثنائية":

(أ) إن اليهود لم يهيمنوا على العرب، والعرب لن يهيمنوا على اليهود فى فلسطين.

(ب) إن فلسطين لن تكون دولة يهودية ولا دولة عربية... فلسطين يجب أن تؤسس كدولة يتم فيها التوفيق بين الطموحات القومية لكل من العرب واليهود، دونما خوف من هيمنة طرف على الآخر، وفى رأينا هذا لا يمكن إجراؤه تحت أى شكل دستورى تكون فيه مجرد وجود الأغلبية العددية هو أمر حاسم، خاصة أن الصراع من أجل الأغلبية العددية هو الذى أفسد العلاقات العربية- اليهودية[٢١].

مثل هذه التوصية الراديكالية تبرز الأثر الذى مارسته على أعضاء اللجنة مجموعة صغيرة، وإن كانت محورية، ومن المثقفين اليهود ضمت الفيلسوف الشهير "مارتن بوبر"، ورئيس الجامعة العبرية "د/جودة ماجنيس" (عضوا "جمعية الوحدة" التى خلقت مجموعة "ميثاق السلام" التى نشطت فى العشرينيات وأوائل الثلاثينيات)، والمناقشات الدائرة اليوم حول خيار الدولة الواحدة فى مواجهة حل الدولتين للإسرائيليين والفلسطينيين يمكنها الرجوع إلى تقرير اللجنة باعتباره الإنجاز الأعظم لمؤيدى ما سُمى آنئذ "حل الدولة الواحدة ذات القوميتين"، على الرغم من أن بعض المصطلحات قد تغير بمرور الوقت.

وكما سنرى فيما بعد؛ فإن مقترحات اللجنة قد تم تجاوزها من قبل الأحداث التى أسفرت عن مقترحات أخرى أكثر استساغة بالنسبة للقوى الكبرى.

لجنة الأمم المتحدة الخاصة لفلسطين وإنشاء إسرائيل:

حتى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، ساعد وصول هتلر لسدة الحكم في ألمانيا في إقناع الكثيرين من الذين كانوا قبل ذلك غير صهاينة أو مناهضين لهم، بتأييد، إن لم يكن تبنيا، الخيار الصهيوني باعتباره حيويا من أجل نجاتهم ماديًا، وبالنسبة لقادة الصهيونية ومنظريها؛ فإن هتلر والمحرقة قدما البرهان الدامغ على صحة نظرية "هيرتزل" والحاجة الماسة لدولة يهودية في فلسطين، وعلى الرغم من أن العديد أحسوا بشيء من الراحة من هذا التأكيد على القضية الصهيونية، فقد سيطر عليهم الحزن بنهاية الحرب لإدراكهم أنه بالنسبة للملايين الذين قتلوا بالفعل سوف تأتي الدولة متأخرة للغاية. ومن ١٩٤٦ حتى ١٩٤٨، لم يكن هناك شيء يشغل قادة المجتمع اليهودي سوى التعبئة لصالح ما اعتبروه حملة الحياة أو الموت للعودة إلى فلسطين في دولة يهودية يمكنها أن تستقبل أولئك الناجين من جحيم الحرب.

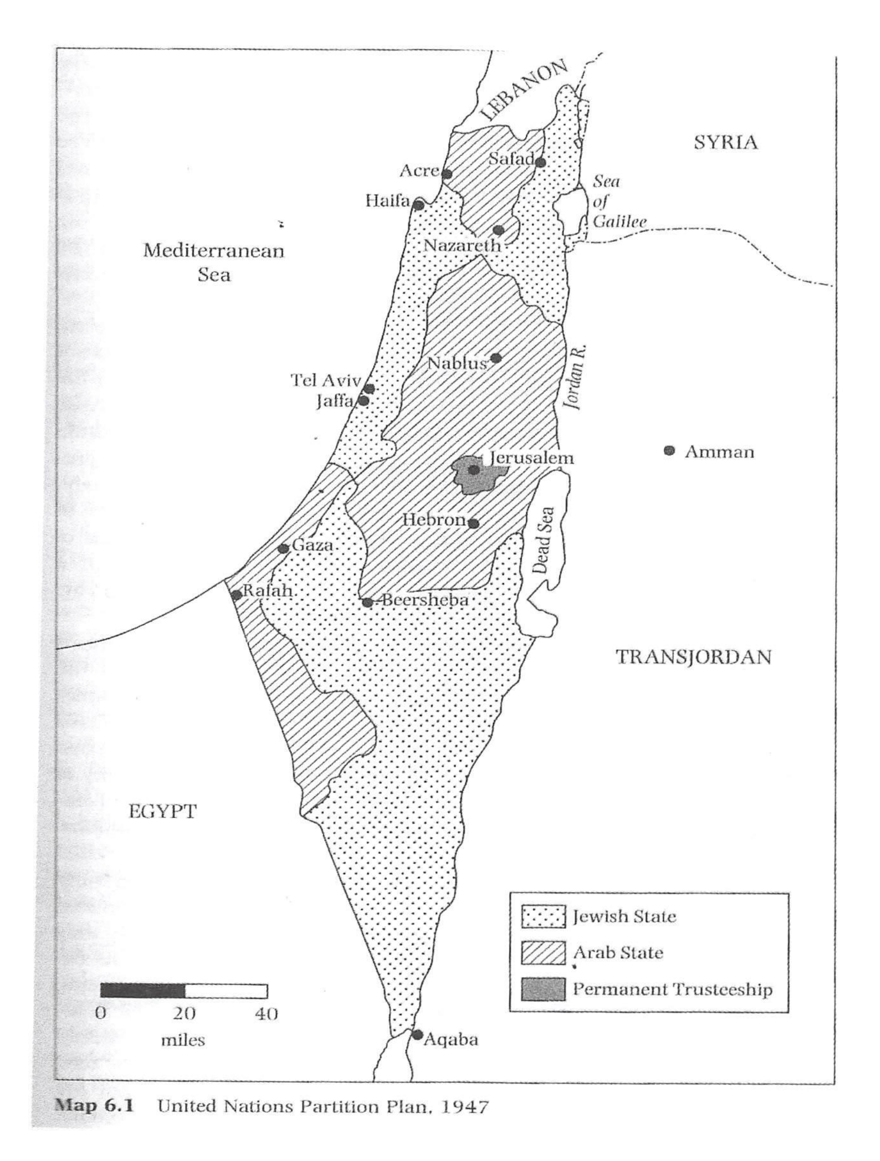
وخلال فترة ما بعد الحرب، أصبح الربط بين قضايا اليهود المشردين في أوروبا من جانب، ومستقبل فلسطين المتنازع عليها من جانب آخر، محور التركيز الأساسي في المناقشات العامة؛ مما وفر للحركة الصهيونية ميزة غير مسبوقة لتحظى بتعاطف العالم معها في صراع كان لا يمكن للفلسطينيين العرب أن يكسبوه، وفي فبراير ١٩٤٧ أعاد البريطانيون قضية فلسطين إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة التي شرعت في مايو تشكيل آخر لجان التفتيش في هذه الفترة، والمكونة من أحد عشر عضوًا تحت اسم "لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين".

على غرار النموذج المعتاد للّجان السابقة، قامت اللجنة بجمع الدلائل (كان بعضها مجرد تحديث للعناصر التي سبق تقديمها منذ عام للجنة البريطانية الأمريكية)، كما استمعت للشهادات من منتصف يونيو حتى آخر يوليو ١٩٤٧،

وجاءت زيارة اللجنة لفلسطين فى الوقت المناسب ليتابع أعضاؤها بأنفسهم عملية وصول ثم ترحيل الناجين اليهود الذين كانوا على متن السفينة "Exodus" ١٩٤٧[٢٢]، ونتيجة للمقاطعة المعلنة من قبل القادة الفلسطينيين؛ استمعت اللجنة فقط لشهادات من غير ممثلي الفلسطينيين العرب في بيروت وعمان، وعلى الرغم من أنه كان مقررًا مسبقًا ألا تزور اللجنة المعسكرات فى أوروبا (على خلاف ما قامت به اللجنة البريطانية- الأمريكية)، قام عدد من أعضائها بتنظيم زيارات غير رسمية إلى "أندروز دورف"، و"هاهنى" وغيرهما من معسكرات المشردين، فيما اتخذت اللجنة لنفسها مقرًا فى جنيف لكتابة تقريرها[٢٣].

تضمن تقرير الأغلبية من أعضاء اللجنة المقدم فى الحادى والثلاثين من أغسطس ١٩٤٧؛ التوصية بتقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين يهودية وعربية، مع وضع منفصل للقدس تحت الإدارة الدولية، على أن يتم الربط بينهما باتحاد اقتصادى[٢٤]، ومما لا شك فيه أن أعضاء اللجنة تأثروا ــ كما كانت عليها الحال بالنسبة لأعضاء اللجنة البريطانية- الأمريكيةــ بمعاناة اليهود الأوروبيين الناجين من المحرقة، كما أن تحديد الأرض والإقليم المفروض تخصيصه للدولة اليهودية تأثر ليس فقط بالقدرات والطاقات التى يتفاخر بها اليهود عن "جعل الصحراء تزدهر"؛ ولكن كذلك بالحاجة لاستيعاب آلاف الناجين من المحرقة، وفى النهاية وعقب مناقشات وتعديلات طفيفة، تضمنت حدود الدولة اليهودية المقترحة ٥٥% من مسطح منطقة الانتداب فى فلسطين بما فيها صحراء النقب قليلة السكان، وشمل سكانها ٥٠٠ ألف يهودى و ٤٠٠ ألف عربى، بما يعنيه ذلك من وجود أقلية عربية كبيرة بكل المقاييس.

خلال الشهور الثلاثة التالية من عام ١٩٤٧؛ تتابعت مناقشات واجتماعات لجان الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك لبحث كل النواحى الفنية والمبادئ، وقد واكب ذلك ضغوط اللوبى اليهودى المكثفة من وراء الستار وفى أروقة المنظمة الدولية على وزراء الخارجية وحكومات الدول الأعضاء، وقد كان التناقض كبيرًا بين روايات مؤيدى الفلسطينيين وأولئك المساندين للصهاينة فيما يتصل بهذه الشهور المصيرية؛ فالموالون للعرب استعرضوا تكتيكات الذراع الطويلة التى استخدمها الصهاينة وأنصارهم الأقوياء (أغلبهم من الأمريكيين) بكل قسوة بهدف دفع الدول الضعيفة أو المترددة للتصويت من أجل التقسيم[٢٥]، أما مناصرو الصهيونية؛ فقد قدموا العملية برمتها على أنها حملة قام بها "شعب صغير ضعيف دونما سيادة أو نفوذ" يحارب فى مواجهة قوة ساحقة للحصول على دولة من خلال ثلثى الأصوات فى الجمعية العامة[٢٦]، وحقيقة الأمر أنه حتى بعد استبعاد المزايدات الدعائية والمغالية، تظل الفجوة واسعة بين الروايات المتضاربة حول كيفية الموافقة على التقسيم؛ فالفلسطينيون ومؤيدوهم يعتقدون أنها لعبة قذرة، فيما يروى الصهاينة والإسرائيليون ما تحقق على أنه نتيجة لصعود شجاع إلى أعلى التل على الرغم من وجود عقبات جمة، وهناك سؤال آخر ما زالت الإجابات عنه متفاوتة ويتصل بمعرفة إلى أى مدى كان الشعور الغربى بالذنب لما وقع لليهود فى المحرقة عاملاً مؤثرًا فى النتيجة النهائية لتصويت الدول الأعضاء على قرارات الأمم المتحدة[٢٧].



Map 6.1 United Nations Partition Plan, 1947

خريطة (١-٦): خطة الأمم المتحدة للتقسيم عام ١٩٤٧.

فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧، تم إقرار مقترحات اللجنة الخاصة بفلسطين مع إدخال تعديلات طفيفة، بموجب قرار الجمعية العامة رقم (١٨١) بأغلبية ٣٣ صوتًا مؤيدًا، و١٣ معارضًا وامتناع ١٠ عن التصويت[٢٨]. وعلى حين ابتهج الصهاينة بالنتيجة شعر الفلسطينيون والعرب بالحنق، وأقسموا على الدفاع عن فلسطين العربية ما اعتبروه إقحامًا ظالمًا لدولة إسرائيل هناك.. وفضلا عن عدم العدالة وتفاصيل الخطة والخريطة المقترحة؛ رفض للفلسطينيون من حيث المبدأ أن يقوم كيان خارجى (الأمم المتحدة) بفرض مطالبات الأقلية ضد رغبات الأغلبية المحلية الأصلية، الأمر الذى يقودنا لبحث المقولة الثامنة ضمن المقولات الجوهرية التى تناولها فى هذا الكتاب ومفادها: هل كان القرار ١٨١ (للتقسيم) هو ممارسة شرعية لسلطة الأمم المتحدة فى القانون الدولى، وهل كان من الحكمة رفضه من قبل الدول العربية والفلسطينيين؟

وكما كانت عليها الحال بالنسبة إلى المسائل الأخرى التى لم يتم حلها من قبيل شرعية الانتداب على فلسطين للمقولات والنزاع الأخير المتعلق بنشاط إسرائيل الاستيطانى فى الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧، يتمثل المختصمون الرئيسيون فى الجزء الأول من النقاش فى الخبراء فى القانون الدولى، وأى فرد يحاول المغامرة بالدخول فى الأحكام القانونية والمبادئ اللاتينية التى يطرحها هؤلاء قد لا يشعر بالدهشة من اكتشافه؛ لحقيقة أن الكثيرون من بين هؤلاء المحامين هم بشر ويمكن أن يكونوا مؤيدين لطرف يرون القليل من المناطق الرمادية بين المواقف المتنافسة، ومن هذا المنطلق، يردد المناصرون للفلسطينيين الحجج التى ساقتها الأقلية خلال مناقشات الأمم المتحدة أواخر ١٩٤٧، ويتحدون شرعية قيام المنظمة بفرض حل يتعارض مع الرغبات التى عبرت عنها غالبية السكان، فمن وجهة نظرهم تفتقد الجمعية العامة للسلطة (التى يملكها مجلس الأمن)

لفرض قراراتها من خلال تطبيق عقوبات؛ حيث تقتصر سلطتها فقط على التوصية[٢٩]. وإذا ما أخذنا الموقف القانونى الآخر يدفع الخبراء المؤيدون لإسرائيل بأن القرار كان شرعيا وعادلا، ويسجلون انتقادا مضادا للدول العربية التى تحدت إرادة الأمم المتحدة المُعبر عنها عندما اختاروا مهاجمة إسرائيل فى مايو١٩٤٨[٣٠]، وقد شكل غياب أى عقوبات ضد الدول العربية على غزوها لفلسطين، بالنسبة لإسرائيل ومؤيديها، أول مثل فى سلسلة من الانتقادات لما يدعون كونه تحيزًا ضد إسرائيل من جانب المنظمة الدولية، مما يخفف من بهجتهم بالتصويت التاريخى فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الذى اعترف بحق اليهود فى دولة ذات سيادة على جزء من فلسطين[٣١].

وتنبع من هذا الجدال القانونى حجج أخرى ذات طابع أكثر سياسى وتاريخي، فالإسرائيليون ومؤيدوهم ينتقدون الفلسطينيين والدول العربية بتصوير رفضهم لخطة التقسيم كدليل على السلوك العدوانى ونوايا الحرب، والنتيجة الطبيعية أنه برفضهم دولة عربية مقسمة على جزء من فلسطين الانتداب، ومحاولتهم إعاقة إنشاء دولة إسرائيل كما اقترحه القرار ١٨١، يلزم لوم العرب والفلسطينيين أنفسهم على حرب عام ١٩٤٨ وتحميلهم كامل المسئولية على كل نتائجها السلبية – من قبيل خسارة أراضٍ لصالح إسرائيل، وخسارة الفرصة لإقامة دولة فلسطين، ومصير اللاجئين الفلسطينيين، وسنناقش هذا فيما يلى وأيضًا مرة ثانية فى الفصل الثانى عشر تحت عنوان "الفرص الضائعة".

حرب الاستقلال والنكبة:

يمكن إرجاع اندلاع الحرب، التى يسميها الإسرائيليون بحرب الاستقلال ويطلق عليها الفلسطينيون وصف الكارثة أو النكبة، إلى الثلاثين من نوفمبر ١٩٤٧

(اليوم التالى لصدور القرار ١٨١) أو الخامس عشر من مايو١٩٤٨ (حين أعلنت حكومة إسرائيل المؤقتة استقلال الدولة فى يوم مغادرة البريطانيين)؛ الأمر الذى عجل من هجوم القوات المصرية، والسورية، والأردنية، وقد استمر القتال بشكل متقطع حتى أوائل ١٩٤٩، وتمخضت الحرب عن مقتل ٦٠٠٠ إسرائيلى (وهى نسبة عالية من السكان)، و١٣ إلى ١٦ ألف فلسطينى وما بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ عربى آخر، بالإضافة إلى الآلاف من الجرحى[٣٢].

لقد صور الإسرائيليون ومؤيدوهم عبور هذه الجيوش لحدود الانتداب السابق على فلسطين بأنه ليس فقط انتهاكًا للقرار ١٨١، ولكنه شن لحرب إبادة مع حملة دعائية دموية محورها "إلقاء إسرائيل فى البحر". ومن منظور الفلسطينيين والدول العربية؛ كان هذا التدخل العسكرى الخارجى مسعى لإنقاذ الأجزاء العربية من فلسطين حتى لا تقتحمها القوات الصهيونية المتفوقة[٣٣]، وقد شارك الفلسطينيون أنفسهم فى القتال، كأعضاء فى الميليشيات المحلية دونما تنسيق عسكرى أو سياسى مركزى، ومما أضاف المزيد من الارتباك إرسال قوات تحت رعاية الجامعة العربية (جيش التحرير العربى بقيادة فوزى القاوقجى) ومجموعات جندتها وجمعتها جماعة الإخوان المسلمين فى مصر، فضلاً عن جيوش من لبنان والعراق شاركت فى القتال على جبهات محدودة، فيما أرسلت اليمن والسعودية فرقًا رمزية.

لقد كان التضارب فى المدركات العميقة والنظرة للذات من قبل كل من الفلسطينيين والعرب والإسرائيليين فى هذه الحرب صارخًا للغاية، وإن كان قد جرى فى كثير من الحالات تبسيطه بشكل كبير، فطبقًا للروايات الإسرائيلية لحرب الاستقلال؛ فإن القلة المحاصرة ضعيفة التسليح انتصرت على الكثرة المسلحة تسليحًا جيدًا ولديها المعدات تمامًا؛ كما حدث للملك "داود" الذى استطاع بشجاعة أن

يتحدى ويقتل "جوليات" القوى، وطبقًا لهذه الروايات تمكن الإسرائيليون الجدد من النجاة بأعجوبة من الإبادة، فقط بجهودهم الشجاعة[٣٤].

ومن جانبها؛ تُبرز الروايات الفلسطينية والعربية للحرب أنهم واجهوا ميليشيات صهيونية معبأة أيديولوجيا وأكثر تنظيمًا تدربت وتسلحت سرًا على مدار أعوام استعدادًا لهذا اليوم، فى حين أنهم كانوا غير مستعدين وتحت قيادة ضعيفة وغير منظمين، وأيضًا تحت رحمة جيوش عربية لم تكن دوافعها ومناوراتها، بخلاف البيانات الرسمية، مكرسة لإنقاذ فلسطين من أجل الفلسطينيين، ووفقًا للمؤرخ "رشيد الخالدى" لم يكن الأداء العسكرى الكارثى خلال حرب ١٩٤٩/١٩٤٧ "أكثر من خاتمة مأساوية للهزيمة النكراء لأعوام ١٩٣٩/١٩٣٦"، وقد اتبع سلوك الدول العربية خلال صراع ١٩٤٩/١٩٤٧ من أجل فلسطين النموذج الذى تم إرساؤه فى الثلاثينيات عندما أمسكت الدول العربية زمام المبادرة السياسية والمسئولية عن القضية الفلسطينية، فى حين "اتبعت كل دولة عربية... الخط الخاص بها، وسعت لتحقيق مصالحها الخاصة، التى كانت لها، بشكل عام، آثار غير مواتية للفلسطينيين"[٣٥].

سعت الأبحاث الحديثة للمؤرخين اختراق الدعايات المتنافسة والنظرة للذات، لتقدم تقديرات أكثر دقة وواقعية لتوازن القوى خلال مختلف مراحل الحرب العربية- الإسرائيلية عامى ١٩٤٩/١٩٤٧، ويميل معظم المؤرخين حاليًا إلى التشكيك فى مصداقية أسطورة أن الإسرائيليين كانوا قلة قليلة فى مواجهة الكثيرين فى هذه الحرب، فعلى الرغم من أن العالم العربى يبدو، بكثافته السكانية وامتداده الجغرافى، ضخمًا إذا قورن مع المستوطنات بعدد سكانها الذى تراوح بين ٦٠٠ و٦٥٠ ألفًا عام ١٩٤٧، فإنه بالنظر إلى القوات الفاعلة قتاليًا فى الميدان كان

الوضع يميل أكثر إلى الجانب الصهيونى، وعلى سبيل المثال خلال المرحلة الأولى للحرب (التى يطلق عليها أحيانًا الحرب الأهلية) التى سبقت تدخل الجيوش العربية النظامية، حققت "الهاجاناة" وغيرها من الميليشيات الصهيونية بعض الانتصارات الاستراتيجية الحاسمة على المقاتلين الفلسطينيين المحليين والفيلق العربى مستفيدة من تعبئة وتنسيق أفضل تحت قيادة مركزية، فضلاً عن التفوق فى عدد المقاتلين الذى قارب الخمسين ألف يهودى (بمن فيهم الاحتياطى) فى مواجهة أقل من عشرة آلاف عربى[٣٦]، ومع ذلك فإنه خلال الأسابيع الأولى للقتال؛ لم تكن القوات الصهيونية على الدرجة نفسها من التجهيز مقارنة بتلك التى أرسلتها الدول العربية إلى ساحة القتال.

وهناك جدال آخر حول مسار الحرب يأخذنا خطوة إلى الأمام بالنسبة للمقولة الجوهرية المتصلة بالدور البريطانى الذى سبق أن تناولناه فى الفصل الرابع، فمن وجهة النظر الصهيونية- الإسرائيلية، استمرت بريطانيا بعد ١٩٤٧ فى تقديم الغطاء الدبلوماسى للدول العربية الرئيسية المتعاملة معها وهى: الأردن والعراق، ومن ثم تشجيعهم فى طموحاتهم العسكرية لشن هجومهم النهائى على الدولة اليهودية الوليدة، وفى مواجهة هذا الطرح لم يتم رصد على الجانب الفلسطينى أى مؤشرات على اعتراف الفلسطينيين بالجميل تجاه البريطانيين لمساعدتهم كحلفاء بأى شكل، بل يطرح الفلسطينيون السؤال التالى: ألم تكن الحراب البريطانية هى التى قدمت، خلال ثلاثة عقود، المساعدة لينمو الوطن القومى اليهودى ويصبح قادرًا عسكريًا على السيطرة على البلاد؟ وينحى الفلسطينيون كذلك باللائمة على الحاكم البريطانى فى حيفا والذى تعاون مع قادة المستوطنات وضباط "الهاجاناة" وساعدهم فى السيطرة على هذه المدينة المختلطة فى أبريل ١٩٤٨[٣٧]، وهناك إدانة أكثر خطورة لتواطؤ البريطانيين مع ملك

الأردن عبد الله (وبطريقة غير مباشرة مع الصهاينة) بإعطـــاء مباركـــة حكومـــة صاحب الجلالة لخطته لضم أجزاء من الضفة الغربية؛ ومن ثم منـــع قيـــام دولـــة فلسطينية ربما تولى قيادتها المفتى (الـــذى كـــان آنـــذاك بـــالمنفى بالقـــاهرة) أو حلفاؤه[٣٨]. وفضلاً عن ذلك انتقد العرب أطرافًا خارجية أخرى لمـــساعدتها فـــى نجاح الصهيونية فى الحرب: الولايات المتحدة خاصة، والاتحاد السوفيتى بدرجـــة أقل، بالإضافة إلى العملاء الصهاينة المنتشرين فى كلا الدولتين الذين وفروا الأيدى العاملة وهربوا الأسلحة التى ساعدت ومكنت الميليشيات الصهيونية من الـــسيطرة على الأراضى فيما وراء الحدود التى أوصت بهـــا الأمـــم المتحـــدة فـــى قـــرار التقسيم[٣٩].

لقد تمخضت الحرب العربية- الإسرائيلية الأولى عن إنشاء دولة إســـرائيل ذات السيادة والتى تم قبولها كعضو فى الأمم المتحدة فى مايو ١٩٤٩، ومع التوقيـــع على أربعة اتفاقات للهدنة مع مصر والأردن وسوريا ولبنان عام ١٩٤٩، امتـــدت حدود دولة إسرائيل الجديدة إلى ما هو أبعد مما تضمنته خطة التقسيم للأمم المتحدة لتغطى ٧٨% من أراضى الانتداب السابق على فلسطين.

إن الإقليم الذى كان مفترضًا أن يصبح الدولة العربيـــة الفلـــسطينية، وفقًـــا للخطة حسب خطة الأمم المتحدة للتقسيم، يوجد الآن فى شـــكل منـــاطق مبعثـــرة، وعلى الرغم من إشارة المسئولين البريطانيين والأمريكان ومن الأمم المتحدة فـــى وثائقهم وخطاباتهم إلى كيان اسمه فلسطين، فإنه فى منتصف عام ١٩٤٩؛ فإن البلد الذى كان يعرف بهذا الاسم تم تقطيعه بين دولة إسرائيل الجديدة والأردن (الـــضفة الغربية ضمت ١٩٥٠) ومصر (قطاع غزة)[٤٠].

لقد ترتبت على النكبة خسارة الفلسطينيين لوطنهم القومي، وتدمير مجتمعهم، وتشريد ونفى وطرد أكثر من نصف السكان العـــرب (بـــين ٦٥٠و٧٥٠ ألـــفًا)،

وأضحى هؤلاء الفلسطينيون إما لاجئين وإما بلا دولة وفقًا للغة وكالة جديدة للأمم المتحدة تحت اسم "الأونوروا"(٤١)، وخلال العقدين بعد ذلك عرفوا دوليًا بـ "اللاجئين العرب" مع التخلي عن مصطلح "الفلسطينيين"، وعلى الرغم من اعتراف المادة (١١) من قرار الأمم المتحدة (١٩٤) في ١١ ديسمبر ١٩٤٨(٤٢) بحق اللاجئين في العودة لبيوتهم أو تعويضهم؛ فإنه للعديد من الأسباب المعقدة التي نلخصها فيما بعد، ظل اللاجئون الفلسطينيون وأبناؤهم موجودين حتى اليوم دون تمكينهم من حقوقهم وفقًا لهذا القرار.

دارت واحدة من أكثر المقولات الجوهرية إثارة للجدال التي برزت خلال الحرب العربية- الإسرائيلية الأولى حول السؤال التالي: كيف أصبح الفلسطينيون لاجئين في عام ١٩٤٨- ١٩٤٩؟ ولماذا بقوا لاجئين لمدة طويلة كهذه؟ لقد بذل السياسيون ورجال الدعاية والمؤرخون جهودًا كبيرة على مدار سنوات؛ محاولين توضيح حقيقة ما جرى، هل أصبح الفلسطينيون لاجئين نتيجة الهروب الاختياري، كنتاج ثانوي للحرب، أم كان ذلك بسبب الطرد المتعمد على يد الصهاينة وقوات إسرائيل المسلحة؟ وحتى اليوم ما زالت الآراء منقسمة بحدة؛ حيث يتم التشكيك في وسائل ودوافع الباحثين مثلهم في ذلك مثل الحقائق التاريخية والحجج ذاتها.

وفي هذا الشأن، ذهبت الروايات الإسرائيلية، الرسمية وغير الرسمية، لسنوات إلى أن معظم الفلسطينيين غادروا منازلهم بإرادتهم أو بأوامر من القادة العسكريين العرب لترك أماكنهم مؤقتا وليعودوا بعد هزيمة اليهود، الأمر الذي تم دحضه في الستينيات من جانب صحفي أيرلندي بهيئة الإذاعة البريطانية التي تتابع البث بالعربية، وتلاه في ذلك الباحثون الذين انكبوا على دراسة الملفات التي باتت مفتوحة في الثمانينيات(٤٣)، كذلك تشير الروايات الموالية للصهاينة أحيانًا إلى

حالات قام اليهود خلالها بمناشدة العرب بالبقاء، خاصة في عمليات الإخلاء للمجتمعات العربية في المدن المختلطة (حيفا وطبرية في أبريل ١٩٤٨)، وهو ما يعني أن تلك المناشدات بالبقاء كانت نموذجًا في حين أنها تمت في ظروف خاصة، وما زالت صدقيتها وإخلاصها موضع خلاف حتى اليوم[٤٤]، وتميل الدراسات الحديثة التي تعتمد على الشهادات الشفوية إلى التقليل من هذا الاتهام الشامل للقيادة العربية بل وتأييد الرواية المضادة التي تذهب إلى أنه في كثير من الحالات حض القادة العرب والفلسطينيون السكان على البقاء في أماكنهم[٤٥].

والمدافعون عن المواقف في كلا الطرفين، الذين يسعون لإثبات أو نفي المسئولية السياسية والمعنوية للعرب أو الصهيونية / إسرائيل عن هروب أو طرد السكان الفلسطينيون، سيعمدون إلى تقديم أجزاء من الأدلة المتاحة، وفي الوقت ذاته يتجاهلون أو يكذبون ما يناقض أو يتعارض مع حجتهم، وعلى سبيل المثال فإن "إفريم كارش" قام بدراسة حرب عام ١٩٤٨ بعد ستين سنة، وقام بالاختيار من كم هائل من الوثائق الجديدة بما فيها الملفات السرية لـ "الهاجاناة" وأرشيف جيش الدفاع ليصل إلى الدفع بأن "لم يقم اليهود بإرغام أحد من بين الـ ١٧٠ ألفًا إلى ١٨٠ ألف عربي الذين فروا من التجمعات الحضرية، وفقط حفنة من بين ١٣٠ ألفًا إلى ١٦٠ ألف قروي تركوا منازلهم قد جرى إرغامهم على ذلك من جانب اليهود قبل ١٤ مايو ١٩٤٨"[٤٦].

مثل هذه النتائج ليست خالية من العاطفة، بل إنها على الأرجح تهدف إلى الإسهام في الجدال الذي لم يحسم بعد؛ حول إثبات أو نفي وجهة النظر السائدة بأن الميليشيات الصهيونية والقوات الإسرائيلية تعمدت- بشكل منهجي طرد السكان الفلسطينيين، ويشير منتقدو إسرائيل إلى خطة سرية (الخطة دى الاحتياطية)

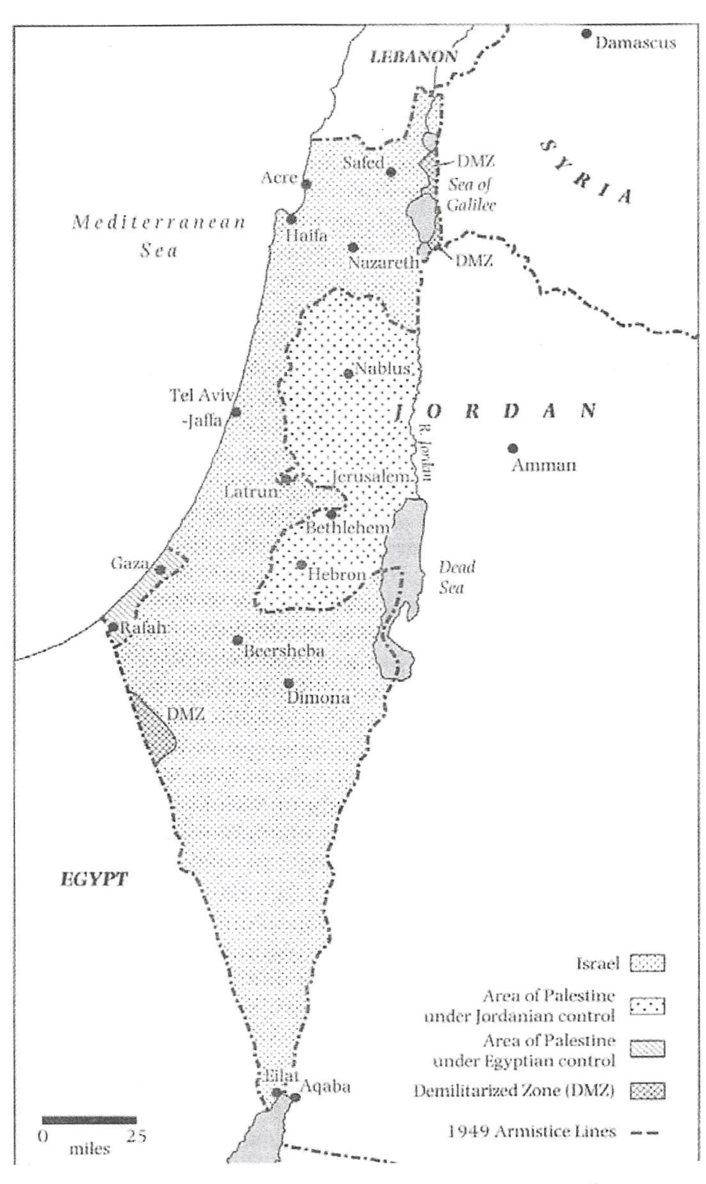
للهاجاناة) تتضمن أوامر عسكرية شاملة ومنظمة للاستيلاء على المناطق المأهولة بالعرب، ويرى بعض فى هذه الخطة الاحتياطية دليلاً على النية الصهيونية فى القيام بعملية "التطهير العرقى" فى الأراضى التى تم الاستيلاء عليها من السكان الفلسطينيين (انظر كذلك: الفصل ١١)[٤٧]، ويذهب بعض المراقبين إلى أن هذه النية لطرد الفلسطينيين خلال الحرب تتصل اتصالاً وثيقًا بالآمال والخطط التى ترجع لـ "هرتزل" وكانت موضع مناقشة داخل المجال السياسى الصهيونى كله لإزالة أو "نقل" العرب المحليين من أجل إيجاد مكان لإنشاء وطن قومى بأغلبية من السكان اليهود[٤٨].

ومن بين أكثر الدراسات شمولاً ودقة وتوازنًا فى تناول قضية اللاجئين تلك التى نشرها المؤرخ الإسرائيلى "بينى موريس" (وهو من المؤرخين الجدد) تحت عنوان "ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين" عام ١٩٧٨ وتم تنقيحها عام ٢٠٠٤[٤٩] (انظر الفصل١١)، وتضمنت الدراسة الكشف عن أعمال لم تعرف من قبل كالمذابح، الاغتصاب، الطرد، النهب قامت بها القوات الإسرائيلية، الأمر الذى كان بمثابة صدمة للإسرائيليين للقراء المؤيدين لإسرائيل، وحقق للباحث شهرة مرموقة لدى كلا الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى؛ ومع ذلك فإن هذا البحث الشاق لم يمكن صاحبه من تأييد مقولة إن الفلسطينيين صاروا لاجئين نتيجة خطة صهيونية شاملة لـ "التطهير العرقى" للسكان الفلسطينيين العرب، وخلال مناقشات تالية على ذلك، انتقد "نور مصالحة" وغيره من الباحثين "موريس" لفشله فى عدم السير وراء دليله الذى يقود إلى ما يعتبرونه نتيجته المنطقية[٥٠]. وفى ضوء دفعه دراسة النتائج التى توصل إليها؛ أقر "موريس" عام ٢٠٠٤، فى إجاباته عن الانتقادات السالفة عام ٢٠٠٤، بأن التأييد لفكرة "النقل" (ترانسفير) كانت قبل ١٩٤٨ أكثر اتساعًا مما

قدمه، مضيفًا: "إن العلاقة بين هذا التأييد وما حدث فعلاً خلال الحرب هو أكثر ضعفًا؛ مما قد يذهب إليه مسئولو الدعاية العرب"(٥١).

وإزاء هذه التفسيرات المتصارعة التى قد يظل بعضها مستعصيًا على التفسير، ربما قد يكون من الممكن أن نستخلص أنه فى الفترة بين ١٩٤٧ و١٩٤٩ تحول ما يقارب ثلاثة أرباع مليون فلسطينى ليصبحوا لاجئين نتيجة لمجموعة من الأسباب، مع درجات مختلفة من المسئولية المشتركة للفاعلين والمتحاربين المختلفين:

- فر الكثيرون لتجنب المعاناة وضراوة الحرب.
- فى بعض المواقع ساعد التعاون والتواطؤ البريطانى- اليهودى فى قسر الفلسطينيين على الرحيل.



الخريطة (٢-٦): إسرائيل وجيرانها (١٩٤٩-١٩٦٧).

- فر الكثيرون نتيجة للذعر الشديد خاصة جراء التقارير، المبالغ فيها التى انتشرت بشكل واسع، حول الأهوال والفظائع التى ارتكبتها عناصر "الأرجون" وغيرهم فى قرية دير ياسين أوائل أبريل ١٩٤٨[٥٢].
- فى بعض القطاعات قامت الميليشيات الصهيونية ووحدات جيش الدفاع الإسرائيلى بإخلاء القرى وطرد الآلاف من ساكنيها.
- ترك كثير من الفلسطينيين العرب منازلهم بسبب الفوضى وتدنى الروح المعنوية الناجم عن غياب القيادة الفعالة والانتظام داخل مجتمعهم.

وفيما يتعلق بالسؤال الإضافي: لماذا بقى الفلسطينيون لاجئين لمدة طويلة كهذه؟ لا يزال الأمر كذلك موضع خلاف؛ حيث ينحى كل طرف باللائمة على الآخرين، وفى حين أن الكثير من قضايا اللاجئين فى فترة ما بعد الحروب فى القرن العشرين قد تم حله أو التخفيف من حدته من خلال خليط من الإغاثة الإنسانية الدولية والترتيبات السياسية. ما زالت الحالة الفلسطينية شاذة وتبدو تسويتها اليوم أكثر صعوبة مما كانت عليه من قبل، وعلى الرغم من أن الهيئات الدولية والفاعلين بحثوا من وقت لآخر صيغة للتعويض، والعودة، أو إعادة التوطين، فإنه لم يتم تحقيق أى إنجاز للخروج من المأزق[٥٣].

يلقى الإسرائيليون ومؤيدوهم باللوم القاطع على الدول العربية لعدم حل هذه المشكلة أساسا؛ بسبب رفضهم توقيع اتفاقيات سلام كاملة (انظر: الفصل ٧ فيما بعد). ووفقًا للرؤية الإسرائيلية، فإنه لو قام العرب باتباع الخطوات المتوقعة لتحقيق السلام والتطبيع، فإنه كان من الممكن للموقعين على اتفاقات الهدنة عام ١٩٤٩ تسوية القضايا المعلقة بما فيها الحدود واللاجئين؛ كذلك ترى إسرائيل أن تمسك

الدول العربية باستمرار حالة الحرب وإصرارهم على عدم الاعتراف بها أو التعامل معها؛ شكل عقبة كأداء أمام إيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

وخلال عملية تبادل الاتهامات، يلوم الإسرائيليون ومؤيدوهم الطرف العربى، والذى حظى بتستر من قبل الأونوروا، "ملاذ للبيروقراطية، وبيئة للكراهية وأفكار التحريرية"[٥٤] على إبقائه المتعمد على أحوال اللاجئين من أجل ما يلى:

- تجنب أى مسئولية سياسية أو إنسانية لإعادة توطين الفلسطينيين أو استيعابهم بين سكانهم العرب.
- الإبقاء على مرارة اللاجئين ورغبتهم فى الانتقام لإعدادهم للعودة يومًا ما (إذا ما اتفق على ذلك) كـ "طابور خامس" يزعزع الدولة اليهودية، أو (فى حالة عدم الاتفاق على العودة) كمخربين أو فدائيين (كوماندوز) لمهاجمة إسرائيل.
- استخدامهم كأداة دعائية (إذا لم يتم قبول العودة) فى حرب العرب التى لم تكتمل ضد إسرائيل[٥٥].

ومن جانبهم، يتهم العرب والفلسطينيون إسرائيل بأنها لم تتعمد فقط طرد أعداد كبيرة من الفلسطينيين، وإنما رفضت بقسوة الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين (المقر به دوليًا وفقا للقرار ١٩٤) فى العودة لديارهم أو الحصول على تعويض، ويبرر الإسرائيليون، جزئيًا، امتناعهم عن تطبيق هذه الفقرة من قرار الأمم المتحدة بالإشارة (كما فعل العرب لدى رفضهم القرار ١٨١ الخاص بالتقسيم) إلى أن الجمعية العامة لديها فقط سلطة للتوصية وليس الفرض.

إلا أنه وراء هذا الموقف القانونى الإسرائيلى، نجد ما هو أكثر من مجرد المماحكة أو تكتيكات المساومة، وبنفس القوة والاقتناع لدى الفلسطينيين المبعدين بأن لهم حقًا لا يمكن إنكاره فى العودة(٥٦) إلى ديارهم، اتخذت القيادة الإسرائيلية الجديدة فى ١٩٤٨ و١٩٤٩ موقفًا محددًا بوضوح ضد عودتهم، وفى رفضه للنداء الشخصى الذى وجهه وسيط الأمم المتحدة لإسرائيل، أواخر يوليو ١٩٤٨، للقيام بمبادرة للتخفيف من المصاعب التى تواجهها الموجات الأولى من اللاجئين الفلسطينيين، كتب وزير خارجية إسرائيل الجديد "موشى شيرتوك" (فيما بعد شاريت) للكونت "فولك برنادوت" شارحًا حجج بلاده فيما يخص مسئولية الدول العربية عن الحرب ومصير اللاجئين الفلسطينيين:

> **"الهروب العربى الجماعى من إسرائيل وأراضى إسرائيل المحتلة كان نتيجة مباشرة لعدوان العرب من الخارج... فالحكومات العربية، والقوى الكبرى (فى إشارة لبريطانيا) التى أيدت قضيتهم، لا يمكن أن تتمتع بالحقوق فى الاتجاهين: القيام بكل ما يمكنهم القيام به من أجل تدمير دولة إسرائيل، وعندما يفشلون فى ذلك، يطلبون إلى إسرائيل تحمل المسئولية عن نتائج عملهم المتهور... إن الحكومة المؤقتة لإسرائيل ليست فى موقف، ما دامت استمرت حالة الحرب قائمة، أن تعيد قبول العرب الذين غادروا بيوتهم على أى مستوى كبير".**

وتابع "شاريت"، الذى كان له مقترب دبلوماسى معتدل فى تعامل إســرائيل مع العرب والفلسطينيين، عرضه للأسباب العميقة وراء ما أصبح فيما بعد الموقف الرسمى الثابت للحكومات الإسرائيلية ضد عودة اللاجئين الفلسطينيين:

"إن الهجرة الجماعية للفلسطينيين العرب عام ١٩٤٨ هى واحدة من الظواهر العنيفة التى، وفقًا لخبرة الدول الأخرى، غيرت مجرى التاريخ، إنه من المبكر جدًا القول بدقة كيف وإلى أى مدى سيؤثر هذا الخروج فى مستقبل إسرائيل والدول المجاورة، وعندما تكون الدول العربية مستعدة لعقد اتفاقات سلام مع إسرائيل فإن هذه القضية ستصل لتسوية إيجابية كجزء من التسوية الشاملة، مع الأخذ فى الاعتبار مطالبنا المضادة والمتصلة بتدمير الحياة اليهودية والممتلكات. إن المصالح طويلة المدى للشعوب اليهودية والعربية، واستقرار دولة إسرائيل، ودوام أسس السلام بينها وبين جيرانها، والموقف الفعلى ومصير المجتمعات اليهودية فى الدول العربية، ومسئولية الحكومات العربية عن حروبهم العدوانية وعن التعويض، (كل هذه النقاط) ستكون وثيقة الصلة بالسؤال الخاص بهل وإلى أى مدى وتحت أى ظروف يمكن السماح للسكان العرب السابقين فى إقليم إسرائيل بالعودة، إن حكومة إسرائيل المؤقتة مستعدة دائمًا لمثل هذا السلام الشامل والدائم، ولكنها تتمسك بأنه ليس من العدل أن يطلب منها أن تقوم بشكل منفرد وتدريجى بإجراءات سلام فيما الجانب الآخر لا يزال يميل إلى الحرب"(٥٧).

وعلى الرغم من صدور قرار الجمعية العامة رقم (١٩٤)، والقرارات التالية المؤيدة له خلال الأعوام التالية، رفضت إسرائيل بشكل ثابت أى عودة جماعية للاجئين العرب الفلسطينيين[٥٨]، ومنذ وقت مبكر تمثل موقفها في أنها ستنظر فقط فى خطط لإعادة التوطين (خارج إسرائيل) أو/ وتعويض اللاجئين، فقط فى سياق تحركات عربية تجاه وقف الحرب (من قبيل إنهاء المقاطعة العربية والحصار على إسرائيل) والسلام الشامل الحقيقى، وقد عرضت إسرائيل النظر فى إعادة محدودة لجمع شمل العائلات كقضية إنسانية، ولكنها استبعدت أى عودة ضخمة استنادًا إلى الحق.

إن استمرار قضية اللاجئين الفلسطينيين دون حل على مدار أجيال متعددة قد خلق عقبة كأداء أمام أى محاولة لتسوية الصراعات العربية- الإسرائيلية و/أو الإسرائيلية- الفلسطينية. ومنذ الاختراق الذى حدث فى أوسلو وبداية مفاوضات مباشرة إسرائيلية- فلسطينية عام ١٩٩٣؛ لا يزال حق اللاجئين فى العودة من بين العقبات التى تهدد التوصل إلى تسوية شاملة ودائمة كأحد الموضوعات الشائكة التى لم يتم حلها فى الدبلوماسية الفلسطينية- الإسرائيلية (انظر أيضًا: الفصل ١٠).

النكبة.. ضحايا فى مواجهة ضحايا:

وكما لو كانت قضية اللاجئين الفلسطينيين غير مستعصية على الحل بمفردها، فإنها تزداد تعقيدًا عندما يتم ربطها بالحجج الخاصة بالعلاقة بين المحرقة والصراع على فلسطين (من قبيل التشابك بين مآسى اليهود واللاجئين العرب الفلسطينيين)[٥٩]، فبين ١٩٤٧ و١٩٤٩، أثناء وعقب القتال، لم تحدث هجرة واحدة فقط وإنما هجرتان قسريتان أفرزتا تعقيدات ستستمر ربما لأجيال، مئات الآلاف

من العرب الفلسطينيين هربوا أو طردوا تاركين وراءهم منازلهم وممتلكاتهم التي قامت دولة إسرائيل، بمحاولة التخفيف من حدة مشكلة نقص المساكن، بتسليمها لمئات الآلاف من اللاجئين اليهود الأوروبيين، وأيضًا لليهود الذين فروا من منازلهم وتركوا ممتلكاتهم فى الدول العربية والإسلامية فى الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٥١[٦٠].

راود الكثير من الإسرائيليين فى ذلك الوقت الأمل فى أن يتم التعامل مع هذه الظاهرة كـ "تبادل سكانى" (كما حدث بين اليونان وتركيا مثلاً بعد الحرب العالمية الأولى)؛ ومن ثم تحل مشكلة اللاجئين بسرعة، وفى المقابل، رفضت الدول العربية والفلسطينيون رؤية مشكلة اللاجئين (وحلها المقترح) بهذا المنطق[٦١]، فقد تم النظر لهذه المشكلة من جانبهم (كما سبق ملاحظته) من منطلق أن الفلسطينيين الأبرياء يتحملون، بشكل غير عادل، عبء المحرقة وخطايا الدول الأوروبية.

وحتى اليوم، ما زال الخلاف قائمًا بين الإسرائيليين والصهاينة من جانب، والفلسطينيين والعرب من جانب آخر، حول المدى الذى يمكن أن يصل إليه الربط بين مأساة ومعاناة اليهود الأوروبيين خلال الأربعينيات، والخطة الصهيونية للسيطرة على فلسطين (وهى المقولة الجوهرية السابعة التى عرضنا لها آنفًا)، وقليل من المثقفين والأكاديميين تمكنوا من الابتعاد عن التوافق الذى تم التوصل إليه فى مجتمعاتهم حول هذا الموضوع العاطفى[٦٢]، أما بالنسبة للأغلبية الساحقة فإن الموقف حول العلاقة بين الموضوعين غير منفتح أو متقبل للوقائع أو الإقناع المنطقى.

ومنذ ١٩٤٩؛ أضحت هذه الحقائق والمدركات جزءًا من القصص والروايات القومية المتضاربة للطرفين، وشعورهم المتبادل بأن كلاً منهما هو الضحية، لقد جلب نصر إسرائيل العسكرى لليهود الانعتاق والتحرر فى ذروة

التضحية بهم؛ فالمحرقة، والاستقلال والدولة اليهودية جعلت من هؤلاء اليهود والصهاينة الإسرائيليين الأوائل[٦٣]، فيما هزيمة العرب فى المعركة جاءت لهم بالنكبة: خسارة أرض فلسطين، وخسارة إمكانية إقامة دولة قومية، وخلق مشكلة ضخمة تتصل باللاجئين المبعثرين فى الإقليم وخارجه.

إن الشعور بوضعية "الضحية" المظلومة، منحصر بين المحرقة وحرب فلسطين الأولى، ظل عميقًا لدى كثير من الفلسطينيين ولا يتقبل أى محاولة للتفسير أو الطرح المضاد، وبعض الفلسطينيين يدينون بشدة ما يعتبرونه تلاعبًا صهيونيًا ويهوديًا بعقدة الذنب والتعاطف (بعد المحرقة)[٦٤] فى سعيهم لتهميش دعاوى الفلسطينيين ومخاوفهم، وحتى عند مخاطبتهم اليهود الإسرائيليين بطريقة بعيدة عن المواجهة، وبعد مرور أربعين عامًا على الأحداث، يصف الكاتب الفلسطينى- الإسرائيلى "إيميل حبيبى" بأسلوب قاطع المحرقة بأنها "الذنب الأول الذى مكن الحركة الصهيونية من إقناع ملايين اليهود بصحة طريقها"، وينهى مقاله بالجملة التالية: "إن لم يكن من أجل محرقتكم (ولكل الإنسانية)، فإن الكارثة التى ما زالت من نصيب شعبى لم تكن لتحدث"[٦٥].

ولا يستطيع معظم الإسرائيليين أن يروا فى إنقاذ إسرائيل لجزء من اليهود الأوروبيين المعرضين للخطر كسبب لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ووفقًا لكلمات "دويتشر" عن الرجل الذى يقفز من مبنى يحترق (الفصل الثانى)؛ فإنهم قد يجيبون بأن الهجرة اليهودية قبل ١٩٤٨ قد أفادت السكان المحليين العرب أكثر من أن "تهاجمهم" أو "تضرهم"؛ وأن العربى الذى "عانى" قام بأشياء قاتلة أكثر من مجرد "التوعد بالانتقام"؛ مما أجج دورة العنف التى ميزت الصراع، ونتيجة لعقود من الرفض العربى لإسرائيل وتهديد وجودها بالإضافة لظهور العداء للسامية بشكل

دورى فى مناطق مختلفة من العالم، باتت إسرائيل تنظر للمحرقة بشكل آخر: فبالنسبة لهم ما زالت جرحًا مفتوحًا لم يندمل(٦٦).

إن مثل هذه الحجج كان لها تأثير محدود أو منعدم فى كسب تعاطف العرب أو التخفيف من استيائهم، وكان إصدار قانون إسرائيل للعودة عام ١٩٥٠(٦٧)، الذى يضفى الجنسية الإسرائيلية أوتوماتيكيا على أى يهودى يطلبها، بمثابة إجابة متأخرة إلى عالم معاد أو غير مهتم لم يعط مرفأ أمان لليهود الفارين لينجوا بحياتهم، أما بالنسبة للفلسطينيين فقد أكد هذا القانون توجهات إسرائيل لمنع الفلسطينيين فى المنفى من العودة إلى وطنهم قبل ١٩٤٨، الأمر الذى أضحى متداخلاً مع سلة المآسى والمعاناة التى زادت من مرارة العرب، وبالنظر إلى ذلك القانون إلى جانب رفض إسرائيل لقرار الأمم المتحدة رقم (١٩٤)، يتهم العرب ومؤيدوهم حكومة إسرائيل بالتصرف بشكل عنصرى تمييزى وفى تحدٍ للمجتمع الدولى.

من جانبهم، اعتبر علماء النفس الاجتماعى، بحق، هذه المشاعر المتوازية للإحساس بكون الطرف ضحية فيما يتصل بهذين الموضوعين كعقبات رئيسية فى وجه التفاهم المتبادل بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وفى هذا الخصوص كتب "دان بار أون" و"صليبا سارسار":

"بشكل عام يندب كلا الطرفين الجائحة التى صنعها كلاهما لنفسه كل على حدة، ويوجد خطر كامن بأن الاعتراف بمأساة "الآخر" سيكون مبررًا لإحساسه بالتفوق المعنوى ويتضمن القبول بسبب وجوده، فبالنسبة للفلسطينيين الاعتراف بآلام اليهود حول المحرقة يعنى قبولاً للأساس المعنوى لإنشاء دولة إسرائيل، وبالنسبة ليهود إسرائيل فإن

قبول آلام اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ يعنى المشاركة في المسئولية عن مأساتهم وحقهم في العودة"[٦٨].

واعترافًا بهذا الحاجز النفسى الثنائى والعميق أمام المصالحة الإسرائيلية- الفلسطينية، قام بعض ناشطى السلام بأنشطة تستهدف التوصل إلى أن يشعر كل من الإسرائيليين والفلسطينيين بالآلام والمخاوف الرئيسية لدى الطرف الآخر، ومن قبيل ذلك تنظيم برامج خاصة عن المحرقة ورحلات لمعسكرات الاحتجاز السابقة بهدف تعليم المواطنين الإسرائيليين- العرب ليس فقط عن واقع المحرقة، وإنما عن الأثر الذى ما زال يمارسه هذا الحدث على أقرانهم اليهود على الرغم من تعاقب الأجيال (انظر: الفصل٧)[٦٩]، وفى الوقت ذاته، تسعى بعض المنظمات من قبيل "أنهم يتذكرون" إلى مخاطبة عقول وقلوب اليهود الإسرائيليين للاعتراف بالخسائر والمعاناة التى ما زال يشعر بها الفلسطينيون إثر النكبة[٧٠]، إن الاعتراف المتبادل بالآم كل طرف يشكل خطوة أولى (انظر أيضًا: الفصل ١٢) وربما أكثر صعوبة من ذلك الاتفاق على مدى المطالبات التى يؤهل لها هذا الألم.

الهوامش

(١) حاييم وايزمان، *"The Jewish Case"* ، ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦، خطابات وأوراق حاييم وايزمـــان، سلسلة بـــ (الأوراق)، ديسمبر ١٩٣١ ــ أبريل ١٩٥٢، تحرير ***Barnet Litvinoff, Rugters*** من ***Transaction Books*** القدس، دار نشر الجامعات الإسرائيلية، ١٩٨٤، الورقة رقـــم ٢٢، ص: ١٠٠-١٠٢.

(٢) حول مذابح ***Kristallnacht*** فى نوفمبر عام (ليلية الكريستال) ١٩٣٨ ومغزاها كنقطة تحول فى المحرقة، انظـــر ***Lucy S. Dawibowicz***، ***The War against the Jews, 1933-1945, New York: Bantam Books, 1986,*** صفحات: ٩٩ ــ ١٠٦.

(٣) أجزاء من هذا الفصل مأخوذة مـــن مقـــالتى حـــول " ***The Holocaust and the Arab-Israeli Conflict***، وذلك فى كتاب رونالد هيدلاند " ***So Others Will Remember: Holocaust History and Survival Testimony: Montreal, Vehicule Press***، ١٩٩٩، ص: ٨٢-٩٧.

(٤) استخدمت مصطلح *"Unprecedented"* كما فعل الأستاذ ***Yahuda Vauer*** لتفـــادى المـــشكلات والجدال حول *"Unique versus Universal"* والمناقشات حول المحرقـــة. وانظـــر ***Yahuda Vauer, Rethinking the Holocaust, New Haven, London :*** دار نشر جامعة يال، ٢٠٠١.

(٥) ومن أجل إسهام أخير لهذه المناقشة انظـــر ***Leonard Grob*** و ***John K. Rooth***، المحـــررين ***Anguished Hope : Holocaust Scholars Confront the Palestinian-Israeli Conflict, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008***

(٦) وليد خالدى، ***From Haven to Conquest:*** قراءات الصهيونية والمشكلة الصهيونية حتى عام ١٩٤٨، بيروت ١٩٧١، والطبعة الثانية فى واشنطن ١٩٨٧، ***Appendix 6, 855***.

(٧) من أجل عينات من الخلافات الأخيرة انظر المرجع السابق، مقدمة ***IVIII-IVIX*** ٨٥٣ـــــ٥. كريستوفر سايكس، ***Crossroads to Israel,*** ١٩١٧ـــــ١٩٤٨، ***Bloomington, London,*** دار نـــشر جامعـــة أنـــديانا، ١٩٦٥. (***Midland paperbac, 1973***) ، ١٨٧ـــــ٩، ٣٧٧ـــــ٨٠، ***Tomsegev, The Seventh million ; The Israelis and the Holocaust, New York, Harcourt***

Brace, 1966 ; Dinaporat, the blue and the yellow stars of David ; The Zionist leadership in Palestine and the Holocaust, 1939-1945, جامعة كامبريدج، دار نشر جامعة هارفارد، ١٩٩٠، *Idith Zertal, From Catastrophe to Power ; Holocaust Survivors and the Emergence of Israel, Berekly,* دار نشر جامعة لوس أنجلوس، ١٩٩٨. *Idith Zertal, Israelis' Holocaust and the Politics of Nationhood, Cambridge,* دار نشر جامعة كمبريدج ٢٠٠٥.

(٨) *Sykes, Crossroads to Israel, 183-9.*

(٩) *Yehoshua Porath, The Palestine Arab National Movement, 1929-1939: From Rights to Rebellion, London: Frank Cass 1977, 76, 119; Francis R. Nicosia, The Third Reich and the Palestine question, Austin,* دار نشر جامعة تكساس، ١٩٨٥. فيليب مطر، *The Mufti of Jerusalem :* الحاج أمين الحسيني والحركة القومية الفلسطينية، دار نشر جامعة كولومبيا المنقحة عام ١٩٩٢، *Ch. 8; Zvi elteleg*، الحاج أمين الحسيني مؤسس الحركة الوطنية الفلسطينية، ترجمة ديفيد هارفى، دار نشر *Shmuel Himelstein, London, Frankcass, 1993, Ch.2*، *Abraham Sela, "Arab Nationalists and Nazi Germany", 1939-1945* في *So Others Will Remember,* طبعة هيدلاند، ٧٠ــ٨١.

(١٠) على سبيل المثال، الشاعر العبرى حاييم ناهمان باليك كتب فقرات مثل "*The entire world is my gallows*" فى كتاباته حول الثورة العربية عام ١٩٣٦. *Anita Chakira, Land and Power, The Zionist Resort to Force, 1881-1948,* ترجمة وليم تمبلر، دار نشر جامعة ستانفورد، ١٩٩٩، ٢٢٥.

(١١) برنامج بلتيمور ١١ مايو١٩٤٢ الذى أعيد إنتاجه فى *The Israeli Arab Reader : A Documentary History of the Middle East conflict,* الطبعة المنقحة السابعة، تحرير والتر لاكير وبارى روبين، نيويورك، بينجوين ٢٠٠٨، ٥٥ــ٧. *Youhouda Bauer, From Diplomacy to Resistance, A History of Jewish Palestine 1939-1945*، فيلادلفيا، الجمعية اليهودية للنشر عام ١٩٧٠، الفصل رقم ٦.

(١٢) سيلفر أباهيليل، *Toward American Jewish Unity,* وذلك فى تحرير آرثر هرتسبرج، "*in The Zionist Idea : A Historical Analysis and Reader*" *New York,* دار نشر *Atheneum*، ١٩٦٩ــ٥٧٩. وهناك عرض كلاسيكى على هذه القضية جرى عمله فى الوقت

نفسه للرأى العام الأمريكى من جانب الـدكتور حـاييم وايزمـان *(Palestine's Role in the Solution of the Jewish Problem,)* مجلة الشئون الخارجيـة، ٢٠:٢ ١٩٤٢، ٣٢٤ــ٣٨ وأعيد طبعها فى *A Middle East Reader, Pegasus, 1969, 311-25* تحرير إيرين جندزاير، أنديانابوليس، نيويورك.

(١٣) جورج أنطونيوس " *The Arab Awakening : The Story of the Arab National Movement,* " *New York, Putnam's sons , 1946, 411.*) والكتاب الأصلى نشر فـى لنـدن، دار نـشر هانيش هاميلتون، ١٩٣٨) انظر فى نفـس الموضـوعات وليـد خالـدى *From Haven to Conquest, IV-IVII.*

(١٤) *Robert W. McDonald, The League of Arab States: A Study in the Dynamics of Regional Organization,* برينستون، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٦٥، ٣١٧ ــ ١٨. *Cf. Jeoffiey Furlonge, Palestine is my country : The Sory of Musa Alami, New York, John Murray, 1969, 130-7 ; Neil Caplan, Futile diplomacy,* المجلد الثانى حول المفاوضـات العربية الصهيونية وانتهاء الانتداب، لندن، *Frank Cass* ١٩٨٦، ١٧٦، ١٣١ــ٧، ٢٦٤ــ٧، ٣٢٦، ٣٣٣.

(١٥) *William Eddy, FDR Meets Ibn Saud, New York, American Friends of the Middle East, 1954* مقتبسة فى خالدى، *From Haven to Conquest,* ٥١٠ــ١١.

(١٦) بريطانيا العظمى، اللجنة الإنجليزية- الأمريكية للتحقيق بشأن مشكلات اليهود الأوروبيـين وفلسطين، التقرير عام ١٩٤٦، لوزان، ٢٠ أبريل ١٩٤٦، مقتبس عن المنظمات العـسكرية الصهيونية فى كتاب خالدى *From Haven to Conquest* ، ٥٩٥ــ٦٠٠، بريطانيا العظمـى، المكتب الكولونيالى، فلسطين: بيان معلوماتى متصل بأحداث العنف، يوليو ١٩٤٦، أعيد إنتاجه من *Haven to Conquest* ، ٦٠١ــ١٢ ; مناحم بـيجن، *The Revolt (story of the Irgun),* وقدم لها الحاخام مينير كاهـان، لـوس أنجلـوس، *Nash Publishing*، ١٩٧٢، (الأصـل، نيويـورك: *Schuman/London W. H. Allen 1948/1951*) ; *G. Bower Bill, Terror out of Zion : Irgun Zvai Leumi, LEHI, and the Palestine underground, 1929-1949, New York :* دار نشر سان مارتان ١٩٧٧. أعيد إصدارها باسم *Terror out of Zion : The Fight for Israeli Independance,* مع مقدمة من المؤلف وتقديم موشى أرينـز، *New Brunswick,* ; *Transaction, 1996.* ; *Yigal Elam 'Haganah, Bauer, From Diplomacy to Resistance*

٢٣*Irgun and Stern : Who Did What ?, Jerusalem Quarterly,* ربيع ١٩٨٢، ٧٠ــــ٨ ،
Michael G. Cohen, Palestine and the Great Powers, 1948 دار نشر جامعة برينستون عام ١٩٨٢ الفصل رقم ٤.

(١٧) هذه الأحداث تخلدت فى الرواية ذائعة الصيت لليون أوريس والمسماة *Exodus* (الخروج)، وفى فيلم الخروج كذلك الذى حاز على الأوسكار *Ottopreminger*. وحول شهادة شاهد عيان لعملية تهريب اللاجئين انظر *Eephraim Dekl, Briha : Flight to the homeland,* ترجمتهــا من العبرية دينا اتنجر تحرير *Gertrude Hirschler* نيويورك، دار نشر هيرتــزل، ١٩٧٣ ؛ *Ehud Avriel, Open the Gates : The Dramatic Personnal Story of Illegal Immigration to Israel*، تقــديم جولــداماثير، نيويــورك، *Athenium, 1975 ; I.F.Stone Underground to Palestine and Reflections 30 years later (* (معاد طبعه من الأصل عــن طبعــة ١٩٤٦)، نيويورك، *Panthion, 1978 ; Yoram kaniuk, Commander of the Exodus,* ترجمة سيمور ســيمكس، نيويــورك، *Grove Press, 1999 ; Dov Freiderg, To survive sovibor,* ترجمــة *Barbara Duron,* القدس/ نيويورك، *Gefen, 2007, 559-99.*

(١٨) التقرير الأولى للرئيس ترومان عن الأشخاص المشردين فى ألمانيا والنمسا أغسطس ١٩٤٥، *Department of State Bulletin13 (30 September 1945), 456-63,* وأعيد إنتاجه فــى *G.C. Hureiitz, Diplomacy of the Near and Middle East,* تقرير موثــق ١٥٣٥ – ١٩٥٦، دار نشر كامبريدج ١٩٨٧ ؛ *Cohen, Palestine and the great Powers, 56-8, 62*. وحول وجهة النظر البريطانية للدعايــة الــصهيونية انظــر *Lieut.General Sir Frederich Morgan, 'A Displaced Person in Post-War Germany' 1945-1946,* مقتــبس مــن *Peace and War: A Soldier's Life, London, Hodder and Stoughton, 1961* فــى خالــدي، *From Haven to Conquest, 1987, 527-48,*

(١٩) من أجل تقدير أولى لنشاطات اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق، انظر: *Bartley Crum, Behind the silken Curtain,* تقدير شخصى للدبلوماسية الأنجلو أمريكية فــى فلــسطين والــشرق الأوسط، نيويورك، *Simon and Schuster, 1947 ; Richard Crossman, Palestine Mission*، سجل شخــصي، نيويــورك، *Herard and Bros ; David Horoviitz, State in the Making,* ترجمة جوليان ميلتزر، نيويورك، *Alfred A. Knopf,* ١٩٥٣. والشهادات الرســمية للجنــة

الأنجلو أمريكية للتحقيق يمكن إيجادها فى المملكة المتحدة، *A Survey of Palestine* المُعد فى ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ لمعلومية اللجنة الأنجلو أمريكيـة للتحقيـق، ١٩٤٦ وأعيـد طباعتـه ١٩٩١ مـن جانـب معهـد الدراسـات الفلسـطينية، واشـنطن، *57-62 Laqueur and Rubin, The Israel-Arab Reader, 'The Case Qgainst Jewish State in Palestine'*، بين ألبرت حورانى للجنة الأنجلو أمريكية للتحقيـق ١٩٤٦، مجلـة الدراسـات الفلسطينية، ١:٣٥، خريف ٢٠٠٥، ٨٠ــ٩٠. وأنظر أيضًا *G.C. Hureiitz, The struggle for Palestine, New York, Norton, 1950,* الفصلان ١٧ــ١٨. *Cohen, Palestine and the great Powers, 60-7,* والفصل الخامس.

(٢٠) اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق: التوصيات والتعليقات، ١ مايو ١٩٤٦، وأعيد إنتاجهـا فـى *Laqueur and Rubin, The Israeli Arab Reader, 62-5.*

(٢١) التوصية رقم ٣ فى المرجع السابق، ٦٣ــ٤.

(٢٢) *Gorge Garcia Granados, The Birth of Israel,* الدراما كما رأيتهـا، نيويـورك، *Knopf*، ١٩٤٧، ١٧٢ــ٨٢; *Hrowitz, State in the making, 178-9* ; *Abba Eban,* سـيرة ذاتيـة، نيويورك، *Random House, 1977, 79-80*

(٢٣) *Garcia-Grandos, The birth of Israel, 216-33, Evan M. Wilson, A Calculated Risk:* قرار الولايات المتحدة الاعتراف بإسرائيل، تقديم وليم كوانت، دار نشر جامعة أوهايو ٢٠٠٨.

(٢٤) اللجنة الخاصة للأمم المتحدة لفلسطين، تقرير ملخص رقـم ٣١، أغـسطس ١٩١٧، فـى *Laqueur and Rubin, The Israeli Arab Reader, 65-9*، ومن أجل تقـدير شخـصى للجنـة الخاصة للأمم المتحدة لفلسطين، انظـر: *Garcia-Granados, The Birth of Israel ; Danial Mandel, H.V. Evatt and the Establishment of Israel : The Undercover Zionist, London, Frank Cass, 2004; Horowitz, State in the making; Wilson, a calculated risk, 218-24.*

(٢٥) من أجل عينات، انظر السير محمد ظفر الله خان، *"Thanksgiving Day at Lake Success, November 27, 1947"*، فى خالدي، *From Haven to Conquest, 702-22* ; *General Carlos P. Romulo, "The Philippines Changes its Vote"* في المرجع الـسابق، ص: ٦ ــ ٧٢٣ ; *Kermit Rooslevelt, "The Partition of Palestine: A lesson in Pressure Politics"* فـى المرجع السابق، ص: ٩ ــ ٧٢٧ ; *Wilson, A Calculated Risk, 224-47*.

(٢٦) *Horowitz, State in the Making, 237.* ، وكعينة لروايات أشـــخاص شـــاهدوا مثـــل هـــذه المناقشات والضغوط على التصويت حول مقترحات لجنة اليونسكوب (اللجنة الخاصة للأمـــم المتحدة حول فلسطين)، انظر المرجع السابق ص: ٣٠٤ ــ ٢٣٩ ; *Abba Eban, "Tragedy and Triumph"* في حاييم وايزمان، *A Biography by Several Hands,* تحريـــر *Meyer W. Weisgal* و *Joel Carmichael*، الكلمة الافتتاحية كتبها ديفيد بن جوريون، *Atheneum, 1963, New York 299-303.*

Abba Eban, Personal Witness: Israel Through My Eyes, New York: G.P. Putnam's Sons, 1992, الفصل الخامس.

(٢٧) انظر *David Arnow, "The Holocaust and the Birth of Israel : Reassessing the Causal Relationship", Journal of Israeli History 15:3*، خريف ١٩٩٤، ص: ٨١ ــ ٢٥٧.

(٢٨) الجمعية العامة للأمم المتحدة، قرار حول مستقبل الحكومة في فلسطين (١٨١)، ٢٩ نـــوفمبر ١٩٤٧، في *Laqueur and Rubin, The Israel-Arab Reader, 69-77*

(٢٩) *Henry Cattan, Palestine and International Law: The Legal Aspects of the Arab-Israel conflict*، الطبعة الثانية، *London, Longman, 1986*، الفصل الثالث ; وليد خالدي، *Journal of Palestine Studies 27:1 "Revisiting the UNGA Partition Resolution"*، خريـــف ١٩٩٧، ٢١ ــ ٥ ; *John Quigley, The case for Palestine: An International law perspective*، نسخة مراجعة ومحدثة ، *London: Duke University Press, 2005*، الفصل السادس. وقـــد اعترف السفير أبا إيبان بأن "العرب كانوا على أرضية أقوى مما كنا عليه" كما جاء في *Eban, Personal Witness*، ص: ١٢٨-١٣١.

(٣٠) *Nathan Feinberg, "The Question of Sovereignty Over Palestine"* ، مـــن *On an Arab Jurist's Approach to Zionism and the State of Israel,* أعيد إنتاجه في: *The Arab-Israeli Conflict : Readings and documents* ، تحريـــر *John Norton Moore, Princeton*، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٧٧، ص: ٥ــ٦٣.

(٣١) انظر *Neil Caplan, "Oom-Shmoom Revistied: Israeli Attitudes towards the UN and the Great Powers, 1948-1960"*، فـــي *Global Politics : Essays in Honor of David Vital*، تحرير *Abraham Ben-Zvi and Aharon Klieman*، لندن، فرانك كاس، ٢٠٠١، ص: ١٦٧-

١٩٩، كذلك بنى موريس، *"1948: A History of the First Arab-Israeli War"*، جامعة ييل، ٢٠٠٨، ص: ٤٠٢-٤٠٤.

(٣٢) *"al-Nakba",* فيليب مطر، *; Morris, 1948 : A History of the first Arab-Israeli war* في محرر فيليب مطر، *Encyclopedia of the Palestinians,* *New York: Facts on File*، ٢٠٠٥، ص: ٣٢٨-٣٣٠.

(٣٣) من أجل خلاصة مثيرة للاهتمام عن الحرب\من منظورات مختلفة، انظر: *The War for Palestine : Rewriting The History of 1948, Eugene L. Rogan and Avi Shlaim* (محررين)، كمبريدج، دار نشر جامعة كمبريدج، ٢٠٠١.

(٣٤) كاقتباس لكتابه *"1948: The First Arab-Israeli War"*، *Benny Morris* يعيد إنتاج قصيدة *"David"* التى كتبتها الكاتبة الصحفية الأمريكية ـ الصهيونية مارى سيركين *Marie Syrkin* داعية فيه القارئ إلى "افتراض أن جالوت هذه المرة لا يمكن أن يفشل" أى أن العرب كسبوا الحرب فى ١٩٤٨.

(٣٥) رشيد خالدى، *The iron Cage : The story of the Palestinian Struggle for Statehood, Boston, MA : Beacon Press, 2006, 123-4*

(٣٦) وليد خالدى، *From Haven to Conquest, 858-71 ; Simha Flapan, The birth of Israel : Myths and Realities, New York, Pantheon, 1987, 9-10, 187-99 ; Ilan Pappé, The Making of the Arab-Israeli Conflict, 1947-51, London: I. B. Tauris / New York: St. Martin's Press, 1992*، الفصل الثانى. *Benny Morris, Righteous Victims : A History of the Zionist Arab Conflict, 1881-1999, New York, Alfred A. Knopf, 1999 / London: John Murray, 2000, 191-6, 215-18; Morris, 1948: A History of the First Arab-Israeli War, 81-93, 199-207, 398-402; R. Khalidi, Iron Cage, 131-5.*

(٣٧) وليد خالدى، *"The fall of Haifa", Middle East Forum 35:10*، ديسمبر ١٩٥٩، ٣٢ــ٢٢، أعيد إنتاجها فى *"The fall of Haifa Revisited", Journal of Palestine Studies 37:3*، خريف ٢٠٠٨، ٥٨ــ٣٠.

(٣٨) *Avi Shlaim, Collusion across the Jordan: King Abdullah, The Zionist Movement, and the Partition of Palestine, Oxford: Clarendon Press, 1988; R. Khalidi, Iron Cage, 127-9.*

(٣٩) *Ilan Pappé, Britain and the Arab-Israeli Conflict, 1848-51, London: Macmillan Press / St. Anthony's College, 1988.*

(٤٠) لاحظ الميول المثيرة للجدال فى النسختين الأخريين من الخريطـة: *"The Frontiers of the State of Israel 1949-1967", in Martin Gilbert, The Routledge Atlas of the Arab-Israeli Conflict*، الطبعة السابعة، لندن/نيويورك، *Routledge, 2002, 50*، (والتى لا تذكر "فلسطين" على الإطلاق) والأراضى العربية المستولى عليها من إسرائيل عام ١٩٤٨ و١٩٤٩ بما فيه من خرق لخطة الأمم المتحدة للتقسيم، انظر

http://www.passia.org/palestine_facts/MAPS/Arab_territories_seized_by_Israel_in_194849.htm

(٤١) وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين فـى الـشرق الأدنـى (الأنـروا *UNRWA*) والتى تم تأسيسها فى ٨ ديسمبر عام ١٩٤٩طبقا لقرار رقم ٣٠٢ مـن الجمعيـة العامة للأمم المتحدة. الموقع الرسمى للوكالـة: *www.un.org/unrwa/*. انظـر : *Edward H. Buehrig, The UN and the Palestinian Refugees : A Study in Nonterritorial Administration, Bloomington*، دار نشر جامعة أنديانا، ١٩٧١. *Milton Viorst, Reaching for the Olive Branch : UNRWA and Peace in the Middle East, Wasington, DC, Middle East Institute, 1989.*

(٤٢) قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (*III*)، ١١ ديسمبر ١٩٤٨، أعيد إنتاجـه فـى *Laqueur and Rubin, Israel-Arab Reader, 85.* انظر أيضًا: *United Nations Resolutions on Palestine and the Arab-Israeli Conflict, vol.I: 1947-1974* فـى *George J. Tomeh* (محرر)، *Washington, DC : Institute for Palestine Studies, 1988, 16.*

المادة ١١ تنص على: " تقرر وجوب السماح بالعودة، فى أقرب وقت ممكن، للاجئين الراغبين فى العودة الى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات التى يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر، عندما يكون من الواجب، وفقا لمبادئ القانون الدولى والإنصاف، أن يعوض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسئولة."

(٤٣) *Erskine B. Childers, "The Other Exodus", The Spectator (London)*، ١٢٠ مايو ١٩٦١، أعيد إنتاجه فى وليد خالدى، *From Haven to Conquest, 795-806 ; Flapan, Birth of Israel, 81-118 ; Christopher Hitchens, "Broadcasts"* فـى *Blaming the Victims : Suprious Scholarship and the Palestinian Question, Edward Said and Christopher Hitchens* (محررين)، *London : Verso, 2001, 73-83.*

(٤٤) *W. Khalidi, "The Fall of Haifa"; Efraim Karsh, "Nakbat Haifa: The Collapse and Dispersion of a Major Palestinian Community", Middle Eastern Studies 37:4*، أكتـوبر ٢٠٠١، ٧٠ـــ٢٥ ; *Mustafa Abbasi, "The End of Arab Tiberias: The 1948 Battle for the City", Journal of Palestinian Studies 37:3*، خريف ٢٠٠٨، ٢٩ــ٦ ; *Morris, 1948, 140-7*

(٤٥) *Saleh Abdel-Jawad, "The Arab and Palestinian Narratives of the 1948 War", in Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix, Robert I. Roterg* (محرر)، *Bloomington/Indianapolis*، دار نشر جامعة أنديانا، ٢٠٠٦، ١١٤ ـــ ٧٢.

(٤٦) *Efraim Karsh, "1948, Israel and the Palestinians: Annotated Text", Commentary May 2008,* ، تم الإطلاع عليها في يونيو و٢٠٠٨ على الرابط التالي:

http://www.commentarymagazine.com/viewarticle.cfm/1948-israel-and-the-palestinians-annotated-text-11373.

(٤٧) وليـد خالـدى، *"Plan Dalet Revisited: Master Plan for the Conquest of Palestine", Journal of Palestine Studies 18:1*، خريف ١٩٨٨، ٣٧ـــ٣ ; وليـد خالـدي، *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and depopulated by Israel in 1948, Washington, D.C: Institute for Palestine Studies, 1992; Pappé, Making, Chapter 3; Ilan Pappé, The Ethnic Cleansing of Palestine*

(٤٨) *Erskine B. Childers, "The Wordless Wish: From Citizens to Refugees" in The Transformation of Palestine*، ابراهيم أبو لغد (محرر)، الطبعـة الثانيـة، *Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987, 165-202; Chaim Simons, International Proposals to Transfer Arabs From Palestine, 1895-1947: A Historical Survey, Hoboken, NJ: Ktav Publishing, 1988; Nur Masalha, Expulsion of the Palestinians: The Concept of "Transfer" in Zionist political Thought, 1882-1948, Washington DC: Institute for Palestine Studies, 1992; Pappé, Ethnic Cleansing, ch. 2; Rashid Khalidi, Iron Cage, 126.*

(٤٩) *Benny Moris, The Birth of Palestinian Refugee Problem, 1947-1949, Cambridge*، دار نـشر جامعـة كمبريـدج، ١٩٨٧، و *The birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited*، كمبريدج، المملكة المتحدة / نيويورك: دار نشر جامعة كمبريدج، ٢٠٠٤.

(٥٠) *Nur Masalha, "A critique of Benny Moris", Journal of Palestine Studies 21:1*، خريف ١٩٩١، ٧ـــ٩٠ ; *Benny Moris, "Response to Finkelstein and Masalha", Journal of Palestine Studies 21:1*، خريـف ١٩٩١، ١١٤ـــ٩٨ ؛ *essays by Shlaim, Morris and*

Masalha in The Israel/Palestine Question, Ilan Pappé (ed.), London/New York: Routledge, 1999, 171-220; comments by Edward Said and by Abdo al-Asadi, quoted in Mustafa Kabha, "A Palestinian look at the New Historians and Post-Zionism in Israel"، فى *Making Israel*، تحرير *Benny Moris, Ann Arbor*، دار نشر جامعة ميتشيغن، ٢٠٠٧، ٣٠٩ ; *Norman G. Finkelstein, Image and Reality of The Israel-Palestine Conflict, New York: W.W. Norton, 2003,ch.3 ; Roane Carey, "Dr.Benny and Mr.Morris: The Historian and The Twisted Politics of Expulsion", Counter Punch 19-20July 2008*، تم الاطلاع عليها فى ٢٣ يوليو ٢٠٠٨ على الرابط التالي: *http://www.counterpunch.org/carey07192008.html* .

(٥١) *Morris, Birth of the Palestinian refugee Problem Revisited, 5-6, 39-64*، وفى الوقت ذاته، قام *Morris* بالرد على الانتقادات الإسرائيلية من جانب *Shabati Teveth* و *Anita Shapira* الذين زعموا أنه "لا توجد صلة بين الدعاية المناسبية لمسألة" التنازل وما حدث فى ١٩٤٧ و١٩٤٨. إلا أنه اختار ألا يرد على الانتقادات الفاضحة بعدم الأمانة العلمية والفكرية التى أثارها *Efraim Karsh* فى كتابه *Fabricating Israeli History : The "New Historians", 2nd rev. ed., London: Frank Cass, 2000, Ch.2.*

(٥٢) رشيد خالدي، *The Iron Cage*، ص: ١٣٣.

(٥٣) على سبيل المثال، المهمة الخاصة للدكتور جوزيف جونسون *Dr. Joseph E. Johnson*، رئيس مؤسسة كارنيجى إلى المنطقة عام ١٩٦١ تحت حماية اللجنة التوفيقية للأمم المتحدة من أجل فلسطين. انظر: *David P. Forsythe, United Nations Peacemaking : The Conciliation Commission for Palestine, Baltimore, MD/London*، دار نشر جامعة جونز هوبكينز، ١٩٧٢، الفصل الخامس ; مقتطف من تقريره المنشور على موقع وزارة الخارجية

الإسرائيلية على الإنترنت، تم الاطلاع عليه فى ٣ سبتمبر ٢٠٠٨ علـــى الـــرابط التـــالى:

http://www.mfa.gov.il/MFA/Foreign%20Relations/Israels%20Foreign%20Relations%2 0since%201947/1947-1974/16%20Palestine%20Conciliation%20Commission-.%20Nineteenth%20P

(٥٤) *Alvin Z. Rubinstein, "Transformation: External Determinants" in The Arab Israeli Conflict: Perspectives, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein, New York: HarperCollins, 1991, 82.*

(٥٥) *Marie Syrkin, The State of the Jews, Washington, DC: New Republic Books / Herzl Press, 1980, 119-46; Marie Syrkin, "The Palestinian Refugees: Resettlement, Repartition or Restoration?" from the Commentary Magazine 41:1 (1966), in Israel, The Arabs and the Middle East, eds. Irving Howe and Carl Gershman, New York: Bantam, 1972, 157-85; Jonathan Spyer, "UNRWA: Barrier to Peace," BESA Perspectives Papers No. 44, 27 May 2008*، تم الاطلاع عليها فى ٢٧ مـــايو ٢٠٠٨ علـــى الرابط التالى :

http://www.biu.ac.il/SOC/besa/perspectives44.html.

(٥٦) *Benny Morris, "The Crystallization of Israeli Policy against a Return of the Arab Refugees: April-December, 1948,", Studies in Zionism 6:1*، خريف ١٩٨٥، ١١٨ـــ٥٨.

(٥٧) *M. Shertok to Count Folke Bernadotte, 1 August 1948, Documents on the Foreign Policy of Israel, vol.4, May-December 1949, ed.*

(٥٨) انظر أيضا ; *Morris, Birth of the Palestinian Refugee Problem, ch. 4*كلمة أبا إيبان *Abba Eban* فى الأمم المتحـــدة، *Documents on Forign Policy of Israel, vol.4 (May-december 1949), Yemima Rosenthal*، القدس، أرشيفات دولة إسرائيل، ١٩٨٦، ١٦ـــ١٤، المستند رقم ٥.

(٥٩) من أجل تجميع مدروس للدراسات عن تلك المسائل المتشابكة، انظـــر : *Exile and Return* ،*Predicaments of Palestinians and Jews, eds. Ann M. Lesch and Ian S. Lustick* فيلاديلفيا، دار نشر جامعة بنسيلفانيا، ٢٠٠٥.

(٦٠) انظر: *Tom Segev, 1949 : The First Israelis, New York : Free Press, 1986*، الفصلان ٥ و٦. إن مأساة القصص المتشابكة للعائلات اليهودية والفلسطينية عن الضياع والتـشرد قـد نقلت بطريقة مؤثرة في صورة أدبية. انظر مثلاً: *Ghassan Kanafani, "returning to Haifa"* ،*in Palestine's Children: Returning to Haifa and Other Stories* ترجمتهـا *Barbara harlow and Karen E. Riley, Boulder, CO: Lynne Reinner, 2000, 149-96; Yehuda Yaari, "The Judgment of Solomon" in Modern Jewish Stories, ed. Gerda Charles, London: Faber and Faber, 1963, 21-43*. إن رواية كنفاني بعد الحصول على موافقة عائلته تحولـت إلى مسرحية بالعبرية كتبها الكاتب المـسرحي *Boaz gaon* وأخرجهـا *Sinai Peter*، علـى مسرح بتل أبيب في ٢٠٠٨. انظر عرض *Etty Diamant* في *"Return To Haifa Confronts Holocaust Victims with Palestinian Refugees", Palestine-Israel Journal of Politics, Economic and Culture 15:1-2 (2008), 210-12*. انظر أيضًا: الفصل الثامن أدناه.

(٦١) من أجل نقد لنهج تبادل الـشعوب، انظـر *Yehouda Shenhav, "Arab Jews, Population Exchange, and the Palestinian Right to Return", in Exile and Return, eds Lesch and Lustick, 225-45*

(٦٢) من أجل أمثلة لإسرائيليين، انظـر *Boaz Evron, "The Holocaust: Learning the Wrong Lessons" Journal of Palestine Studies 10:3 Spring 1981, 16-25; A. B. Yehoshua, "The Holocaust as Junction", in Between Right and Right, New York: Doubleday, 1981, 1-19; Avraham Burg, The Holocaust is Over: We Must Rise from Its Ashes, London: Macmillan, 2008*

(٦٣) *Segev, 1949, The First Israelis.*

(٦٤) *Joseph Massad, "Palestinians and Jewish History: Recognition or Submission?" Journal of Palestine Studies 30:1, Autumn 2000, 52-67. Cf. Yaov gelber, page 48.*

(٦٥) *Emil Habibi, "Your Holocaust, Our Catastrophe", The Tel Aviv Review I:1, 1988, 332-6.*

(٦٦) *Amos Elon, The Israelis: Founders and Sons, New York: Holt, Reinehart and Winston, 1971, ch.8.*

(٦٧) *Israel, law of Return, 5 July 1950*، أعيد إنتاجها فـــي *Laqueur and Rubin, Israel-Arab Reader, 87.*

(٦٨) *Dan Bar-On and Saliba Sarsar, "Bridging the Unbridgeable: The Holocaust and al-Nakba" Palestine-Israel Journal 11:1, 2004, 63-70*

(٦٩) حول زيارة غير عادية قام بها ٢٥٠ إسرائيليًا يهوديًا وعربيًا إلى أوشفيتز في ربيع ٢٠٠٣، انظـــر: *Yaov Peck, "When They learn Our Past", Jerusalem Report 7 April 2003, 54; Eatta Prince-Gibson, "Arabic in Auchwitz" Jerusalem Post 20 June 2003, 15-16.*

(٧٠) انظـــر علـــى ســـبيل المثـــال *Eitan Bronstein, "The Nakba in Hebrew: Israeli-Jewish Awareness of the Palestinian Catastrophe and Internal Refugees" in Catastrophe Remembered: Palestine, Israel and the Internal Refugees: Essays in Memory of Edward W. Said, ed. Nur Masalha, London / New York: Zed Books, 2005, 214-41*، أيضًا انظر: موقع الموقع الإلكتروني التـــالي: *http://www.nakbainhebrew.org; "Healing Israel's Birth Scar"*، ٩ أبريل ٢٠٠٨، تم الاطلاع عليه على الرابط التالي:

http://tonykaron.com/2008/04/09/healing-israelis-birth-scar/.

الفصل السابع

إسرائيل والدول العربية

١٩٤٩-١٩٧٣

كان الصراع الذى تجلى أمامنا فى الفصول السابقة صراعا بين الصهاينة والفلسطينيين للسيطرة على فلسطين/أرض إسرائيل. وبعد ١٩٤٩، وفى أعقاب الضعف الذى بدأ مع قمع ثورتهم (١٩٣٦-١٩٣٩)؛ أصبح الفلسطينيون منهوكى القوى، متفرقين، بلا قيادة، ويعيش العديد منهم كلاجئين دون أرض، وقد مكن اختفاؤهم من على المسرح كلاعب سياسى مستقل؛ أغلبية شعب إسرائيل، من التركيز على الدول العربية بعد الحرب التى وضعت أوزارها، وفى المستقبل المنظور تجمعت قائمة من القضايا والمظالم- بعضها قائم منذ فترة طويلة، وبعض آخر ظهر حديثًا- ليشكل صراعا عربيا- إسرائيليًا أكثر منه إسرائيلى- فلسطينى.

وعلى مدار العقدين التاليين؛ تراجعت القضايا الفلسطينية الخاصة للوراء، وبدأ التعامل معها كأمور ثانوية بالمقارنة بالصراع الجديد بين الدول الذى شمل بشكل رئيسى: إسرائيل وسوريا والأردن ومصر؛ وفى الحقيقة، اعتقد بعض أنه ما دام لم يعد هناك شعب فلسطينى منظم فى حركة قومية تسعى لإقامة دولة عربية مستقلة؛ فإنه لا توجد ثمة مشكلة أو قضية فلسطينية. وبالنسبة للإسرائيليين فإن الحسابات السياسية والاستراتيجية / العسكرية وغيرها من الحسابات صار يتم التعامل معها فى سياق العلاقات الثنائية أو تلك متعددة الأطراف بين دول ذات

سيادة، في حين ظل التصارع بين الصهاينة/ الإسرائيليين والفلسطينيين/ العرب- وهما التجمعان القوميان المتنافسان اللذان كانا يسعيان حتى ١٩٤٨ للسيادة على الإقليم ذاته- في حالة ثبات خلال هذه الفترة ليستيقظ مجددًا في الأعوام التي تلت ١٩٦٧ (انظر: الفصل ٨).

وفي هذا الفصل سنتعرض بالبحث للتغيير الهيكلي وديناميات هذا الصراع العربي/ الإسرائيلي على مدار ربع قرن (بين ١٩٤٩ و١٩٧٣)، وهي فترة تخللها ثلاثة حروب بين دول: أكتوبر ١٩٥٦ (إسرائيل ومصر)، ويونيو١٩٦٧ (إسرائيل ومصر والأردن وسوريا) وأكتوبر ١٩٧٣ (إسرائيل ومصر وسوريا)، وتغيرت خلالها الأبعاد الدولية للصراع، فقبل ١٩٤٨ نافس المتصارعون بعضهم بعضًا تحت مظلة سلطة الانتداب البريطاني التي لا يتحداها طرف آخر، في حين ظلت الدول الأوروبية والولايات المتحدة في الخلفية، أما بعد الحرب العالمية فكانت هناك مناورات قام بها البريطانيون والفرنسيون والأمريكان والروس لتأمين وتوسيع نفوذهم في الإقليم. وفي الحقيقة فإن فترة ما بعد ١٩٤٩ قد شهدت منافسة متصاعدة بين القوى الكبرى خلال حقبة الحرب الباردة؛ حيث استهدفت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الدول والشعوب لإقامة التحالفات في منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية، وكما كانت عليها الحال في مناطق أخرى من العالم، كان على الدول الصغيرة أن تتخذ قرارات حول كيفية التوفيق بين اعتبارات السيادة الاسمية مع وضعية الدول التابعة للسادة من الأمريكان أو الروس من خلال حصولها على المساعدة الدبلوماسية والاقتصادية و/ أو العسكرية... وهكذا فرض بُعد جديد عالمي وفقًا لنماذج أيديولوجية نفسه؛ على المنافسات والصراعات الموجودة في الإقليم (التي لم يكن الصراع العربي - الإسرائيلي إلا واحدًا فقط منها) وسعت

القوى الخارجية لتحقيق مصالحها بطرق تجاوزت بل وطغت على مصالح الأطراف المحلية.

القضية الفلسطينية بعد ١٩٤٩:

كما سبق أن رأينا، ترتب على تدخل الدول العربية في الشئون الفلسطينية- الذى بدأ مع التمرد عام ١٩٣٦- سلسلة من الآثار السلبية المتصاعدة على الفلسطينيين بشكل تضمن الأداء الدبلوماسي غير الفعال في الأمم المتحدة عامى ١٩٤٧ و١٩٤٨، وهزيمة الجيوش العربية (مع الميليشيات الفلسطينية) ١٩٤٨-١٩٤٩، ولقد تركت النجاحات الدبلوماسية والعسكرية التى حققتها الدولة اليهودية الوليدة، وخسارة فلسطين العربية، عالمًا عربيًا اتسم- بعد ١٩٤٨- بعدم الاستقرار السياسي، والشعور بالمهانة وأيضًا ببعض النقد الذاتى[١]، وقد تمثلت أهم ملامح التبعات المرئية فى خسارة الأرض، والفرصة الضائعة لإقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة، والأكثر إيلامًا الوجود المستمر للاجئين الفلسطينيين في لبنان وسوريا والأردن وغزة أساسًا فى معسكرات تديرها منظمة الأمم المتحدة للإغاثة الأنروا.

وعلى المستوى الدولي؛ تراجعت "المسألة الفلسطينية" بشكل شبه تام من على الأجندة ليحل محلها الموضوع الإنساني والإغاثى باسم "اللاجئين العرب"، وفى الجمعية العامة أضحت المناقشات حول تقارير الأنروا السنوية والتصويت على تخصيص تمويل جديد لميزانيات إغاثة اللاجئين والخدمات التعليمية، المناسبات والمنابر الرئيسية لبحث الموضوعات الفلسطينية، وباستثناء اللجان المحلية والإقليمية التى شُكلت لتمثيل اللاجئين الفلسطينيين والضغط من أجل

عودتهم؛ العودة (أو لم شمل العائلات) واستعادة أرصدتهم (المشروعات، والأرصدة المجمدة فى البنوك وغيرها) أو التعويض عن ديارهم المهجورة أو التى تم تدميرها، كان الفلسطينيون – كمجتمع- دون قيادة معترفًا بهم أو ذوى فاعلية.

وعلى الرغم من وجود محاولتين للتعبير عن التوافق الوطنى الفلسطينى وإنشاء مؤسسات وطنية، فإنهما لم تستمرا طويلاً؛ مما عكس الاعتماد شبه الكلى والتبعية من قبل الفلسطينيين للنظم العربية القائمة، ففى نهاية سبتمبر ١٩٤٨ أعلن المفتى (المنفى) وبقايا لجنته العربية العليا تأسيس "حكومة عموم فلسطين" فى غزة، الذى سرعان ما تم نقلها إلى القاهرة(٢)، ولم يكد يمر عدة أشهر حتى عُقد المؤتمر الفلسطينى فى أريحا للتعبير عن مطلب شعبي- قام بالتنسيق له مؤيدو الملك عبد الله- من أجل ضم الضفة الغربية للمملكة الهاشمية (وهو ما تم عام ١٩٥٠)(٣).

ولقد تركزت المسئولية الحقيقية والقدرة على المبادرة الحقيقية فى المجالين السياسى والدبلوماسى فى أيدى قادة الدول العربية، وهو ما عنى بالنسبة للفلسطينيين "وصاية عربية" وفقًا للمؤرخ الفلسطينى- الأمريكى "رشيد خالدى" فى "الوكالة الخاسرة":

"إذا ما تم الحديث عنهم على الإطلاق؛ فإن ذلك كان يتم من قبل الدول العربية، وكل واحدة منها كان لها اعتباراتها وحساباتها، وكلها كانت ضعيفة... وحتى جهود الفلسطينيين المحدودة، التى حدثت، للتعبير عن أنفسهم دوليًا اعتمدت بشكل تام على تأييد الدول العربية"(٤).

وبناء عليه وقعت قضايا استعادة فلسطين وعودة اللاجئين فى شرك السياسات بين الدول العربية داخل الإقليم- "الحرب الباردة العربية"؛ كما وصفها

المؤرخ مالكوم كير[٥]- فالسياسيون والنظم العربية استخدموا الموضوع الفلسطيني كمقياس اختبار لمدى قومية ووطنية مواقفهم، أو في مساعيهم لتحقيق طموحاتهم في زعامة الإقليم، وعادة ما أسفر ذلك عن محاولة كل طرف "المزايدة" على الآخرين بانتهاج خط متشدد ضد إسرائيل، ما خلق ضغوطًا جديدة لإضفاء طابع أكثر راديكالية على مواقفهم السياسية[٦].

في فترة ما بعد ١٩٤٩؛ حمل مصطلح "قضية فلسطين" مدلولات إيجابية وأخرى سلبية؛ فمن ناحية، شكلت خسارة الدول العربية للحرب ضد اليهود ١٩٤٨-١٩٤٩ شاهدًا على العار القومي للنظم القديمة - التي سرعان ما تم تغيير العديد منها- ومن ناحية أخرى، عكس هذا المصطلح تعهدًا من قبل الدول العربية باستعادة الحقوق الفلسطينية وإعادة الفلسطينيين لأراضيهم (ولربما) طرد اليهود، وبشكل عام محو الظلم الذي وقع عام ١٩٤٨.

وقد تمت ترجمة هذا الحديث الثوري إلى أعمال ملموسة ومحددة؛ تمثل أحدها في الحفاظ على تحريم أي تصرفات أو اتصالات تتضمن اعترافًا بشرعية إسرائيل كدولة ذات سيادة، وبهذه الروح أنشأت الجامعة العربية مكتبًا في دمشق لدعم وإدارة المقاطعة الاقتصادية للدولة اليهودية التي أقرتها الجامعة في ديسمبر ١٩٤٥[٧]، وفي أوائل الخمسينيات قدمت الدول العربية تأييدًا محدودًا لغارات عبر الحدود قام بها المبعدون الفلسطينيون الذين يعيشون على أراضيهم، ما أسفر عن قتل وجرح إسرائيليين وتخريب للمنشآت، وأدى إلى عمليات انتقامية من جانب القوات الإسرائيلية ضد القرى والمنشآت العسكرية للدول المضيفة، وقد وضع كل ذلك كرم وضيافة الدول العربية المضيفة على المحك، وقد مثلت هذه العلاقات المتأرجحة والمتوترة غالبا التي نشأت بين حكومات مصر والأردن وسوريا وهؤلاء الفلسطينيين غير المنظمين خلال الخمسينيات[٨]؛ مقدمة لعلاقات مستقبلية

أكثر تعقيدًا بين المجموعات الفدائية التى شكلت فى العقود التالية منظمة التحرير الفلسطينية، كذلك كان التصاعد فى وتيرة هذه العمليات عبر الحدود خلال ١٩٥٤-١٩٥٦ عاملاً مساهمًا فى اندلاع الحرب الثانية العربية- الإسرائيلية أواخر عام ١٩٥٦.

من الهدنة إلى حالة "اللا سلم":

فى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٤٩ بجزيرة رودس اليونانية، وقعت مصر وإسرائيل ما صار يعرف بأول اتفاقات الهدنة الأربعة؛ تحكم فصل القوات بين الدول المتحاربة، وعلى الرغم من أن كل من كان على صلة بوضع اتفاقات الهدنة قد توقع، آنذاك، أنها لن تبقى بمدة طويلة(٩)، فقد مرت شهور بل وسنوات دون أن يحدث التطور المتوقع نحو اتفاقات سلام، وإنما ذهبت الأطراف المحبطة إلى التصارع حول تفسير اتفاقات الهدنة التى وقعوها، واتسم الكثير من الحجج بالطابع القانونى؛ حيث إن نص الاتفاقات تضمن من الغموض ما يكفى لتوصل الأطراف إلى تفسيرات متعارضة بشكل تام(١٠)، وقد عكس عدم القدرة على تحويل اتفاقات الهدنة لعام ١٩٤٩ إلى اتفاقات سلام (وهو أحد مشتقات المسار العادى للانتقال من وقف إطلاق النار إلى الهدنة ثم السلام)؛ ملمحًا خاصًا بالصراع العربى- الإسرائيلى الجديد، ما جعل التعامل معه أكثر صعوبة من النزاعات الدولية المشابهة.

هيمنت ستة موضوعات على العلاقات المتوترة بين إسرائيل والدول العربية فى فترة "اللا سلم" فيما بعد ١٩٤٩:

١) الاعتراف والشرعية.

٢) الحدود والأرض.

٣) اللاجئون.

٤) القدس.

٥) حرية المرور عبر قناة السويس.

٦) المياه.

وفى ضوء عناد الأطراف بعد التوقيع على اتفاقات الهدنة، اتسمت مواقف إسرائيل والعرب بالتشدد حول هذه الموضوعات الستة مما ترك الفلسطينيين، المفتقدين إلى قيادة، مُهمشين واللاجئين دونما أمل فى تسوية سريعة. وفى الفترة من بداية ١٩٤٩ حتى أواخر ١٩٥١، قدمت الأمم المتحدة عدة آليات تمت دعوة الأطراف للعمل تحت مظلتها لمحاولة تسوية خلافاتهم، لكن الجهود المبذولة من قبل "لجنة التوفيق من أجل فلسطين" التى تم إنشاؤها بموجب قرار الجمعية العامة رقم (١٩٤) فى ديسمبر عام ١٩٤٨ تعثرت.

لماذا لم تكن الأطراف المتحاربة قادرة على تحويل اتفاقات الهدنة لاتفاقات سلام؟ وهل يمكن لوم أى طرف عن "الفرص الضائعة" وعدم تحويل اتفاقات الهدنة إلى اتفاقات سلام أكثر استقرارًا؟ سنتعرض للسؤال الثانى فى الفصل ١١، ونقتصر هنا على تناول الأول.

فى ظل غياب أى تقدم نحو توقيع اتفاقات سلام، أخذت الأمم المتحدة على عاتقها مسئولية متابعة الموقف غير المستقر على طول الحدود؛ من خلال إنشاء منظمة مراقبة الهدنة للأمم المتحدة التى كانت بمثابة وكالة للإشراف على اللجان المشتركة للهدنة التى تعمل وفقًا لنصوص كل من الاتفاقات، وقد وقعت مناوشات

وأحداث على طول الحدود، خاصة فى المناطق المتنازع عليها أو تلك التى تم توصيفها على أنها "منزوعة السلاح"، مما حدا بإسرائيل ومصر والأردن وسوريا بتقديم العديد من الشكاوى إلى اللجان المشتركة المعنية التى أضحت مثقلة بالتحقيقات وإصدار القرارات[١١]، إلا أن الاعتبارات السياسية، أكثر من تلك القانونية أو العسكرية، هى التى كانت أكثر بروزا فى توصيف طبيعة الصراع العربى– الإسرائيلى الجديد، وفى تفسير عدم قدرة الأطراف على التحرك من الهدنة للسلام. وكما هو متوقع؛ فإن الحكومات العربية وإسرائيل تبنت مواقف متشددة فيما يتعلق بقضايا الحدود واللاجئين والقدس والاعتراف، خلال مؤتمرات لوزان (١٩٤٩) وجنيف (١٩٥٠) وباريس (١٩٥٠) للجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة، لكن كل جهود الأمم المتحدة الدبلوماسية الخاصة بالشرق الأوسط بدت محكومًا عليها بالفشل فى ضوء عقبة الشروط المسبقة التى يضعها كل طرف:

- اعتبر العرب توقيعهم على اتفاقات الهدنة اعترافا منهم بأن الحرب انتهت، ولكنهم دفعوا بأن على إسرائيل الانسحاب من الأراضى التى استولت عليها خلال قتال ١٩٤٨/١٩٤٩، والتى تتجاوز ما ورد بخريطة خطة التقسيم للأمم المتحدة لعام ١٩٤٧؛ كذلك السماح بعودة اللاجئين أو تعويضهم قبل أن يقوموا بالنظر فى التحرك نحو السلام والاعتراف بدولة إسرائيل الجديدة.
- فى المقابل، رأى الإسرائيليون أن توقيعهم على اتفاقات الهدنة لا يعنى فقط وقفًا للقتال، ولكن يتطلب أيضًا الخطوة التالية وهى التفاوض بين الأطراف على اتفاقية سلام شامل، وفقط فى هذا الإطار يمكن لإسرائيل الموافقة على النظر فى تعديلات أرضية، وتعويضات الحرب، ومسألة اللاجئين.

كان ذلك هو الشكل الذى أخذته المعضلة التى قوضت كل جهود التفاوض وصنع السلام بعد ١٩٤٩؛ وقد عنى ذلك بالنسبة للأمم المتحدة أن ممثلى العرب ربما يتعاونون مع لجنة التوفيق ويحضرون المؤتمرات التى تعقدها، ولكنهم كانوا يرفضون الجلوس على مائدة واحدة، أو يضعون توقيعهم على الوثيقة نفسها مع الوفد الإسرائيلى[١٢]. وخلال هذه الاختبارات المبكرة، تمثل النجاح الوحيد الذى تمكنت لجنة التوفيق من تحقيقه فى مجال عملها الفنى المتصل بالإعداد لملف التعويض عن ممتلكات اللاجئين، وتسهيل بعض عمليات جمع شمل العائلات، والتوصل إلى اتفاقية لرفع تجميد أرصدة الحسابات البنكية الفلسطينية[١٣].

سعت إسرائيل للبناء على اتفاقات الهدنة وقبول عضويتها فى الأمم المتحدة فى مايو ١٩٤٩؛ آملة فى أن يؤدى ذلك للاعتراف بها من جانب أغلبية الدول وتطبيع علاقاتها مع العالم. وبنهاية ١٩٤٩؛ فإن ٤٧ دولة (من أصل ٥٨) اعترفت بها و/ أو أقامت معها علاقات دبلوماسية[١٤]، وأشار قادة إسرائيل إلى اتفاقات الهدنة، من بين أشياء أخرى، باعتبارها تشرّع فعليا "*De facto*"، مطالبتها بالأراضى التى استولت عليها خلال الحرب، وكتبرير لإدانة تصرفات العرب التى تعنى ضمنًا استمرار حالة الحرب. ومن جانبهم، أكد المتحدثون الرسميون باسم العرب على الطابع العسكرى المحدود للوثائق وأبدوا حسرتهم على الاختلال فى توازن القوى الذى أسفر عن اتفاقات مهينة أو غير مرضية[١٥]. وفيما يتصل بمحاولات جس النبض الدبلوماسى خلال الخمسينيات؛ فإنها أوضحت أن كل الانفتاحيات من قبل مفاوضين عرب محتملين قد تجاهلت اتفاقات الهدنة وركزت على خطة التقسيم لعام ١٩٤٧، أو الخطة التى قدمها وسيط الأمم المتحدة الكونت "فولك برنادوت" قبيل اغتياله مباشرة فى سبتمبر ١٩٤٨[١٦]. أما الإسرائيليون، فقد

رفضوا كل هذه المقترحات كنقاط بداية؛ مصرين على أن أى مفاوضات يجب أن تؤخذ فى الاعتبار كنقطة انطلاق الأمر الواقع "*Status quo*"، كما تضمنته اتفاقات الهدنة[١٧].

وظلت قائمة الموضوعات الخلافية بعد عام ١٩٤٩، والمتضمنة القضايا الست السالف الإشارة إليها، كجرح متقيح لعقود دون التوصل لأى تسوية مرضية. وعلى قمة هذه القائمة كانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين التى أضحت بمثابة "كرة قدم سياسية" بامتياز، واستمرت أوضاعهم، بالتوازى مع رسم الحدود النهائية المعترف بها، مهمشة؛ حيث بقيت المشاحنات بين إسرائيل والدول العربية وتعذر جمعها معًا للتفاوض على سلام شامل. كذلك ظل وضع القدس موضع خلاف، فلم تحظ التوصية التى قدمتها اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة التوفيق فى سبتمبر ١٩٤٩ بالتدويل ونزع السلاح بالموافقة نتيجة لتعارضها مع مصالح كل من إسرائيل والأردن؛ وهما الدولتان اللتان سيطرتا بالفعل على المدينة المقدسة المقسمة، وفضلت كلتا الدولتين تجاهل هذه التوصية، ومن جانبها رفضت مصر حرية المرور عبر قناة السويس للسفن المتجهة لإسرائيل أو الخارجة منها. وعلى الرغم من قيام مجلس الأمن بإصدار قرار فى سبتمبر ١٩٥١ يؤيد تفسير إسرائيل لحقوقها فى الملاحة الحرة عبر الممرات المائية الدولية، فإن القرار (رقم ٩٥) لم يتم فرضه على المصريين الذين أصروا على أن الهدنة لم تنه حالة الحرب بينهم والإسرائيليين، ولكنها فقط "علقت" الحرب[١٨]، ولقد حاولت إسرائيل عدة مرات، دونما نجاح، اختبار الحصار المصرى من خلال تكليف سفينة بالمرور عبر القناة، وفى مناسبات أخرى سعت للضغط على القوى الخارجية لرفع الملف إلى مجلس الأمن، إلا أن هذه القوى لم تبد حماسة لذلك.

وهناك نجاح واحد أمكن تسجيله خلال هذه الفترة، فقد تم التوصل إلى اتفاق سرى وضمنى لتحديد الأنصبة فى مياه نهر الأردن، من خلال جهود معقدة قام بها فريق أمريكى رأسه "إريك جونسون"، المبعوث الشخصى للرئيس الأمريكى "دوايت أيزنهاور" الذى تنقل بين عواصم مختلفة فى الشرق الأوسط ما بين ١٩٥٣ و١٩٥٦، وقد تم الاحتفاظ بهذا الاتفاق طى الكتمان وتحت المراقبة السياسية خلال فترة التوتر التى أفرزت الحرب العربية- الإسرائيلية الثانية[١٩].

حرب الحدود ذات الوتيرة المنخفضة (١٩٤٩-١٩٥٦):

ومع انحصار إسرائيل والدول العربية فى مأزق دبلوماسى شبه دائم، تصاعدت حدة الاحتكاكات على الحدود والخطابات التى تميل إلى الحرب من سنة لأخرى، وبدا كل طرف متماسكًا لا يشعر بأنه مضطر للدخول فى أى مفاوضات سلام، ومؤجلاً ذلك حتى يحين وقت تتجه فيه القوى الكبرى أو الأمم المتحدة إلى محاولة تملق الأطراف المعنية أو قسرهم على النظر فى اللجوء إلى الدبلوماسية، كما انتظر بعض تبلور موقف جديد أكثر مواتاة، ويتم خلقه فى أعقاب الحرب المقبلة، الذى كان متأكدًا من اندلاعها عاجلاً أم آجلاً.

وفى خلفية الأحداث فى الفترة ١٩٤٩-١٩٥٦، ظهر نموذج لتسلل الحدود من جانب الفلسطينيين وغارات للفدائيين (الذين يضحون بأنفسهم) خاصة من غزة الخاضعة للسيطرة المصرية، وهو ما استتبعته عمليات انتقامية إسرائيلية تصاعدت حدتها، وقد شملت هذه الأعمال أهدافًا عسكرية بل ومدنية تم استهدافها أحيانًا بشكل مقصود، وأحيانًا أخرى بطريقة تكميلية، وتكبد كل من العرب والإسرائيليين خسائر

بين المدنيين والممتلكات، وكانت التكتيكات والأسلحة المستخدمة خلال الغارات عبر الحدود مرعبة ونادرًا ببساطة تلك المتبعة في الحروب التقليدية بين الجيوش[٢٠].

في كل عام تم رصد آلاف الحوادث مع عشرات القتلى والجرحى إثر غارات الحدود[٢١]، وتنوعت الدوافع وراء التسللات العربية داخل إسرائيل بين تلك الاقتصادية (لجنى المحاصيل في أراض عائلية صارت في الجانب الإسرائيلي من خطوط الهدنة) أو للقيام بتخريب أنابيب المياه أو خطوط الكهرباء (بهدف سياسي يسعى لزعزعة استقرار الدولة اليهودية) أو السلب والنهب الإجرامي، أو قتل المدنيين (تارة للانتقام، وتارة أخرى لإشاعة الترهيب). إن نموذج الهجمات الإرهابية منخفضة المستوى وإن كانت مستمرة عبر الحدود أدى إلى زيادة مستوى الخوف وعدم الأمان لدى الرأي العام الإسرائيلي، الأمر الذي قوى من الاتجاهات الموجودة بالفعل والتي تنظر للعرب على أنهم ذوو مزاج يميل للقتل، ويلزم مواجهة أعمالهم العدوانية بإجراءات شديدة، ومن بين الأعمال الهجومية الرهيبة ضد المدنيين الإسرائيليين ما حدث في مارس ١٩٥٤ في كمين تم نصبه في "معالي أكرابيم" لحافلة متجهة من تل أبيب إلى إيلات؛ حيث جرى إعدام المسافرين واحدًا تلو الآخر، وكذلك الهجوم بالقنابل، العام التالي، على حفل زواج في مستوطنة "باتيش".

وداخل دائرة القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية؛ بدأت تتبلور سياسة انتقامية من بين عناصرها العقاب والانتقام والردع وفقًا لمقترب "العين بالعين"، لتصبح أحدث تجسيد لنموذج العنف الذي شاهدناه خلال تعرضنا للثورة العربية في

الثلاثينيات فى الفصل ٥؛ حيث تناولنا المقولة الجوهرية المثيرة للجدال: هل كان لجوء الصهاينة/الإسرائيليين والعرب/ الفلسطينيين للعنف مبررًا أم إنه تجب إدانته؟ وكانت هناك سلسلة من العمليات الإسرائيلية الكبيرة التى ثبت أنها خطوات حاسمة فى العد التنازلى لحرب السويس/ سيناء عام ١٩٥٦، "قضيبية" (أكتوبر١٩٥٣)، "نهالين" (مارس١٩٥٤)، "غزة" (فبراير١٩٥٥)، "السبهة" (نوفمبر١٩٥٥)، المواقع السورية على ساحل الجاليلى (ديسمبر١٩٥٥)، و"قلقيلية" (أكتوبر١٩٥٦)[٢٢]، وكل منها كانت رد فعل لاستفزاز (بمعنى هجوم داخل إسرائيل) وعكس تصاعدًا كبيرًا من حيث عدد القتلى وحجم القوة المستخدمة ومستوى التعقيد العسكرى.

وتُقدم غارة "قيبية" – وإن كانت غير معروفة بشكل واسع على الرغم من كونها نقطة تحول رئيسية– تصويرًا جيدًا لمعضلات الأمن وعدم استقرار وضعية "اللا سلم واللا حرب" التى ميزت علاقات إسرائيل مع العرب فى الخمسينيات[٢٣]، ففى رد فعل على هجوم إرهابى قتل خلاله أم وطفلان فى قرية "كفر ياهو" الإسرائيلية، قامت القوة ١٠١– وهى قوة خاصة تحت قيادة الكابتن "أريل شارون" بهجوم انتقامى على قرية "قيبية" فى الضفة الغربية التى ساد الاعتقاد بأن المتسللين جاءوا منها. وفى ليلة ١٤– ١٥ أكتوبر ١٩٥٣ قتل المغيرون الإسرائيليون ما بين ٥٠ و٦٠ من أبناء القرية، وجرحوا ١٥، واختلفت التقارير حول ما إذا كان معظم الضحايا ماتوا وهم مختبئون فى منازلهم (التى قصفها الإسرائيليون اعتقادًا منهم أنها خالية)، أم إنهم قتلوا عن عمد بالمدافع والقنابل ثم تم تفجير منازلهم فيما بعد.

وعلى الصعيد الدولى، أدى مستوى العنف ووحشية المذبحة إلى إدانات غير مسبوقة لإسرائيل؛ وعلى الرغم من أن السفير "أبا إيبان" قد استخدم كل مهاراته اللغوية ليدافع عن سلوك بلاده أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، فإنه أقر فى

اتصالاته الخاصة بأنه يعتبر "قيبية" أسوأ ضربة وجهت لموقف إسرائيل أمام الرأى العام الدولى منذ إنشاء الدولة، وأنها تسببت فى وصمة خطيرة على سمعة إسرائيل أكثر من مذبحة دير ياسين[٢٤] ضد العرب وبيد إرهابيين يهود قبل إنشاء الدولـــة، ولكن قطاعا آخر من الرأى العام فى إسرائيل لم يكن منتقدا إلى هذا الحـــد لغـــارة "عن قيبية"، فعلى الرغم من إبدائه الأسف على خسارة أرواح بريئة، برر "ديفيد بن جوريون" الحادث فى تصريح وزارى أذاعه راديو إسرائيل؛ حيث وصف رئـــيس وزراء إسرائيل، ووزير دفاعها الذى كان على وشك بداية مرحلة التقاعد، الغـــارة بأنها رد مشروع يأمل أن ينهى أربع سنوات من التسللات المسلحة والمتكررة التى كانت بطبيعتها اليومية تحصد الأرواح دون أن تحظى باهتمام جاد من قبـــل فـــى العواصم الدولية[٢٥].

كذلك أضحت غارة "قيبية" موضع جدال داخلى شديد، وهددت بأزمة داخـــل الطبقة السياسية فى إسرائيل، ووضعت رئيس الوزراء "بن جوريون" فى مواجهـــة مع وزير خارجيته "موسى شاريت" الذى سرعان ما ترك منصبه، وخلال تهنئتـــه لـــ "أرييل شارون" عبر "بن جوريون" عن شعوره بأنه لا يكترث كثيرًا لما يقال عـــن "قيبية" فى العالم، "فالشيء الأهم هو كيف سيتم النظر إليها هنا فى الإقليم"، كما نقل عنه قوله: "إن الغارة ستعطينا الإمكانية للعيش هنا"[٢٦]، أما "شاريت" الـــذى كـــان يفضل الدبلوماسية والحفاظ على التعاطف العالمى على أسلوب "الضربة مقابل عن ضربة"، فإنه كان يعتقد أن قرارات الانتقام يجب النظر إليها فـــى إطـــار أوســـع: "مسألة السلام... فعلينا أن نكبح ردود أفعالنا، ويظل السؤال مطروحًا: هـــل ثبـــت فعلا أن العمليات الانتقامية تحقق الأمن الذى تم التخطيط من أجله؟"، وكان تفضيل "شاريت" يذهب إلى الرد المحسوب بدلاً من الانتقام المغالى فيه الذى سيؤدى فقـــط إلى مزيد من العطش والرغبة فى الانتقام وتصاعد العنف[٢٧].

وفى قاعات الأمم المتحدة، كانت الغارة الإسرائيلية على "قبيبة" موضوعًا لخطابات مشوبة بالعواطف ومسودات قرارات، وهو النموذج الذى سلكته مناوشات أخرى، فمع تسلم تقارير عن شكاوى من لجنة مراقبة الهدنة يتحول مجلس الأمن لمسرح سياسى يستمع للشكاوى والخطب، والاتهامات، والاتهامات المضادة، وتعقب ذلك صياغة مسودات قرارات(٢٨) ومشاورات بين الأعضاء، التى تسفر أحيانًا عن تصويت يلوم أحد أو كلا الطرفين لقيامه بخرق الهدنة، وبشكل لا يتغير اتخذت الأمم المتحدة مواقف تنتقد ردود إسرائيل الانتقامية، فيما هى حثت جيرانها على المزيد من إحكام السيطرة على الحدود ومنع التسللات، ولم يكن من شأن هذه المحاولات والحياد أن يحظى بإعجاب الكثير من الإسرائيليين الذين صاروا على قناعة بأن المنظمة الدولية تنحاز ضدهم وتأخذ جانب العرب.

ولقد ظلت فاعلية سياسة الانتقام، باعتبارها رادعًا، موضوعًا للنقاش المتكرر بين صناع القرار فى إسرائيل، وبين المدافعين عنها والذين ينتقدونها فى الخارج، وكذلك بين علماء الاجتماع(٢٩)، فعلى الرغم من الهدوء الظاهر القصير المدى على طول الحدود بعد عمل ما، فإن الأثر على المدى البعيد كان ما يفاقم الصراع، ومن وجهة نظر إسرائيلية داخلية، تمثل إحدى المنافع القليلة فى أن هذه الأعمال الانتقامية تسهم فى تسكين الشعور بالسخط فى الشارع الإسرائيلى "بأخذ الثمن من العرب لإراقتهم دماء اليهود"، وبطبيعة الحال كان من شأن هذه النتيجة فقط أن تساهم فى دورة الانتقام وفى تعميق العداوة المتبادلة(٣٠).

منذ بداية الخمسينيات وحتى اليوم، أصبح هناك نمط ثابت للصراع العربى- الإسرائيلى بالنسبة لصناع القرار السياسى والعسكرى فى إسرائيل، أن يواجهوا خيارات متكررة للرد على المغيرين- سواء تم وصفهم "المدافعين عن الحرية" أو

"الاستشهاديين" أو "الإرهابيين"- المتسللين عبر الحدود، والمناقشات حول التكتيكات والأخلاقيات فى دورات العنف المتكررة أصبحت ملمحًا مستمرًا للصراعات العربية- الإسرائيلية والإسرائيلية- الفلسطينية، فكل غارة عبر الحدود أو قصف أو هجوم كان يعنى ردًا من الضحية، كما يقدم أدوات لمن يسعون لإثبات من هو الطرف المعتدى وذلك الذى يدافع عن نفسه ضد عدوان الآخرين.

من الحرب إلى الحرب (١).. ١٩٤٩-١٩٥٦:

أسهم العديد من العوامل الأخرى فى اندلاع الحرب العربية- الإسرائيلية الثانية أواخر أكتوبر ١٩٥٦، بعضه خارجى عن المنطقة أو على صلة ضئيلة بالصراع الجوهرى على فلسطين/ إسرائيل، فلقد حدث تغيير حاسم فى موازين القوى فى المنطقة فى صيف ١٩٥٢ عندما أسقطت ثورة الضباط الأحرار البيضاء النظام الملكى الفاسد، وبقيادة اللواء محمد نجيب والضابطين جمال عبد الناصر وأنور السادات، بدأ نظام شعبى جديد بتجربة فى الاشتراكية العربية والإصلاح الزراعى والتحالف بعيدًا عن الغرب، وبعد الرفض من قبل الأمريكان والبريطانيين (الذين بدءوا الانسحاب من قواعدهم فى منطقة قناة السويس) أصبح ناصر المتحدث الرسمى باسم مجموعة عدم الانحياز بين الدول النامية التى تريد ألا يتم تخييرها بين الغرب الرأسمالى والشرق الشيوعى.

ولقد وفر تغيير النظام فى مصر نافذة للأمل، سرعان ما توارت، من خلال محاولة لجس النبض من أجل السلام جرت سرًا بين عبد الناصر ووزير خارجية إسرائيل موسى شاريت عن طريق مبعوثين لهما فى باريس، ولكن بمنتصف عام ١٩٥٤ توترت العلاقات المصرية- الإسرائيلية بشدة إثر اكتشاف خلية تجسس فى

الإسكندرية والقاهرة؛ حيث حاول عملاء إسرائيليون سريون ويهود مصريون تخريب العلاقات المصرية- البريطانية والأمريكية، وإثر ما تمخض عن تعرض القوات المسلحة المصرية للإهانة فى غزة من خلال رد إسرائيل الانتقامى فى فبراير ١٩٥٥، بدا أن كلا البلدين فى طريقيهما للصدام الذى يقود إلى الحرب، وكان بناء القوات المسلحة المصرية وتسليحها بسلاح روسى (عبر تشيكوسلوفاكيا) خلال ١٩٥٥ و١٩٥٦، مصدر قلق شديد لإسرائيل التى ناشدت القوى الغربية تزويدها بأسلحة دفاعية للمواجهة، وكذلك بعقد اتفاقية أمن[٣١].

وقد تمكنت إسرائيل فقط مع فرنسا من إبرام تعاون سرى فى مجال الحصول على السلاح وتبادل المعلومات والتطور النووي، فيما قام البريطانيون والأمريكان بكل ما يمكن لتأخير إجاباتهم السلبية غير المعتادة عن طلبات إسرائيل من السلاح أو اتفاقية الأمن، محاولين بكل الطرق تجنب سباق تسلح يقوم فيه الاتحاد السوفيتى بتأييد العالم العربى المتحالف ضدهم وضد إسرائيل، إلا أن محاولاتهم السرية لتنظيم لقاء بين القيادتين المصرية والإسرائيلية لمناقشة بنود خطة سلام بريطانية- أمريكية سُميت "مشروع ألفا" خلال عامى ١٩٥٥و١٩٥٦، قد باءت بالفشل؛ حيث تجنب "عبد الناصر" و"بن جوريون" و"شاريت" بنجاح تقديم التزامات، كل لأسبابه[٣٢].

لم يكن أى من "ناصر" أو "بن جوريون" يرغب فى أن يراه المجتمع الدولى سببًا فى اندلاع حرب جديدة، لكن كليهما فعل كل ما يمكن على الحدود المشتركة لاستثارة الطرف الآخر لبدء حرب على نطاق واسع، ومن موقع إسرائيل، كان من شأن استمرار مسلسل التسلل والانتقام- وفى غياب ضمان أسلحة كافية أو ضمانات أمن من القوى الغربية الثلاثة- أن يؤيد من الضغوط الداخلية من ضباط الجيش الناشطين والسياسيين للنظر فى ضربة استباقية لمصر قبل استكمال عملية استيعاب

الأسلحة السوفيتية الجديدة استعدادا للهجوم على إسرائيل. وحتى مع مقاومة "بن جوريون"- رئيس الوزراء ووزير الدفاع- لهذه الضغوط؛ سعى رئيس الأركان "موشى ديان" وغيره للبحث عن طرق لاستثارة مصر من أجل الهجوم، على أمل استدراج الأردنيين أيضًا حتى تكون لجيش الدفاع الإسرائيلى فرصة لـ "تقوية" حدود الضفة الغربية منذ ١٩٤٩ والذى وجد فى أن بعض مناطقها لا يمكن الدفاع عنها(٣٣).

وفى سياق المنافسات العربية بين نظم العراق وسوريا ومصر، والتى لعبت على عدم الرضا الفلسطينى، وخلال عام ١٩٥٦ كان الانجراف نحو الحرب أمرًا واضحًا ويمكن رؤيته بسهولة، فمؤيدو "ناصر" ووكلاؤه أثاروا المشاعر القومية العربية وخلقوا الاضطراب بين اللاجئين الفلسطينيين فى الأردن؛ ما أدى إلى قيام الملك حسين الشاب بطرد الجنرال "جلوب" (مؤسس وقائد الفيلق العربى) وتعريب الجيش؛ حيث طرد تقريبًا كل ضباطه الإنجليز(٣٤). وفى يناير وأبريل ١٩٥٦؛ قام سكرتير عام الأمم المتحدة "داج همرشلد" بزيارات شخصية للإقليم بغية استعادة الطرفين لاحترام اتفاقات الهدنة ووقف الاندفاع نحو الحرب.

وأثناء ذلك، وردًا على التأميم المفاجئ لشركة قناة السويس من جانب "ناصر" فى يوليو، ظهرت أزمة دولية مع تشكيل الدول البحرية تحالفًا (مؤتمر مستخدمى قناة السويس) لمحاولة الضغط، دونما نجاح، على القائد المصرى للرجوع عن سلوكه المتحدى. هذا التطور الخارجى كان بمثابة البشير للقيادة العليا الإسرائيلية ؛إذ ذهب المؤرخ "بينى موريس" إلى القول بأنها كانت قد رسمت طريقها من أجل الحرب، "مدفوعة بالمضايقات المستمرة من قبل المتسللين، والرأى العام المستثار، والضباط المائلين للقتال، واحتمالية التهديد المصرى (مع العالم العربى) بجولة ثانية، وضغط فرنسا"(٣٥)، وخلال لقاء سرى رفيع المستوى فى

"سيفر" خارج باريس فى ٢٢-٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ انضمت بريطانيا إلى إسرائيل وفرنسا فى مؤامرة ثلاثية لاستعادة قناة السويس وإسقاط "ناصر"[(٣٦)].

فى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦، جرى إنزال قوات مظلات إسرائيلية فى ممر "متلا" فى عمق جزيرة سيناء المصرية على مسافة تسمح بضرب قناة السويس، ما وفر الجزء الأول من الذريعة المعدة سلفًا للتدخل البريطانى – الفرنسى، فتحت غطاء حماية قناة السويس من المتحاربين تدخلت بريطانيا وفرنسا عسكريًا؛ حيث تم تدمير كل القوات الجوية المصرية تقريبًا، وإنزال قوات المظلات فى بورسعيد، ولكن بسرعة فإن القوات الغازية كان عليها وقف الغزو لمنطقة قناة السويس إثر قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار[(٣٧)].

وخلال ذلك الوقت، كان التحالف الثلاثى قد صار سرًا مذاعًا، وتلقفه الاتحاد السوفيتى ليطلق رئيس وزرائه تهديدات شديدة فى خطابات إلى قادة الأمريكان والفرنسيين والبريطانيين والإسرائيليين، وعمت مشاعر الغضب ضد الاستعمار فى مصر والشرق الأوسط ودول العالم النامى؛ ما وجه ضربة لجهود إسرائيل الساعية للحصول على ترحيب الدول غير المنحازة التى صار معظمها يضع إسرائيل ضمن سلة الدول والقوى الاستعمارية. وقد سببت حرب سيناء/السويس فتورا فى التحالف البريطانى- الفرنسى- الأمريكى؛ حيث فوجئت إدارة "أيزنهاور" وشعرت بالخيانة جراء هذا السلوك العدوانى لحلفائها عبر الأطلنطى.

انتهت المواجهات العسكرية بين القوات المصرية والإسرائيلية فى سيناء فى الخامس من نوفمبر بعد موافقة الطرفين على وقف إطلاق النار الذى تم التوصل إليه بوساطة الأمم المتحدة، وبعد سبعة أيام من القتال تبين قتل عدة آلاف من المصريين و٥٠٠ فلسطينى (معظمهم مدنيون فى قطاع غزة) و١٩٠ إسرائيليا

وجرح ٨٠٠ عسكرى إسرائيلى، وأسرت إسرائيل ٤٠٠٠ مصرى[٣٨]. وأسفرت الجهود الدبلوماسية النشطة التى قام بها أمين عام الأمم المتحدة "داج همرشيلد" ووزير خارجية كندا "ليستر بيرسون" عن قيام الأمم المتحدة بإرسال قوات حفظ السلام لتأخذ مواقعها على الحدود المصرية- الإسرائيلية، وبعد ضغوط قوية من الولايات المتحدة والمنظمة الدولية انسحبت قوات جيش الدفاع الإسرائيلى أوائل مارس ١٩٥٧ وسلمت قوات حفظ السلام آخر مواقعها فى قطاع غزة وشرم الشيخ، وبعد محاولات للحصول على ضمانات قوية لم تجد إسرائيل أمامها خيارًا سوى الثقة فى قدرات قوات حفظ السلام لمراقبة تسللات الفدائيين لإسرائيل من غزة، ولمراقبة خطوط الملاحة فى مضايق "تيران" والاعتماد على وعود الولايات المتحدة فى مساعدة إسرائيل لضمان حرية الملاحة.

من الحرب إلى الحرب (٢).. ١٩٥٧-١٩٦٧:

تمشيا مع النمط المعتاد، فإن كل حلقة من الحروب العربية- الإسرائيلية منذ ١٩٤٨-١٩٤٩ خلفت وراءها مجموعة من التبعات والعمل غير المكتمل، مما حمل معه بذورًا للحرب المقبلة[٣٩]، فبعض القضايا لم تجر تسويتها من خلال الحرب، وغيرها كانت موضعًا للأخذ والرد والاختلاف أو سببت مضايقات إثر حالة الحرب.

وطوال فترة السنوات الثمانى التى أعقبت حرب السويس ١٩٥٦؛ تضاءلت التسللات عبر الحدود، ما حقق على المدى القصير أحد الأهداف الرئيسية منها، وخلال الفترة بعد ١٩٥٦ عكفت إسرائيل على تنمية وتوسيع نطاق علاقاتها مع الدول النامية فى إفريقيا وآسيا؛ فضلاً عن تعميق علاقاتها مع تركيا وإيران وإثيوبيا، ولكن لم يتم إلا أقل القليل على صعيد الوفاق والسلام بين الدول العربية

وإسرائيل، وكما لاحظ المؤرخ "بينى موريس" فإن العكس هو الذى حدث؛ "حيث إن المحصلة السياسية لحرب ١٩٥٦ كانت هى أن الصراع قد صار أكثر راديكالية"[٤٠].

على الرغم من المهانة التى عانى منها على يد القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية، حظى "ناصر" بالترحيب فى مصر والعالم العربى باعتباره سجل نصرًا معنويًا وسياسيًا على إسرائيل والإمبريالية[٤١]، وتمخض ذلك عن ارتفاع شعبيته فى العالم العربى؛ حيث ظهر بمظهر من أعاد الفخر للعرب؛ ما كان دافعًا وسببًا لدوره الجديد باعتباره بطلاً فى مواجهة الاستعمار[٤٢]؛ وتسبب فى حدوث انقلابات عسكرية وتغييرات ثورية فى عدد من الدول العربية.. فيما أن النظم فى لبنان والأردن الموالية للغرب التى وجدت نفسها مهددة؛ طلبت التدخل العسكرى الأمريكى والبريطانى عام ١٩٥٨، وقامت العناصر الناصرية فى سوريا والعراق والأردن بحشد الحماس الشعبى من أجل الوحدة العربية وحدثت عدة محاولات قصيرة الأمد للتوحيد والكونفيدرالية. وعلى الرغم من تعاون "ناصر" مع الأمم المتحدة لوقف استئناف تسلل الفدائيين من غزة لأراضى إسرائيل؛ فإن حماسته من أجل هزيمة إسرائيل فى "جولة ثالثة" من الحرب بدأت تنم وبقوة خاصة مع شعوره بأنه قد تولى مهمة المنقذ العربى، وقد استندت ثقته الجديدة، جزئيًا، إلى مساعدة السوفييت فى إعادة بناء وتسليح وتدريب قواته المسلحة بجانب تزويده بالمساعدة الاقتصادية بما فى ذلك المشروع الكبير لسد أسوان من أجل دعم التصنيع فى مصر.

على الحدود بين سوريا وإسرائيل؛ استمرت المناوشات وفقًا لنمط قبل ١٩٥٦ بل وزادت فى وتيرتها وخطورتها، يضاف إلى ذلك أن النزاعات التى لم

تتم تسويتها واحتكاكات صغيرة حول الحقوق على بحر الجليل واستخدام المناطق منزوعة السلاح على طول الحدود؛ انفجرت بشكل دورى وبشكل عنيف تضمن تبادلاً لنيران المدفعية وقذائف الهاون. وكان من شأن القرار الإسرائيلى الخاص بالبدء فى مشروعها القومى لنقل المياه، خاصة تحويل المياه من بحر الجليل (المعروف ببحيرة كينيريت أو بحيرة طبريا) عبر وسط إسرائيل لرى المزارع فى صحراء النقب، أن يفجر معارضة الجامعة العربية وأن يكون سببًا لـ "حرب صغيرة على المياه" بين إسرائيل وسوريا ولبنان؛ حيث شرعت سوريا فى الإعداد لخطط لتحويل مجرى نهر الأردن إلى نهرى الحصبانى وبنياس، وبدأت التهديدات بالعنف تلوح فى الأفق، فيما أعلن كلا الطرفين أن مشروعات المياه المقترحة من جانب الطرف الآخر ستعتبر "تهديدًا للسلام"[٤٣].

وقد استعاد النشاط الفلسطينى بروزه خلال هذه الفترة بعد غياب دام عقدًا من الزمان؛ حيث وجد طريقه إلى أجندة السياسات العربية، فقدم كل نظام سياسى عربى غالبًا التأييد الشفوى وبعض التأييد المادى للقضية الفلسطينية كقضية وحدة عربية، بهدف حماية مصالحه وحريته فى الحركة، ومثّل إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية فى القاهرة فى يناير ١٩٦٤ فى القمة العربية خطوة مهمة من أجل عودة الفلسطينيين إلى دور أكثر أهمية إن لم يكن دورًا مركزيًا فى الشئون الإقليمية. وعقد المجلس الوطنى الفلسطينى (البرلمان) لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعه الأول فى القدس فى مايو ١٩٦٤؛ حيث تبنى ميثاقًا وطنيًا يدعو إلى إزالة إسرائيل واستعادة فلسطين للفلسطينيين[٤٤]، وفى الأول من يناير ١٩٦٥ نفذت حركة "فتح" -وهى أكبر مجموعة داخل منظمة التحرير- أول غارة ضمن سلسلة غارات عبر الحدود لتخريب خط نقل المياه للمشروع الإسرائيلى الذى جرى افتتاحه مؤخرًا. وعلى مدار السنتين ونصف السنة التاليتين؛ فإن "فتح" وغيرها من

التنظيمات قامت بـــ ١٢٢ غارة داخل إسرائيل، ولعدم وجود مكان للولوج إليها من مصر، فقد صارت تعمل أساسًا من قواعد فى لبنان والأردن وسوريا(٤٥).

فى أعقاب مقتل ثلاثة من المظليين الإسرائيليين بلغم قـــرب الحـــدود مـــع الأردن فى نوفمبر ١٩٦٦، قامت القوات الإسرائيلية بغارة انتقاميـــة علـــى قريـــة "السموع"، وهو العمل الذى كان له أثره فى إشاعة عدم الاســـتقرار فـــى المملكـــة الأردنية الهاشمية التى ضمت الكثير من السكان الفلسطينيين، وأسهم فـــى تـــصاعد الدعوات بين العرب للقيام بشيء ضد إسرائيل(٤٦)، وإلى جانـــب هـــذه الأحـــداث المحلية التى أضافت إلى مشاعر عدم الأمن لدى إسرائيل وأدت إلى تدخلات عبـــر الحدود، جاءت عوامل إقليمية ودولية لتساهم معًا فى انـــدلاع الحـــرب العربيـــة- الإسرائيلية الثالثة، فقد بدأ سباق تسلح يتطور بين الدول الموالية لروســـيا -مـــصر وسوريا- من جانب، وإسرائيل- باعتبارها بشكل عام وكيلاً لفرنسا، وإن تحولـــت لتصبح وكيلاً مواليًا لأمريكا- من جانب آخر، وفى السياق العربى المتصل بإظهار الدعم للقضية الفلسطينية، وجدت مصر نفسها موضعًا للسخرية؛ حيث تتخفى وراء قوات حفظ السلام الدولى فيما يقوم النظام المنافس فى سوريا بأخذ موقـــع ثـــورى نضالى. وأسفر القصف السورى للمستوطنات شمال إسرائيل وللمدن انطلاقًا مـــن نقاط حصينة فى أعلى مرتفعات الجولان عن قيام إســـرائيل بأعمـــال رد انتقاميـــة وضربات جوية. ودارت معارك جوية فى أوائـــل أبريـــل ١٩٦٧ أســـقط خلالهـــا الطيارون الإسرائيليون ست طائرات سورية ميج ٢١ بما فيها اثنتان فوق دمشق(٤٧).

تصاعدت حدة التوتر والتهديد والوعيد، وعلى الـــرغم مـــن أن العـــسكرية الإسرائيلية كانت واثقة من تفوقها؛ فقد ساد شعور بقلق الرأى العام، وكما ذكر "أبا إيبان": "فإن الكثيرين اعتراهم الخوف من أن مذبحة كبرى على وشـــك الحـــدوث،

وفى أماكن كثيرة فى إسرائيل تردد الحديث عن معسكرات أوشويتز وميدانك"(٤٨). وخلال مايو ١٩٦٧؛ قامت إسرائيل ومصر وسوريا بتعبئة ونشرت قواتها، وبدأت بوادر الحرب تلوح فى الأفق فى انتظار قيام طرف بإطلاق الرصاصة الأولى. وجاءت تقارير الاستخبارات السوفيتية التى تم نقلها إلى كل من مصر وسوريا؛ مشيرة إلى قيام إسرائيل بحشد قواتها على الحدود السورية بهدف غزوها وإسقاط حكام البعث الراديكاليين فى دمشق. وفى الحقيقة فإن هذا الحشد لم يتم. وفى محاولة من جانب مصر لتهديد إسرائيل من الجبهة الجنوبية لتخفيف الضغط على سوريا؛ حرك "ناصر" قواته إلى داخل سيناء، ثم جاء طلبه اللاحق لسحب مراقبى الأمم المتحدة من الحدود مع إسرائيل والاستجابة والتنفيذ السريع من جانب سكرتير عام الأمم المتحدة "يوثانت" ليثير الدهشة والمفاجأة لكثير من المراقبين، وحتى للرئيس المصرى نفسه.

اعتبرت إسرائيل قيام "ناصر" بإغلاق مضايق "تيران" أمام السفن الإسرائيلية بمثابة إعلان لحالة الحرب، وأسهم الخطاب الصادر عن العواصم العربية المشير إلى القتال والانتقام فى تضخيم الشعور بالحصار والتشاؤم بين الإسرائيليين، فى وقت عجز فيه رئيس وزرائهم ووزير الدفاع "ليفى أشكول" الذى افتقد إلى الشخصية الكاريزمية عن تهدئة الرأى العام. كما فشلت المساعى الأخيرة والجهود الدولية لمنع اندلاع الحرب سواء على المستوى السياسى أو العسكرى من خلال إرسال أسطول صغير متعدد القوميات إلى ميناء "إيلات" الإسرائيلى(٤٩).

فى هجوم مفاجئ صباح ٥ يونيو ١٩٦٧؛ ضربت الطائرات الإسرائيلية القواعد الجوية المصرية؛ حيث دمرت معظم الطائرات على الأرض، فيما تقدمت قوات جيش الدفاع صوب غزة وشبه جزيرة سيناء. وفى ضوء التزامها باتفاقية

دفاع مشترك تم توقيعها مؤخرًا مع مصر، ووضع قواتها المسلحة (على الأقل على الورق) تحت القيادة العسكرية المصرية، فتحت الأردن النار على المواقع الإسرائيلية في القدس وحولها؛ ما حفز الإسرائيليين على توسيع قتالهم على جبهتين. وبسرعة الضوء دمر الإسرائيليون المتبقي من القوات الجوية في سوريا والأردن وحققوا نصرًا بعد نصر ضد القوات البرية المصرية والأردنية. وفي التاسع من يونيو تلقت القوات الإسرائيلية الأوامر بالبدء في هجوم كثيف للسيطرة على مرتفعات الجولان، وبعد ستة أيام من القتال كانت الخسائر الإسرائيلية نحو ٧٨٠ قتيلاً و٢٥٠٠ جريح، وخسرت مصر ما بين ١٠ آلاف إلى ١٥ ألف قتيل و٥ آلاف أسير، وخسرت الأردن ٨٠٠ قتيل وأكثر من ٦٠٠ أسير وخسرت سوريا ٥٠٠ قتيل و٢٥٠٠ جريح وما يقارب ٦٠٠ أسير[٥٠].

ما زال المؤرخون للحروب العربية- الإسرائيلية يناقشون عدة أسئلة متصلة بحرب ١٩٦٧ أحدها: هل أعطى الأمريكان ضوءًا أخضر (أو ضوءًا أصفر) لقوات الدفاع الإسرائيلية بمهاجمة مصر خلال المحادثات رفيعة المستوى بين ممثلي إسرائيل وإدارة جونسون أواخر مايو؟ كما طُرح سؤال آخر: هل (ولماذا) قدم السوفييت، وهم يعلمون ذلك، معلومات خاطئة للسوريين والمصريين، مساهمين، بذكاء أو بدونه، في زيادة العداء من جانب الدول العربية التي انتهت باستفزاز إسرائيل للقيام بالضربة الوقائية[٥١].

وأكثر أهمية من هذا؛ هو بعض آثار ونتائج الانتصار الإسرائيلي، الذي غير من التوازن الجيو بوليتيكي وخريطة الشرق الأوسط، فقد أسفر احتلال إسرائيل لشبه جزيرة سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان عن إضافة ٤٣٠ ألف كيلو متر مربع لإقليم إسرائيل، هي منطقة أكبر من إسرائيل ذاتها ثلاث

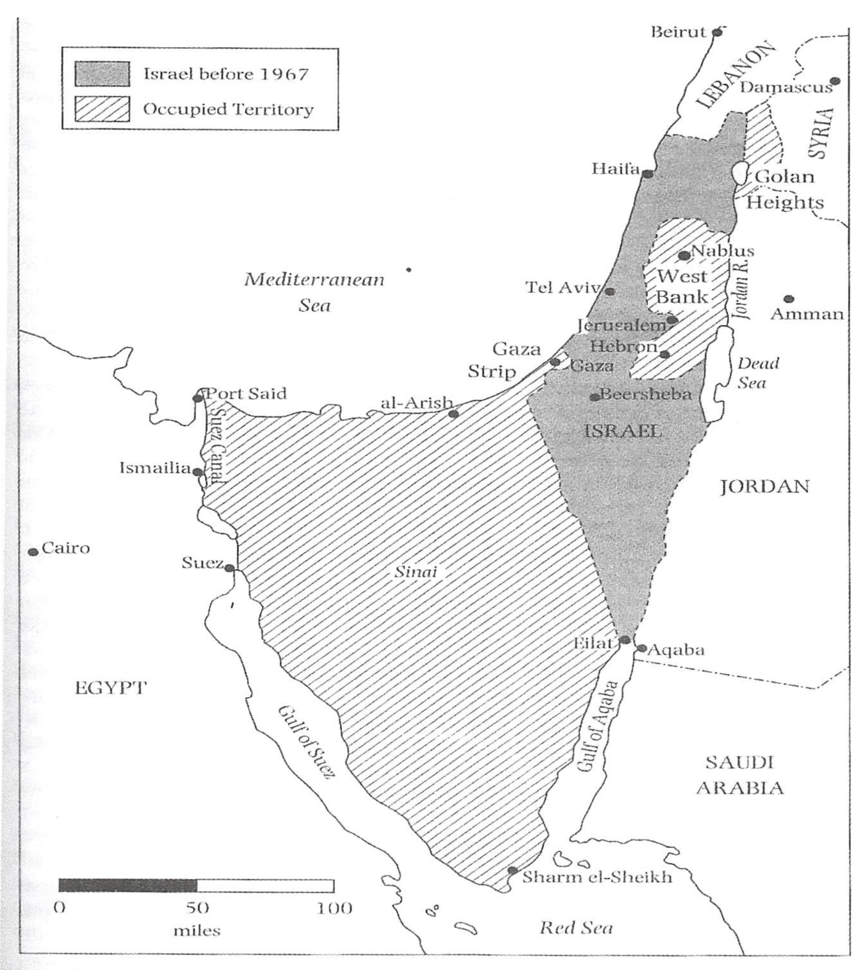
مرات ونصف المرة، كما غيرت الحرب شكل الصراع فى عدة نواح؛ حيث أزالت الخريطة الجديدة وصاية مصر والأردن على الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية، وأعادت توحيد كل مكونات فلسطين تحت الانتداب تحت سيطرة إسرائيل.

وبعد أسابيع من الحرب والغموض والخوف؛ فإن الرأى العام الإسرائيلى ذاق طعم النصر وحلاوته. وبالنسبة للبعض؛ فإن النصر الإسرائيلى الحاسم كان "هو المحرقة التى لم تتم وتحدث أساسا لأنه فى هذا الوقت فإن الإسرائيلى اليهودى القوى اختار ألا يتصرف بسلبية مثل أولاد أعمامه فى المنفى"(٥٢)، وتعجب بعض بتفاؤل: هل جاءت الفرصة لخطة تقسيم جديدة للمشاركة أو لإعادة تقسيم الأرض المتنازع عليها بين الإسرائيليين والفلسطينيين؟ وهذا الفتح الجديد أو الباب ثبت أنه وهمى وسريع الزوال(٥٣).

وبعد أسابيع من التشاؤم الكارثة، تذوق الرأى العام الإسرائيلى طعم النصر، ورأى الكثير من اليهود المتدينين فى النصر معجزة والاستيلاء على الأماكن المقدسة داخل أسوار القدس القديمة؛ علامة على التدخل والموافقة الإلهية على تحرير أرض إسرائيل داخل كل حدودها التوراتية، وكما لاحظ المؤرخ الإسرائيلى "بيلى موريس": "سرت رياح مسيحانية توسعية فى البلاد، وحتى الأفراد العلمانيين جرفتهم هذه الموجة"(٥٤). وبعد مرور عدة سنوات تم إنشاء "جوش أمونيم" (كتلة المؤمنين)، وهى حركة أصولية كرست نفسها لإعادة توطين اليهود فى جميع الأراضى التى جرى الحصول عليها، والتى اعتبرتها "أرض إسرائيل الكاملة" أو "إسرائيل الكبرى".

وبالنسبة لأولئك فى العالم العربى، وغيرهم ممن اعتبروا إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨ نتاجًا غير شرعى للغزو العنيف والتطهير العرقى، مثّل نصر الإسرائيليين

وبروز إسرائيل الكبرى الموسعة وفقًا لخريطة ١٩٦٧ الجديدة دليلاً على العدوانية والتوسعية الصهيونية المتأصلة، فعدد يتراوح بين ٢٠٠ ألف و ٢٥٠ ألف فلسطيني، تقريبًا ربع سكان الضفة الغربية، جرى تشريد بعضهم خلال الحرب والأغلبية من خلال الطرد، فيما بعدها، وصار كثير منهم لاجئين للمرة الثانية منذ عام ١٩٤٨[٥٥]، أما هؤلاء الذين بقوا في منازلهم فقد أصبحوا تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي العسكري الذي ثبت أنه أكثر من مؤقت، واستمر المأزق مجددًا بين المتحاربين في الحرب الثالثة بين العرب وإسرائيل.



Map 7.1 Israel and Occupied Territories, 1967

خريطة ٧,١: إسرائيل والأراضى المحتلة عام ١٩٦٧.

إسرائيل قبل ١٩٦٧.

الأراضى المحتلة.

خلق غزو إسرائيل لسيناء المصرية والضفة الغربية للأردن ومرتفعات الجولان السورية مواقف ثنائية للمساومة المحتملة، ما روج لصيغة "الأرض مقابل السلام"، وأدى ذلك لرفعها لمرتبة المبدأ المقدس باعتباره النقطة المطلوبة لبداية البحث عن وسائل إنهاء الصراع العربى- الإسرائيلى، كذلك فإن النزاع فى شكله المعدل أظهر إسرائيل باعتبارها القوة العظمى الإقليمية التى تنتظر، واثقة من نفسها، اتصالاً هاتفيًا من "ناصر" بالقاهرة و"حسين" بعمان و/ أو "صلاح جديد" بدمشق، يطلبون نصوص السلام. وعلى الصعيد الدولي، فإن مصر وسوريا (مدعومتين من الاتحاد السوفيتى)، وإسرائيل (تدعمها أمريكا) سعت كل على حدة لدفع الأمم المتحدة للضغط على الطرف الآخر.

بعد شهور من المناقشات العامة والمفاوضات فى الغرف المغلقة بالأمم المتحدة، تبنى مجلس الأمن فى الثانى والعشرين من نوفمبر ١٩٦٧ القرار رقم (٢٤٢) استنادًا إلى توافق بين من صاغوه على ما اعتبره سيساعد فى بعض التحركات تجاه السلام، وهذا القرار المبنى على فكرة "الأرض مقابل السلام" سيصبح مرشدًا أساسيًا لجميع الجهود المستقبلية لتسوية الصراع. وفى الشهور والسنوات التالية بعد نوفمبر ١٩٦٧، بذل مسئولو الأمم المتحد والحكومة الأمريكية والاتحاد السوفيتى جهودًا دبلوماسية لجعل كل الأطراف يعلن موافقته على القرار وتوصياته[٥٦].

من الحرب إلى الحرب (٣).. ١٩٦٧-١٩٧٣:

غالبا ما تتم الإشارة للقرار (٢٤٢) الصادر عن مجلس الأمن باعتباره رائعة الغموض الدبلوماسي؛ فقد دعا إلى "انسحاب قوات إسرائيل المسلحة من أراض

احتلت فى الصراع الأخير" لكنه، كما يدفع بعض، ليس "انسحاب إسرائيل من كـل الأراضى التى احتلت فى الصراع الأخير"، وهذا الحذف لأداة التعريف "كل" مـنح الإسرائيليين إمكانات ضخمة للمساومة؛ حيث لا يرون أنفسهم مضطرين للانسحاب من كل بوصة من الأراضى التى استولوا عليها خلال الحرب. وفى المقابل، تركز التفسيرات العربية على تأكيد القرار القوى على مبدأ عدم قبـول الاسـتيلاء علـى الأراضى من خلال الحرب، وفى ضوء اعتبارهم أنه لا نقاش حـول أن إسـرائيل هى المعتدى فى يونيو١٩٦٧، ذهبوا إلى أن انسحابها من "كل" الأراضى المحتلـة يجب أن يكون غير مشروط، ولا صلة له بدبلوماسية المبادلة، ولم يوجد أى زعـيم عربى، خاصة بعد مهانتهم فى ميادين القتال، كان على استعداد لرفع الهاتف لدعوة تل أبيب إلى بدء محادثات للسلام، وحمل كل ذلك مؤشرات على المزيد من سنوات المقاطعة وعدم الاعتراف والجمود الدبلوماسى وربما الحروب فى المستقبل.

وقد أكد القرار (٢٤٢) كذلك على ضرورة تناول ثلاث نقاط حساسة وقديمة الأزل وهى: أ) حرية المرور (بما يدعم شكاوى إسرائيل منذ ١٩٤٩ مـن رفـض مصر منح سفنها حق المرور فى قناة السويس).

ب) تحقيق تسوية عادلة لقضية اللاجئين.

ج) ضمان "السلامة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دول المنطقة. مدعومًا بهذا القرار، قبول الدبلوماسى السويدى "جونار يارنج" تولى مهمة الممثل الخـاص للأمم المتحدة محاولاً تحريك المتحاربين السابقين إلى طريق السلام، وفـى ضـوء الموقف المتشدد للدول العربية المعارض لمنح أى شيء قبل إلزام إسرائيل نفـسها بالانسحاب التام من الأراضى المحتلة فى حرب يونيـو١٩٦٧[٥٧]، بـات "جونـار

يارينج" غير قادر على دفع الأطراف للجلوس وجهًا لوجه، وأخذت مهمتــه شــكل التنقل بين العواصم فى الشرق الأوسط، وأخفقت فى النهاية تمامًا، كما كانت الحال بالنسبة لوزير الخارجية الأمريكى "وليام روجرز"(٥٨).

وقد وجدت مصر وإسرائيل نفسيهما ابتداء من ديسمبر ١٩٦٨ فــى تبــادل متصاعد لنيران المدفعية بطول قناة السويس، وشنت الطائرات الإسرائيلية الكثيــر من الغارات الجوية أحيانًا فى عمق الإقليم المصرى؛ ممــا حــدا بمــصر لنــشر بطاريات صواريخ سوفيتية على طول قناة السويس والاستعانة بطيارين ســوفييت لدعم الدفاع الجوى المصرى، وبين مارس ١٩٦٩ وأغسطس ١٩٧٠ أبقــى هــذا النوع، ذى المستوى المنخفض، من حرب الاستنزاف على حالة الغليان فى وقــت جرى فيه الكثير من مفاوضات لوقف إطلاق النار، الذى سرعان ما تم خرقه، وفى النهاية فإن هذه "الحرب الصغيرة" أسفرت عن فقد آلاف الأرواح مــن المــصريين (عسكريين ومدنيين) و٣٦٧ عسكريًا إسرائيليًا، وأثبتت عدم رضاء العــرب عــن الوضع الراهن، كما أبقت على حدة التوتر عالية ليس فقط بين المتحــاربين علــى الأرض ولكن أيضًا بين مسانديهم من الكبار (السوفييت والأمريكــان)(٥٩)، كــذلك أدت إلى تموضع مصر وإسرائيل لحرب كبرى أخــرى حتــى تنــضج الــشروط اللازمة لاتفاقات سلام خلال العقد التالى.

وقد خلق عدم تسوية معضلة الجمود الدبلوماسى بعــد ١٩٦٧ والغمــوض القانونى حول وضع الأراضى التى احتلتها إسرائيل؛ تربة خصبة لتطوير المقولــة العاشرة من المقولات الجوهرية الأساسية التــى صــارت جــزءًا مــن الــصراع العربى- الإسرائيلى حتى اليوم وهى: هل الأراضى التى غزتها إسرائيل فى الضفة

الغربية للأردن تعتبر "أرضًا محتلة، وهل لإسرائيل الحق في بناء مستعمرات يهودية فيها؟

بالنسبة للصهاينة المتدينين كانت الإجابة واضحة: الأراضي موضع التساؤل هي بالنسبة لهم جزء لا يتجزأ من "إيريتز إسرائيل" أو أرض إسرائيل الموعودة في التوراة، ووجود سكان غير يهود فيها لقرون أو آلاف السنين يعتبر بمثابة "احتلال مؤقت"، صححته دولة إسرائيل "بتحرير" هذه الأراضي وإعادتها لملاكها الحقيقيين اليهود، وقد بدأت "جوش إيمونيم" وغيرها من تنظيمات المستوطنين؛ الاستيطان في تنفيذ "عودتهم إلى صهيون" بالتحرك نحو هذه الأراضي والضغط من أجل الحصول على الدعم الحكومي النشط لما اعتبروه عملاً مقدسًا أمر به الرب، وادعت هذه المجموعات أنها تمثل استمرارية للعمل الريادي الصهيوني الذي بدأ بالهجرتين الأولى والثانية ولكن توقف فجأة وبشكل مصطنع عند حدود ١٩٤٩؛ هذا الموقف الأيديولوجي صادف القبول من بعض وانتقده بعض آخر[٦٠]، فالحكومات الإسرائيلية لها منطقها العلماني في السماح وتشجيع المشروع الاستيطاني، أساسًا بالضغط على الأردن للتحرك بشكل أسرع نحو النظر في مبادلة الأرض بالسلام[٦١].

والناطقون الرسميون باسم العرب الفلسطينيين وغيرهم؛ يتحدون النشاط الاستيطاني الإسرائيلي من خلال الدفع باتفاقية جنيف الرابعة التي تنص مادتها ٤٩ على: "أن قوات الاحتلال لا يمكنها ترحيل أو نقل أي جزء من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي احتلتها"، ومعظم دول العالم تؤيد هذه القراءة الواضحة للموقف وللاتفاقية الدولية وتقبل بأن الأرض موضع التساؤل "محتلة" من قبل إسرائيل نتيجة حرب ١٩٦٧ ويلزم التعامل معها طبقًا لذلك[٦٢]. لكن التفسير الرسمي الإسرائيلي

استند إلى فهم مختلف للوضع القانونى للضفة الغربية باعتبارها أرضًا "متنازعًا عليها" وليست "محتلة"، وينبع السبب وراء ذلك الموقف من وضع الأراضى الذى تطور منذ انتهاء الانتداب البريطانى، مع النظر لإسرائيل باعتبارها الدولة الوحيدة التى ترث السيادة على "معظم" هذه الأراضى فى عام ١٩٤٩؛ كذلك فإن سلطة السيادة على الضفة الغربية وغزة أقل وضوحًا من وجهة النظر القانونية بسبب:

أ) إن ضم الأردن للضفة الغربية عام ١٩٥٠؛ لم يتم الاعتراف به دوليًا إلا من جانب دولتين هما بريطانيا وباكستان.

ب) إن مصر لم تدع أو تمارس السيادة على قطاع غزة؛ لكنها اختارت فقط إدارة المنطقة(٦٣).

استنادًا إلى هذا التفسير، سمحت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بالاستحواذ على هذه الأراضى وبناء مستوطنات جديدة عليها مبدئيًا على أساس اعتباراتها الداخلية الاقتصادية والسياسية، وغالبا لضرورات أمنية موضع مناقشة. وبشكل نسبى تم إعطاء اهتمام محدود بأثر توسع المستوطنات فى السكان المحليين الفلسطينيين والدول المجاورة أو حتى الرأى العام الدولى (أو الأمريكى). وفى البداية فإن "الحمائم" فى القيادة الإسرائيلية لم يعترضوا على إنشاء مستوطنات جديدة ورعوا فيها كروتًا وأوراقًا للمساومة يمكنهم الضغط بها على العرب للموافقة على التفاوض، لكن مع استمرار الاحتلال وعدم وجود اتفاق فى الأفق استمر نمو المستوطنات فى الأراضى المحتلة بشكل سريع، حاملاً معه ليس فقط انتهاكات لحقوق الإنسان- انظر (الفصل ٩) - ولكن أيضًا بنية تحتية ضرورية تشير إلى صفة الاستمرارية أكثر من الوقتية للاحتلال: شبكات طرق، خطوط كهرباء، مرافق للمياه، وأمن وحماية مناسبين.

فضلاً عن حالة عدم الوضوح والتوتر الدولى والإقليمى والمحلى، شــهدت فترة ما بعد فترة ١٩٦٧، تغيير القيادات فى إسرائيل؛ حيث خلفت "جولــدا مــائير" (من معسكر الصقور) "ليفى أشكول" (من الحمائم)، وفــى مــصر، جــاء "أنــور السادات" (البرجماتى) بدلاً من "عبد الناصر" (الأيديولوجى الكاريزما)، وفى سوريا حل "حافظ الأسد" (الرجل العسكرى القوى) محل "نور الــدين الأتاســى" (البعثــى الموظف)، كما وقع نوع من التغيير الداخلى عام ١٩٦٧ داخل منظمــة التحريــر حديثة الإنشاء؛ حيث انتخب قائد حركة "فتح" "ياسر عرفات" رئيسًا ليــضع نهايــة عملية تلاعب مصر بالمنظمة، فهذا التغيير شــهد تعــاظم محوريــة واســتقلالية الفلسطينيين كلاعب فى العلاقات العربية، وتلك العربية- الإسرائيلية (وهو اتجــاه سنناقشه فى الفصل ٨).

كانت معركة "الكرامة" بالأردن، فى مارس ١٩٦٨، حدثًا مهمًا تمكن خلاله المقاتلون الفلسطينيون، بمساندة الجيش الأردنى، من الصمود أمام وحــدات جــيش الدفاع الإسرائيلى، الأمر الذى تمخض عن ثقة جديدة بالنفس أسهمت بدورها فــى إضفاء المزيد من راديكالية وعسكرة الصراع. وقد قاد الشعور الزائد بالثقــة فــى النفس من قبل الفلسطينيين إلى وقوع أحداث "سبتمبر الأســود" عــام ١٩٧٠، فقــد ذهبت بعض المجموعات الراديكالية الفلسطينية بعيدا فــى تحــدى ســلطة النظــام الأردنى؛ ما استفز الجيش الملكى وأدى لمواجهات قتل خلالها ما بين ٣ آلاف و ٥ آلاف فلسطينى (من بينهم فقط ألف مقاتل). كما جُرح وطُــرد الكثيــرون.. وفــى الأعوام التالية وجدت فصائل منظمة التحرير نفسها مضطرة إلى تغييــر مواقعهــا وممارسة عملياتها ضد إسرائيل من قواعد فى لبنان[٦٤].

وقد عاش العرب فى مصر وسوريا والأردن وغيرها حالة من اليأس فى أعقاب الحرب؛ نتيجة لعدم القدرة على التمسك بأراضيهم فى مواجهة الإسرائيليين[٦٥]، وعقب وفاة "عبد الناصر" عام ١٩٧٠ اتجه أنور السادات لإنهاء اعتماد بلاده على الاتحاد السوفيتى والتأسيس لعلاقة جديدة مع الأمريكان، إذ اعتقد أنهم ربما، من بين أشياء أخرى، يمارسون الضغط الدبلوماسى على إسرائيل لإعادة سيناء المحتلة إلى مصر. وبعد عدد من محاولات جس النبض التى لم تلق استجابة، عامى ١٩٧٠ و١٩٧١ بدأ السادات والسوريون الاستعداد لكسر حالة الجمود من خلال الوسائل العسكرية، ونجحت قواتهما- فى البداية- فى شن هجوم مفاجئ فى يوم يهودى مقدس، "يوم كيبور" (صادف يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣) ضد خطوط إسرائيل على جبهة قناة السويس التى ضمت أعدادًا قليلة من الجنود، وعلى مرتفعات الجولان، دافعين قوات جيش الدفاع الإسرائيلى إلى الوراء ومستعيدين بعض الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى الحرب السابقة.

وكانت عمليات إعادة التزويد بالسلاح خلال الحرب من السوفييت والأمريكان حاسمة للأطراف الثلاثة المتحاربة، فيما العرب الآخرون استخدموا، لفترة، نفوذهم الاقتصادى الجديد لإعلان حظر بيع البترول عن الولايات المتحدة وغيرها من الدول حسب مساندتها لإسرائيل، وبعد مرور ثلاثة أسابيع من الحرب استعادت إسرائيل أرضها وتم التوصل إلى وقف إطلاق النار بتدخل أمريكا والاتحاد السوفيتى؛ حيث لم يرغب أى منهما فى أن يرى أيًا من حلفائه فى المنطقة تجرى إهانته وهزيمته بطريقة حاسمة. وفيما يخص الخسائر المادية والبشرية الناجمة عن الحرب فقد كانت مرتفعة فى كلا الجانبين؛ حيث تم قتل أكثر من ٢٨٠٠ إسرائيلى، وجرح ما يناهز ٩ آلاف آخرين، بينما خسر العرب ٨٥٠٠ قتيل وأصيب ٢٠ ألف شخص[٦٦].

تكللت جهود الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الدبلوماسية بصدور قــرار مجلس الأمن (٣٣٨) الذى أكد القرار (٢٤٢)، لكنه دعا بالإضافة إلى ذلــك إلــى "مفاوضات... بين الأطراف تحت إشراف مناسب، بغية التوصل إلى سلام عــادل ودائم فى الشرق الأوسط.

أدت الصدمة التى ولدها الإحساس بأنه تمت مباغتتهم إلى المزيد من البحث فى الذات فى إسرائيل، خاصة أن النجاح الأولى والمبكر لقوات مصر وسوريا ولد إحساسًا متجددًا لديهم بالفخر والنصر، ما خلق بيئة نفسية جديدة للجهود الدبلوماسية بعد الحرب[٦٧]، كذلك مثَّل الحظر البترولى مؤشرًا على عامل جديد يــدعم مــن التعاون العربى ويضفى على العرب موقفًا تفاوضيًا أفضل، كما أن إعلان الولايات المتحدة حالة الاستنفار النووى شرق البحر المتوسط خلال القتال قد أرسل رســالة شديدة ليس فقط للاتحاد السوفيتى ولكن أيضًا للأطراف المحليــة، وكــان تحــذيرًا لجميع الأطراف المعنية من السماح للحرب الإقليمية بالتطور إلى وضــعية أكثــر شمولاً.

الهوامش

(١) من أجل نقد ذاتي فلسطيني أولي انظر موسى علمي (درس فلسطين) مجلة الشرق الأوسط ٣: ٤ (أكتوبر ١٩٤٩) ص: ٣٧٣-٤٠٥. وفيما يخص إعادة التقييم المهمة، وقد نشرت في بيروت عن طريق الأستاذ قنسطنطين زريق تحت اسم: معنى الكارثة، وقامت بترجمته بايلي ويندر ، بيروت دار نشر *Khayat's*، ١٩٥٦ وشارل مالك الدبلوماسي اللبناني (الشرق الأدنى: البحث عن الحقيقة) في مجلة الشئون الخارجية الأمريكية عدد يناير ١٩٥٢، وأعيد طباعته في تحرير كتاب القومية العربية تقديم سلفيا حاييم دار نشر جامعة كاليفورنيا ١٩٦٢ ص:١٨٩-٢٢٤، خاصة ص:٢٠٠-٥.

(٢) آفي شلايم ***The Rise and Fall of the All-Palestine Government in Gaza*** مجلة الدراسات الفلسطينية ٢٠: ١ (خريف ١٩٩٠) ص:٣٧-٥٣. رشيد خالدي (القفص الحديدي: قصة النضال الفلسطيني من أجل الدولة) بوسطن دار نشر بيكون ٢٠٠٦ ص:١٣٥-٦.

(٣) ***Avy Plaskov, The Palestinian Refugees in Jordan*** ١٩٤٨-١٩٥٧، لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٨١. ***Mary Wilson, King Abdullah*** بريطانيا وإنشاء دولة الأردن، كامبريدج بريطانيا/ نيويورك دار نشر جامعة كمبريدج ١٩٨٧ ص:١٨١-٤. ***Joseph Nivo, King Abdullah and Palestine*** طموح إقليمي، لندن نيويورك دار نشر ماكميلان (سلسلة سانت أنطونيو) ، ١٩٩٦ ص:١٦٦-٧١. عدنان أب وعودة ***Jordanians, Palestinians and the Hashemite Kingdom in the Middle East Peace Process*** واشنطن معهد الولايات المتحدة للسلام ١٩٩٩، ص:٤٥.

(٤) خالدي، القفص الحديدي ص:١٢٥-٦، ١٣٦.

(٥) مـــالكوم كيـــر، *The Arab Cold: Gamal Abdulnasser and his Rivals*، ١٩٥٨-١٩٧٠ الطبعة الثالثة لندن/ نيويورك لحساب المعهد الملكى للـــشئون الدوليـــة، دار نـــشر جامعـــة أوكسفورد ١٩٧١.

(٦) إيتامار رابينوفيتش، *The Road not Taken* المفاوضات العربيـــة- الإســـرائيلية المبكـــرة، نيويورك/ دار نشر جامعة أوكسفورد ، ١٩٩١ ، ص:٨٢.

(٧) روبرت ماكدونالد، جامعة الدول العربية: دراسة فى ديناميكيات التنظيم الإقليمى، دار نـــشر جامعة برينستون، ١٩٦٥ ص:١١٨-٢٣. أهارون كـــوهين، إســـرائيل والعـــالم العربـــي، نيويـــورك دار نـــشر *Funk and Wagnalls*، ١٩٧٠ ص:٣٤٨-٩، ٤٨٤-٦. دان شـــيل: المقاطعة العربية لإسرائيل: العدوان الإقتصادى ورد الفعل العـــالمي، نيويـــورك دار نـــشر بريجر، ١٩٧٦. والتر هنرى نيلسون وتيرانس س.ف. بريتى، الحـــرب الاقتـــصادية ضـــد اليهود، نيويورك دار نشر راندم هاوس، ١٩٧٧. سامى حداوى، المقاطعة العربية لإسرائيل: السلمية، الدفاعية والبناءة، أوتاوا مركز إعلام الجامعة العربية ١٩٧٧.

(٨) انظر رشيد خالدى، القفص الحديدى ص:١٣٦-٨ ، ١٤١.

(٩) انظر ناتان بلكوفيتش، الهدنة الطويلة: عملية الأمم المتحدة لحفظ السلام والصراع العربـــى- الإسرائيلى، ١٩٤٨-١٩٦٠ تقديم صامويل لويس. بولدر كو، سان فرانسيسكو/ أوكـــسفورد *Westview Press* ، ١٩٩٣ ص:٤٠-٣.

(١٠) انظر: *Shabtai Rosenne* إتفاقات الهدنة الإسرائيلية مع الدول العربية: تفسير قانونى، تـــل أبيب دار نشر *Blumstein's* (من أجل جمعية القانون الدولى، الفـــرع الإســـرائيلى) ١٩٥١ مقالات هنرى كاتان، ناتان فيمبرج، وندوة القانونيين العرب التى أعيد إنتاجها فـــى كتـــاب *Moore* الصراع العربى- الإسرائيلى الجزء الأول ص:٢٢١، ٢٤٦ ف، ٩٣٩.

(١١) من أجل تقييم ودراسة نظام الهدنة انظر *E.H. Hutchison, Violent Truth* مراقب عسكرى ينظر إلى الصراع العربى- الإسرائيلى، ١٩٥١-١٩٥٥، نيويـــورك: *Devin-Adair* ١٩٥٦. *E. L. M. Burns, Between Arab and Israeli* ، نيويورك: إيفان أوبولينسكى، ١٩٦٣. *Carl*

Von Horn, Solidaring for Peace اندن دار نــشر كاســيل، ١٩٦٦. إيــرل برجــر The Covenant and the Sword العلاقات العربية- الإسرائيلية، ١٩٤٨-٥٦، تورونت ودار نشر جامعة تورنت و(لندن: Routledge and Kegan Paul) ، ١٩٦٥. N. Bar-Yaacov ، مــشاكل الهدنة السورية- الإسرائيلية: إشكالات التنفيذ ، ١٩٤٩-١٩٦٦ القدس دار نــشر Magness (الجامعة العبرية ١٩٦٧). Aryeh Shalev نظام الهدنة السورية- الإسرائيلية، ١٩٤٩-١٩٥٥ القدس Westview Press: الجيروزاليم بوست مركز جافى للدراسات الاستراتيجية، دراسة رقم ٢١، ١٩٩٣. بيلكوفيتش، الهدنة الطويلة. نيل كابلان Futile Diplomacy، المجلــد الثالــث: الأمم المتحدة، القوة الكبرى وصنع السلام فى الشرق الأوســط، ١٩٤٨-١٩٥٤، لنــدن دار نشر فرانك كاس ١٩٩٧ الجزء الثامن.

(١٢) حول دبلوماسية الأمم المتحدة غير الناجحة فى هذه الفترة انظر نيل كابلان A Tailof Two Cities مؤتمرات روديس ولوازان، ١٩٤٩ مجلة الدراسات الفلسطينية رقــم ٢١: ٣ (ربيــع ١٩٩٢) ص: ٥-٣٤. كابلان، Futile Diplomacy الثالث، الجزء الثالث- الجــزء الــسابع والجزءين التاسع- العاشر.

(١٣) انظر: David P. Forsythi ، عملية الأمم المتحدة لحفظ السلام، لجنة التوفيــق لفلــسطين، بلتيمور ، MD/ لندن دار نشر جامعة جون هوبكينز ١٩٧٢.

(١٤) http://www.mfa.gov.il/MFAHeb/General+info/about+us/foreignrelation.htm.fm.cf.a arons.klieman، إسرائيل والعالم بعد ٤٠ سنة، واشــنطن Pergamon-Brassiy's ، ١٩٩٠ص: ٨ وهو الذى أعطى ربما عددا غير صحيح لأربعة وخمــسين دولــة قــدمت اعترافهــا فــى مايو ١٩٤٩.

(١٥) انظر: كابلان Futile Diplomacy الثالــث: ص:٥٤-٥. جيلكــوفيتش، الهدنــة الطويلــة ، ص.٤٢. John Quigly, The Case for Palestine: An International Law Prespective الذى جرى تنقيحه فيما حــرره Durham لنــدن دار نــشر جامعــة Duke ٢٠٠٥ ص:٩٠-٣.

الأرشيف الإسرائيلى وثائق حول السياسة الخارجية لإسرائيل، المجلد السادس ١٩٥١، تحرير يميما روزنتال (القدس: ١٩٩١) ، ص:٦٦ ف، ٢٠١.

(١٦) خطة برنادوت، فى *Futile Diplomacy* الثالث: ص: ٢٨-٣٣، ٢٧٩-٨٣ وانظر أيضا أميتسور إيلان، برنادوت فى فلسطين: *A Study in Contemporary Humaneterian Knight-Errantry* ، نيويورك دار نشر سان مارتن ، ١٩٨٩ ص:١٧٧-٩١، ٢٤٢-٧.

(١٧) انظر خطاب شاريت فى نادى الصحافة القومى، واشنطن ٢١ نوفمبر ١٩٥٥ والذى اقتبسه كابلان فى كتاب *Futile Diplomacy* الثالث ص: ٥٥.

(١٨) قرار مجلس الأمن رقم ٩٥ فى أول سبتمبر فى ١٩٥١ الذى أعيد إنتاجه فى تاريخ وثائق الصراع فى الشرق الأوسط *The Israel-Arab Reader* الجزء السابع. والتر لاكير وبارى روبين نيويورك دار نشر بينجوين ٢٠٠٨- ص:٨٨-٩ (الذى أشار إليه بالخطأ أنه القرار ٦١٩). وبالنسبة لرد الفعل المصرى انظر مايكل أورين، *Origins of the Second Arab-Israel War*: مصر وإسرائيل والقوى الكبرى: ١٩٥٢-٥٦ لندن دار نشر فرانك كاس، ١٩٩٢ ص: ٣٩-٤٢. كابلان *Futile Diplomacy* الثالث ص:٥٤.

(١٩) حول مهمة جون ستون انظر سمير صليبة، *The Jordan River Dispute, The Hague: Martinus Nijhoff* ١٩٦٨ ص:٨٩-١٠٧. مايكل بريشر *Decisions in Israel's Foreign Policy*، دار نشر جامعة يال ١٩٧٥ ص:١٩٢-٧. ماريام لوى *Water and Power*: سياسة الموارد النادرة فى حوض نهر الأردن، نيويورك دار نشر جامعة كامبريدج، ١٩٩٣ ص: ٨٦-٩١. أرنون صوفير، أنهار النار: الصراع حول المياه فى الشرق الأوسط، ترجمة موراى روسوفيسكى ونينا كوباكين، دار نشر لانهام، *MD:Rowman and Little Field* ١٩٩٩ ص: ١٥٨-٦١.

(٢٠) بينى موريس، حروب الحدود الإسرائيلية، ١٩٤٩-١٩٥٦: الاختراق العربى، الانتقام الإسرائيلى والعد التنازلى إلى حرب السويس، أوكسفورد دار نشر كلاريندون، ١٩٩٣ الفصلان ٤-٥.

(٢١) المرجع السابق ص:٩٧-٩.

(٢٢) القتال فى قلقيلية أدى إلى مقتل ٧٠ عربيًا و١٧ إسرائيليًا ووصفه بار أون باعتبـــاره أكبـــر معركة دموية منذ انتهاء حرب ١٩٤٨. ومن أجل تفاصيل القتال وما تلاه سياسيًا وعـــسكريًا انظر موردخاى بار أون، أبواب غزة: طريق إسرائيل إلى الـــسويس وبـــالعكس، ١٩٥٥-١٩٥٧ ترجمة روث روسينج نيويورك دار نشر سان مارتن ١٩٩٤ ص:٢١٣-١٨. موشيه دايان ***Diary of the Sinai Campaign*** ، نيويورك دار نشر هاربر ورو، ١٩٦٦ ص:٥٢-٧. موريس ، حروب الحدود الإسرائيلية ص:٣٩٧-٤٠٢.

(٢٣)***Morris***، حروب الحـــدود الإســـرائيلية، الفـــصل ٨. كـــابلان ***Futile Diplomacy*** الثالـــث: ص:٢٢٠-٩ (غارة قيبية عام ١٩٥٣ زيارة جديدة: مقتطفات من مذكرات موسى شـــاريت) وثيقة خاصة قدم لها وليد خالدى واقتبس منها نيل كابلان ، مجلة الدراسات الفلسطينية عـــدد ٣١ :٤ (صيف ٢٠٠٢) ص:٧٧ – ٩٨.

(٢٤) من إيبان إلى شاريت، ٢٦ نوفمبر ١٩٥٣، أرشيف الدولة الإسرائيلية، وثائق عـــن سياســـة إسرائيل الخارجية، المجلد ٨ (١٩٥٣) تحرير يميما روزنتال القـــدس: ١٩٩٥ ص:٩٠٦-٧ (***doc.539***). ***CF.*** أبا إيبان السيرة الذاتية، نيويورك دار نشر راندم هاوس، ١٩٧٧ ص:١٧٣. إيبان، شهادة شخصية، إسرائيل من خلال أعينـــى، نيويـــورك دار نـــشر ***Putnam's Sons***، ١٩٩٢، ص:٢٣٦. جدعون رافائيل ***Destination Peace*** ثلاثة عقود من سياســـة إســـرائيل الخارجية: مذكرات شخصية، نيويورك دار نشر ***Stean and Day*** ، ١٩٨١ ص:٣٤. كابلان، ***Futile Diplomacy*** الثالث ص:٢٢٢-٤.

(٢٥) ***ISA*** مضابط مجلس الوزراء ١٩ أكتوبر ١٩٥٣ المعاد طبعها فى صحيفة دافار ٢٠ أكتوبر ١٩٥٣ ترجمة إلى الإنجليزية فى كتاب ليفيا روكاتش، إرهاب إسرائيل المقدس: دراسة على أساس المذكرات الشخصية لموسى شاريت ووثـــائق أخـــرى، ***Belmont*** جمعيـــة خريجـــى الجامعات الأمريكية العـــرب عـــام ١٩٨٠، ٦١ ف. كـــابلان ***Futile Diplomacy*** الثالـــث ص:٢٢٤. موريس، حروب الحدود الإسرائيلية ص:٢٥٢-٨.

(٢٦) انظر كابلان *Futile Diplomacy* الثالث ص:٢٢٤ والمصادر مقتبسة هناك.

(٢٧) نيل كابلان (الخيار الشاريتي، زيارة ثانية) وذلك فى كتاب العلاقات العربية- اليهودية من الصراع إلى التسوية؟ مقالات على شرف البروفيسور موشيه ماعوز تحرير ايلى أوديه وهاشير كوفمان، دار نشر *Sons Sussex Academy* ٢٠٠٥ ص:٦٩ ، ٧٣ (٦). وعن وجهتى النظر المتعارضتين ومقاربات بنجوريون وشاريت، انظر مايكل بريشر: نظام السياسة الخارجية الإسرائيلية عملية إنشاء التصورات ، لندن/ تورنتو/ ملبورن: دار نشر جامعة أوكسفورد ١٩٧٢ الفصل ١٢.

(٢٨) وفى النهاية فإن قرار مجلس الأمن رقم ١٠١ عام ١٩٥٣ الذى يدين إسرائيل قد جرى تبنيه بتسعة أصوات ودون معارضة وغياب صوتين يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٥٣. انظر قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين والصراع العربى- الإسرائيلى المجلد الأول ١٩٤٧-١٩٧٤ طبعة منقحة، جورج طعمة واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية ١٩٨٨ ص:١٣٥-٦.

(٢٩) انظر *G.B. Globb* العنف على الحدود الإسرائيلية - الأردنية: وجهة نظر الأردن ، مجلة الشئون الخارجية الأمريكية رقم ٣٢: ٤ (يوليو ١٩٥٤)، ص:٥٥٢-٦٢. موشيه دايان (الحدود الإسرائيلية ومشاكل الأمن) مجلة الشئون الخارجية الأمريكية ٣٣: ٢ (يناير ١٩٥٥) ص:٢٥٠-٦٧. فريد خورى (سياسة الانتقام فى العلاقات العربية- الإسرائيلية) مجلة الشرق الأوسط ٢٠: ٤ (خريف ١٩٦٦)، ص: ٤٣٥-٥٥. بارى بليشمان (أثر الإنتقام الإسرائيلى على سلوك الدول العربية المجاورة الموجه لإسرائيل) مجلة تسوية الصراع ١٦: ٢ يونيو١٩٧٢، ص:١٥٥-٨١. جوناثان شيمشونى، إسرائيل والردع التقليدى: حرب الحدود من ١٩٥٣ إلى ١٩٧٠ دار نشر *Ithaca* نيويورك/ لندن دار نشر جامعة كورنيل، ١٩٨٨ ، ص: ٤٨-٥١، ٦٥-٨. موريس، حرب الحدود الإسرائيلية، الفصلان ٥-٦.

(٣٠) فريد خورى (التحرش والصراع على الجبهة الإسرائيلية- السورية) مجلة دراسات الشرق الأوسط، ١٧: ١-٢ (شتاء - ربيع ١٩٦٣، ٢٤: خورى ص:٢٤). خورى (سياسة الانتقام) ص:٤٣٨.

(٣١) حول هذه الفترة انظر مايكل كورين (مبادرات السلام السرية المصرية- الإسرائيلية قبل حملة السويس) مجلة دراسات الشرق الأوسط ٢٦: ٣ (يوليو ١٩٩٠) ص:٣٥١-٧٠ وأصول الحرب العربية الإسرائيلية الثانية. *M. Bar-on* ، بوابات غزة. نيل كابلان *Futile Diplomacy* المجلد الرابع: العملية ألفا وفشل دبلوماسية القمع الأنجلو أمريكية فى الصراع العربى- الإسرائيلى، ١٩٥٤-١٩٥٦، لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٩٧. آفى شلايم، الجدار الحديدى: إسرائيل والعالم العربى، لندن دار نشر بنجوين، ٢٠٠٠ الفصلان ٣-٤.

(٣٢) شيمون شامير (انهيار مشروع ألفا) فى كتاب السويس ١٩٥٦: الأزمة وأثارها تحرير *W.m. Roger Louis and Roger Owen* أوكسفورد دار نشر كلاريـن دون ١٩٨٩ ص:٧٣-١٠٠. كابلان *Futile Diplomacy* المجلد الرابع.

(٣٣) حول التصعيد نحو الحرب انظر تحليل *M.Bar-on* بوابات غزة. موريس، حروب الحدود الإسرائيلية. موتيجولانى، إسرائيل والبحث عن حرب: حملة سيناء ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ دار نشر *Sussex Academic*، ١٩٩٨. ومودخاى بارئون، وبينى موريس وموتيجولانى، (إعادة تقويم طريق إسرائيل نحو سيناء/ السويس، ١٩٥٦: *A Trialogue*) وذلك فى *Traditions and Transitions in Israel Studies*: كتب عن إسرائيل المجلد السادس تحرير لورا زتريان إيزنبرج، نيل كابلان، ناعومى سوكولوف، ومحمد أبو نمر، *Albany* دار نشر جامعة نيويورك، ٢٠٠٢ ص:٣-٤١.

(٣٤) أوربيل دان (طرد جلوب وما بعده) وذلك فى *U. Dann* ، الملك حسين والتحدى الراديكالى العربى: الأردن ١٩٥٥-١٩٦٧، دار نشر جامعة أوكسفورد.

(٣٥) بينى موريس، *Righteous Victims* : تاريخ الصراع الصهيونى- العربى، ١٨٨١-١٩٩٩، نيويورك دار نشر ألفريد كنوف ١٩٩٩/ لندن دار نشر جون موراى عام ٢٠٠٠، ص:٢٨٨-٩. انظر أيضا جولامى، إسرائيل والبحث عن الحرب.

(٣٦)*M.Bar-on, Gates of Gaza* الفصل ١٥. *S.Ilan Toren* (بروتوكول سيفر: التآمر الثلاثى البريطانى- الفرنسى- الإسرائيلى ضد مصر، ١٩٥٦). الدراسات الإسرائيلية ١: ٢ (نهاية

١٩٩٦) ص:١٢٢- ٣٩. آفى شلايم (تحليل بروتوكول سيفر حول مؤامرة الحرب) وذلك في حرب ١٩٥٦: التحالف والصراع فى الشرق الأوسط، تحرير دافيد تال، لندن دار نشر فرانك كاس (*Commings Center Series*)، ٢٠٠١ ص:١١٩ - ٤٤. موردخاى فار أون (ثلاثة أيام فى سيفر، أكتوبر ١٩٥٦) مجلة ورشة العمل التاريخية ٦٢ (٢٠٠٦) ص:١٧٢-٨٦.

(٣٧) وضمن الدراسات الكثيرة التى تم تكريسها لحرب سيناء/ السويس عام ١٩٥٦ نوصى بقراءة: كينيث لوف، السويس: الحرب التى جرت مرتين، نيويورك/ تورنت ودار نشر ماكجروهيل ١٩٦٩. *Wm. Roger Louis and Roger Owen*، تحرير، السويس ١٩٥٦: الأزمة وأثارها. *Selwyn Ilan Toren and Moshe Shemesh*، تحرير، أزمة السويس-سيناء ١٩٥٦: *Retrospective and Reappraisal*، لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٩٠. *Keith Kyle*، السويس نهاية الإمبراطورية البريطانية فى الشرق الأوسط، نيويورك: *I.B. Teuris*، ٢٠٠٣ (الأصل ١٩٩١). دافيد تال، تحرير، حرب ١٩٥٦.

(٣٨) *Morris Righteous Victims* ص:٢٩٥-٦.

(٣٩) انظر إيتامار رابينوفيتش (الحروب السبعة واتفاقية السلام الواحدة) وذلك فى *The Arab-Israeli Conflict: Prespectives*، الطبعة الثانية، تحرير *Alvin Z.Rubinstein*، نيويورك دار نشر هاربر كولينز، ١٩٩١ الفصل الثانى.

(٤٠) *Morris, Righteous Victims*، ص: ٣٠١.

(٤١) *li Podeh (Regaining Lost Pride)* أثر عملية السويس فى مصر والعالم العربى، وذلك فى حرب ١٩٥٦، تحرير، تال ص:٢٢١.

(٤٢) يورام مينيتال (*Egyptian Prespectives on the Swez War*) وذلك فى حرب ١٩٥٦، تحرير، تال، ص.١٩٥-٢٠٧. *Podeh, (Regaining Lost Pride)* مرجع سابق ص:٢٠٩-٢٤.

(٤٣) انظر خورى (*Friction and Conflict on the Israeli-Syrian Front*) ص:١٤-٣٤. موريس *Righteous Victims*، ص:٣٠٣-٤. *Ami Gloska* (الحرب حول المياه خلال الستينيات)

وذلك فى كتاب الصراع الذى لا ينتهى: مرشد إلى التاريخ العسكرى الإسرائيلى، تحريـــر، موردخاى بارئون ، *West Port, CT*/ لندن : *Praeger* ، ٢٠٠٤ ص:١٠٩-٣١.

(٤٤) الميثاق الوطنى الفلسطينى: قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى ١-١٧ يوليو١٩٦٨ والذى جـــــرى الــــــدخول عليـــــه فـــــى ٢٣ مـــــارس ٢٠٠٨ علـــــى موقـــــع .http://www.yal.edu/lawweb/avalon/mideast/plocov.htm

(٤٥) صايغ ، النضال المسلح ، ص:١٠٤-٨. موريس *Righteous Victims* ، ص:٣٠٣.

(٤٦) مايكل أورين، حرب الستة أيام: يونيو١٩٦٧ وإنشاء الشرق الأوسط الحـــديث، دار نـــشر جامعة أوكسفورد ، ٢٠٠٢ ص:٣٣-٨. موريس *Righteous Victims* ، ٣٠٣.

(٤٧) موريس المرجع السابق ص:٣٠٤.

(٤٨) أبا إيبان، السيرة الذاتية، نيويورك ١٩٧٧ ، ص:٤٠٠.

(٤٩) موريس *Righteous Victims*، ٣٠٤-١١. ريتشارد باركر ، سياسة سوء التقدير فى الشرق الأوسط بلومينجتون دار نشر جامعة إنديانا ، ١٩٩٣ الفصل الرابع.

(٥٠) موريس *Righteous Victims*، ص:٣١١-٢٩. حرب الستة أيام ، تحرير ريتشارد بـــاركر دار نشر جامعة فلوريدا ١٩٩٦. أورين حرب الستة أيام ص:٣٠٥.

(٥١) موريس *Righteous Victims*، ص:٣٠٥-١٠. باركر، سياسة سوء التقدير، الفصول ١-٢-٥. زينيف شيف (*The Green Light*) السياسة الخارجية ٥٠ (ربيـــع ١٩٨٣) ص:٧٣-٨٥. أفنر كوهين، إسرائيل والقنبلة، نيويورك، دار نشر جامعة كولومبيـــا ١٩٩٨، الفـــصل ١٤. رولاند بوب (*Stumbling Decidedly Into the Six-Day War*) مجلة الشرق الأوسط ٦٠: ٢ (ربيع ٢٠٠٦ ص:٢٨١-٣٠٩). إيـــزابيلا جينـــور (*The Cold War's Longest Cover-up: How and Why the USSR Instigated the 1967 war*) دار النشر *MERIA* ، ٧: ٣ (سبتمبر ٢٠٠٣). إيزابيلا جينور وجيدوين رينيز (*The Spy Master, The Communist and Fox Bats Over Dimona: The USSR's Motive for Inestigating the Six Day War*) الدراســـات الإسرائيلية ١١: ٢ (صيف ٢٠٠٦) ص:٨٨-١٣٠. إيزابيلا جينور وجيدوين رينيز (*The*

Six-Day War as a Soviet Initiative: New Evidence and Methodological Issues) دار نشر *MERIA* ١٢: ٣ (سبتمبر ٢٠٠٨).

(٥٢) *Jay Y.Gonen*، سيكولوجية الصهيونية، نيويــورك *Mason-Sharter*، ١٩٧٥ ص:١٦٦-٧.

Simon N.Herman، الإسرائيليون- واليهود: استمرارية الهوية، فيلادلفيــا جمعيــة النــشر اليهودية، ١٩٧١ ص:٢١١-١٢. والمجلة الربع سنوية للقدس رقم ٣ (فى ظــل المحرقــة) ربيع ١٩٧٧، ص:٨٩-٩٠.

(٥٣) انظر أبا إيبان (بعض التفكير غير المنظم عن الصراع العربى - الإسرائيلى) وذلــك فــى الكتاب الذى حرره جابرييل شيفر تحت عنوان (فى ديناميكية الصراع: إعادة بحث الصراع العربى- الإسرائيلى) دار نــشر الإنــسانيات *Atlantic High Lands*، ١٩٧٥ ص:٣٦١-٢.

برنارد وسارستين، "الإسرائيليون والفلسطينيون: لماذا يتحــاربون؟" لنــدن: *Profile Books*، ٢٠٠٨، ص:١٢٢- ٥.

(٥٤) موريس *Righteous Victims* ، ص:٣٢٩-٣٦.

(٥٥) وبعض عمليات الطرد مثل التى حدثت فى تلك القرى فور تدميرها مثــل إمــواس ويــال وبيت نوبا ودير أيوب فى منطقة اللاترون قد شهدت عنصرًا من الانتقام إثر ما جرى عام ١٩٤٨. موريس *Righteous Victims* ص: ٣٢٨.

(٥٦) ضمن المناقشات الكثيرة حول هذا القرار المهم انظر مطبوعات معهد واشنطن، وقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢: باعتباره عمادا فى بناء عملية حفظ السلام ويمكن الاطلاع عليهــا فــى موقع: www.washingtoninstitut.org/templateCO4.php?CID=151. تعليــق مــن جانــب يوسيبيلين وداود خطاب ورانا صباغ- غــاربور وعبــد المــنعم ســعيد علــى. وانظــر *Betterlemons.org middle east round table* ، ٢٢: ٦ و٥ يونيــو٢٠٠٨، (صــيغة الأرض مقابل السلام زيارة جديدة) وجرى الدخول عليها يوم ٣٠ أغــسطس ٢٠٠٨ علــى موقــع www.betterlemons.org www.palestinefacts.org/1948to1967/un/242.php.

وزارة الخارجية الإسرائيلية على موقع:

www.mfa.gov.il/mfa/peace%20process/guide%20to%20the%20peace%20process/statements
. %20Clarifying%20the%20Meaning%20of%20un%20Security%20C

(٥٧) قرار قمة الخرطوم فى ١ سبتمبر ١٩٦٧ والنص أعيد إنتاجه فى *The Israeli Palestinian conflict*: السجل الوثائقى، ١٩٦٧-١٩٩٠ تحرير يهوذا لوكاش، دار نشر جامعة كامبريدج ١٩٩٢، ص:٥٤-٥.

(٥٨)حول يارينج (*UN*) وروجرز (*US*) وفترات الوساطة انظر سعدية توفال ، وسطاء السلام: الوسطاء فى الصراع العربى- الإسرائيلى-١٩٤٨/١٩٧٩، دار نشر جامعة برينستون ١٩٨٢ الفصلان ٦ و٧. نورمان ج. فينكلشتاين، الصورة والحقيقة للصراع الإسرائيلى- الفلسطينى، طبعة جديدة ومنقحة نيويورك دار نشر *W.W. Norton* الطبعة الثانية لندن: *Verso* ٢٠٠٣ الفصل السادس.

(٥٩) حول حرب الاستنزاف انظر: ياكوف بارسيمان توف، حرب الاستنزاف المصرية- الإسرائيلية، ١٩٦٩-١٩٧٠ نيويورك دار نشر جامعة كولومبيا، ١٩٨٠. دافيد كورن *Stalemate*: حرب الاستنزاف ودبلوماسية الدول الكبرى فى الشرق الأوسط، ١٩٦٧-١٩٧٠، دار نشر بولدر، *Co: Westview press* ١٩٩٢. موريس، *Righteous Victims* ص:٣٤٧-٦٣. باركر، سياسة سوء التقدير، الفصلان ٦-٧. دان شيوفتان (حرب الإستنزاف الإسرائيلية- المصرية ١٩٦٩-١٩٧٠ وذلك فى كتاب الصراع الذى لا ينتهى تحرير بار أون، ص:١٤٧-٥٩. إيزابيلا جينور (تحت القبعة الصفراء العربية عيون روسية براقة: عملية القوقاز وحرب الاستنزاف) *Cold war history* ٣: ١ (أكتوبر ٢٠٠٢) ص: ١٢٩-٥٦. زئيف ماعوز، الدفاع عن الأرض المقدسة: تحليل نقدى للأمن الإسرائيلى والسياسة الخارجية، *Ann Arbor*: دار نشر جامعة ميتشيجن، ٢٠٠٦ الفصل الرابع.

(٦٠) جيرشون شافير، (الصهيونية والاستعمار الاستيطانى: مقاربة مقارنة) وذلك فى كتاب المسألة الإسرائيلية- الفلسطينية، تحرير إيلان بابيه، لندن نيويورك روتليدج، ١٩٩٩ ص:٩١-٥. جيوفرى أرونسون، خلق الحقائق: إسرائيل، والفلسطينيين والضفة الغربية،

واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧. إيان لوستيك، من أجل الأرض والله: الأصولية اليهودية فى إسرائيل، نيويورك: مجلس العلاقات الخارجيـــة، ١٩٨٨. روبــرت فريــدمان، المتحمسون لصهيون: من داخل حركة الاستيطان فى الضفة الغربية المحتلة، نيويــورك دار نشر راندم هاوس ١٩٩٢. جيرشوم جورنبرج، ***The accidental empire***: إســرائيل وولادة المستوطنات، ١٩٦٧-١٩٧٧ نيويورك ***Times books***.

(٦١) انظر وازرشتاين مرجع سابق، الإسرائيليون والفلسطينيون، ص:١٢٥-٨.

(٦٢) تم تقديم الحجج القانونية مــن جانــب الأســتاذ ***W. Thomas Malison*** و ***Sally Malison***، المشكلة الفلسطينية فى القانون الدولى والنظام العالمى بريطانيا دار نشر لونجمـــان، ١٩٨٦ الفصل السادس، وجون كويجلى، قــضية فلــسطين: ***An International Law Prespective***، طبعة منقحة ومزيدة لندن دار نشر جامعة ديوك ٢٠٠٥ الفصلان ٢٣-٤.

(٦٣) ألان جيرسون، إسرائيل والضفة الغربية فى القانون الدولى، لندن دار نشر فرانــك كـــاس ١٩٧٨ ص:٧٦-٨٢ والفصل الرابع. يوليوس ستون، إسرائيل وفلسطين: العدوان على قانون الأمم، بالتيمور دار نشر جامعة جونز هوبكينز ١٩٨١ ص:٥١-٦ ، ١١٨-٢٠.

(٦٤) يازيد صايغ، الصراع المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنيـــة الفلــسطينية، ١٩٤٩-١٩٩٣ دار نشر جامعة أوكــسفورد/ واشــنطن معهــد الدراســات الفلــسطينية، ١٩٩٧، ص:٢٦٢-٨١، ٣١٢-١٧. عدنان أبوعودة- الأردنيون والفلسطينيون والمملكة الهاشمية فى عملية سلام الشرق الأوسط، واشــنطن ***US Instate of Peace Process***، ١٩٩٩ الفــصل ٨. مــوريس، ***Righteous Victims*** ص:٣٧٣-٥. ريكـــس بـــرينين، ***Sanctuary and survival***: منظمة التحرير الفلسطينية فـــى لبنـــان، دار نـــشر ***Westview*** (لنـــدن: ***Pinter publishers***) ١٩٩٠.

(٦٥) وأدت الهزيمة إلى اندلاع دورة جديدة من النقاش الأكاديمى والنقد الذاتى. انظر مرجع سابق قنسطنطين زريق (اليوم وأمس- وجهان رئيسيان للمعنى الجديـــد للكارثـــة)، ***Middle east forum XLIII***: ٢-٣ (١٩٦٧) ، ١٣-٢٠. نسيم ريجوان، العرب المنادون بالتغريب، ***New***

outlook ١٥ (أكتوبر ١٩٧٢) ص:٢٧-٣٤. سيسيل أ. حورانى (لحظة الحقيقة: نحو حوار فى الشرق الأوسط) *Encounter* ٢٩: ٥ (١٩٦٧، ص:٣-١٤)، وأعيد إنتاجها فــى كتــاب *A middle east reader* تحرير إرين ل.جندزاير، إنديانا بوليس/ نيويورك دار نشر بيجاسوس ١٩٦٩، ص:٣٨٤-٤٠٥.

(٦٦) أرقام الضحايا فى كتاب إيان ج. بيكرتون وكارلا ل.كلاوزنر، تاريخ الــصراع العربــى- الإسرائيلى، الطبعة الخامسة، *Prince hall*، ٢٠٠٧ ص:١٧٠، اقتبسها تريفور ن. ديوبــوي، النصر المتوهم: الحروب العربية- الإسرائيلية، ١٩٤٧-١٩٧٤، نيويورك دار نشر هاربــار ورو، ١٩٧٨ ص:٦٠٩. وعن حرب ١٩٧٣ انظر محمد حــسنين هيكــل، الطريــق إلــى رمضان، نيويورك دار نشر كوادرانجــل، ١٩٧٥. مــوريس *Righteous Victims* الفــصل التاسع. حاييم هرتزوج *The War of Atonement* : القصة الداخلية لحرب يوم كيبور، لنــدن *Greenhill books*، ٢٠٠٣. أبراهام رابينوفيتش، حرب يوم كيبــور: *The Epic Encounter that Transformed the Middle East*، لنيويورك دار نشر *Schocken*، ٢٠٠٥.

(٦٧) من أجل تفسير ثقافى تاريخى نفسى للانفتاح العربى الجديد على المفاوضات مع إســرائيل انظر: رافائيل باتاى، بذرة إبراهيم: اليهود والعرب فى اتصالاتهم وصــراعهم، دار نــشر جامعة يوتا، ١٩٩٦، ص: ٣٣٦.

الباب الثالث

نحو مناقشة مفيدة

للصراع العربى- الإسرائيلى

الفصل الثامن

عودة إلى الجوهر.. إسرائيل والفلسطينيون

مخاوف رئيسية وثورية جديدة:

تركت عقود اللا سلم واللا حرب التـــى تلـــت عـــام ١٩٤٩ الإســـرائيليين والفلسطينيين؛ يشعرون بالمرارة والقلق والإحباط العاطفى. الـــشعور بالانـــسحاق، وعدم حل مشكلة اللاجئين أسهم فى شعور الفلـــسطينيين بالمزيـــد مـــن الاكتئـــاب واليأس؛ حيث ولدت الجيلين الثانى والثالث فى ظل عدم وجود الدولة ودون قيـــادة سياسية فعالة وأصيلة، تخضع لمكايد سياسيين متشائمين أو يجيدون الكلام الرنـــان، وقد ذهب الغضب الفلسطينى فى اتجاهات ثلاثة: الإســـرائيليون الـــذين اتهمـــوهم بطردهم ١٩٤٧-١٩٤٩، الحكومات العربية المضيفة لقلة إكرامهم وضآلة تأييدهم، المجتمع الدولى لعدم اهتمامه بمأساتهم فيما عدا الأمم المتحدة بمساعدتها الخيريـــة السنوية[١]. وقد تم تناقل ذكريات ما قبل ١٩٤٨ عن البلاد والأرض والمنازل مـــن الآباء إلى الأبناء، فى حين أثار الشعر والتعليم أحلام "العودة" بقـــوة تـــشبه آمـــال وعشق الصهاينة فى المهجر سابقًا لأرض إسرائيل، والسؤال الذى تم طرحه: لماذا يتوقع العالم من اللاجئين الفلسطينيين نسيان فى عدة عقود ما فشل اليهود فى نسيانه فى ألفى عام؟[٢]

هذه المشاعر العميقة من الإحساس بالعجز؛ سرعان ما فتحت الطريق أمام جيل جديد من الفلسطينيين مستعد للتضحية بنفسه فى مسعى لإنهاء حالة المهجر ووضعية اللاجئين بالعودة لبلادهم من خلال جهودهم الذاتية، ويمكننا أن نجد شعورًا حيًا لهذا التغيير الجيلى فى نظرة الفلسطينيين لأنفسهم خلال هذه الفترة عبر الرواية الخيالية لـ "غسان كنفانى" (العودة لحيفا) المنشورة عام ١٩٦٩: سعيد وزوجته اللذان أجبرا على الهرب فى أبريل عام ١٩٤٨ يعودان لمنزل الأسرة الذى تقطنه عائلة إسرائيلية (ممن نجوا من المحرقة كما يحدث عادة)، ومقارنا نفسه بابنه الذى يوشك على اللحاق بالفدائيين، وصل سعيد لنهاية زيارته المليئة بالعواطف لحيفا:

فى هذه اللحظة شعر بعمق لهفته وعشقه لابنه (خالد) وتمنى أن يطير إليه فى رام الله؛ حيث هو يقبله ويبكى على كتفه، عاكسًا أدوار الأب وابنه بطريقة فريدة وغير عادية، وقال لنفسه وهو يبتسم: "هذا هو الوطن، ثم يرفع صوته محدثًا زوجته صفية:

"إننى أبحث عن فلسطين الحقيقية، فلسطين التى هى أكثر من الذكريات... إننى كنت أسأل نفسى ما هى فلسطين بالنسبة لخالد؟ هو لا يعرف القارورة ولا الصورة ولا المسلم ولا الهاليسا أو خلدون (فى حيفا التى عاد لها بعد ١٩ سنة حيث ولد خالد فى المهجر ولم يرها) وعلى الرغم من هذا بالنسبة إلينا؛ فإن فلسطين تستحق أن يحمل لها السلاح ويموت من أجلها، وبالنسبة إلينا، أنت وأنا، إنها شىء تم

دفنه فى تراب الذكريات، إننا كنا مخطئين عندما اعتقدنا أن الوطن هو الماضى، بالنسبة لخالد، الوطن هو المستقبل هكذا نختلف، هذا هو السبب فى أننا مختلفون وأن خالد يريد حمل السلاح؛ عشرات الألوف مثل خالد لن توقفهم دموع الرجال الذين يبحثون وسط هزيمتهم عن بقايا الزهور المحطمة، رجال مثل خالد ينظرون للمستقبل، لهذا هم يمكنهم تصحيح أخطائنا وأخطاء العالم كله"(٣).

فى الوقت ذاته، تعمقت القسوة والعدوانية بين الإسرائيليين وهو ما سيصبح عقبة دائمة أمام محاولات منع تصاعد الصراع، وعلى الرغم من نجاحات الجيل البطولى الذى انتصر عام ١٩٤٨؛ فإن الخوف من التدمير أضحى العنصر الرئيسى فى الصورة الذاتية للإسرائيليين باعتبارهم الضحايا الضعاف ولكن على الحق، ففى النفسية الإسرائيلية يكمن "الاعتقاد الذى يتوارى تارة ويبرز تارة أخرى بأن العالم كله ضدنا"، فضلاً عن ذلك "مزيج غريب من الإحساس بالقوة مصحوب بالرغبة والإرادة فى تحدى كل العالم مع إحساس بالضعف والخوف"[٤]. وخلال الخمسينيات والستينيات، نظر كثير من اليهود للوراء على المحرقة ورعوا ازدواجا بين: ما كان سابقا كـ "الخراف" الضعاف فى المهجر والمفترض أن ذلك قد ساقهم إلى مذبحهم دون مقاومة؛ و"السابرا" المولود فى إسرائيل الفخور والذى قامت حوله أسطورة القوة النضالية[٥]، وقد تم النظر إلى العلاقات مع الفلسطينيين من خلال هذا المنظور الذى كان، بطرق عديدة، غطاءً لعدم الأمن الجوهرى، وبعيدًا عن اعتباره فصلاً منسيًا من التاريخ فإن المحرقة، كما لاحظ الصحفى المخضرم "عاموس إيلون" عام ١٩٧١، استمرت تساعد فى شرح "المخاوف والأذى، العواطف الجياشة، الآلام، والمفاخر التى نسجت خريطة الحياة العامة (فى

إسرائيل) وستستمر فى التأثير على الأمة لمدة أطول مقبلة. إن الذاكرة الباقية فى الخلفية للمحرقة تجعل تهديد العرب بالإبادة يبدو شيئًا ممكنًا"، ذكرى المحرقة "هى السبب فى الإحساس السائد بالوحدة، وهو طابع أساسى للمزاج الإسرائيلى منذ الاستقلال، إنها تفسر الشك المسيطر والحاجة الماسة للاعتماد على الذات مهما كان الثمن فى عالم سمح للكارثة بأن تحدث"(٦).

وكما ذكرها سابقًا، كان النصر الإسرائيلى عام ١٩٦٧ بالنسبة للعديد من اليهود والإسرائيليين "المحرقة التى لم تحدث" بفضل مبادرة الإسرائيليين الجدد وتأكيد الذات، وهى فيما يعتقدون الميزات التى كان يفتقدها اليهود فى أوروبا فى الجيل السابق(٧)، وسواء قبل أو حتى بعد هذا النصر اللامع استمرت إسرائيل فى أنها ترى وتقدم نفسها باعتبارها "داود" الصغير فى مواجهة العملاق العربى "جوليات"، وهى الصورة الثابتة الكاريكاتورية فى التعارض مع التفوق الذى أثبته الجيش الإسرائيلى وقواته الجوية فى ساحة المعركة وسمواتها.. وهكذا فإن حقيقة ما بعد ١٩٦٧ من قوة إسرائيل تمكنت من أن تتعايش، وإن كان بشكل متعارض، مع هذه الصورة الذاتية المستمرة كضحية محاصرة ومهددة.

وفى العالم العربى، فإن الهزيمة المهينة وغير المتوقعة لعام ١٩٦٧، بعد عقد من التنمية والتحديث والمساعدات السوفيتية أدت إلى تطورين، مشاعر متزايدة بالمرارة ضد المغتصبين الأجانب لفلسطين، وأيضًا سبر أغوار الذات والبحث عن الأمراض المجتمعية الكامنة والعميقة التى أظهرتها هذه النكبة الثانية(٨)، وفقط فإن النجاح النسبى للقوات المصرية والسورية فى أكتوبر عام ١٩٧٣ بدا كأنه وفر مناخًا جديدًا من احترام الذات الذى قد يثبت أنه يقود أكثر إلى مفاوضات مثمرة بين إسرائيل والدول العربية.

عودة بروز الحركة الوطنية الفلسطينية بعد ١٩٦٧:

تلقى بروز الحركة الوطنية الفلسطينية زخمًا جديدًا مع هزيمة العرب عام ١٩٦٧؛ حيث تمكنت منظمة التحرير الفلسطينية المنشأة حديثًا من توجيه وإعطاء صوت جديد للأحزان والاستياء المتراكم لشعب مبعثر، كان قبل عام ١٩٤٨ يشكل أغلبية سكان فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وقبل ذلك ضمن ولايات الإمبراطورية العثمانية المسلمة. وقد تغذت موجة من الوعى بالذات وروح النضال من التضامن مع حركات التحرر الكبرى عبر العالم، ومن خلال استثمارها لأسطورة الكفاح الثورى المسلح مع مناضليها من أجل الحرية، ولدت الكوفية والعقال للفدائى الفلسطينى.. ولدت الحماسة التى تغلبت على اليأس والمرارة للهزيمة العسكرية الأخيرة لثلاثة جيوش عربية.

ولفترة قصيرة بعد يونيو١٩٦٧؛ حاولت منظمة التحرير الفلسطينية إنشاء خلايا للمقاتلين لمهاجمة الأهداف الإسرائيلية من قواعد متقدمة فى الضفة الغربية التى تم احتلالها مؤخرًا من قبل إسرائيل، إلا أن فشل هذا المسعى(٩) أجبر الفلسطينيين على العودة لنمطهم السابق فى شن الهجوم من قواعد خارجية اعتمدت على استضافة الدول العربية من أجل المساندة اللوجستيكية والسياسية.

وشهد عقد السبعينيات تغييرات فى شكل الصراع العربى- الإسرائيلى وإعادة التركيز على خصوصيته الجوهرية الفلسطينية- الإسرائيلية؛ فالقضايا العاجلة على جدول الأعمال تمثلت فى الانسحاب الإسرائيلى إلى خطوط يونيو١٩٦٧، والاعتراف العربى والسلام مع الدولة اليهودية؛ كما تمت المطالبة به فى صيغة الأرض مقابل السلام التى تضمنها قرار مجلس الأمن (٢٤٢) لعام

١٩٦٧، وأعيد التأكيد عليه فى القرار (٣٣٨) لعام ١٩٧٣، ومع ذلك فإنه على الرغم من حقيقة أن أيا من هذه الوثائق الدولية لم يذكر الفلسطينيين بالاسم، فإنهم استطاعوا خلال السبعينيات وضع قضية الاعتراف بحقوقهم فى تقرير المصير بشكل واضح فى دائرة اهتمام العالم؛ مستخدمين فى ذلك كلاً من العنف والوسائل السياسية.

لقد بدأ هذا العقد بعدة حوادث إرهابية(*) دولية ضد أهداف إسرائيلية ويهودية؛ قامت بها فصائل داخل وخارج منظمة التحرير الفلسطينية، وكان خطف الطائرات السلاح المفضل فى جعبة المجموعات الفلسطينية التى تحاول ضرب الأهداف الإسرائيلية وجذب الانتباه العالمى لقضيتها. وكما كانت الحال بالنسبة للأشكال المبكرة للعنف من كلا الطرفين، فإن إرهاب السبعينيات أدى كذلك وظائف حيوية موجهة للداخل، ما خلق نوعًا من الوحدة بين الفصائل المتنافسة، وفوق كل ذلك استعادة الروح المعنوية واحترام الذات من جانب الفلسطينيين بالمنفى فى كل مكان[١٠]. وفى سبتمبر ١٩٧٠؛ قام أعضاء بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بخطف ثلاث طائرات تجارية غربية فى وقت واحد (تابعة لشركات تى دبلى وايه، وسويس إير، وبانام الأمريكية)، وتوجهوا باثنتين منها لمطار غير مستخدم خارج عمان بالأردن؛ حيث تم تحرير معظم الرهائن ثم تفجير الطائرتين، وبين ١٩٦٨ و١٩٧٧؛ خطفت المجموعات الفلسطينية أو حاولت خطف ٢٩ طائرة[١١].

(*) آثرنا بقاء التعبير الأصلى للمؤلف (إرهابيين) ومشتقاته فى هذه الفقرة وكل الفقرات التالية؛ للوقوف على وجهة النظر الغربية بدقة فى مثل هذه الحوادث، على الرغم من إيماننا الراسخ بأن الصفة الأدق هى (الفدائيون).. (التحرير).

شهد شهر مايو ١٩٧٢؛ هجوميين جريئين على مطـــار اللـــد الإســـرائيلي، أحدهما بطائرة اختطفت (وتم اقتحامها والاستيلاء عليها بأقل الخـــسائر البـــشرية). والثانى فى شكل حمام دم قام به إرهابى والجيش الأحمر الياباني، نيابة عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ضد مسافرين (معظمهم حجاج مـــسيحيون) فـــى صـــالة الوصول. وكان أكبر وأكثر الهجمات تعقيدًا وحرفية فى تلـــك الفتـــرة هـــو الـــذى استهدف اللاعبين الرياضيين الإسرائيليين فى شقتهم فى دورة للألعاب الأوليمبيـــة فى سبتمبر من العام نفسه فى ميونخ بألمانيا الغربية. وقد أسفرت عملية الإنقاذ غير المتقنة – التى حاولتها الشرطة الألمانية- عن مقتل كل الإسرائيليين وخمسة مـــن الخاطفين.

وعلى الرغم من أن الأهداف الدولية كانت عادة أكثر "ليونة" مما هى داخـــل إسرائيل، استطاع إرهابيون، عبر حدود لبنان، اختراق الدفاعات الإسرائيلية بـــشكل دورى وإلحاق الدمار وبث الذعر والارتباك داخل إسرائيل، وعلى سبيل المثال، قام مهاجمون ينتمون إلى الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، فى مايو ١٩٧٤، باقتحام حضانة فى كيبوتز "معالوت" الشمالى واحتجزوا تسعين طفلاً رهينة، وقد تم إنهاء العملية بتبادل إطلاق نار أسفر عن قتل الإرهابيين وعشرين من الرهائن.

من بين الأسباب التى أسهمت فى تصاعد تجنيد المقـــاتلين وعمليـــات هـــذه الجماعات الإرهابية/ العصابات، حقيقة أن كثيرًا من الفلسطينيين قد أصابهم اليأس، مع مرور الوقت، من الحصول على تحقيق مطالبهم وإنهاء معاناتهم عبر الطـــرق التقليدية للدبلوماسية؛ حيث كانت هذه القنوات ذاتها المـــسئولة عـــن إنـــشاء دولـــة إسرائيل عام ١٩٤٨ (بطريقة غير شرعية كما يعتقدون)، إذ أعقبـــه قيـــام الأمـــم

المتحدة بالتعامل بتحول الفلسطينيين إلى وضعية "عرب" لاجئين يستحقون الشفقة، دون أن يكون لهم أى صفة كمشاركين أساسيين فى الشئون الدولية. وتابعت منظمة التحرير الفلسطينية المنشأة حديثًا أعضاء مجلس الأمن وهم يضعون مسودات ويصدرون القرار (٢٤٢) الذى شأنه فى ذلك شأن وعد بلفور تمامًا منذ خمسين عامًا- لم يشر على الإطلاق للوجود القومى للفلسطينيين أو حقوقهم الوطنية، ومشيرًا إليهم فقط وبطريقة غير مباشرة فى الفقرة الخاصة بتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

وفى ذلك الوقت، تمحورت المناقشات داخل المؤسسات الفلسطينية حول قضايا تتصل بشبكة العلاقات الدقيقة للفلسطينيين مع مختلف الدول العربية؛ الوسائل مقابل الغايات؛ التكتيكات مقابل الاستراتيجيات؛ النضال السياسى فى مواجهة النضال العسكرى الثوري؛ شرعية مواجهة إسرائيل والمدنيين اليهود أو الأفراد المسلحين داخل أو خارج فلسطين/ إسرائيل؛ المعنى الحقيقى وكيفية تطبيق مختلف مواد الميثاق الوطنى. ومن جانبها، أعطت المجموعات المنشقة، مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الماركسية تحت قيادة "جورج حبش"، والجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين تحت قيادة "نايف حواتمة"، الأولوية للنضال المسلح على السياسة وتضامنت مع حركات التحرر الثورية الأخرى فى العالم التى فضلت تكتيكات الخطف والتفجيرات واحتجاز لطائرات مدنية. وقام الناشطون بمناقشة: الأيديولوجية، التكتيك، الاستراتيجية، دور الكفاح المسلح داخل فصائلهم وتحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية، بنفس الكثافة والشغف والطريقة التى قامت بها الجماعات المنشقة عن الصهيونية فى علاقتها مع التيار العام (الهاجاناة) فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. وقد رفض بعضهم، أحيانًا، المواقف التى

تميل للحلول الوسط التى تتبناها فى بعض الأوقات قيادات "فتح"؛ مـا أسـفر عـن تفرق الصفوف، فضلاً عن "المزايدات" التنافسية التى أدت فقط إلى تكثيـف نمـط العنف والإرهاب[١٢].

رفض الكثير من الفلسطينيين، بالطبع، وصف "الإرهاب" لشعورهم بـالحق فى اللجوء للصراع المسلح بالطريقة نفسها التى لجأت إليها، وما زالت، حركـات التحرير الأخرى. لقد رعوا فى العنف أداة شرعية تمامًا لمقاومة الاحتلال للأرض التى فقدوها عام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧، وكذلك لجذب انتباه العالم بـشكل عاجـل لقضيتهم المهملة، حتى إن كانت فرص التدمير المادى للدولة الـصهيونية المحتلـة يبدو أمرًا بعيد المنال[١٣]. وباختيار هذا الطريق فإن الراديكاليين والرافضين تماشوا مع نصوص الميثاق الوطنى الفلسطيني، الذى دعا لـــ "محـو الـصهيونية فـى فلسطين" بـ "الكفاح المسلح" باعتباره الوسيلة الوحيدة ("استراتيجية" وليس "تكتيكا") لإعادة فلسطين كدولة عربية لسكانها الأصليين الفلـسطينيين، باسـتخدام "العمـل الفدائي" باعتباره "نواة للحرب الشعبية الفلسطينية للتحرير". (المواد ٩، ١٠، ١٥).

وخلال هذه الفترة، ركز الإسرائيليون ومؤيدوهم على الطبيعة العنيفة ومـا سماه بعض السياسية لمنظمة التحرير وميثاقها الوطني، مدينين ورافضين التعامـل مع "منظمة إرهابية"، وبالإضافة إلى تصريحات الشجب والإدانة. شـملت الـردود الإسرائيلية عمليات انتقامية، وعمليات خاصة بما فيها اغتيال المشكوك فى ارتباطه بالإرهاب، ومهاجمة المكاتب والمقار الرئيـسية للجماعـات المـسلحة، وقـصف معسكرات اللاجئين (غالبًا فى لبنان) التى قيل إن الإرهابيين يختبئون فيها ويعملون من داخلها[١٤]، وليس من المستغرب أن الإجراءات الإسرائيلية المـضادة للعمـل

المسلح، والهجمات الجوية زادت من درجة تصميم الفلسطينيين وتعطشهم للانتقـــام، وكان أثرها محدودًا كإجراءات تستهدف الردع.

ودورات العنف في السبعينيات والثمانينيات أطلقت نسخة محدثـــة للمقولـــة الجوهرية الأساسية التي لم تحل، والتي بحثناها لدى تناولنا للتمرد العربـــي عـــام ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ وكذلك الأعمال الانتقامية الإسرائيلية في الخمسينيات، وهـــي الخاصة باللجوء للقوة: آثاره ومبرراته. والمؤرخ لجيش الدفاع الإسرائيلي "نيتانيـــل لورش"، يدين عنف منظمة التحرير باعتباره مجرد اســـتمرار للعدوانيـــة العربيـــة القائمة على "مبادئ تم وضعها منذ عدة عقـــود"، فيمـــا ردود الفعـــل الـــصهيونية والإسرائيلية، في رأيه، لم يكونا متماثلين:

> **"منذ البداية (المنظمة الصهيونية العـــسكرية) جـــاءت كرد فعل للجوء العرب للعنف، كـــدفاع عـــن الـــنفس ضـــد الهجمات من كلا القوات العسكرية وغير النظـــامي، ومجـــرد أسماء المنظمات المتعاقبة "هاشومير" (المراقب)، و"الهاجاناة" (الدفاع)، وجيش الدفاع" (قوات الدفاع الإسرائيلية) توضـــح مهامهم الأساسية، وقد يكون من التناقض أن حركة، دولـــة فيما بعد، لم تنظر في العنف كـــأداة لتحقيـــق أهـــدافها قـــد انخرطت تقريبا باستمرار في صراع عنيف"[١٥].**

وفي العقود التالية لحرب ١٩٦٧، أيد الأمريكان بشكل عام موقف إســـرائيل بأن منظمة التحرير يجب إخراجها من العملية الدبلوماسية حتـــى تقبـــل بـــالقرار (٢٤٢) وتعترف بإسرائيل وحقها في الوجود، وتنبذ الإرهاب صراحة[١٦]. ونتيجـــة إبعاد منظمة التحرير الفلسطينية المتورطة في العديد من الأعمال البـــشعة، حـــاول

الإسرائيليون والأمريكيون، خلال الأعوام التالية، التشجيع والتعامل مع فلسطينيين من "خارج المنظمة" كجزء من حملة لإفقاد الأخيرة مصداقية إدعائها بأنها المتحدث الشرعي باسم الشعب الفلسطيني، وفي هذه الأثناء رفض الفلسطينيون الإشارة لنضالهم كـ "إرهاب"، وبدت الشروط المسبقة الأمريكي/ الإسرائيلي لنبذه غير عادلة. وكما لاحظ "وليد خالدي" بسخرية "كان على الفلسطينيين حسبما ترى الولايات المتحدة وإسرائيل أن يوقفوا مقاومتهم للاحتلال غير الشرعي كشرط مسبق للسماح لهم بالتفاوض لإنهاء هذا الاحتلال"(١٧). وخلال العقد ونصف العقد الذي تلا؛ استمرت منظمة التحرير على موقفها الحازم الرافض للقرار (٢٤٢) لعدم تناوله للمطالب الفلسطينية والحد الأدنى من متطلبات السلام العادل والدائم(١٨). ونظرًا لعناد الإسرائيليين والأمريكيين واستمرارهم في إبقاء المنظمة بعيدة عن اللعبة الدبلوماسية، وضعت المنظمة خطًا أحمر واضحًا حتى ١٩٨٨ ضد أي تسوية أو قبول للقرار ٢٤٢، وبدت ملتزمة لاستعادة فلسطين فقط من خلال الكفاح المسلح.

شهدت بداية السبعينيات ظهور مؤشرات ضعيفة على أن منظمة التحرير قد تتخلى عن رفضها القاطع لإسرائيل الكامن في ميثاقها الوطني وتتحرك، وفقًا لبعض المحللين، "تدريجيًا للقبول... بحل الدولتين"(١٩)، ومع ذلك يعترف "رشيد خالدي" بأن هذا التحول كان إما غير ملحوظ للولايات المتحدة وإسرائيل وإما أنهما رأياه بطريقة مختلفة؛ حيث إنهما ركزا على دليل آخر- استمرار الكفاح المسلح على الأرض، والعبارات القتالية في قرارات المجلس الوطني الفلسطيني- وتوصلا إلى استخلاصات سلبية حول النوايا الفلسطينية، وهذا ينقلنا إلى البحث في آخر نقطة على قائمتنا للمقولات الجوهرية المثيرة للجدال التي لم تحل بعد، وأحاطت بالتواريخ المتعارضة لفلسطين وإسرائيل: ما النوايا الحقيقية للفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية؟ إزالة الدولة اليهودية لإسرائيل واستبدالها بدولة فلسطين

العربية، أو إنشاء دولة عربية فلسطينية على جزء من فلسطين التاريخية، تتعايش وتعيش بجانب دولة إسرائيل اليهودية؟

على مدى سنوات، تمحورت المناقشات حول القرار رقم (٢) للمجلس الوطنى الفلسطينى والبرنامج السياسى الذى تبنته فى القاهرة فى ٩ يونيو ١٩٧٤: "منظمة التحرير ستستخدم كل الوسائل، وأولها وأهمها، الكفاح المسلح لتحرير الأراضى الفلسطينية وإنشاء السلطة الوطنية المستقلة المحاربة للشعب فوق كل جزء من الأراضى الفلسطينية التى يتم تحريرها"[٢٠]. وكثير من المعلقين فسروا العبارة الأخيرة باعتبارها تشير إلى رغبة منظمة التحرير فى قبول دولة صغيرة فى الضفة الغربية وغزة (بمعنى شىء أقل من التحرير الكامل لكل فلسطين)، كما اعتبرت الإشارة الأولية الخاصة باستخدام "كل الوسائل" على أنها تعنى الإشارة إلى التراجع عن الهدف المتعارض مع ذلك الخاص بمحو الصهيونية عن طريق الكفاح المسلح فقط.

وينظر العديد من الكتاب اليوم للوراء إلى تلك اللحظة دونما نقد؛ باعتبارها شكلت تغييرًا خاليًا من الغموض فى سياسة منظمة التحرير الفلسطينية[٢١]، إلا أنه فى ذلك الوقت لم تكن حقيقة التغيير واضحة على الإطلاق، بل إنها كانت موضع خلاف حاد، فالمحلل السابق للمخابرات العسكرية "يهوشا فاط هاراكابي" – الذى عدل، بعد عام ١٩٧٨، بشكل تام من قراءاته السلبية والحاسمة لعداء العرب ونواياهم[٢٢]– دفع بقوة آنذاك بأن هذه الصياغة لم تمثل شيئًا وإنما كانت قناعًا يخفى الهدف الذى لم يتغير للمنظمة التحرير الخاص بتحرير "كل" فلسطين، إن لم يكن ذلك فى مرة واحدة؛ فإن الفلسطينيين سيفعلون ذلك على مراحل بدءًا من أى إقليم يحصلون عليه بالكفاح المسلح أو من خلال المفاوضات[٢٣]. وهؤلاء الذين

اعتقدوا فى هذه التفسيرات للنوايا الفلسطينية أشاروا إلى الحملة التى لم تتوقف من الهجمات العنيفة التى خططت لها أو نفذتها منظمة التحرير أو فروعها ضد الإسرائيليين واليهود حول العالم، كما يقتبسون من الميثاق الوطنى الفلسطينى لعام ١٩٦٨ وطبيعة أهدافه التى لا تقبل المساومة، ومن بينها المادة (٢١): "الشعب العربى الفلسطينى بالتعبير عن نفسه من خلال الثورة الفلسطينية المسلحة يرفض كل حل يمثل بديلاً عن التحرير الكامل لفلسطين...".

ومن جانبه؛ لا يؤيد "يزيد صايغ" هذا الدفع بأن قرار ١٩٧٤ كان تمويهًا على استراتيجية التحرير الكامل من خلال مراحل، وفى دراسته عن تاريخ الحركة فإنه يعبر عن تصديقه لقيام منظمة التحرير الفلسطينية بإظهار مرونة دبلوماسية فى "استعدادها لتعديل أهدافها واستراتيجيتها"، ولكنه يقر بأن هذا كان "بعيدًا جدًا عن أن يطرح اعترافًا بالدولة اليهودية، ناهيك عن التعايش"، وعلى الرغم من ذلك فإنه تضمن "استعدادًا للدخول فى مفاوضات غير مباشرة وإرجاء التحرير الكامل لفلسطين إن لم تتخل عنه كليا"، هذا الانفتاح الدبلوماسى غير النهائى كان عليه أن يكون مصحوبًا "بالعمل العسكرى على الأرض ضد إسرائيل" من أجل "تأكيد قدرة المنظمة على إفشال أى مبادرة سلمية تتخطاها"(٢٤)، ويوجد الكثيرون ممن يعتقدون- مثل "صايغ"- أن الهدف الحقيقى للفلسطينيين هو التعايش مع إسرائيل، ويشيرون إلى أن الخطابة المولعة بالقتال استهدفت بالأساس تهدئة الفصائل الثورية، بل ويدفعون بأن القراءة الدقيقة للمناقشات الفلسطينية تفصح عن تطور تدريجى للأهداف الفلسطينية باتجاه التسوية مع إسرائيل، هذه التغييرات جرى التعبير عنها من خلال تغييرات ذكية فى صياغة القرارات السلطوية التى تبنتها اجتماعات البرلمان الفلسطينى فى المنفى (المجلس الوطنى)(٢٥)، ولسوء الحظ فإن هذه التغييرات الغامضة فى الصياغة فشلت فى إقناع المتشككين، والنتيجة أن كلا

الطرفين ومؤيديهم لجئوا إلى التفسير الذى لا ينتهى للفقرات والمماحكة والشجار حول المعنى الحقيقى لمختلف قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى[٢٦].

وجاء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى الجزائر، نوفمبر ١٩٨٨، (انظر الفصل ١٠) ليشكل علامة على تطور الاتجاهات الفلسطينية، على الرغم من كونها لبست كافية للتوضيح النهائى للنوايا الفلسطينية، ويبقى هذا السؤال من بين أكثر المسائل المحيرة التى لم يتم كشف النقاب عنها، ويعاود البروز مجددًا ليعيق تحقيق اختراق يهدف لخلق الثقة المتبادلة بين الأطراف خلال فترة أوسلو وبعد ١٩٩٣.

القضية الفلسطينية فى الأمم المتحدة:

استمرت منظمة التحرير الفلسطينية والقضية الفلسطينية، تحظى خلال السبعينيات بالانتباه الكبير والتضامن على المستويين الإقليمي والدولى، وأكد مؤتمر القمة العربى فى الرباط بالمغرب فى أكتوبر ١٩٧٤، ليس فقط على "حق الشعب الفلسطيني فى العودة لوطنه القومي وتقرير المصير" ولكن (تمشيًا مع قرارات المجلس الوطنى الفلسطيني الأخيرة) أيضًا "حقه فى إنشاء سلطته الوطنية المستقلة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطيني"، وقد مثلت العبارة الأخيرة إنجازًا مهمًا لمنظمة التحرير الفلسطينية لتنهى الوصاية التى أعطتها الأردن لنفسها على الأماكن المقدسة فى القدس والمسألة الفلسطينية عبر احتلالها للمدينة المقدسة والضفة الغربية ما بين ١٩٤٨ و١٩٦٧[٢٧].

وخلال هذه الفترة، حقق القادة الفلسطينيون أعظم نجاحاتهم فى توسيع نطاق التأييد لقضيتهم على الصعيد الدولى. وفى نوفمبر ١٩٧٤؛ تمت دعوة "ياسر

عرفات" زعيم المنظمة لإلقاء خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة[٢٨]، التـــى تبنت بعد ذلك القرار (٣٢٣٦) معبرة عن قلقها العميق لعدم تحقيق تـسوية عادلــة للقضية الفلسطينية التى ما زالت "تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر"، وقد ذهب هذا القرار، الذى شكل نقطة تطور مهمة، أبعد مــن تــصريحات الأمــم المتحــدة الأخيرة المؤيدة للحقوق الفلسطينية[٢٩]؛ حيث أعاد التأكيد (بأغلبية ٨٩ صوتا، ضــد ٧ أصوات وامتناع ٣٧ عضوا عن التصويت) على "الحقوق التى لا يمكن التنــازل عنها" للشعب الفلسطينى "فى حق تقرير المصير دونما تدخل خارجى"، والحق فـــى "الاستقلال الوطنى والسيادة"، كذلك فإن القرار دعم المطالبات الروتينيــة الــسنوية للجمعية العامة منذ عام ١٩٤٨، بتأكيده "أن حق الفلسطينيين غير قابل للتصرف فى العودة لمنازلهم وملكياتهم الذين شردوا منها، ودعا إلى عــودتهم"[٣٠]، وفـــى قــرار مصاحب منحت الأمم المتحدة منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب. وفـــى عـــام ١٩٧٥؛ ذهبت إلى حد إنشاء لجنة حول "ممارسة الحقوق التى لا يمكــن التــصرف فيها للشعب الفلسطينى"، واستمرت اللجنة فى العمل، من خلال ســكرتاريتها (قــسم حقوق الشعب الفلسطينى) كقاعدة دولية للتوثيق ولتأييد الدفاع عن الفلسطينيين.

ولم يجد شجب السفير الإسرائيلى لدعوة المنظمة الدوليــة لــــ "عرفــات" واتهامه لها بـــ "الاستسلام لمنظمة من القتلة تسعى لتدمير دولة عضو فـــى الأمـــم المتحدة" و"إخضاع نفسها لمنظمة التحرير الفلسطينية المعروفة بتــدبيرها عمليــات قتل متعمدة للمدنيين، ورفضها لحق الشعب اليهودى فى الحياة، وســعيها لتــدمير الدولة اليهودية بالقوة المسلحة"[٣١]، وبشكل أضاف إلى شعور إســرائيل بالعزلــة اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا مشئوما عـــام ١٩٧٥ ضـــد التفرقــة العنصرية، تضمن سطره الأخير تأكيدا: "إن الــصهيونية شــكل مــن العنــصرية والتمييز العنصرى"، وبالنسبة لليهود قدم هذا الموقف من الأمم المتحدة مثلاً علـــى

التحيز الفاضح، يختار ويعاقب بشكل انتقائى اليهود وحركتهم للتحرير الوطنى، ويربطها بشرور نظام "الأبارتايد" فى جنوب إفريقيا، كذلك تم انتقاد الأساليب السياسية المستخدمة فى تجنيد الأصوات لهذا القرار فى الأمم المتحدة بسبب أنانيتها المفرطة(٣٢).

ومن بين ما تضمنه قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٦٢٦) لعام ١٩٧٤؛ الاعتراف بالشعب الفلسطينى باعتباره "طرفًا رئيسيًا فى إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط"، وعلى حين حظى ذلك التوجه لـ "إضفاء الصفة الفلسطينية" على الصراع بتعاطف المشاركين من أعضاء الأمم المتحدة، خاصة من الدول النامية، فإن تركيز المنظمة على الجوهر الفلسطينى- الإسرائيلى لم يمر دون نقد، فقد شكا أحد الأساتذة، على سبيل المثال، من "شلال من المشاعر المؤيدة للفلسطينيين وإضفاء شكل منظمة التحرير على الأمم المتحدة، التى كثفت من ذمها لإسرائيل وتجيش الجهود لعزلها"(٣٣)، وقد كرس أستاذ القانون "جوليوس أستون" مجلداً كاملا للهجوم بقسوة على هذه التطورات فى الأمم المتحدة من وجهة نظر القانون الدولي(٣٤)، وبالنسبة لهؤلاء الناقدين فإن جوهر الصراع ليس عدم تحقيق مسعى الفلسطينيين من أجل تقرير المصير ولكن عدم قدرة العرب على قبول الواقع وشرعية الوجود الإسرائيلى ذاته.

سعى المتحدثون الرسميون والمعلقون الإعلاميون والمحامون والأكاديميون للقيام بهجوم مضاد، موسعين دائرة النقاش للتشكيك فى مدى أصلية القومية الفلسطينية عمومًا. وسعى بعض أعضاء الجمعية الأكاديمية الأمريكية للسلام فى الشرق الأوسط، على سبيل المثال، لتقويض أو نزع الصفة الشرعية عن أى شكل قائم بذاته للادعاءات الوطنية الفلسطينية(٣٥)، وفى كثير من المنشورات والمنتديات العامة فإن الحجج التالية، وبعضها يتصل بالمقولات الجوهرية المثيرة للجدال التى

رأيناها فى السنوات المبكرة الأولى، تم تعديلها لتتفق مع ظروف السبعينيات والثمانينيات:

١) تاريخيًا لم يكن هناك ثمة شيء من قبيل شعب فلسطينى منفصل قائم بذاته، وهم الذين كانوا بعد الحرب العالمية الأولى يسمون أنفسهم "السوريون الجنوبيون".

٢) لم يكن هناك على الإطلاق محتوى إيجابى للقومية الفلسطينية، التى ارتكزت أساسا على ردود فعل سلبية لجهود ونجاحات الصهاينة.

٣) تأييد الدول العربية لمنظمة التحرير الفلسطينية والمطالبة بإنشاء الدولة الفلسطينية هو مجرد خدمة الذات، وفقط أداة يمكن استخدامها (كما هى الحال بالنسبة للاجئين) فى معارك هذه الدول ضد إسرائيل- "الاستخدام المستمر لهذه المسائل كسلاح للعرب فى حربهم ضد إسرائيل" وفقًا لكلمات السفير الإسرائيلى فى الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٤[٣٦]- وإذا كان تأييد العرب لمطلب دولة فلسطينية أصيلاً وحقيقيًا فلماذا لم تقم مصر والأردن، اللتان سيطرتا على أجزاء من فلسطين تحت الانتداب بين ١٩٤٩ و١٩٦٧ بالتحرك لإنشاء دولة فلسطينية فى هذه المناطق، فى وقت توافرت لديهم القدرة على فعل ذلك؟

٤) لا توجد ثمة حاجة حاليًا لدولة فلسطينية مستقلة لأن الأردن هى بالفعل دولة فلسطينية، ومجددًا كما أعلن

السفير الإسرائيلى أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ فإنــه "جغرافيًا وعرقيًا فإن الأردن هى فلسطين"[٣٧]، ولتأييــد هــذا الادعاء تمت الإشارة لحقيقــة أن فلــسطين الكبــرى تحــت الانتداب كانت فى الأصل مقسمة من قبل "وينستون تشرشل " عام ١٩٢٢، لإنشاء إمارة "عبد الله" لشرق نهر الأردن، بمـــا عناه ذلك من تضاءل سياسة الوطن القومى اليهــودى فيمـــا بعد لتقتصر فى تنفيذها على فلسطين غرب الأردن[٣٨].

٥) إنشاء دولة فلــسطينية ســيوفر قواعــد متقدمـــة لمنظمة إرهابية كرست نفسها لتدمير إسرائيل، ووفقًا للسفير الإسرائيلى فى الأمم المتحدة: "المسألة هى هل يجــب إقامـــة سلام بين إسرائيل وجارتها الشرقية فلسطين/ الأردن، أو هل يجب محاولة إقامة قاعدة لمنظمة التحرير الفلــسطينية فـــى شرق إسرائيل، يمكن من خلالها الاستمرار فى الحملة ضــد وجود الدولة اليهودية"[٣٩].

هذه الحجج تم طرحها على خلفية من العمليات شــبه اليوميــة للعــصابات/ الإرهابيين داخل إسرائيل، أو ضد أهداف إسرائيلية ويهودية فى الخارج، والعمليات الانتقامية الإسرائيلية المتكررة على أهداف فلسطينية فى لبنـــان وســوريا والأردن والتى ترتب عليها غالبًا "خسائر فرعية" مدمرة على السكان المــدنيين، وشــكاوى دورية ودفع فى الأمم المتحدة ضد ما تقترفه إسرائيل من انتهاكات لحقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة منذ ١٩٦٧.

وبعيدًا عن الاهتمامات اليومية، جرت مناقشات ساخنة وبحوث ودراسات ليس فقط حول مشروعية قرارات الأمم المتحدة الخاصة بإنشاء دولة إسرائيل، ولكن لإعادة فتح الحكايات والقصص حول الحقوق الأساسية للفلسطينيين واليهود فى السيادة وتقرير المصير[٤٠]، وكما أن كثيرًا من اليهود الإسرائيليين يشعرون بالإهانة من إنكار العرب لحق إسرائيل فى الوجود كدولة يهودية[٤١]، كذلك العرب شعروا بدورهم بالإهانة من ملاحظات رئيسة وزراء إسرائيل "مائير" عام ١٩٦٩؛ على الرغم من اعتدالها فى التعبير أو كما تم تفسيرها فى السنوات التالية:

"لم يكن هناك شيء اسمه فلسطينيين، متى كان هناك شعب فلسطينى مستقل له دولة فلسطينية؟ كان هناك إما جنوب سوريا، قبل الحرب العالمية الأولى، ثم كانت بعد ذلك فلسطين المتضمنة الأردن، لم يكن هناك شعب فى فلسطين يعتبر نفسه فلسطينيًا، قمنا بطرده عندما وصلنا وأخذنا بلادهم منهم، إنهم لم يكونوا موجودين"[٤٢].

وقد انقلب الفلسطينيون والأردنيون، كل منهم لأسباب مختلفة، على فحوى ما ردده حزب العمل الإسرائيلى عن "الخيار الأردنى"، وكذلك شعار حزب الليكود أن "الأردن هى فلسطين" معتبرًا الأردن دولة فلسطينية، فقد أعلن "إسحاق شامير"، زعيم الليكود، عام ١٩٨٢ أنه لا يوجد ثمة مكان فى غرب الأردن لدولة فلسطينية ثانية، والذى سيكون "وصفة للفوضى، وتهديدًا لكل من إسرائيل والأردن، وفى الأغلب قاعدة للإرهاب والتغلغل السوفيتى"[٤٣]، ومن وجهة نظر أردنية فإن هذه ليست إلا "مؤامرة إسرائيلية... لإنشاء دولة فلسطينية خارج فلسطين

التاريخية، كوطن قومى فى الضفة الغربية وغزة ضد رغبات الفلسطينيين وعلى حساب الأردن"[٤٤].

أولئك الذين رفضوا الحجج الخمس السابق ذكرها، وجدوا حججًا مضادة ومناسبة لدعم جهود الفلسطينيين الساعية للحصول على الاعتراف بأنهم مطالبون شرعيون بتقرير المصير الوطنى على التراب المتنازع عليه لفلسطين غرب نهر الأردن، وقد استندت بعض هذه الحجج المضادة إلى المواقف التى تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، وجرى تطويرها فى إصدارات القسم الذى أنشئ حديثا فى الأمم المتحدة عن حقوق الفلسطينيين[٤٥]، وعلى سبيل المثال:

١) دفاع الفلسطينيين عن خيار "سوريا الجنوبية" بعد الحرب العالمية الأولى لا يناقض هويتهم الفلسطينية الوطنية التى تركز على البلد المسمى فلسطين، لكنها كانت حقبة استراتيجية وانتقالية تستهدف تنمية العلاقات مع الدول العربية.

٢) الوطنية الفلسطينية هى تعبير أصيل لشعب محلى يسعى للسيطرة والسيادة على الأرض التى اعتبرها وطنه القومى لقرون، على الرغم من فرض الاستعمار عليه شعبًا أجنبيًا يدعى حقوقًا على الأرض نفسها.

٣) إن عدم إنشاء دولة فلسطينية بين ١٩٤٩ و١٩٦٧ يمكن تفسيره بعدة أسباب داخلية فلسطينية وخارجية بين الدول العربية، اجتمعت لتجعل هذه الخطة غير عملية أكثر من أنها تلاعب لخدمة قومية غير أصيلة.

٤) إن معظم الفلسطينيين الذين يعيشون فى المملكة الأردنية الهاشمية هناك؛ لأنهم طردوا من وطنهم الحقيقى فى فلسطين غرب نهر الأردن، وأن الأرض بين

البحر المتوسط والحدود الغربية للعراق كانت تسمى تحكميًا "فلسطين" من جانب البريطانيين بعد الحرب العالمية الأولى، والأرض شرق الأردن لم ينظر إليها أحد من العرب الفلسطينيين باعتبارها وطنهم القومى ولم يعتبرها كذلك البريطانيون جزءًا من الوطن القومى اليهودى المستقبلى، والسكان المحليون فى المملكة الهاشمية للأردن التى هاجر إليها الفلسطينيون أو هربوا إليها بعد ١٩٤٩ و١٩٦٧ يتكونون من البدو والشركس والشيشان والأرمن وجماعات أخرى تتحدث العربية.

٥) إن إنشاء دولة فلسطينية سيعنى فى نهاية الأمر انتفاء الحاجة للكفاح المسلح، وفى إطار التسوية السلمية ستكرس الحكومة الجديدة جهودها للعمل الخلاق لإنشاء الدولة واستعادة المجتمع الفلسطينى وبنيته التحتية التى دمرت عام ١٩٤٨.

وقد كانت النقطة الخامسة فى كلا القائمتين، ولا تزال حتى اليوم، مشكلة تأخذنا إلى الوراء دورة كاملة إلى المقولة الجوهرية المثيرة للجدال الحادية عشرة، التى تم إيضاحها من قبل وهى: هل الهدف الحقيقى للفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية هو الإزالة النهائية لإسرائيل وإنشاء دولة عربية فلسطينية مكانها، أم هو إنشاء دولة عربية فلسطينية على جزء فقط من فلسطين التاريخية/ إسرائيل لتتعايش مع دولة يهودية إسرائيلية.

وفى النهاية؛ تجب ملاحظة أنه رغم التأييد القوى من جانب الولايات المتحدة لإسرائيل فى رفضها الاعتراف والتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية ما لم توف بشروط معينة؛ فإن وجهة نظر أمريكا خلال هذه الفترة قد تضمنت إشارات وإيماءات للتوجه نحو اعتراف أكثر بدور مركزى للفلسطينيين[٤٦]، على الرغم من أن الكثيرين ما زال لديهم نفور من أى اتصال رسمى أو اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وعلى أولئك المدافعين عن حقوق الفلسطينيين فى أن

يتم التعامل معهم على الأقل على قدم المساواة مع الإسرائيليين على الصعيد الدبلوماسى، عليهم مواجهة الوقوع سلبًا فى شركين: استمرار عمليات الإرهاب الدولى التى يقوم بها الفلسطينيون خلال هذه الفترة، والخطاب صارخ العداء للصهيونية فى الميثاق الوطنى الفلسطينى، فالجمع دائمًا بين كلمتى "منظمة التحرير الفلسطينية" و"الإرهاب" يجعل من الصعب على المؤيدين للفلسطينيين الدفاع عن قضيتهم والحصول على مقعد على طاولة المفاوضات ومناقشة مستقبل وطنهم المتصارع عليه مع الإسرائيليين أو فى المؤتمر الدولى الذى تشارك فيه الولايات المتحدة باعتبارها مهتمة. وسوف يأخذ الأمر جيلاً كاملاً قبل أن تتطور المواقف السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأمريكا، وإلى حد أقل، القادة الإسرائيليين بالموافقة على فتح طريق تجاه: أولاً حوار أمريكى- فلسطينى عام ١٩٨٨، ثم إشراك وفد فلسطينى فرعى فى مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ (انظر: الفصل ١٠).

الهوامش

(١) من أجل استعراض بليغ ومن مصدر أولى لهذه الأوقات والحالة المزاجية انظر فوزى تركى، ***The Disinherited*** فى ***Journal of a Palestinian Exile*** الطبعة الثانية، لندن/ نيويورك، ***Monthly Review Press***، ١٩٧٤.

(٢) أ.ل. طيباوى (رؤى العودة: اللاجئون الفلسطينيون العرب فى الشعر والفن العربى) ***Middle East Journal*** ١٧: ٥ (خريف ١٩٦٣ ، ص:٥٠٧-٢٦).

(٣) غسان كنفانى، ***Palestine Children***: العودة إلى حيفا وقصص أخرى، ترجمة باربرا هارل وكارين ريلى، ***Boulder, CO: Lynne Rienner***، ٢٠٠٠، ١٨٦-٧.

(٤) أنيتا شابيرا، ***Land and Power***: اللجوء الصهيونى إلى القوة، ١٨٨١-١٩٤٨، ترجمة ويليام تمبلر، ستانفورد، ***CA: Stanford University Press*** ، ١٩٩٩، ٣٩٦-٧٠.

(٥) حول تطور هذه الظاهرة انظر عمنون روبنشتاين، ***The Zionist Dream Revisited***: من هيرتزل إلى جوش إيمونيم والعكس، نيويورك: ***Schocken Books***، ١٩٨٤، الفصل الثامن. برنارد وزارشتين، ***Israelis and Palestinians***: لماذا يتحاربون؟ هل يمكن إيقافهم؟ الطبعة الثالثة ، نيوهافن ، لندن دار نشر جامعة يال / لندن: ***Profile Books*** ، ٢٠٠٨ ، ٣٢-٧.

(٦) عاموس إيلون، ***The Israelis***: المؤسسون والأبناء، نيويورك: ***Holt, Reinheart and Winston***، ١٩٧١، ١٩٩.

(٧) بينى موريس، ***Righteous Victims***: تاريخ الصراع العربى- الصهيونى، ١٨٨١-١٩٩٩، نيويورك: ألفريد كنوف، ١٩٩٩/ لندن: جون موراى ، ٢٠٠٠ ، ٣١١.

(٨) انظر المرجع السابق على هلال الدسوقى (المثقفون العرب والنكبة: البحث عن الأصولية) ***Middle Eastern Studies*** ٩، ١٩٧٣ ص:١٨٧-٩٥. والمصادر المذكورة

هنـــاك. رافائيـــل باتـــاى، *The Arab Mind* ، نيويـــورك:*Charles Scribner's Sons*، ١٩٧٣، ص:٢٥٨-٦٧.

(٩) يزيد صايغ، *Armed Struggle and the Search for State*: الحركة الوطنية الفلسطينية ، ١٩٤٩-١٩٩٣، دار نشر جامعة أوكـسفورد/ واشـنطن: *The Institute for Palestine Studies*، ١٩٩٧، ص:٢٠٧-١٠ (الاقتباس من ص.٢١٠). بينى موريس، *Righteous Victims*، ص:٣٦٥-٧٠.

(١٠) إيـــان لوســتيك (*Terrorism in the Arab-Israeli conflict: Targets and Audiences*) وذلك فى *Terrorism in Context* ، تحرير مارتا كرينشو ، جامعة بارك دار نشر جامعة بنسلفانيا.

(١١) تفاصيل ذلك والفقرة المقبلـــة موجـــودة فـــى بينـــى مـــوريس *Righteous Victims*، ص:٣٧٦-٨١.

(١٢) صايغ، *Armed Struggle* ص:٣٣٩-٥٧ يناقش (التنافس السياسى، المزايدة العسكرية) و(التحرك العسكرى من أجل الوضع الدبلوماسى).

(١٣) مرجع سابق جون كويجلى، *The Case for Palestine*: وجهة نظر القـــانون الـــدولى، طبعة جديدة ومنقحة، *Durham, NC* لندن: دار نشر جامعة ديوك، ٢٠٠٥ الفصل ٢٦-٧. ومن أجل مناقشة مفصلة للحوارات الفلسطينية حول استخدام حـــرب العـــصابات سواء داخل أو خارج إسرائيل/ فلسطين، انظـــر صـــايغ: *Armed Struggle*، الفـــصل الثامن.

(١٤) من أجل التصوير الخيالى وشبه السيرة الذاتية لهذه المعارك (ودوافع تعقيداتها) التـــى صارت ذات طابع شعبي في الروايات والأفلام وخاصة رواية جـــون لوكاريـــه (*Spy Novel*) *The Little Drummer Girl*، لندن: *Hoddr and Stoughton* ١٩٨٣، وجـــورج جوناس وتقريره الصحفى المسمى (المعطـــف والخنجـــر): *The True Story of an Israeli Counter-Terrorist Team*١٩٨٤، تم نشرها فى نيويـــورك مـــن دار ســـيمون وشوستر ٢٠٠٥، وكلاهما قد تحولا إلى أفلام ناجحة فى هوليوود، الأول عام ١٩٨٤ من إخراج جورج روى هيل وبطولة ديان كيتون، والأخير المعروف بـــ (ميونخ) فـــى ٢٠٠٥ إخراج ستيفن سبيلبرج وبطولة إريك بانا.

(١٥) نيتانيل لورش، *One Long War*: العرب ضد اليهود منذ ١٩٢٠، نيويورك: دار نـــشر هيرزل، ١٩٧٦، *xiv-xv*.

(١٦)معهد واشنطن كان جزءًا من صفقة أدت إلى فصل القوات الإسرائيلية- المصرية فـــي سيناء عام ١٩٧٥، انظر ستيفن سبيجل: *The Other Arab-Israeli Conflict*: صـــناعة السياسات الأمريكية فى الشرق الأوسط ، من ترومان إلى ريجان، دار نـــشر جامعـــة شيكاغو١٩٨٥، ٣٠٠-٣. ومن أجل تقويم نقدى لهذا التعدى الأمريكـــى- الإســـرائيلى انظر دونالد ريف (*Nixon's Middle East Policy*: من التوازن إلى الانحيـــاز) وذلـــك في *US Policy on Palestine From Wilson to Clinton* ، تحرير مايكل سليمان *Normal IL: AAUG Press* ، ١٩٩٥ ، ١٥٦. والتعهد الأمريكى جرى تكـــراره ضـــمن أشـــياء أخرى فى مذكرة المعاهدة الأمريكية – الإسرائيلية ١ سبتمبر ١٩٧٥ وأعيد إنتاجها في: *The Israeli-Palestinian Conflict*: سجل وثائقى ١٩٦٧-١٩٩٠ تحرير يهودا لوكاش، دار نشر جامعة كمبريدج، ١٩٩٢، ٦٠-١.

(١٧) رشيد خالدى، *The Iron Cage*: قصة الكفاح الفلسطينى من أجل الدولة، بوسطن *MA: Beacon*، ٢٠٠٦، ص:١٥٦.

(١٨) بيان منظمة التحرير الفلسطينية الذى رفض القرار ٢٤٢، القاهرة، ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧، والذى أعيد إنتاجه فى كتاب لوكاش: *Israeli-Palestinian Conflict*، ٢٩٠-١. موقـــف منظمة التحرير جرى تكراره باستمرار والتذكير بـــه فـــى القـــرارات التـــى تبنتهـــا الاجتماعات التالية للمجلس الوطنى الفلسطينى.

(١٩) رشيد خالدى، *The Iron Cage*، ١٥٤-٦. صايغ، *Armed Struggle*، ص:٦٨٤. حسين أغا، شاى فيلدمان، أحمد خالدى وزينيف شـــيف، *Track II Diplomacy*: دروس مـــن الشرق الأوسط، كمبريدج، *MA: MIT Press* ، ٢٠٠٣ ، ص:١٠.

(٢٠) البرنامج السياسى للمرحلة الحالية عن المجلـــس الـــوطنى الفلـــسطينى، القـــاهرة ٩ يونيو١٩٧٤، وجرى إعادة إنتاجه فى كتاب هاركـــابى: *The Palestinian Covenant and its Meaning*، لندن: *Valentine Mitchell*، ١٩٧٩، ص:١٤٧. وترجمات أخـــرى في: *The Israel Arab Reader*: تاريخ وثائقى لصراع الشرق الأوسط، الطبعة الـــسابعة المنقحة، تحرير والتر لاكير وبارى روبـــين، دار نـــشر بنجـــوين، نيويـــورك ٢٠٠٨

ص:١٦٢. لوكاش، *Israeli Palestinian Conflict* ، ص:٣٠٩. بنيــامين نتانيــاهو، *A Durable Peace*: إسرائيل ومكانتها بين الأمم ، طبعة منقحــة، نيويــورك: *Warner Books*، ٢٠٠٠ ، ٤٤١-٢ ، حيث جرت طباعته كملحق تحت عنــوان: *The Phased Plan*.

(٢١) مرجع سابق (الفلسطينيون يريدون دولة مستقلة فى الضفة الغربية وغزة ، والعيش فى سلام وتعاون مع إسرائيل، وكان ذلك هو الهدف الفلــسطينى الأكبــر منــذ منتــصف السبعينيات ولم يتغير منذئذ) خليل الشقاقى (*Ending the Conflict*: هل يمكن للأطراف أن يفعلوا ذلك؟) وذلك فى كتــاب: *The Israeli Palestinian Peace Process*: أوســلو ودروس الفشل، سيناريوهات المستقبل، العقبات والمستقبل، تحرير روبرت روزنشتاين، موشيه ماعوز وخليــل الــشقاقى، *Brighton, UK / Protland, OR: Sussex Academic Press*، ٢٠٠٢ ، ص:٤٥، وأيضًا المرجع السابق ص:٣٩.

(٢٢) موردخاى نيسان (*Harkabi's Despair*) *Midstream XXV*: ٥ (مــايو ١٩٧٩) ٩-١٧. هاركابى (سياسة لحظة الحقيقــة) *Jerusalem Post International Edition* ، الطبعــة الدولية ١٣ فبراير ١٩٨٨ ص:٩-١٠. هاركابى، (الذكرى الأخيرة) حوار مع بنحــاس جينوسار وزكى شالوم، *Israel Studies I:1* (ربيع ١٩٩٦) ص:١٧١-٩٥.

(٢٣) هاركابى، *The Palestinian Covenant* ، ٨٦-٧. النية الزائدة للمادة ٢ المفتبسة (تشير إلى مصير إسرائيل) وقد صارت أكثر وضوحًا عندما جرت قراءتها مع المادتين الثالثة والرابعة من البرنامج (الذى أعيد إنتاجه فى المرجع الــسابق ص: ١٤٧-٨). وانظــر أيضا مقالات هاركابى التفصيلية (*The Meaning of a Democratic Palestinian State*) أبريــل ١٩٧٠، و(*The Debate at the Twelfth Palestinian National council*) يوليو ١٩٧٤، فى هذه المجموعة، *Palestinians and Israel* ، نيويورك: جــون ويلــى (*Halsted Press*)، ١٩٧٤، ٧٠-١٠٦ و ٢٦٩-٨٣. مقال ١٩٧٠ المقتبس أعلاه أعيــد طباعته كذلك كملحق فى كتاب لاكير وروبين: *Israel Arab Reader* ، ١٨٢-٩٤.

(٢٤) صايغ، *Armed Struggle* ، ص:٣٢٢. لاحظ صايغ فيما بعد أنه من أجل استرضــاء المشاعر الرجعية ولتفادى خلاف الانشقاق العلنى؛ فإن الاتجاه العام قد أضاف وأدخــل نبرة جهادية فى الإعلانات الأخيرة. المرجع السابق ص:٣٤٢-٣.

(٢٥) محمد مصلح، *Towards Coexistence*: تحليل قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى، *Journal of Palestine Studies*، ١٩:٤ (صيف ١٩٩٠) ٣-٢٩، وأعيد إنتاجه فى: *From War to Peace*: العلاقات العربية- الإسرائيلية ١٩٧٣-١٩٩٣، تحرير بارى روبين، جوزيف جينات وموشيه ماعوز، دار نشر جامعة نيويورك ١٩٩٥، ٢٦٥-٩١. خالدى، *The Iron Cage*، ١٥٤-٦، ١٦٩-٧٠، ١٩٢-٥.

(٢٦) انظر مرجع سابق هاركابى، *Palestinians and Israel* و *The Palestinian Covenant*، نقد المعانى الخادعة للقرارات التى تبدو إيجابية للقاءات المجلس الوطنى الفلسطينى وتصريحات القادة الفلسطينيين.

(٢٧) قرارات الزعماء العرب فى الرباط، ٢٨ أكتوبر ١٩٧٤ وأعيد إنتاجها فى كتاب إيان بيكرتون وكارلا كلاوزنر، *A History of the Arab Israeli Conflict*، الطبعة الخامسة، *Upper Saddle River, NJ: Pearson/ Prentice Hall*، ٢٠٠٧ ص:١٧٦. عدنان أبو عودة، *Jordanians, Palestinians and the Hashimites Kingdom in the Middle East Peace Process*، ١٩٩٩، ٢٠٩-١٣. رشيد خالدى، *The Iron Cage*، ص:١٤٤.

(٢٨) الجمعية العامة للأمم المتحدة ١١ نوفمبر ١٩٧٤، وأعيد إنتاجه فى كتاب لاكير وروبين: *Israel Arab Reader*، ص:١٧١-٨.

(٢٩) قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة لتجديد التفويض وميزانية الأنروا جاءت إثر المناقشات والمداولات السنوية وصارت أكثر وضوحًا وحساسية فى تحديد وتأكيد الحقوق الفلسطينية، انظر التغييرات فى الصياغة فى القرارات ٢٥٣٤، ١٠ ديسمبر ١٩٦٩. ٢٦٧٢، ٨ ديسمبر ١٩٧٠. ٢٧٨٧، ٦ ديسمبر ١٩٧١. ٢٩٦٣، ١٣ ديسمبر ١٩٧٢. ٣٠٨٩، ٧ ديسمبر ١٩٧٣. النص متاح في: *United Nations Resolutions on Palestine and the Arab-Israeli Conflict*، المجلد الأول، ١٩٤٧-١٩٧٤ طبعة منقحة تحرير جورج طعمة، واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية ١٩٨٨. هنرى كاتان، *Palestine and International Law*: الأبعاد القانونية للصراع العربى - الإسرائيلى، الطبعة الثانية، تقديم *W.T. Mallison Jr.* لندن: لونجمان ١٩٧٦ الملاحق.

(٣٠) قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٣٢٣٦، ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤، المتعلق بالمسألة الفلسطينية جرى الدخول عليه ١٧ يوليو ٢٠٠٨ على:

http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/9a798adbf322aff38525617b006d88d7/0259 74039acfb171852560de00548bbe .

(٣١) خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٣ نوفمبر ١٩٧٤، فى كتاب يوسف تكـــوة: *In the Face of the Nations*: نضال إسرائيل من أجل السلام، تحـــرى ديفيـــد أفيـــك، نيويورك: دار نشر سيمون وشوستر.

(٣٢) نص قرار الجمعية العامة رقم ٣٣٧٩، (إلغاء كل أشـــكال التمييـــز العنـــصري) ١٠ نوفمبر ١٩٧٥، وجرى تبنيه بـــ٧٢ صوتًا موافقًا و٣٥ معارضًا و٣٢ ممتنعًا. والـــنص جـــــــرى الـــــــدخول عليـــــــه ١٧ يوليـــــــو٢٠٠٨ علـــــــى: http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/0a2a053971ccb56885256cef0073c6d4/761c 1063530766a7052566a2005b74d1. برنارد لـــويس *The Anti Zionist Resolution*، *Foreign Affairs*، ٥٥: ١ (أكتـــوبر ١٩٧٦)، ٥٤-٦٤. ألفـــين روبنـــشتاين، *The Arab Israeli Conflict: Transformation: External Determinants*، وذلك في: *Perspectives*، الطبعة الثانية تحرير ألفين روبنشتاين ، نيويورك هاربر كولينز، ١٩٩١ ص:٨٣ والقرار حول الصهيونية جرى إلغاؤه بعد ١٦ عاما والنص والتعليق على قرار الجمعيـــة العامـــة رقـــم ٤٦/٨٦ انظـــر موقـــع وزارة الخارجيـــة الإســـرائيلية: http://www.mfa.gov.il/MFA/foreign%20relations/israels%20foreign%20relations%20since%201947/1988-1992/260%20general%20assembly%20resolution%2046-86-%20 .

(٣٣) روبنشتاين (*Transformation*) ص: ٨٣.

(٣٤) جوليوس استون، *Israel and Palestine*: العدوان على قانون الأمم، بلتيمور *MD*: دار نشر جامعة جونز هوبكينز، ١٩٨١.

(٣٥) مايكل كيرتز، جوزيف نـــاير، حـــاييم أ.واكـــسمان، وألان بـــولاك- تحريـــر- *The Palestinians*: الشعب والتاريخ والسياسة ، نيوبرونزويـــك *NJ: Transaction books*، الذى تم إعداده تحت رعاية جمعية الجمعية الأكاديمية للسلام فى الشرق الأوسط، ســـنة ١٩٧٥- خاصة مقالات مارى سيركين (ص:١٩٩-٢٠٨) وتيرانس بريتى (ص:٢١٣-٢٧) وانظر أيضا مارى سيركين (*Who are the Palestinians*) وذلك فى الكتاب الذى حـــرره مايكـــل كرتـــز تحـــت اســـم: *People and Politics in the middle east*،

نيوبرونزويك، *NJ: Transaction books/E.P.Dutton* ، (فى مجال الإعـداد للمـؤتمر الأول للجمعية الأكاديمية الأمريكية للسلام فى الشرق الأوسط)، سنة ١٩٧١، ص:٩٣-١١٠.

(٣٦) ملاحظات تكوة، مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٣ نـوفمبر ١٩٧٤، *In the face* ، ص:١٥٤.

(٣٧) المرجـع الـسابق، ص:١٥٥-٦. بـول س.ريبنفيلـد (*The Integrity of Palestine*) *Midstream* أغسطس- سبتمبر ١٩٧٥، ص:٧-٢٧. اسـتون، *Israel and Palestine* ، ص:٢٢-٥.

(٣٨) من أجل التقديم القانونى لهذا الادعاء انظر ألان جيرسـون، *Israel, The West bank and international law*، لنـدن/ *Totwa*، *NJ: Frank Cass*، ١٩٧٨ ص:٤٤-٥ *Cf*. والحجج المضادة لبرنارد وزارشتين، *Israelis and Palestinians*، ص:١٠٢-٦.

(٣٩) ملاحظات تكوة، مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحـدة ١٣ نـوفمبر١٩٧٤ والتـى اقتبسها بيكرتون وكلاوزنر، *A History* ، ص:١٩٧.

(٤٠) هنرى كاتان، *Palestine and international law*: الأوجه القانونية للصراع العربـى- الإسرائيلى، الطبعة الثانية، تقديم *W.T.Mallison, Jr*. لندن لونجمان سنة ١٩٧٦ الفصل السادس. أستون، *Israel and Palestine*.

(٤١) الميثاق الوطنى الفلسطينى، المادتـان ١٩، ٢٠ (الاقتبـاس الـسابق، ص:١٨)، ٢٢ (الاقتباس الأخير ص: ١٨٨).

(٤٢) مقابلة فى الصنداى تايمز، لندن ١٥ يونيو١٩٦٦، جرى اقتباسها فى كتـاب مـروان معشر، *The Arab center*: الوعد بالاعتدال، نيوهافن، *CT*: دار نشر جامعة يال سـنة ٢٠٠٨ ص:٢٩٢ رقـم ١١). *Cf, Baruch Kimmerling and Joel* س.ميجـدال، *The Palestinian people: a history* ، دار نشر جامعة هارفرد، سنة ٢٠٠٣ ، *xxvi-xxvii* .

(٤٣) إسحاق شامير، (*Israel's Role in a Changing Middle East*) مجلة *Foreign Affairs* ٦٠: ٤ (ربيع ١٩٨٢)، ص:٧٩١. انظر، معشر، *The Arab Center* ، ص:٢١.

(٤٤) معشر، المرجع السابق، ٢١. وعن السياسة والجدال بـين الأردن وفلـسطين انظـر رافائيل إسرائيلى (*Is Jordan Palestine?*) وذلك فى كتـاب (*Israel, The Hashimites*

and the Palestinians: المثلث الحاسم) تحرير إفرايم كــارش و *P.R. Kumaraswamy*، لندن فرانك كاس، سنة ٢٠٠٣ ، ص:٤٩-٦٦.

(٤٥) قسم حقوق الفلسطينيين فــي الأمــم المتحــدة، (*The Origins and evolution of the Palestine Problem*: ١٩١٧-١٩٨٨ الجــــزء الأول، ١٩١٧-١٩٤٧) *Posted* ٣٠ يونيــو ١٩٩٠، تــم الــدخول عليهــا يــوم ١٣ أبريــل ٢٠٠٨ علــى موقــع: http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/561c6ee353d740fb8525607doo581829/aeac80e740c782e4852561150071fdb0 .

(٤٦) كان هناك صانعان مهمان أديا إلى ذلك وهما تصريح نائب مساعد وزيــر الخارجيــة لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا السيد هارولد سوندرز أمام اللجنة الفرعية للعلاقات الخارجية بالكونجرس حول الشرق الأوسط يوم ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥، الــذى أعيــد إنتاجه فى كتاب لاكير وروبين، مرجع سابق، ص:٢٠٣-٦، وتقرير معهد بروكنجــز لمجموعة الدراسة المــسمى: *Toward Peace in the Middle East*، ديــسمبر ١٩٧٥، والــذى جــرى الــدخول عليــه فــى موقــع وزارة الخارجيــة الإســرائيلية: http://www.mfa.gov.il/MFA/foreign%20orrelations/israels%20foreign%20relations%20since%201947/1974-1977/144%20toward%20peace%20in%20the%20middle%20east-%20report%20of%20the . هناك العديد من المؤلفين المشاركين سيــصبحون عــاجلاً مستشارين للشرق الأوسط بالنسبة للرئيس الأمريكى القادم جيمى كارتر.

الفصل التاسع

من كامب ديفيد إلى الضفة الغربية إلى لبنان

كامب ديفيد وعملية السلام الإسرائيلية- المصرية:

غداة حرب أكتوبر ١٩٧٣؛ أسرع اللاعبون الرئيسيون فى الدبلوماسية الدولية الخطى فى السعى لإيجاد تسوية للصراع العربى- الإسرائيلى، وإن كان لم تتم دعوة الفلسطينيين كما تمثلهم الآن منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك فى العملية، وعلى الرغم من اعتقادهم بالانتصار بمفاجآتهم الإسرائيليين وعبور قناة السويس واجتياحهم خطوطهم المتقدمة، فقد بدأت مصر والدول العربية فى إدراك أنه لا يوجد ثمة حل عسكرى خالص لنزاعهم مع إسرائيل، وأنه يلزم اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية كذلك، وقد كررت الدول العربية المشاركة فى قمة الجزائر، أواخر نوفمبر ١٩٧٣، التصريحات المعتادة المطالبة بالانسحاب الإسرائيلى التام من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧، وأكدت على التأييد الكامل للفلسطينيين، إلا أنهم ألمحوا إلى أن التحرك من وقف إطلاق النار إلى السلام يمكنه تحقيقه إذا ما توافر شرطان مسبقان:

١) انسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة بما فيها القدس.

٢) إعادة الحقوق الوطنية الكاملة للشعب الفلسطينى[١].

وكانت الجهود الدولية تجاه التسوية خلال هذه الفترة تديرها الولايات المتحدة، خاصة من خلال وزير الخارجية "هنرى كيسنجر"، الذى تمكن بإصرار

غير عادى، ومهارة وجهد كبير أن يجعل من الولايات المتحدة الوسيط المتميز فى الشرق الأوسط، منحيًا الاتحاد السوفيتى الذى كان تحت مظلة الأمم المتحدة، الشريك فى الدعوة لعقد مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣. إن هذا المؤتمر الذى دُعيت إليه الدول العربية وإسرائيل للجلوس لمناقشة السلام، جرى افتتاحه ببيانات قوية ذات صياغة متوقعة بتصريحات وبيانات قوية الصياغة، وتم تأجيله دون إبطاء إلى أجل غير مسمى، واستمرت فكرة استئناف الأطراف للمناقشات فى مؤتمر دولى فى جنيف أو غيرها تطفو على السطح دون نتيجة عملية حتى ١٩٩١ (انظر: الفصل ١٠).

تحت مظلة مؤتمر جنيف المؤجل، استمر "كيسنجر، فى ممارسة فن "الدبلوماسية المكوكية" عبر التنقل بين عواصم الشرق الأوسط لصياغة بنود اتفاقيتين لفصل القوات بين إسرائيل ومصر (وقعتا فى ١٧ يناير ١٩٧٤، وأول سبتمبر ١٩٧٥) واتفاقية بين سوريا وإسرائيل (وقعت فى ٣١ مايو١٩٧٤)، وعلى غرار اتفاقات الهدنة العامة التى توسط فيها "رالف بانش" عام ١٩٤٩، اقتصرت هذه الاتفاقات على المسائل العسكرية، وإن كانت قد وفرت فى الوقت ذاته أسسًا استندت إليها المحاولات المستقبلية للتفاوض حول السلام، وعلى الرغم من أن القادة الإسرائيليين لم يكونوا دائمًا سعداء بالتنازلات التى ضغط عليهم كيسنجر ليقبلوها، فإنهم استفادوا من (وكان العرب يشعرون من جانبهم بالإحباط من) قبوله لاستراتيجيتين مفضلتين من قبل إسرائيل للتفاوض: التعامل مع كل دولة عربية على حدة (واحدة بعد الأخرى) وليس معًا فى مؤتمر دولى متعدد الأطراف؛ واستبعاد منظمة التحرير الفلسطينية، على الرغم من وضعيتها وشعبيتها المتزايدة فى الأمم المتحدة.

انخرط الرئيس المصرى "أنور السادات" فى المفاوضـات مـع "كيـسنجر" ساعيًا للاقتراب من الولايات المتحدة أملاً فى ممارستها للضغط علـى إسـرائيل، وبالمقابل وضعت جهود "كيسنجر" للوساطة بلاده، للمرة الأولى، كـ "وسيط أمين" بين الدول العربية وإسرائيل، وفى أعقاب تنصيبه رئيسًا للولايات المتحـدة، عـام ١٩٧٧، انخرط الرئيس "جيمى كارتر" شخصيًا فى لقاءات منفردة مع قادة الـدول العربية وإسرائيل على أمل أن يجمعهم معًا للبحث عن السلام، إلا أنه عندما شـرع فى التنسيق مع الاتحاد السوفيتى لإعادة عقد مؤتمر جنيف وجـد نفـسه وقـد تـم تجاوزه من قبل كل من رئيس وزراء إسرائيل الجديـد اليمينـى "منـاحم بـيجن" والرئيس المصرى "السادات"، اللذين فضلاً فتح قناة للاتصالات الثنائية لتفادى دائرة أوسع من اللاعبين.

وبعد القيام ببعض الجهود الدبلوماسية السرية للغاية لجـس النـبض عبـر المغرب، فاجأ "السادات" الأصدقاء والأعداء على السواء بإعلانه الدراماتيكى فـى مجلس الشعب المصرى، فى التاسع من نوفمبر ١٩٧٧، أنه مستعد لأن يذهب لأى مكان- حتى الكنيست الإسرائيلى- لمناقشة إعادة الأراضى المحتلة، وتسوية قضية فلسطين والسلام، وهو ما قوبل من رئيس الوزراء الإسرائيلى بتوجيه الدعوة على التو.. وهكذا فإنه مع كسر حالة الجمود التى أعقبت حرب ١٩٦٧ واستعادة درجـة من الكرامة العربية نتيجة لحرب ١٩٧٣، شعر "السادات" بالثقة بالذات بمـا يكفـى لتجاوز تحريم التعامل المباشر مع العدو، وأن ينخرط فى "الدبلوماسية البطولية"[٢].

تضمنت زيارة "السادات" المثيرة للقدس (١٩-٢١ نوفمبر ١٩٧٧) خطابـات بليغة نقلتها وسائل الإعلام إلى أرجاء المنطقة[٣]، كما دارت مناقشات فى جلـسات مغلقة تم خلالها تقديم توضيحات أولية لمواقف الطرفين من قضايا النزاع، وكـان

للفتة الجريئة التى قام بها "السادات" أثرها فى كسر بعض الحواجز النفسية ومثلت انفتاحًا مهمًا واتصالاً مباشرًا كان مفقودًا من قبل، إلا أن الزيارة نفسها، وما تضمنته من تبادل أولى لوجهات النظر لم يكن من شأنهما أن يؤديا إلى التقريب بين الطرفين فيما يتصل بالكثير من القضايا الملموسة والوجودية موضع الصراع، ما أكد صحة ملاحظة "يهوشافاط هارا كابي" عام ١٩٧٤:

> **"إن اليوم الذى ستبدأ فيه المفاوضات سيكون فى الحقيقة مناسبة عظيمة تستحق الاحتفال، ولكن دعنا نتذكر الدروس التى يعلمها لنا علماء النفس والمتصلة بأن الاتصالات المباشرة بين الجماعات الإنسانية لا تقربهم دائما من بعضهم بعض، ولكن ربما تجعلهم يدركون إلى أى مدى كانوا بعيدين، مما قاد إلى المزيد من النفور"[٤].**

خلال الشهور التالية، استمرت المفاوضات الصعبة فى لقاءات تناوبت بين الدولتين وكشفت ليس فقط عن وجود بعض ملامح الأرضية المشتركة، وإنما أيضًا لسوء الفهم والمآزق المتكررة، وصار من الواضح أن هناك مستويين من الصعوبات يجب تخطيهما: الموضوعات الثنائية بين مصر وإسرائيل، وتلك الأوسع والأعمق بين العالم العربى والفلسطينيين من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى[٥]، وإزاء العجز عن التقدم فى المفاوضات اتجه كل طرف أكثر فأكثر إلى الولايات المتحدة لحث الطرف الآخر على العقلانية. وبوصولها مرحلة شبه التوقف وباتت على وشك الانهيار، قام الرئيس كارتر بدعوة رئيسى الدولتين إلى المنتجع الرئاسى الهادئ فى كامب ديفيد بولاية ميرلاند فى سبتمبر ١٩٧٨ لمحادثات الثمانية أيام عالية المستوى والمكثفة[٦].

عكس الاختراق التاريخى المتمثل فيما أصبح يعرف بـ "اتفاقات كامب ديفيد" الثنائية الوليدة بين الموضوعات الأوسع المتصلة بالقضايا الإسرائيلية- الفلسطينية/ العربية، والاهتمامات المحدودة لكل من مصر وإسرائيل، فقد تم التوصل إلى وثيقتين: "إطار للسلام فى الشرق الأوسط"، و"إطار للتوصل إلى اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل"، وسلسلة من الخطابات القصيرة المتبادلة بين أمريكا ومصر، وبين أمريكا والجانب الإسرائيلي؛ تضمنت وضع التزامات وشروط إضافية. وقد أمل الموقعون- بلا جدوى كما اتضح فيما بعد- أن تفتح الاتفاقية الإطارية الأولى الطريق أمام دول عربية أخرى وممثلى الفلسطينيين للانضمام وتوسيع عملية السلام لتتجاوز البعد الثنائي، كذلك أضحت هذه الوثيقة المدخل لبدء "محادثات الحكم الذاتى" المتصلة بالضفة الغربية وقطاع غزة، والتى كان من المفترض أن تؤدى إلى "الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومطالبه العادلة، وبهذه الطريقة فإن الفلسطينيين سيشاركون فى تقرير مستقبلهم"[٧]، وفى المقابل تم تجسيد الوثيقة الإطارية الثنائية فى اتفاقية رسمية وقعت فى حديقة البيت الأبيض يوم ٢٦ مارس١٩٧٩ وسط جو من الاحتفال والسعادة، بعيدًا عن احتجاجات مؤيدى الفلسطينيين خارج الأبواب ووراء الأسوار[٨].

عكس "السلام المنفصل" الذى وقعه "السادات"، كما أشارت إليه الإدانات الصادرة من معظم القادة العرب، إرهاق مصر من تحملها أكثر من نصيبها من المسئولية العربية فى الدفاع عن القضية الفلسطينية فى حروب ثلاثة رئيسية، وكانت علامة على ابتعاد مصر المؤقت عن محيطها العربى، وهو ما أعقبه على الفور التشهير بـ "السادات" لشقه الصفوف وإقدامه على الخيانة[٩]، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن من النجاح، على عكس إخوانه الأكثر ثورية، على الأقل فى تحرير بعض الأراضى العربية من سيطرة إسرائيل. ونتيجة لتحركها المنفرد، تمت

معاقبة مصر بعزلها، على مدار عقد من الزمان، من اللقاءات العربية، فيما دفع السادات الثمن الشخصي الأكبر باغتياله أثناء عرض عسكرى فى أكتوبر ١٩٨١[١٠].

وفى أبريل ١٩٨٢؛ أكمل الجيش الإسرائيلى الانسحاب القسرى للمستوطنين اليهود الرافضين من سيناء فى مستعمرة "ياميت"؛ متممًا بذلك الالتزامات الرئيسية المتصلة بالأرض وفقًا للاتفاقية، وعلى الرغم من العديد من الضغوط على المصريين والشكاوى من لعدم الالتزام بالتعهدات المتضمنة، فإن هذه الاتفاقية العربية- الإسرائيلية الأولى للسلام استمرت قائمة حتى اليوم، لكن نوعية العلاقات بين الشعبين فى الدولتين (اقتصادية ودبلوماسية وسياحية) لم تكن على ما يرام وتم وصفها فى الأغلب الأعم بـ "السلام البارد"؛ وكان من الضرورى الانتظار حتى مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ ليرى المشاركون الأصليون فى كامب ديفيد التحاق دول عربية أخرى والفلسطينيين بـ "دائرة السلام".

الضفة الغربية وغزة بعد كامب ديفيد:

بالعودة للوراء، يبدو من السهل انتقاد الذين صاغوا اتفاقات كامب ديفيد لعدم تمكنهم من العثور على الصيغة الكفيلة بتضمين الفلسطينيين، إلا أنه فى ضوء المواقف المتشددة لكل من إسرائيل (ومؤيديها الأمريكان) ومنظمة التحرير الفلسطينية (ومسانديها من العرب والسوفييت وغيرهم) فيما يخص شروطهم للموافقة على الاعتراف والتعاون المباشر مع بعضهم بعض، يكون من الأرجح أنه أيًا كان حجم الجهود الدبلوماسية الخلاقة فى كامب ديفيد، فإنه كانت لا تكفى لجذب الفلسطينيين إلى الإطار الذى اختاره المشاركون فى كامب ديفيد لسلام الشرق الأوسط.

أضحت العلاقات متوترة بشكل متزايد فى الضفة الغربيـــة وغــزة اللتـــين سيطرت عليهما إسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧؛ حيث تزايــد عـــدد المـــستوطنين بسرعة فائقة تحت حكم الليكود ورئيس وزرائه "مناحم بيجن" من ٣٢٠٠ فـــى ٢٤ مستوطنة عام ١٩٧٧ إلى ٤٢٦٠٠ وفيما يزيد على مئة مستوطنة عـــام ١٩٨٤[١١] متعدين على الأرض الفلسطينية، وجالبين حماية مـــشددة مـــن الجـــيش وشـــرطة الحدود، وفى هذا الوقت أصبح الكثيرون مما يزيد على مليون فلسطينى فـــى هـــذه المناطق يعتمدون على العمل اليومى كعمال يسافرون يوميًا مـــن مـــدنهم وقـــراهم لأماكن فى داخل إسرائيل، وقد كانت نوعية هـــذه العلاقـــات بـــين الإســـرائيليين والفلسطينيين على الأرض (بين المحتل ومن يخضع للاحتلال، بين السيد والخادم، بين صاحب العمل ومن يعمل لديه)، صعبة وقاسية وفى بعض الأحيان عنيفـــة[١٢]، ومع تعاقب السنوات تلاشت التوقعات الأولية بأن الاحتلال ســـينتهى مـــع قبـــول السياسيين بصيغة الأرض مقابل السلام والجلوس معًا للاتفـــاق علـــى التفاصـــيل، وصارت الاعتداءات على حقـــوق الإنـــسان شـــائعة؛ حيـــث حكمـــت الـــسلطات الإسرائيلية، العسكرية فى جوهرها وإن كانت بمظهر خارجى مدنى، ســـكانًا فـــى غالبيتهم الكبرى مسالمين؛ لكنهم فى حالة نفور وامتعاض.

وعلى الرغم من ضرورة العلاقات العامة لتصوير الاحتلال على أنه متنور ومعتدل للرأى العام الإسرائيلى وللعالم، وعلى الرغم من طموحات الإسرائيليين فى أن يتم النظر إليهم على أنهم يحترمون حقوق الإنسان، فقد كانـــت الحقيقـــة، كمـــا يصفها المؤرخ الإسرائيلى "بينى موريس"، "مختلفة بشكل جذرى":

"مثل كل الاحتلالات، قام الاحتلال الإســـرائيلى علـــى القوة الغاشمة، والقمع والخوف، والخيانة والغدر، والاعتداء

بالضرب وغرف التعذيب، والترهيب اليومي، والإهانة، والتلاعب، ومن الصحيح أن الافتقار النسبى للمقاومة والعصيان المدنى على مدار السنوات قد مكّن الإسرائيليين من الحفاظ على واجهة عادية وفرض سيطرتهم بقوة أقل نسبيا"(١٣).

ويتفق أستاذ العلوم السياسية الأمريكى "ألان دوتى" مع ما تقدم بقوله: "إن الاحتلال العسكرى هو احتلال عسكرى حتى لو طبقته دولة ديمقراطية، وحتى لو جلب منافع مادية"(١٤)، وكثير من الإجراءات الذى يطلبه الاحتلال يتعارض، بحكم التعريف، مع الحقوق العادية والحريات التى تدعيها الدول الديمقراطية ويتمتع بها مواطنوها، وعلى الرغم من تقييدها من قبل المعايير القانونية الدولية، فإن سلطة الاحتلال لها حرية كبيرة لاتخاذ إجراءات أمنية عند الضرورة لحماية قواتها التى من المفروض أنها مؤقتة وللحفاظ على النظام العام، ومن هذا المنطلق أضحى الطرد، فرض الأحكام العرفية، إقامة نقاط التفتيش، تقييد التحركات، الترحيل، إغلاق المدارس والأعمال، الحبس الإدارى، هدم المنازل، الاستيلاء على الأراضى لأغراض عسكرية (موضع تساؤل)، كل ذلك صار جزءًا من الحياة اليومية للفلسطينيين تحت سيطرة إسرائيل فى الضفة الغربية وقطاع غزة(١٥).

وفى ظل غياب المفاوضات واستمرار الاحتلال خلال السبعينيات ثم الثمانينيات وما وراءهما، تفاقمت التوترات بفعل عاملين: أحدهما تعاظم الشكل العنيف للحذر بين شريحة من سكان المستوطنات؛ والثانى الغموض الذى أحاط بنوايا إسرائيل النهائية، ما ولد دائرة من الهجوم والهجوم المضاد؛ حيث قام الفلسطينيون بترهيب المستوطنين اليهود باستهداف حافلاتهم المسافرة من وإلى

مستوطنات الضفة الغربية ونصب الكمائن لهم عند دخولهم مدنًا مثل "الخليل" التي تضم أماكن مقدسة متداخلة لليهود والمسلمين(١٦). ومن جانبهم، لم يكتف المستوطنون اليهود بالحماية من قبل القوات المسلحة، وإنما حملوا السلاح، وغالبًا ما كان المستوطنون المسلحون مصدرًا للتخويف ويقومون بالثأر بالطريقة التي يرونها مناسبة، ويتم استدعاء الجيش للتدخل وكبح جماح المستوطنين الأكثر عدوانية الذين يسيئون للفلاحين الفلسطينيين وأهل الريف وسكان المدن القريبة من المستوطنات(١٧).

في أوائل الثمانينيات، شكَّل عدد من المستوطنين المتطرفين جماعة سرية تحت اسم "تي. إن . تي" وتعني بالعبرية "الرعب ضد الرعب"، وقامت بأعمال من قبيل وضع القنابل في حافلات، واستهداف العديد من سيارات العمد البارزين، وتم تفسير ذلك ليس فقط بالحجة المعتادة المتصلة بالردع (خاصة عندما يتم انتقاد الجيش بعدم توفيره الحماية الكافية) والرد، وقد اكتسب الحجة الأخيرة مباركة دينية من بعض الحاخامات الذين رعوا أن الأرض موعودة لليهود وعلى الغرباء (العرب) الرحيل أو الدفع لذلك، كما أن بعض الأصوليين من المستوطنين نظروا إلى الفلسطينيين باعتبارهم يجسدون- في القرن العشرين- قبيلة "الأملاك" المنصوص عليها في التوراة في سفر الخروج (١٤:١٧-١٦ ديوترنومي ١٧:٢٥-١٨ وغيرها) ويستحقون المطاردة في أي مكان حتى يتم محو الأشرار من الأرض(١٨).

وبشكل أعمق وأوسع، أسهم الغموض الجوهري حول النوايا الإسرائيلية في خلق التوتر: هل ستستجيب الحكومة، خاصة- وليس فقط- إذا ما وصل الليكود اليميني- القومي إلى سدة الحكم؛ لرغبات الأقلية الأصولية مرتفعة الصوت ويتحرك تدريجيًا نحو ضم الأراضي لتصبح جزءًا من أرض إسرائيل الأكبر

(إيريتز إسرائيل هاشليما) وفقًا للنبوءات التوراتية؟ أم ستوافق الحكومة، متأثرة برأى الأغلبية العلمانية من المواطنين، تحت قيادة حزب العمل ونتيجة لحسابات براجماتية استراتيجية، إعادة معظم المناطق المحتلة وتسحب قواتها وتجلى المستوطنين وكل مظاهر التواجد الأخرى فور التوصل لاتفاقات سلام وترتيبات مقبولة بشكل مفضل مع "المالك" أو"المحتل" السابق (المملكة الأردنية الهاشمية) وليس منظمة التحرير الفلسطينية المكروهة و"الإرهابية"؟ وبعبارة أخرى، هل كانت إسرائيل تتعامل مع الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ كأجزاء مستقبلية من أرض إسرائيل الموسعة، أم كورقة مفاوضات تتم مبادلتها بالسلام وفقًا للقرار (٢٤٢)؟ وفى الواقع، بدت سياسات الحكومة وبياناتها وكأنها تشير إلى الأمرين معًا.

وفى ظل غياب أى إشارات واضحة أو مستمرة من جانب إسرائيل، لم تتوقف حركة الزمن واستمر فرض الحقائق على الأرض، خاصة توسع المستوطنات وتوفير البنية الأساسية اللازمة للحفاظ عليها وحمايتها، وفى الوقت الذى أضحى فيه التوتر والعنف هما اللغتان المعتادتان بين الإسرائيليين والفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، استمرت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية فى المقاطعة المتبادلة على الصعيد السياسى، على الرغم من وجود من يخرج على الجماعة أحيانا فى كلا الطرفين، الذى يخاطر بعقوبات قانونية وسياسية وجسدية، ويتجرأ على الحديث مع العدو سرًا فى أرض محايدة فى تحد للتوافق القومى؛ حيث دفع التعب من الصراع والحاجة للبحث عن تسوية البعض للسعى إلى الحوار، وبعضهم، مثل الناشطين الفلسطينيين عصام سرطاوى وسعيد حمامى، تلقى طلقات قاتلة لخيانتهم ورغبتهم فى الحديث مع العدو، وبشكل ما ساعد هؤلاء المبشرون فى السبعينيات والثمانينيات فى تمهيد الطريق للحوار على المستوى الأعلى بين

الإسرائيليين والفلسطينيين، عندما تم تجاوز هذه المحرمات نهائيًا في أوسلو ١٩٩٣[١٩].

تمثلت المتابعة الرئيسية لما تم الاتفاق عليه في قمة كامب ديفيد في محاولة إدارة مفاوضات حول الحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية - المعروفة لدى الإسرائيليين باسمها التوراتي "يهودا والسامرة"- وقطاع غزة، فعلى مدار عامين منذ منتصف عام ١٩٨٠ تم عقد ما يقرب من عشرين اجتماعًا بين المبعوثين الإسرائيليين والمصريين والأمريكيين، إلا أنها انتهت دونما نتيجة ودون انخراط فلسطيني حقيقي؛ ما زاد من المرارة من جانب المشاركين، وكان كل التحرك مصابًا بوباء ناتج عن فجوة واسعة بين المصالح والتفسيرات التي كان يكمن خلفها نمط قوي من عدم الاعتراف المتبادل بين الإسرائيليين والفلسطينيين، تم التعبير عنه بالطرق التالية:

١) المفاهيم الإسرائيلية والمصرية والفلسطينية للحكم الذاتي وتعريفاته كانت مختلفة من حيث الروح والتطبيق، فباعترافها فقط بالحكم الذاتي للشعب دون تطبيقه على الأرض سعت خطة "بيجن" للحكم الذاتي لتفادي التعامل مع الفلسطينيين كمجتمع قومي، وفي المقابل فإنه بالنسبة للمصريين والفلسطينيين فإن فكرة الحكم الذاتي ذاتها تفترض التطور نحو تقرير المصير- إن لم تكن الدولة الفلسطينية ثم كيان بشكل ما- وهذا ما كان على وجه التحديد الخط الأحمر الذي لم يرد "مناحيم بيجن" تخطيه[٢٠].

٢) الإصرار الإسرائيلى على عزل منظمة التحرير والأشخاص المرتبطين بها قابله رفض منظمة التحرير الفلسطينية المشاركة فى المباحثات، التى تم شجبها على أنها "مؤامرة كامب ديفيد" لجلب الفلسطينيين إلى حكم ذاتي مخز لن يؤدى إلى تقرير المصير.

٣) تم التعامل مع الفلسطينيين الذين أظهروا اهتمامًا بهذه العملية كخونة، نجحت المنظمة فى فرض مقاطعة على مشاركتهم فيها باستخدام الترهيب فى بعض الأحيان.

٤) خيمت المرارة العربية والفلسطينية كسحابة على المحادثات، عندما أصبح من الواضح أن حكومة "بيجن"- على العكس مما فهمه كل من "كارتر" و"السادات" فى كامب ديفيد- ليست لديها النية لتجميد خطط بناء مستوطنات يهودية جديدة فى الأراضى المحتلة.

وبعد مضى خمسة عشر عامًا، عكس الانتقال الصعب إلى تأسيس "سلطة فلسطينية مؤقتة للحكم الذاتى"، التى دعا إليها "اتفاق المبادئ" (انظر: الفصل ١٠) تشابهات غريبة مع المآزق والمواقف التى سادت المناقشات الأولية حول الحكم الذاتى الفلسطينى، كذلك يذهب بعض المعلقين عندنا، ينظرون إلى الوراء، إلى أن الرفض الفلسطينى لخطة "بيجن" على أنه "فرصة ضائعة" للدفع إلى الأمام لتحقيق هدف إنشاء الدولة (انظر: الفصل ١١).

تداخلت مرحلة محادثات الحكم الذاتى مع سياسات إسرائيلية جارية فى الأراضى المحتلة سعت لتقوية قيادات من القرى لتكون قوة سياسية مناوئة لمنظمة

التحرير الفلسطينية (روابط القرى)، وقد تم النظر إلى هذا المسعى باعتباره دعمًا لما سمى بالمعتدلين ضد المتطرفين، الأمر الذى ذكر بتأييد الصهاينة للجماعات المعادية للمفتى خلال العشرينيات فى فلسطين تحت الانتداب[٢١]، وقد غذت هذه التكتيكات الإسرائيلية التنافس داخل المجتمع الفلسطينى؛ حيث إنه كما كانت عليها الحال فى الفترات السابقة الصراعات بين الفصائل والشخصيات الفلسطينية المتنافسة الذين يدّعون الحديث نيابة عن كل الفلسطينيين؛ شكلت نقطة ضعف للحركة الوطنية فى مواجهتها مع المستوطنين ما قبل ١٩٤٨ وإسرائيل. غير أنه فى نهاية المطاف كسبت القوى المناصرة لمنظمة التحرير معركة المصداقية والقيادة بين فلسطينيى الضفة الغربية وغزة[٢٢]، وهذا التطور كان بالنسبة لكثير من الإسرائيليين درسًا صعبًا وغير مرحب به بالنسبة لإسرائيل حول استحالة اختيار "الشريك فى السلام" وأنه يلزم صنع السلام مع الأعداء حتى إن كان ممثلوهم الرسميون مكروهين ولا يستحقون.

حرب لبنان ١٩٨٢:

مع تحول جنوب لبنان إلى المنطقة الأساسية التى تنطلق منها الغارات الفلسطينية والقصف الإسرائيلى فى أعقاب ١٩٧٠، أضحت الحدود الإسرائيلية-اللبنانية منطقة حرب مع تصاعد مستمر للهجوم والهجوم المضاد، وبعد استكمال انسحابها من سيناء فى أبريل ١٩٨٢؛ فإن إسرائيل نظرت بجدية فى القيام بعمل عسكرى لإنهاء التهديد المقبل من "أرض فتح" كما سمى بعض منطقة جنوب لبنان التى بدا أن قوات منظمة التحرير الفلسطينية هى التى تحكمه وليست حكومة بيروت الضعيفة. وكانت محاولة اغتيال دبلوماسى إسرائيلى فى لندن بمثابة

الاستفزاز الذى استخدمته إسرائيل للقيام بغزو كامل شامل لجنوب لبنان فى ٦ يونيو ١٩٨٢، ووراء الهدف العسكرى المعلن والمتمثل فى دفع القواعد والمدفعية الفلسطينية للوراء إلى مسافة ٤٠ كيلو مترًا، تمثل الهدف السياسى فى طرد منظمة التحرير كلية من لبنان، وذهب الكثير من الطامحين الإسرائيليين إلى حد الأمل فى إحداث تغيير فى النظام اللبنانى وإعادة هيكلة التحالفات السياسية الداخلية (التى يهيمن عليها النفوذ السورى القوى) بطريقة تخدم أكثر المصالح الإسرائيلية ولتوقيع اتفاق سلام مع حكام لبنان المستقبليين.

وفى مسعى لفرض خروج منظمة التحرير ومكاتب ومقاتلى غيرها من المنظمات من بيروت؛ فرض جيش الدفاع الإسرائيلى حصارًا على العاصمة اللبنانية لمدة ٧ أسابيع. وحقيقة الأمر؛ فإنه يصعب التحديد الدقيق لليوم الذى انتهت فيه الحرب (ربما أخر أغسطس أو أوائل سبتمبر)، وقد أسفر العديد من اتفاقات وقف إطلاق النار وإعادة الانتشار والترتيبات التكتيكية، عن انسحاب القوات الإسرائيلية، بعد قرابة ثلاث سنوات، لعدة كيلو مترات شمال الخط الدولى للحدود. وتحت ستار حماية مدنها والمستوطنات فى الشمال أعلنت إسرائيل هذه المناطق الحدودية منطقة أمنية يسيطر عليها جيش الدفاع لخمسة عشر عامًا تالية بمساعدة قوة بالوكالة تحت مسمى جيش لبنان الجنوبى الذى أنشئ خصيصًا بهدف استبعاد أو السيطرة على المقاتلين والمدفعية الفلسطينية(٢٣).

وقد تمثلت كلفة حرب ١٩٨٢ بالنسبة لإسرائيل فى ٦٥٠ قتيلاً فى البداية، وارتفع هذا العدد ليصل إلى ألف عندما انسحبت إسرائيل نهائيا من المنطقة الأمنية فى منتصف عام ٢٠٠٠، ووفقا للإحصاءات اللبنانية الرسمية تم قتل ١٧ ألفا و٨٢٥ لبنانيًا وفلسطينيًا (٤٨% منهم مدنيون) فى عملية "السلام للجاليلى" التى كان لها العديد من التبعات السياسية بما فى ذلك:

١) انسحاب أكثر من ١٤ ألف ناشط فلسطيني ومقاتل من جنوب لبنان ووسطها ونقل مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت لتونس.

٢) تكثيف التحالف طويل الأمد والضمني بين إسرائيل وفصيل من المارونيين المسيحيين؛ مما قاد إلى توقيع اتفاق سلام إسرائيلي- لبناني في ١٧ مايو ١٩٨٣، قام اللبنانيون بإلغائه خلال عام[٢٤].

٣) بروز استقطاب حاد وغير مسبوق داخل إسرائيل؛ حيث ظلت شريحة واسعة من السكان غير مقتنعة بالمبررات الأمنية والأخلاقية للحرب وطرحت تساؤلات حول مدى حكمة قيادات الدولة السياسية والعسكرية[٢٥].

٤) مذبحة صابرا وشاتيلا؛ حيث انتهزت ميليشيات مسيحية فرصة رحيل منظمة التحرير الفلسطينية، وأقدمت فى الفترة من ١٦ إلى ١٨ سبتمبر على تصفية حسابات قديمة بدخولها مخيمين للاجئين، حيث تم قتل ما بين ٨٠٠ و٢٠٠٠ فلسطينى (تختلف التقديرات بشكل كبير) معظمهم مدنيون، وقد ترتب على تواطؤ القوات الإسرائيلية فى مساعدة الكتائب فى أعوام من الخلاف حول مدى المسئولية السياسية والأخلاقية للإسرائيليين أفرادا كانوا أو بشكل جماعى (جيش الدفاع الإسرائيلى)[٢٦].

الضحية الحقيقية فى الثمانينيات:

مع إقصاء مقار منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت والتخلص من قواعدها فى جنوب لبنان، أصبحت الشئون السياسية والعسكرية الفلسطينية تتم إدارتها من تونس ومناطق أخرى، وعلى الرغم أن منطقة الحدود الإسرائيلية الشمالية قد شهدت هدوءًا نسبيًا؛ فإن العمليات الإرهابية استمرت ضد إسرائيل والأهداف اليهودية عمومًا، من قبل الفصائل الرافضة لحذر منظمة التحرير

(انظر الفصل ١٠). وبعد حرب عام ١٩٨٢، أضيف اسم "صابرا" و"شاتيلا" إلى جانب كل من "دير ياسين" (١٩٤٨) و"كفر قاسم" (١٩٥٦)[٢٧] على قائمة الأعمال الوحشية التى انطبعت فى ذاكرة الفلسطينيين والتى زادت وعمقت من إحساسهم بالتعرض للخطر وكونهم ضحايا للقوة الإسرائيلية، وكونهم مجتمعًا مُبعثرًا يعيش كثيرٌ من أعضائه كسكان لاجئين غير مرحب بهم منتشرين فى العالم العربى.

إن هذه التضحية الأخيرة للفلسطينيين فى لبنان تعيد إلى الأذهان التيار التحتى المتصل بتبرير الشعور، من قبل كلا الطرفين، بكونه الضحية التى أسهمت فى تركيز كل طرف فقط على معاناته، ما أدى إلى الحد من قدرته على الاعتراف بمخاوف ومطالب الطرف الآخر، ومن قبيل التناقض استمر الإسرائيليون فى النظر لأنفسهم كضحايا معرضين للخطر- كما كانت الحال مع "داود" الضعيف فى مواجهة "جوليات" العربى القوى- حتى فى الوقت الذى هاجموا فيه مظهرين تفوقًا عظيمًا خلال الحرب الأخيرة، ونتيجة لعدم قبولهم من العرب الساخطين المطالبين بالعدالة أو الثأر من انتصارات إسرائيل فى حروب ١٩٤٨، و١٩٥٦، و١٩٦٧، و١٩٧٣، فقد دخل الإسرائيليون العقد الرابع من المقاطعة الاقتصادية والعدوان الإرهابى المتواصل عبر الحدود؛ ما أفرز ما سماه بعض علماء النفس "عقلية الحصار" أو"عقدة شمشون"[٢٨]، وبشكل مثير للاستغراب تعايش الإدراك الإسرائيلى- اليهودى للذات بـ "الافتقار للقوة" مع حقيقة القوة المسيطرة والمهيمنة إذا ما قورنت وفقًا للمعايير الإقليمية والعالمية[٢٩].

ولكونه أحد الناجين من المحرقة قدم رئيس الوزراء "مناحيم بيجن" إسهامًا رئيسيًا فى الطريقة الخاصة لإسرائيل فى رؤيتها العالم؛ حيث لم يقتصر اعتقاده على "كل العالم ضدنا"؛ وإنما أيضًا ذهب إلى حد القول: "إلى الجحيم" لغير اليهود[٣٠]، كما أدخل بيجن على علاقات إسرائيل الخارجية وصيته الخاصة جاعلاً

منها هدفا سياسيا خلال فترته بألا "يحدث أبدا" أن يكون اليهود- خاصة الذين يعيشون فى دولتهم ذات السيادة- ضحية[٣١]، وفى أحاديثه العامة لم يكن ضد الكلام الصريح عن ذكريات المحرقة سواء كان ذلك فى المناسبات السارة (مثل توقيع اتفاق السلام مع مصر فى مارس ١٩٧٩) أو لدى تهديده للآخرين (تبريره لضرب إسرائيل لمفاعل أوزيراك النووى قرب بغداد عام ١٩٨١)[٣٢]، كما أن كلا الطرفين لجأ بشكل قوى إلى وصف العدو بـ "النازية"، ففى معرض تعريفها الصهيونية أشارت المادة (٢٢) من الميثاق الوطنى الفلسطينى إلى طبيعتها "المتعصبة والعنصرية"، ووصفت وسائلها بأنها هى وسائل "الفاشيين والنازيين"[٣٣]، وعقب انتصارات إسرائيل الميدانية دمغ العرب ومؤيدوهم عادة الإسرائيليين بالتصرف حيالهم كما تصرف النازيون تجاه يهود أوروبا من خلال رسوم ذات مضمون سياسى تقلب بمهارة "نجمة داود" إلى شكل "الصليب المعقوف". وهذا الدافع كان كذلك حاضرًا عام ١٩٩٢ من خلال تقديم "مناحيم بيجن" و"آرييل شارون" كنازيين قساة فى معاملة اللبنانيين والفلسطينيين المدنيين خلال غزو إسرائيل للبنان.

ومن جانبهم، ركز الصهاينة والإسرائيليون على تاريخ الحرب لمفتى القدس المنفي، وحتى اليوم ما زالت بعض الإصدارات والمواقع الإلكترونية والصحفيين تسيطر عليهم الرغبة فى إظهار المفتى السابق كشخصية شيطانية وتوازى بين حرب "هتلر" العامة ضد اليهود وصراع الفلسطينيين والعرب القوميين ضد الصهيونية وإسرائيل[٣٤]، وفى عام ١٩٨٢؛ ذهب رئيس الوزراء الإسرائيلى "بيجن" إلى أن عملية "السلام للجاليلى" ليست هجومًا عدوانيًا على دولة مجاورة ولكنها حرب دفاعية؛ حيث لم يقم الجنود الإسرائيليون فقط بحماية القرى الشمالية لوطنهم القومى عن طريق طرد وإزاحة منظمة التحرير للوراء، وإنما دخلوا لبنان لحماية المسيحيين المفتقدين للحماية ضد قهر المسلمين (النازيين).. وفضلاً عن ذلك؛ رأى

"بيجن" فى "ياسر عرفات" "هتلر" حديثا، وفى الميثاق الوطنى الفلسطينى "كتاب كفاحى"، أما حدود ما قبل ١٩٦٧؛ فقد كانت وفقا له حدود "معسكر آشويتز"، ومنظمة التحرير هى "منظمة إس إس" العربية، وقد نقل عنه قولة لوزرائه: إن البديل لهجوم إسرائيلى مكثف على منظمة التحرير فى لبنان فى يونيو ١٩٨٢ كان شيئا لا يقل فى خطورته عن (تربلينكا/المحرقة) "وقد قررنا ألا تكون هناك تربلينكا أخرى"، كما شبه حصار جيش الدفاع لمقرات منظمة التحرير بقصف خنادق "هتلر" فى برلين عام ١٩٤٥[٣٥].

هذه المشاعر المتوازية، والإحساس العميق بوضعية الضحية استمرت كعقبات سيكولوجية أمام تسوية الصراع، وبالنسبة للمراقب من الخارج ربما تبدو مبالغا فيها وخيالية، ومع ذلك فإن جهودنا لفهم الصراع لن تتقدم كثيرا بدحض هذه المدركات أو تقديم النصح للأطراف بتخطيها ووضع الماضى وراءهم، وسنعود لبحث هذه العقبة فى الفصل الثانى عشر.

الهوامش

(١) إعلان القمة العربية فى الجزائر، يوم ٢٨ نـوفمبر ١٩٧٣، تـم الاطـلاع عليـه يـوم ١٨ يوليو٢٠٠٨ على موقع:

. ***http://www.jewishvirtuallivraiy.org/jource/history/arabsum73.html***

(٢) ***Kenneth W. Stein***، دبلوماسية البطولة: السادات، كيسنجر، كارتر، بيجن والبحث عن سـلام الشرق الأوسط، نيويورك ***Routledge***، ١٩٩٩ واثنان من أفضل النقاد والمحللين لهذه الفتـرة التاريخية هما سعدية توفـال، ***The Peace Brokers: Mediators in the Arab Israeli Conflict*** ١٩٤٨-١٩٧٩، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٨٢، الفصل العاشر، وويليام كوانت، ***Camp David: Peace Making and Politics*** واشنطن، معهد بروكنجز عام ١٩٨٦.

(٣) خطاب السادات (السلام مع العدل) أمام الكينست الإسرائيلى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧، والذى أعيد إنتاجه فى كتاب ***The Israel Arab Reader*** ، التاريخ الوثائقى لصراع الشرق الأوسط الطبعة السابعة المنقحة، تحرير والتر لاكير وبارى روبين، نيويورك، دار نـشر بنجـوين، ٢٠٠٨، ص: ٢٠٧-١٥. وفى كتاب ***The Israeli-Palestinian Conflict***: سـجل وثـائقى، ١٩٦٧-١٩٩٠ تحرير يهودا لوكاش دار نشر جامعة كمبريدج عام ١٩٩٢ ص: ١٣٦-٤٦. خطـاب بيجن فى كتاب لوكاتش ***The Israeli-Palestinian Conflict*** ص: ١٤٧-٥٣.

(٤) يهوشا فاط هاركابى، ***Palestinians and Israel***، نيويورك دار نشر جون ويلى عـام ١٩٧٤ ص: ٢٠٩.

(٥) دفع أحد الأساتذة بأنه يوجد ربما بعد ثالث أكثر أهمية فى العلاقات الإسرائيلية - المـصرية، وهو الخاص بالخلاف الثقافى الذى يعنى أن جهود مفاوضاتهم تشبه حـوار الـصم، انظـر ريمون كوهين، ***Culture and Conflict in Egyptian-Israeli Relations***: حوار الـصماء، دار نشر جامعة إنديانا عام ١٩٩٠.

(٦) بعض من الاستعراض الأولى لما حدث قبل وأثناء قمة كامب ديفيد في سبتمبر ١٩٧٨ يتضمن: كوانت، كامب ديفيد؛ محمد إبراهيم كامل، اتفاقات كامب ديفيد: شهادة، نيويورك *KPI* ١٩٨٦؛ بطرس بطرس غالي، طريق مصر إلى القدس، نيويورك دار نشر راندم هاوس ١٩٩٧. موشيه دايان، الاختراق: عرض لمفاوضات السلام المصرية - الإسرائيلية، لندن ويدنفيلد ونيكلسون ١٩٨١. عزرا وايزمان، المعركة من أجل السلام، نيويورك: بانتام ١٩٨١. جيمي كارتر، *Keeping Faith* مذكرات رئيس، نيويورك بانتام ١٩٨٢. زبيجنى وبرجينسكي، *Power and Principle*: مذكرات مستشار الأمن القومى، ١٩٧٧-١٩٨١ نيويورك، دار نشر *Giroux, Strau Farrar* ١٩٨٣، سايروس فانس، *Hard Choices* الأعوام الحاسمة فى سياسة أمريكا الخارجية، نيويورك سيمون وشوستر، ١٩٨٣.

(٧) الأطر أعيد إنتاجها بتصرف فى كتاب لاكير وروبين، *Israel-Arab Reader* ، ٢٢٢-٧. وهناك صيغة أكثر اكتمالاً تجدها فى كوانت، كامب ديفيد، ص:٣٧٦-٨٧، ولورا زيترين أيزنبرج، ونيل كابلان، *Negotiating Arab-Israeli Peace* الأنماط- المشكلات- الاحتمالات، دار نشر جامعة إنديانا عام ١٩٩٨، ص:١٦٩-٧٩.

(٨) المعاهدة أعيد إنتاجها بتصرف فى كتاب لاكير وروبين، مرجع سابق ص:٢٢٧-٨. وهناك صيغة أكثر اكتمالا تجدها فى كوانت مرجع سابق ص:٣٩٧-٤٠١. وايزنبرج وكابلان، مرجع سابق ص:١٨٠-٣.

(٩) حول التصريحات الفلسطينية التى تدين تحركات السادات (٤ و٢١ ديسمبر ١٩٧٧) انظر لوكاش مرجع سابق، ص: ٣٣٥-٧. بيان قمة الجامعة العربية، بغداد ٣١ مارس ١٩٧٩ فى المرجع السابق، ص: ٤٦٣-٧ ذكرها لاكير وروبين، مرجع سابق ص: ٢٢٨-٩. مقابلة عرفات يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧٩ جزء مترجم فى كتاب لاكير وروبين، مرجع سابق، ص:٢٣٠-٢٣١.

(١٠) من أجل مناقشة بأثر رجعى وفى تحية وتقدير للرئيس المصرى السابق من جانب ١٨ أستاذاً ودبلوماسيا انظر *Sadat and His Legacy* مصر والعالم، ١٩٧٧-١٩٩٧ (تحرير) وتقديم جون ألترمان، واشنطن معهد سياسات الشرق الأدنى، ١٩٩٨.

(١١) إيلان بيليج، *Begin's Foreign Policy*، ١٩٧٧-١٩٨٣: رجوع إسرائيل إلى اليمين، *Westport, CT: Greenwood*، ١٩٨٧ ص:١١٠-١١، ١٣٧.

(١٢) انظر *The Carp Report* : تحقيق الحكومة الإسرائيلية فى عنف الاستيطان فـــى الـــضفة الغربية، ٧ فبراير ١٩٨٤، منقولة فى كتاب إيـــلان بيلـــيج، *Human Rights in the West Bank and Gaza* الشرعية والسياسة، دار نشر جامعة سيراكيوز، ١٩٩٥، ص:١٤٧-٥١ ، والتى تمت مناقشتها فى المرجع السابق ص:٩٠-١. دافيد شولمان، *Dark Hope* العمل من أجل السلام فى إسرائيل وفلسطين، دار نشر جامعة شيكاغو، ٢٠٠٧.

(١٣) بينى موريس، *Righteous Victims* تاريخ الصراع الصهيونى- العربـــى، ١٩٨١-١٩٩٩، نيويورك ألفريد كنوف ١٩٩٩ لندن ، جون موراى، ٢٠٠٠ ، ص:٣٤١.

(١٤) *Alan Dowty, The Jewish State*: ما بعد قرن، دار نشر جامعة بيركلى/ لنـــدن دار نـــشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٨، ص:٢٢١.

(١٥) من أجل عينات وصفية للحياة الفلسطينية وسلوك إسرائيل فى الأقاليم خاصة خلال العقدين الأولين، انظر: ريموندا حوا طويل، *My Home, My Prison*، نيويورك: هولت، رينهارت ووينستون، ١٩٧٩. رجاء شيهادة، *Samed* جريدة فلسطينيي الضفة، نيويـــورك *Adama Books*، ١٩٨٤. *Dowty, The Jewish State*، ص:٢١٧-٢٦. بيليج، *Human Rights in the West Bank and Gaza*. جون كويجلي، *The Case for Palestine* من وجهة نظر القـــانون الدولي، طبعة منقحة ومحدثة، تحرير دورهام لنـــدن دار نـــشر جامعـــة ديـــوك، ٢٠٠٥ ص:١٦٨-٨٨. ماليسون وســـالى، *The Palestine Problem in International Law and World Order* ، هارل و، لونجمان المملكة المتحدة عـــام ١٩٨٦ ص:٢٤٠-٧٥. مايكـــل برون و(*Israeli Policy in the Administered Territories*) وذلك فى كتاب (تحرير إيرفنج هـــو وكـــارل جيرشـــمان) *Israel and the Arab in the Middle East*، دار نـــشر بنتـــام نيويورك،١٩٧٢، ص:٢٤٩-٦٥. *Alan Dershowitz, Civil Liberties in Israel* : مـــشكلة الحبس الاحتياطى، وذلك فى كتاب *Howe and Gershman*، المرجع الـــسابق ص:٢٦٦-٩٩. ألان جيرسون، *Israel The West Bank and International Law* لندن فرانك كـــاس، ١٩٧٨، الفصل الثالث. *Alan Dershowitz* مرجع سابق، نيويورك جـــون ويلـــى، ٢٠٠٣، الفصول ١٩، ٢٢، ٢٤، ٢٥.

(١٦) انظر دافيد شيبلر، *Arab and Jew*: الأرواح المجروحة فـــى الأرض الموعـــودة، طبعـــة منقحة، نيويورك دار نشر بنجوين، ٢٠٠٢، الفصل ٣.

(١٧) من أجل شهادة صادقة من أجل استعراض صادق وشهادة مزعجة لهذا النوع من العنف في السنوات الأخيرة انظر كتاب شولمان، *Dark Hope*.

(١٨) من أجل مناقشة تفصيلية وتحليل للأساس الأصولي الأيديولوجي للادعاءات بالأرض وتبرير العنف ضد العرب انظر (مرجع سابق) *Ian S. Lustick, For the Land and the Lord*: الأصولية اليهودية في إسرائيل، نيويورك مجلس العلاقات الخارجية عام ١٩٨٨. *Uriil Tal, Foundations of a Political Messianic Trend in Israel*، دورية القدس الربع سنوية ٣٥ (ربيع ١٩٨٥ ص:٣٦-٤٥). هنري سيجمان، *The Perils of Messianic Politics*، ١٩٨٨، وذلك في كتاب *Wrestling With Zion*: الاستجابات اليهودية التقدمية للصراع الإسرائيلي- الفلسطيني (تحرير) مع مقدمة قام بها تونى كوشنر وأليسا سولومون، نيويورك: *Grove Press* ، ٢٠٠٣، ص:١١٤. برنارد وزارشتين، *Israelis and Palestinians*: لماذا يتحاربون؟ هل يمكن وقفهم؟ الطبعة الثالثة نيوهافن / لندن دار نشر جامعة يال ودار نشر بروفايل بوكس في لندن، ٢٠٠٨، ص:١٦٥-٧.

(١٩) انظر الكتاب الذي حرره سيمحا فلابان، *When Enemies Dare to Talk*: حوار إسرائيلي - فلسطيني (٥/٦ سبتمبر ١٩٧٨) لندن: *Croom Helm*، ١٩٧٩. أوري أفنيري، *My Friend, The Enemy, Westport, CT: Lawrence Hill* عام ١٩٨٦. محمد حسنين هيكل، القنوات السرية: القصة الداخلية لمفاوضات السلام العربي- الإسرائيلي، لندن هاربر كولينز، ١٩٩٦، ص:٣٢١-٥. (تقرير لجنة منظمة التحرير الفلسطينية للأرض المحتلة حول الاتصال مع اليهود، دمشق ٢١ أبريل ١٩٨١، وذلك في كتاب لوكاش (مرجع سابق) ص:٣٥٧. حسين أغا، شاهي فيلدمان، أحمد خالدي، وزينيف شيف، *Track-II Diplomacy*: دروس من الشرق الأوسط، دار نشر *Mit Press* سنة ٢٠٠٣ الفصل ٢. وليد سالم وإيدي كوفمان، *Palestinian Israeli Peace building*: وجهة نظر تاريخية وذلك في كتاب حرره الاثنان كلاهما وجولييت فيرهوفن باسم (*Bridging the Divide*): بناء السلام في الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني، تقديم شازان وسنيورة، *Boulder, CO: Lynne Rienner*، ٢٠٠٦، ص:٢٢-٣١.

(٢٠) حول أفكار بيجن للحكم الذاتي التي أعطيت للمرة الأولى في خطاب أمام الكينست ٢٨ ديسمبر ١٩٧٧، وذلك في كتاب لوكاش (مرجع سابق) ص:١٥٣-٥ والمنقولة عن لاكير

وروبين (مرجع سابق) ص:٢١٨-٢٠. وعن الاقتراح المصرى وأخيرا الاقتراح الإسرائيلى يمكن إيجاده فى كتاب لوكاش (مرجع سابق) ص:١٦٠-٧٠. ولأجل مناقشات نقدية انظر إيلان بيليج، سياسة بيجن الخارجية الفصل الرابع. زيئيف ماعوز، *Defending the Holy Land*: تحليل نقدى لسياسة إسرائيل الأمنية والخارجية، آن أربور دار نشر جامعة ميتشيجان عام ٢٠٠٦ ص:٤٣٦-٤٢. ومن أجل وجهة نظر مشارك فى عمل لجنة الحكم الذاتى الإسرائيلية- المصرية انظر إفرابيم دوايك، *Israeli Egyptian Relations*، ١٩٨٠-٢٠٠٠ تقديم إسحاق شامير، لندن فرانك كاس، ٢٠٠١، الفصل ١٥.

(٢١) من أجل الخلفية انظر مرجع سابق نيل كابلان، *Palestine Jewry and the Arab Question*، ١٩١٧- ١٩٢٥ لندن فرانك كاس سنة ١٩٧٨ الفصل ٧، و *Arab Jewish Contacts in Palestine After the First World War*، مجلة التاريخ المعاصر المجلد السابع: ٤ (أكتوبر ١٩٧٧) ص:٦٣٥-٦٨. هيليل كوهين (*Why do Collaborators Collaborate?*) حالة المؤسسات الصهيونية والفلسطينية، ١٩١٧-١٩٣٦، وذلك فى الكتاب الذى حرره إيلى بوده وأشير كوفمان *Arab Jewish Relations*: من الصراع إلى التسوية؟ مقالات على شرف البروفيسور موشيه ماعوز، برايتون دار نشر *Sussex Academic*، ٢٠٠٥، ص:٤٣-٦٣.

(٢٢) من أجل استعراض إسرائيلى داخلى لهذه التطورات انظر شلوم وجازيت، *Trapped Fools*: ثلاثون سنة للسياسة الإسرائيلية فى الأقاليم، تقديم شيمون بيريز، لندن: دار نشر فرانك كاس عام ٢٠٠٣ ص:٢٠٨-٣٨. ومن أجل نظرة نقدية إلى *Village Leagues* انظر سليم تمارى، *In League With Zion: Israeli's Search for a Native Pillar* مجلة الدراسات الفلسطينية ١٢: ٤ (صيف ١٩٨٣ ص:٤١-٥٦). يزيد صايغ الصراع المسلح والبحث عن الدولة (مرجع سابق)، دار نشر جامعة أوكسفورد، ومعهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص: ٤٨٣-٤. سارى نسيبة مع أنطونى دافيد، *Once Upon a Country: a Palestinian life*، نيويورك: *Farrar*، *Straus and Giroux*، ٢٠٠٧، ص:١٩٧-٢٠١ و٢٠٨-٩. وانظر أيضا تصريح عن الضفة الغربية والفلسطينيين، ٣٠ أغسطس سنة ١٩٨١، أعيد طرحه فى لاكير وروبين، مرجع سابق ص:٢٣٥-٧. موشيه

ماعوز، *Palestinian Leadership on the West Bank*: الدور المتغير للعمد فى ظل الأردن وإسرائيل مع الإسهام من موردخاى نيسان، لندن فرانك كاس، ١٩٨٤، ص:١٧٦-٨٣.

(٢٣) حول حرب ١٩٨٢ انظر زيئيف شيف وإيهود يانارى، *Israel's Lebanon War*، (تحرير) ترجمة إينا فريدمان، نيويورك، دار نشر سيمون وشيستر، ١٩٨٤. رشيد خالدى، *Under Siege* : منظمة التحرير، صنع القرار خلال حرب ١٩٨٢، نيويورك دار نشر جامعة كولومبيا عام ١٩٨٦. بيليج، *Begin's Foreign Policy*، الفصل الخامس. موريس، *Righteous Victims*، الفصل ١١. *Eyal Zisser, The 1982 (Peace for Galilee) War*: النظر إلى الخلف بغضب (بين خيار الحرب وحرب اللا خيار) وذلك فى كتاب *A Never Ending Conflict*: دليل إلى التاريخ العسكرى الإسرائيلى، تحرير موردخاى بار أون، *West Port CT* لندن *Praeger*، ٢٠٠٤، ص:١٩٣-٢١٠.

(٢٤) أيزنبرج وكابلان، *Negotiating*، الفصل الثانى وصفحة ١٩٢-٤. موريس مرجع سابق ص:٥٤٩-٥٠.

(٢٥) فيما يتعلق بتبريرات الحكومة، انظر خطاب بيجن (حروب اللا بديل وعملية سلام الجليل) وذلك فى كتاب لاكير وروبين، مرجع سابق، ص:٢٥٤-٧. وانظر أيضا *Zisser*، مرجع سابق، وبيليج، مرجع سابق، ص:١٦٥-٧٥.

(٢٦) إسحاق كاهان، أهارون باراك، ويونا إفرات، تقرير لجنة التحقيق فى الفظائع التى تمت من جانب وحدة من القوات اللبنانية ضد السكان المدنيين فى معسكرات شاتيلا وصابرا. القدس، ٧ فبراير ١٩٨٣ مقتطفات فى كتاب لاكير وروبين، مرجع سابق، ص:٢٦٩-٧٤. النص الكامل جرى الدخول عليه ٢٢ يوليو على موقع: *http://www.mideastweb.org/kahan_report.htm*. وفى عام ٢٠٠٠ وباستخدام اتفاقات دولية جديدة لمعاقبة مجرمى الحرب فإن المناصرين للفلسطينيين والعاملين فى مجال حقوق الإنسان قاموا بمبادرة لملاحقة وزير الدفاع فى ذلك الوقت (والذى صار فيما بعد رئيسا للوزراء) أريل شارون فى المحاكم ولكن دونما نجاح.

(٢٧) حول دير ياسين انظر ص:١١٦، فى أكتوبر ١٩٥٦ وعندما كان التوتر يتصاعد بطول الحدود الإسرائيلية- الأردنية وحيث كانت إسرائيل سرا تستعد للحرب ضد مصر فإن الفلاحين العائدين لقريتهم فى كفر قاسم قد جرى قتلهم بالبنادق بقسوة شديدة من جانب

قوات جيش الدفاع الإسرائيلى بحجة انتهاك حظر التجول المفـروض بـسرعة ودونمـا إبلاغهم.

(٢٨) بنيامين كيدار، *Masada: The Myth and the Complex*، الدورية الربع سنوية للقـدس ٢٤ (صيف ١٩٨٢)، ص:٥٧-٦٣: ناشمان بن يهودا، *The Massada Myth*: الذاكرة الجماعية وصناعة الأسطورة فى إسرائيل· ماديسون: دار نشر جامعة ويسكنـسون، ١٩٩٥. جـاى جونين، *A Psychohistory of Zionism* نيويورك : ماسون شـارتر، ١٩٧٥ الفـصل ١٣. شولاميت هاريفين ، *Identity: Victim*، وذلك فى كتاب *Vocabulary of Peace*: الحيـاة ، الثقافة والسياسة فى الـشرق الأوسـط، سـان فرانسيـسك و *Mercury House*، ١٩٩٥، ص:١٤٨-٥٤. ومن أجل دراسة حديثة حول رنين الماسادا باعتبارها تعبر عـن تحـذير جديد ضد إفناء اليهود، انظـر *Ted Sasson* و *Shaoul Kelner* (*From Shrine to Forum*: الماسادا وسياسة إفناء اليهود) الدراسات الإسرائيلية ١٣: ٢ (صـيف ٢٠٠٨) ص: ١٤٦-٦٣.

(٢٩) انظر دافيد بيالى، *Power and Powerlessness in Jewish History*، نيويـورك دار نـشر *Schockin*، سنة ١٩٨٦، وانظر أيضا أنيتا شابيرا ، *Land and Power*، لجوء الـصهاينة إلى القوة، مرجع سابق ترجمة ويليام تمبلر دار نـشر جامعـة سـتانفورد سـنة ١٩٩٩ ص:٣٦٩-٧٠، (جرى اقتباسه من قبل ص:١٦١).

(٣٠) موردخاى بار أون، *Historiography as an Educational Project*: النقاش التاريخى فـى إسرائيل وعملية السلام فى الشرق الأوسط، وذلك فى الكتاب الذى حـرره إيـلان بيلـيج وآلبانى بعنـوان *The Middle East Peace Process: Interdisciplinary Perspectives* ، دار نشر جامعة نيويورك، ١٩٩٨، ص:٢٧-٨، وهناك مشاعر تم التعبير عنها بأسلوب أكثـر جمالاً ينسب إلى دافيد بنجوريون حيث كان يحكمه مبدأ (لا يهم ما يقوله غير اليهود ولكن ماذا يفعل اليهود).

(٣١) حول مناقشة أثر المحرقة فى تفكير وسلوك بيجن السياسى انظر بيليج، *Begin's Foreign Policy*، ص:٦٣-٨.

(٣٢) نيل كابلان، *The Holocaust and the Arab-Israeli Conflict*، وذلك في كتاب حرره رونالد هيدلاند بعنوان *So Others will remember*: تاريخ المحرقة وشهادة الناجين، مونتريال: دار نشر *Vehicule Press* ١٩٩٩، ص:٩٠-٢.

(٣٣) الميثاق الوطني الفلسطيني، القاهرة، ١٧ يوليو ١٩٦٨ والذي تم اقتباسه في يهودا شاط هاركابي *The Palestinian Covenant and its Meaning* لندن: فلانتين ميتشل، ١٩٧٩ ص:١٢٣، إثر الترجمة الإنجليزية والتي جاءت في مجلد صدر عن معهد الدراسات الفلسطينية عام ١٩٧١. وترجمة أخرى للميثاق الوطني الفلسطيني نشره مركز أبحاث منظمة التحرير عام ١٩٦٩ (المرجع السابق ص:١١٧). وأعاد إنتاجه تنازي. ولأمثلة أخرى انظر هاركابي، *Arab Attitudes to Israel*، القدس: كيتر ١٩٧٢، ص:١٧٦-٧. وانظر أيضا المواد: ٢٠ و ٣١ من ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والتي تشير إلى الصفات شبه النازية وسلوك اليهود. وفيما يخص النص انظر شاؤول ميشال وأفرام سيلا، *The Palestinian Hamas*: الرؤية، العنف والتعايش، نيويورك دار نشر جامعة كولومبيا، ٢٠٠٠، ص:١٨٨، ١٩٥ (وغيرها من المواقع).

(٣٤) بنيامين نتنياهو، *A Durable Peace*: إسرائيل ومكانها بين الأمم، طبعة منقحة، نيويورك: *Warner Books* ٢٠٠٠، ص: ٢٠٦-١٦. دافيد بريسي جونز، *Their Kampf*: كتاب هتلر في أيدي العرب، *National Review*، ١٨ يوليو سنة ٢٠٠٢، تم الدخول عليها يوم ١٢ أغسطس سنة ٢٠٠٨ على موقع:

www.nationalreview.com/nr_comment071802a.asp. وكبعض الأمثلة للمواقع انظر: *http://www.zionism-israel.com/dic/Haj_Amin_El_Husseini.htm*

http://www.palestinefacts.org/pf_mandate_grand_mufti.php، *Chuck Morse, The Faisal Weizmann agreement, the mufti and Hitler, Nazism and Islamic Terror*، المجلة اليهودية جرى الدخول عليها يوم ١١ أغسطس عام ٢٠٠٨ على موقع:

http://www.jwishmag.com/116mag/chuckmorse/chukmorse.htm، *Hitler and the Mufti of Jerusalem and the Modern Islamo Nazism*، وجرى الدخول عليه يوم ١١ أغسطس عام ٢٠٠٨ على موقع: http://www.youtube.com/watch*?v=d51poygEXYU*. *David G. Dalin and john F. Rothman, Icon of Evil*، نيويورك: راندم هاوس سنة ٢٠٠٨ وقام

بعرضه دافيد بـــريس جـــونز (*Malevolance and The Mufti*) صـــحيفة وول ســـتيريت جورنال، ٢٦ يونيو ٢٠٠٨.

(٣٥) زئيف شيف وإيهود ياناري، مرجع سابق نيويورك سيمون وشوستر سنة ١٩٨٤ ص:٣٩، ٢٢٠. بيلـــيج، *Begin's Foreign Policy* ، ص:٦٥،٦٧. مـــوريس *Righteous Victims*، ص:٥١٤، ومن أجل نقد معاصر لاستخدام بيجن للمحرقة من جانب مثقفـــين إســـرائيليين كبار، انظر المرجع السابق، ص:٥١٤-١٥. أ.ب. يوهوشوا، *The Holocaust as Junction*، وذلك في كتاب *Between Right and Right*، نيويورك *Doubleday* ١٩٨١ص:١-١٩.

الفصل العاشر

من المقاطعة إلى الاعتراف المتبادل

١٩٨٢ـ ٢٠٠٨

استمرت المقاطعة المتبادلة طويلة الأمد بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وبين إسرائيل ومعظم الدول العربية باعتبارها النمط الأبرز فى العلاقات خلال الثمانينيات، وإذا كان خرق "مُحَرم" عدم الاعتراف من قبل أكبر دولة عربية وهى مصر ما أدى إلى تسوية، وإن كان بشكل بطيء ومتردد[١]، كثير من قضايا العلاقات الثنائية، فإن جوهر الصراع الذى لم يتم حله منذ ما قبل عام ١٩٤٨ ومعاناة ما بعد ١٩٦٧ استمر ملتهبًا بين الفلسطينيين وجيران إسرائيل العرب الآخرين، وكان الشعور الأكبر بامتداد آثار عدم تسوية الأبعاد الفلسطينية للصراع بارزًا فى لبنان وسوريا والأردن وكذلك بين المدنيين الإسرائيليين واللاجئين الفلسطينيين؛ حيث حظوا بنصيبهم من الخسائر نتيجة للتسللات عبر الحدود والعمليات الانتقامية التى تلتها، وعلى الرغم من ذلك فقد تقدم الأطراف خلال الثمانينيات وأوائل التسعينيات صوب الاعتراف المتبادل وهو المطلب الضرورى لمحاولة تسوية صراعهم الذى امتد عبر قرن من الزمان.

خطط للسلام وزرع للبذور:

شهدت الثمانينيات عدة جهود دولية وإقليمية بهدف دفع الطرفين لمناقشة خطط السلام، وعلى الرغم من أن تعاقب المقترحات فى هذا الخصوص لم يسفر عن نتائج فورية؛ فإن عددا من الأفكار التى جرى بحثها ورفضها أو التخلى عنها آنذاك عادت لتطفو على السطح خلال العقد التالى محققة نتائج أكثر إيجابية.

فى مطلع سبتمبر ١٩٨٠، سعى الرئيس الأمريكى "رونالد ريجان" إلى تحويل حطام الحرب الإسرائيلية على لبنان إلى مدخل لاستئناف العمل غير المكتمل الخاص بتوسيع نطاق عملية كامب ديفيد للسلام، وطلب "ريجان" من الدول العربية والفلسطينيين والإسرائيليين البدء فى مناقشات فى ظل الوساطة الأمريكية لكن اقتراحه لضفة غربية ذات حكم ذاتى فى إطار اتحاد فيدرالى مع الأردن لم تكن مقبولة للفلسطينيين وبغيضة لحكومة الليكود، الأمر الذى قاد إلى الفشل السريع لمبادرته(٢)، ومن جانبه أطلق الزعيم السوفيتى بريجينيف خطته للسلام فى الشرق الأوسط بعد عدة أسابيع(٣) حتى لا يتم استبعاد بلاده من المنطقة، وفى الوقت ذاته درس زعماء الدول العربية فى قمة فاس بالمغرب مقترحات الملك "فهد" لتوضيح السلام مع إسرائيل(٤)، ولكن لم يكن هناك ثمة شيء جديد أو جاذب ليولد استجابة إسرائيلية يمكنها أن تُطلق عملية دبلوماسية فى ذلك الحين.

وخلال منتصف الثمانينيات؛ هدأت الحدود الإسرائيلية- اللبنانية بعض الشيء لكن الصراع العربى- الإسرائيلى استمر فى حالة اضطراب نتيجة العنف عبر الحدود، وبعض العمليات ذات المستوى المحدود من الإرهاب الدولى وما

تبعها من إجراءات مضادة؛ وعلى سبيل المثال هاجمت الطائرات الإسرائيلية مقرات ياسر عرفات فى تونس يوم ١٩٨٥/١٠/١، الأمر الذى أعقبه بقليل قيام فصيل مضاد - يسعى إلى استباق الآخرين بقيامه بعملية مسرحية- باختطاف سفينة إيطالية ألقى من على متنها يهودى معوق (سائح أمريكى) خلال التعامل معهم من قبل السلطات[٥]، وفى عام ١٩٨٨ قامت فرقة نخبة عسكرية إسرائيلية باختراق مقر قيادة منظمة التحرير فى تونس واغتالت مسئولاً كبيرًا بها هو "خليل الوزير" المعروف بـ "أبو جهاد"، ومجددًا وجد أعضاء مجلس الأمن أنفسهم مدعوين للنظر فى شكاوى خاصة بتهديد السلام وانتهاكه، قدمتها إسرائيل أو قدمت ضدها من قبل الدول العربية والفلسطينيين.

استمر الرئيس الأمريكى الجديد "جورج بوش" الأب، ووزير خارجيته "شولتز" فى سياسة النظر للفلسطينيين على مستويين، الأول: يتصل بالسكان تحت الاحتلال الإسرائيلى وفى مخيمات اللاجئين، والثانى: يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية المدانة على الرغم من أنها حظيت باعتراف دول أخرى كثيرة كـ "ممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى"، وفى أوقات مختلفة من فترة عمله كوزير خارجية زار "شولتز" المنطقة ساعيًا لجمع الأردن والإسرائيليين وقادة فلسطينيين غير رسميين فى القدس والضفة الغربية، ليسوا أعضاء فى منظمة التحرير فى مناقشات حول السلام برعاية أمريكية[٦]، وعمل خلال عام ١٩٨٧ على محاولة إحياء خطط الدعوة لمؤتمر دولى تحت رئاسة مشتركة أمريكية- سوفيتية. وفى مارس ١٩٨٨، سعى إلى إنهاء الانتفاضة من خلال دفع الأطراف لدراسة مبادرته (خطة شولتز)[٧]، وعلى الرغم من أن أيا من مقترحاته لم تثمر؛ فإن عددًا من أفكاره عاودت الظهور بعد عدة سنوات فى صياغات مؤتمر مدريد.

خلال هذه الفترة تعددت الاتصالات الشخصية وغير الرسمية- غير قانونية بالنسبة للإسرائيليين وخطيرة بالنسبة للفلسطينيين- خاصة خارج منطقة الشرق الأوسط؛ حيث شعر عدد أكبر من الأكاديميين والشخصيات العامة بعدم جدوى والخسائر المترتبة على المقاطعة المتبادلة وهدم الاعتراف، وتدريجيًا اتسعت الدائرة لتضم شخصيات قريبة من مراكز السلطة فى تونس والقدس، وبعض مشروعات الحوار هذه جرى إتمامها فى أطر جامعية أكاديمية ووراء ستار الكتمان(٨)، وبعضها الآخر تم بطريقة غير مباشرة فى اتصال مع جهود فلسطينية لإقامة علاقات أفضل مع الإدارة الأمريكية(٩)، وعلى الرغم من ضآلة حجمه وصعوبة إدراكه من قبل دوائر القرار السياسية والعسكرية العليا، فإن العمل الذى قام به هؤلاء الأفراد أسهم فى تمهيد التربة للتوافق فيما بعد والاعتراف المتبادل بين أعداء طالت عداوتهم.

وشهدت الثمانينيات كذلك دخول الأردنيين فى مفاوضات صعبة مع منظمة التحرير الفلسطينية فى محاولة لرسم استراتيجية مشتركة للتعامل مع الوضع النهائى للضفة الغربية(١٠). وفى أبريل ١٩٨٧، سعت إسرائيل لتكرار نجاحها مع مصر، عندما قابل وزير الخارجية "شيمون بيريز" سرًا الملك "حسين" لمناقشة شروط المفاوضات الثنائية تحت ستار دبلوماسى فى مؤتمر دولى برعاية أمريكية، وكان كل من اتفاق "حسين/ عرفات" (عمان) فى فبراير ١٩٨٥، ومبادرة "حسين/ بيريز" (المعروفة باسم وثيقة لندن)(١١) كحلقات قصيرة العمر تخطتها الأحداث دون أن تسفر عن نتائج فورية، لكنها آلت إلى علامات على طريق التطور التدريجى المستقبلى للاختراقات الكبرى مقدمة بعض الإسهامات لمؤتمر مدريد عام ١٩٩١ ثم للاتفاقية الأخيرة للسلام الإسرائيلية- الأردنية عام ١٩٩٤.

الانتفاضة الأولى وحرب الخليج ١٩٨٧-١٩٩٠:

وما أن قارب العقد نهايته حتى وقع العديد من الأحداث المهمة على المستويين الإقليمى والعالمى غير- بشكل له مغزاه- وضع الصراعات الإسرائيلية- العربية والفلسطينية- الإسرائيلية، وساعد فى خلق بعض التحركات تجاه تسويتها للمرة الأولى منذ منتصف السبعينيات، وتمثل أول هذه الأحداث فى انفجار انتفاضة شعبية من جانب الفلسطينيين ضد احتلال إسرائيل للضفة وغزة فى ديسمبر ١٩٨٩ وعرفت باسمها العربى "انتفاضة" (التخلص من الاحتلال)، بينما تعلق ثانيها بانتهاء الحرب الباردة وحرب الخليج الأولى التى تبعتها أوائل عام ١٩٩١.

استمرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية على الأرض فى كل من قطاع غزة والضفة الغربية فى التدهور بالنسبة للفلسطينيين- على الرغم من الإحصاءات الوردية التى نشرتها آنذاك إدارة تلك الأقاليم- فإذا ما نظرنا فى وقت واحد إلى ما تضمنه التقرير العشرين الذى أصدرته وزارة الدفاع الإسرائيلية حول إدارة "يهودا والسامرة" (الضفة الغربية) وقطاع غزة، واندلاع الانتفاضة الذى جاء تقريبًا متزامنًا مع ذلك، يمكننا أن نرى، كما أوضحه "ألان دوتى": "زيف المنافع الاقتصادية والاجتماعية للاحتلال... المزيد من الثلاجات والمدارس لن تشترى قبول العرب لاستمرار السيطرة الإسرائيلية على حياتهم..."[١٢]، ومرة ثانية نرى دليلاً على الافتراض الإسرائيلى الذى دام طويلاً دون أن يتحقق (الفصل٤)، بأن إعطاء مكاسب مظهرية للفلسطينيين سيؤدى إلى الاستحواذ بقلوبهم والقضاء على مقاومتهم ضد قيام شعب آخر بالاستيلاء على وطنهم.

وفى ضوء عدم وجود أفق لحل سياسى، امتدت خيبة الأمل الشعبية لتشمل قيادات "فتح" و"منظمة التحرير الفلسطينية" (غير الفعالة)؛ حيث بدأت قوى أكثر راديكالية، وشعبية، وإسلامية تبرز داخل الأراضى المحتلة كمنافسين نشطين للحصول على ولاء الرأى العام الفلسطينى، ونخص بالذكر حركة الجهاد الإسلامى الفلسطينى (المؤسسة عام ١٩٨٦) وحركة المقاومة الإسلامية "حماس" (المؤسسة عام ١٩٨٨)، وكلتاهما خاطبتا الهوية الفلسطينية الدينية، وتمكنتا من ملء فجوة طالما جرى إهمالها، وذلك من خلال توفير خدمات اجتماعية وتعليمية وصحية فى الأراضى المحتلة؛ وقد قدمت هذه الحركات التى سارت على نهج تعليمات وميراث حركة الإخوان المسلمين (المؤسسة فى مصر فى العشرينيات) والمثل البطولى الذى قدمه للمقاومة الشيخ عز الدين القسام فى الثلاثينيات، أملاً جديدًا ووجهة نظر عالمية مختلفة مع أهداف محددة بوضوح: إزالة إسرائيل بأى طرق كانت ضرورية وتغييرها بدولة إسلامية فلسطينية(١٣).

وفى الثامن من ديسمبر ١٩٨٧، أعقب قيام آلية تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلى بقتل أربعة فلسطينيين وجرح سبعة آخرين كانوا عائدين من العمل فى قطاع غزة، اندلاع مظاهرات معادية لإسرائيل وأعمال شغب سرعان ما امتدت إلى كل أرجاء الأراضى المحتلة، ووجد الشباب الذين قاموا بقصف الحجارة أنفسهم فى مواجهات يومية وجهًا لوجه مع الجنود والشرطة الإسرائيلية بشكل يومى، وتم فرض حظر التجوال والإغلاق للطرق ما زاد من المصاعب التى قابلها تحد واضح من قبل السكان خاصة من قبل الشباب المتمرد، وتصاعد مستوى العنف سريعًا ليتعدى الحجارة إلى القنابل الحارقة (المولوتوف)، ما قاد إلى ردود أفعال إسرائيلية استخدمت القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطى والذخيرة الحية، وجرى اعتقال عشرات الآلاف وتدمير مئات المنازل أو إغلاقها، وخلال السنة

الأولى قتل ٣٠٠ فلسطيني وجرح ١١ ألفًا في مواجهات عنيفة مع القوات الإسرائيلية والشرطة، وبحلول نهاية ١٩٩١ ارتفع عدد الضحايا الفلسطينيين إلى أكثر من ثمانمئة[١٤].

كشف الإصدار المنتظم للبيانات عن أن عمليات اللجان المحلية يتم تنسيقها من خلال قيادة نشطة للمتمردين، وقد أدهشت الجميع، حتى منظمة التحرير الفلسطينية وبالأخص إسرائيل، مستوى التصميم ودرجة التنظيم بين المحتجين ومثيري الشغب المتظاهرين، كما جذب كل ذلك انتباه الإعلام الدولي بشكل مكثف، وهو ما نقل بدوره نيران الصراع من موقعها في مؤخرة الأحداث التي واجهتها وكان موضوع مناظرات حادة على شاشات التلفاز في كل أرجاء العالم؛ حيث تحرك الجيل الشاب الذي عاش حياته تحت الاحتلال إلى الأمام للإمساك بزمام التحكم في الانتفاضة، مضيفين بذلك عاملاً جديدًا وتحديًا للقيادة التقليدية لمنظمة التحرير الفلسطينية المتمركزة بعيدًا في تونس[١٥].

وبعد مفاجأتهم بالتطورات، سعى القادة الفلسطينيون في الخارج إلى الاستفادة من الانتفاضة الشعبية في الأراضي المحتلة للحصول على مزايا سياسية ودبلوماسية، وكانت اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر (١٤- ١٥ نوفمبر ١٩٨٨) مسرحًا لصياغات جديدة مهمة لسياسات منظمة التحرير الفلسطينية، ومما له مغزاه أن المجلس تبنى قرارات تقبل في النهاية القرارين (٢٤٢) و(٣٣٨)، ومن ثم الموافقة على أحد الشروط الأمريكية والإسرائيلية للاعتراف بمنظمة التحرير كطرف دبلوماسي ممكن، كما أصدر المجلس تصريحًا بالاستقلال وهو أمر له مغزى رمزي في ظل غياب أي سيطرة على أي إقليم ذي سيادة ما يعني التعايش مع إسرائيل[١٦]، وبعد هذا اللقاء التاريخي بفترة قصيرة؛ ألقى "ياسر عرفات" خطابًا أمام جلسة خاصة للجمعية

العامة للأمم المتحدة عقدت في جنيف، حيث قرأ أمام الصحافة (مستجيبًا في ذلك للضغوط من قبل الولايات المتحدة وتدخلات بعض ناشطي السلام اليهود الأمريكيين) بيانًا معدًا بعناية فائقة يدين استخدام الإرهاب، ما فتح الباب للحوار الأمريكي مع منظمة التحرير الفلسطينية[١٧].

مثلت التطورات السابقة مفصلاً آخر في الصراع؛ حيث عادت مقولتنا الجوهرية الحادية عشرة والمثيرة للجدال إلى الظهور: ما نوايا الفلسطينيين ومنظمة التحرير الحقيقية تجاه إسرائيل؟ ويتعجب المتشككون الإسرائيليون هل غير النمر أماكنه؟[١٨] وفي المقابل اهتم المعلقون الفلسطينيون بمغزى هذه "الدبلوماسية الفلسطينية الجديدة"، فالمؤرخ المخضرم "وليد خالدي" رحب بالقرارات التاريخية باعتبارها "نتاجًا للتفكير الفلسطيني العميق مع الذات" وأنه يأتي كنتاج لتطور طويل نحو البراجماتية استنادًا إلى "القراءة الناضجة للحقائق المحلية، والإقليمية والدولية"، موضحًا أن قرارات المجلس الوطني في الجزائر مثلت:

> **"انتصارًا للتعاطف مع الشعب على كراهية العدو، ولهذا فتحت الباب على مصراعيه أمام التسوية التاريخية فيما أوضحت بشكل علني شرطها الذي لا يمكن الانتقاص منه بإقامة الدولة، كما أنها تقدم مجموعة متكاملة تمثل البنية التحتية التي يمكن بناء السلام عليها من خلال الحوار الهادئ والهادف، من المفضل أن يكون مع إسرائيل وإذا لم يمكن ممكنًا فمع واشنطن... هذا يتضمن طلبًا جوهريًا ولا يمكن التفاوض حوله يتصل بالوجود المستمر والقومي لكل طرف؛ حيث إن أي نتيجة تعطي لهذا الطرف وتنكره على آخر لن تنجح"[١٩].**

وعلى الرغم من أن هذه التصريحات كانت تاريخية فيما يتصل بتطور فكر منظمة التحرير الفلسطينية، فإن النشاط الدبلوماسي الذى أعقبها كان أضعف من أن يؤدى لاختراق كبير. فالإسرائيليون المشككون تقودهم حكومة يمينية برئاسة "إسحاق شامير" استمروا فى التركيز على إنهاء متاعب الانتفاضة دونما الوقوع فى شرك مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية "الجديدة".

وعلى الرغم من المحاولات الإسرائيلية لوقف الانتفاضة من خلال إجراءات القمع العسكرى والعمل البوليسي، استمرت الانتفاضة بمستويات متزايدة الانخفاض من الكثافة حتى عام١٩٩٣، كان تأثيرها فى الرأى العام الإسرائيلى ذا مغزى[٢٠]، فبالتماشى مع الشعور بالحرج والسخط على التغطية الإعلامية الدولية المضرة التى صورت الجنود الإسرائيليين يضربون النساء والأطفال المحتجين، بدأ الكثير من الإسرائيليين فى مستوى أعمق (بمن فيهم "إسحاق رابين" وغيره من القادة الذين تبنوا فى البداية استخدام أقصى قوة لسحق المتظاهرين) يفيقون من فكرة الاحتلال المستمر التى تسببت فى خسائر كبيرة للروح المعنوية لجيش الدفاع ولنظام القيم الديمقراطية لإسرائيل.

وفى الحقيقة، مثلت الانتفاضة الأولى بالنسبة لكثير من الإسرائيليين صيحة لليقظة، فتحت تأثير مظاهر المرارة الفلسطينية والعنف اليومى بات كثير من الإسرائيليين يشعرون بأن أمامهم الخيار بين ضم الأراضى أو تركها، وإذا ما تم اختيار الضم فهنا نجد ثلاثة احتمالات بالنسبة للسكان العرب الفلسطينيين الكثيرين المقيمين هناك:

١) يمكنهم الاستمرار فى الإقامة ويصبحون مواطنين كاملين فى دولة إسرائيل لهم جميع الحقوق الديمقراطية، وعند نقطة ما مستقبلا سيشكلون

الأغلبية فى مواجهة السكان اليهود، مما يدحض سبب وجود الصهيونية.. دولة للشعب اليهودى.

٢) يمكنهم البقاء كمقيمين دون منحهم الجنسية فى دولة إسرائيل؛ حيث يعيشون كشعب منفصل من الدرجة الثانية ذى حقوق محدودة، كما هى الحال فى نظام الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا (الأبارتايد)، وهو ما يعنى التخلى عن أى مقاربة لإسرائيل كدولة ديمقراطية.

٣) يمكن تشجيعهم، أو إجبارهم، على ترك منازلهم وإعادة توطينهم فى إحدى الدول المجاورة بمعنى الطرد أو كما هو معروف بالعبرية بمصطلح (الترانسفير)[٢١].

ولقد حظى الخيار الثالث المتطرف بشعبية متعاظمة بين أقلية من اليهود الإسرائيليين خلال هذه الفترة؛ حيث بدا يقدم طريقًا منطقيًا، وإن كان عنيفًا، للالتفاف على التناقضات بين الخيارين الآخرين، ومع ذلك فإن افتقار أى من الخيارات الثلاثة للجاذبية قاد عددًا ضخمًا من اليهود لإدراك أنه قريبًا، وليس بعيدًا، يجب على إسرائيل أن تفكر فى التخلى عن الكثير من المستوطنات وفصل نفسها، إما بالمفاوضات وإما بالعمل الانفرادى، عن هذه الأراضى.

ولقد ساعدت الانتفاضة الكثير من الإسرائيليين فى الخلوص إلى نتيجة مؤداها أن المستوطنات اليهودية كانت خطأ استراتيجيًا من حيث مصالح إسرائيل الحيوية، وفى مواجهة هؤلاء الذين طالبوا بالضم و/أوالترحيل (الترانسفير) كحل للمأزق الإسرائيلى- الفلسطينى، بدأ عدد متزايد من الشخصيات السياسية والعسكرية فى الدعوة إلى "الفصل" بين الشعبين، (عودة إلى فكرة التقسيم التى تناولنا بالبحث فى الثلاثينيات والأربعينيات)، وسيزداد نطاق المناقشات العامة لفكرة الفصل و"فك الارتباط" فى العقد المقبل[٢٢].

فى يوليو ١٩٨٨، وانطلاقًا من رغبة تجنيب مملكته تعقيدات سكان فلسطينيين متمردين من الذين لا يربطهم بها أى ولاء خاص، أعلن الملك "حسين" قطع الروابط القانونية والإدارية مع الضفة الغربية وقام بتسليم اللجان المحلية والبلدية معظم وظائف الإدارة والميزانية التى كانت مسئولية عمان منذ حرب يونيو١٩٦٧، وكانت الدوافع وراء هذا القرار خليطًا من الإحباط (بسبب عدم وفاء الفلسطينيين) والتسليم فى النهاية بأن منظمة التحرير هى التى يمكنها أن تتحدث بالفعل عن المصالح الفلسطينية(٢٣)، وأيا كانت دوافعه فإن تصرف الملك "حسين" الدرامى كان يشير بوضوح للإسرائيليين إلى أنه لم يعد فى إمكانهم اعتبار القائد الأردنى متحدثًا ومحاورًا ممكنًا لمناقشة مستقبل الضفة الغربية، كما لا يمكنهم الاستمرار فى دراسة الحلول المبينة حول شعار أن "الأردن هى فلسطين"، وبدلاً من ذلك فإن إسرائيل- على الرغم من المواقف الأيديولوجية الثابتة لرئيس الليكود "إسحاق شامير" حول المستوطنات والأراضى المحتلة والإرهاب- ستجد نفسها قريبًا مضطرة للتعامل مع الفلسطينيين من خلال منظمة التحرير "الإرهابية".

ردًا على ادعاء "صدام حسين" بأن الكويت هى إقليم من أقاليم العراق، وإقدامه على غزو هذه الإمارة (الموالية لأمريكا) أواخر ١٩٩٠، قامت الولايات المتحدة بتشكيل تحالف تولت قيادته ضم قوات عسكرية عربية وغيرها وأنشأت قواعد فى المملكة العربية السعودية. وخلال الحرب الجوية والأرضية التى استمرت عدة أسابيع فى يناير وفبراير ١٩٩١؛ تمكن التحالف من طرد القوات العراقية خارج الكويت، وكان من بين المكافآت التى قدمتها الولايات المتحدة للدول العربية المتعاونة معها فى خططها لتوجيه هذه الضربة للعراق؛ هو بذل الوعد بتدخل أمريكى أعظم وأكبر لإيجاد تسوية مرضية للقضية الفلسطينية، ومع انهيار

الاتحاد السوفيتى الذى كان راعيًا لسوريا وغيرها من الدول العربية، أضحت الولايات المتحدة الهدف الواضح الذى يتم السعى تجاهه، بحكم كونها القوة العظمى الوحيدة الباقية، خاصة القوة الوحيدة التى لها سلطة التأثير فى حكومة تل أبيب.

وفيما يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية ذاتها، فقد واجهت نكسات فى حوارها الدبلوماسى الأخير الذى سعى لكسب تفهم أمريكا وتعاطفها، فخلال عامى ١٩٨٩ و١٩٩٠ بدت غير قادرة على وقف الإرهاب من جانب بعض فصائلها المتمردة، وأثناء أزمة الخليج (١٩٩٠-١٩٩١) ارتكب "عرفات" خطأ تكتيكيا بالوقوف إلى جانب "صدام" - وهو ما أدى إلى خسارته للتمويل العربى الجماعى لميزانيته، وأثر فى وضع الفلسطينيين فى الشتات الذين كان يعيشون ويعملون فى الكويت وغيرها من دول الخليج؛ حيث تم طرد العديد منهم إلى الأردن وغيرها.

مدريد وأوسلو.. عملية سلام جديدة:

فى الشهور التى تلت هزيمة العراق؛ فإن وزير الخارجية الأمريكى "جيمس بيكر" عاد ليسلك الطريق الذى سلكه من قبله فى السبعينيات "هنرى كيسنجر"؛ حيث اتجه إلى إعادة عقد المؤتمر الدولى الذى جرى تأجيله فى جنيف عام ١٩٧٣، ووجد نفسه فى خضم دبلوماسية مكوكية نشطة بين عواصم الشرق الأوسط، مستخدمًا الضغط الدبلوماسى والاقتصادى ومستعيرًا بعض الأفكار التى جرى طرحها من قبل سلفه المباشر وعارضًا خطابات لتلبية الإجراءات والحدود الدنيا لشروط كل طرف.. وهكذا نجح "بيكر" فى الحصول على التزام الأطراف الأساسية لحضور مؤتمر دولى، ومع ذلك كان من الضرورى بذل المزيد من الجهد فيما يتصل بالمشاركة الفلسطينية وإيجاد صيغة (تشمل جعل الفلسطينيين رسميًا جزءًا

من وفد أردنى) للتغلب على عقبة إصرار رئيس الوزراء "شامير" على عدم لقاء أى ممثلين عن منظمة التحرير من ناحية، وعدم استعداد أى فلسطينى لـه مصداقية للظهور فى المؤتمر دون أن يحظى بمباركة منظمة التحرير فى تونس من ناحية أخرى.

ووسط استعدادات مهيبة جرى افتتاح تجمع تاريخى فى ١٩٩١/١٠/٣٠ فى قصر مدريد الملكى ليتجاوز عقود من المحظورات حول عدم ظهور العرب والإسرائيليين على مائدة مفاوضات واحدة، وفى أعقاب الخطابات الافتتاحية التى كان العديد منها ساخنًا وبعيدًا عن لهجة التوافق، جرى تأجيل الاجتماع العام والانتقال إلى جلسات عمل أصغر ثنائية موازية؛ حيث تم فيها ذوبان الجليد وطرح الموضوعات الأساسية على مختلف الموائد، وبعد عدة أيام غادرت الوفود مدريد دونما شيء يعد اختراقًا، عدا الحقيقة الرئيسية المتمثلة فى مجرد الاجتماع معًا، واتخاذ بعض الإجراءات لضمان استمرار المحادثات فى مكان آخر.

ولمدة زادت.. على عام، استمرت الوفود فى اللقاء ثنائيًا تحت رعاية الخارجية الأمريكية فى واشنطن، فيما انعقد عدد من اللجان متعددة الأطراف فى عدة أماكن حول العالم لمناقشة الموضوعات ذات الصفة الإقليمية بما فيها مصادر المياه والتنمية الاقتصادية وضبط التسلح وقضايا البيئة واللاجئين[٢٤]، فقد تم رصد تقدم طفيف إثر اللقاءات العديدة الثنائية الإسرائيلية- السورية، والإسرائيلية- الأردنية (التى ولدت من رحمها وبهدوء محادثات إسرائيلية- فلسطينية منفصلة) فى واشنطن.. وهكذا تم تحقيق تقدم ضئيل بالكثير من الإحباط بعد العودة إلى الديار[٢٥].

جرت مناورة غير تقليدية من جانب كبار مسئولى منظمة التحرير والقيادة الإسرائيلية- لفتح "قناة سرية خلفية" فى أوسلو، لم تكن معروفة حتى من الوفود

المفاوضة فى واشنطن- حتى حدث الاختراق الحقيقـى عـام ١٩٩٣، فبوسـاطة نرويجية خرق الإسرائيليون والفلسطينيون محظورًا آخر بموافقتهم على الاعتراف والتفاوض معًا وتمت بعناية فائقة صياغة نصوص خطابات قصيرة متبادلـة بـين رئيس الوزراء "إسحاق رابين" ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية، فضلاً عن (١٧) مادة تضمنها "إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتى المؤقت"[٢٦].

جرت مراسم التوقيع التاريخى وتبادل الخطابات فى الثالث عشر من سبتمبر ١٩٩٣ فى حديقة البيت الأبيض بدعوة من الرئيس الأمريكى "بيل كلينتون" الـذى سيظل فيما بعد طرفًا ثالثًا نـشطًا لتـسهيل وضـمان المفاوضـات الإسـرائيلية-الفلسطينية التالية، وأعقب اتفاق المبادئ اتفاقات فلسطينية-إسرائيلية مؤقتة وقعـت فى أريحا والقاهرة، أما الموضوعات شديدة التعقيد والتى أطلق عليها موضـوعات الوضع الدائم (الحدود- المستوطنات-اللاجئين- القدس- الترتيبات الأمنيـة)؛ فقـد جرى إرجاؤها إلى سلسلة المفاوضات النهائية التى تقرر بدؤها عند إتمام الترتيبات المؤقتة، وطوال هذا الطريق فإن عملية إعادة الانتشار الإسرائيلى مـن المراكـز السكانية فى الضفة الغربية وقطاع غزة لتحل محلهـا الإدارة الفلـسطينية وقـوات الأمن الجديدة، كان متوقعًا منها أن تخلق شيئًا من قوة الدفع وتساعد الطرفين فـى تنمية الشعور بالثقة المتبادلة[٢٧].

تمثلت إحدى النتائج المبكرة لتوقيع اتفاق المبادئ الإسرائيلى-الفلسطينى فى ذلك الضوء الأخضر الذى أعطته لإسرائيل وعدة دول عربية فى أن تقوم بـشكل علنى بصياغة وعقد اتفاقات سلام من أجل إنهاء حالة الحرب بينهما، فجرى إطلاق عملية سلام إسرائيلية- سورية قادت لعدة جولات من المفاوضـات مـع تواجـد أمريكى مكثف؛ لكن كلاً منها فشل وسط شعور بخيبة الأمل واتهامات متبادلة دونما

إحداث نجاح حتى اليوم (٢٠٠٩)[٢٨]، وعلى النقيض من ذلك، واستنادًا إلى خبرة المفاوضات السرية الإيجابية السابقة، تمت صياغة والتوقيع على اتفاقية سلام أردنية- إسرائيلية فى حضور الرئيس الأمريكى على الحدود الإسرائيلية- الأردنية فى ٢٦/١٠/١٩٩٤[٢٩].

وهكذا مثلت بداية التسعينيات- التى شهدت فصولها مدينتا مدريد وأوسلو- فترة أمل وتفاؤل بعد عقود من الجمود والحسرة والمخاوف وتفجر العنف بين آن وآخر. وإذا كانت فترة ما بعد كامب ديفيد ١٩٧٨ قد فشلت فى توسيع دائرة السلام، فإن تغير الظروف الإقليمية والدولية وربما كذلك بروز مستوى معين من الإحساس بالتعب من الصراع بين أطرافه قد أسهم فى التقدم فى ظل عملية سلام جديدة بدأت فى مدريد وأوسلو، ومجرد حقيقة بدء المحادثات خفف من إحساس إسرائيل بالعزلة وأنها معرضة للخطر؛ ما كان ذا أثر ملحوظ على اتجاهاتها فقد تمكن رئيس حزب العمل "إسحاق رابين" من هزيمة منافسيه من الليكود اليمينى فى يونيو ١٩٩٢ استنادا إلى برنامج انتخابى بشر بتحقيق تقدم فى المفاوضات المتوقفة، وخلال استعراضه لحصاد عامه الأول فى السلطة أعرب رئيس الوزراء عن تفاؤله وتصميمه على التغلب على كل العقبات

> **"القطار المتجه نحو السلام توقف هذا العام فى محطات كثيرة، مما يدحض يوميا الإشاعة العتيقة بأن "العالم كله ضدنا"، لقد حسنت الولايات المتحدة علاقتها معنا... وفى أوروبا تعمق حوارنا مع المجموعة الأوروبية، وزارنا العديد من رؤساء الدول وقمنا بالرد عليهم بصداقتنا والعلاقات الاقتصادية وغيرها ولم نعد بعد شعبًا يعيش مع نفسه وحدها"[٣٠].**

وفى الحقيقة؛ فإنه فى ديسمبر ١٩٩١ قامت "مجموعة مختلفة تمامًا فى الولايات المتحدة" بالتصويت لإلغاء قرار الأمم المتحدة لعام ١٩٧٥ الذى رأى "الصهيونية مساوية للعنصرية"، وخلال عامين من مؤتمر مدريد، أعادت ٣٤ دولة العلاقات الدبلوماسية مع الدولة اليهودية[٣١]، وقد استفاد "رابين" من الروح الدولية الجديدة ليهيب بأبناء بلده بأن يدخلوا فى خطابهم بعض عناصر اللغة التى كانت مقتصرة فيما مضى على نشطاء السلام والليبراليين الذين دفعوا بأن على الإسرائيليين التوقف عن التفكير على أنهم أقلية محاصرون كمقاتلين فى "جيتو" وأن عليهم تصور أنفسهم كأقوياء وآمنين بما يكفى لأخذ بعض المخاطرات المحسوبة من أجل السلام[٣٢]. ومن بين الدلائل على هذا المناخ الجديد هو أن الزوار الأجانب من كبار القادة لم يعودوا مطالبين- كما كان يحدث من قبل- بالوقوف حدادا أمام النصب التذكارى للمحرقة (يادفاشيم)، وعلى الرغم من ذلك استمر معظمهم فى القيام بهذه الزيارة التى فقط يوصى بها.

كان هنالك أيضًا سبب للتفاؤل على الجانب الفلسطينى؛ حيث كان الانتقال من صيغة مؤتمر مدريد إلى محادثات واشنطن و"قناة أوسلو الخلفية" يعنى للمرة الأولى أن القضية الفلسطينية لم يتم تجاهلها أو تنحيتها جانبًا أو تناولها الآخرون، فاللاعبون الدبلوماسيون الآن يعملون مع- ولا يسعون للالتفاف حول- الفلسطينيين وقادتهم المعترف بهم فى منظمة التحرير، ومع انتهاء الحرب فإن غياب تنافس القوى الكبرى يعنى أن الصراعات المحلية ربما ستتم إدارتها أو تسويتها بطريقة أفضل ودونما التلاعب بها أو تعظيمها لخدمة مطالب القوى الخارجية.

وكما ذكرنا؛ فإن الإسرائيليين والفلسطينيين بدءوا يرون المستقبل فى إطار تقسيم منطقة فلسطين تحت الانتداب بينهم، لكن الكثير تغير على الأرض منذ طرح

خطط التقسيم فى الثلاثينيات والأربعينيات، وبعد عقود من الدم والدمار فإن كل المنطقة التى يراد تقسيمها لم تعد فى يد محايدة وإنما فى يد إسرائيل، وفى الحقيقة توجد مناطق يطالب بها الفلسطينيون ما زالت يقطنها مستوطنون إسرائيليون، وسكان التجمعات المتنافسة هم حاليا تقريبًا متساوون فى العدد؛ ولكن كلا المجتمعين ليسا على القدر نفسه من القوة والحيوية، فالفلسطينيون موزعون ومنفيون منذ ما يناهز نصف قرن فيما أن سكان إسرائيل ينمون موحدين مندمجين وطوروا مجتمعًا عالى النمو والديناميكية، وهى قصة نجاح بمعايير كثيرة، ما يعنى أنه حتى بعد تنفيذ مراحلها العديدة، فإنه لن تكون مهمة أو عملية أوسلو سهلة فى التوصل لحل الدولتين إذ يرغبه الكثيرون بمن فيهم الساعون للسلام على كل الجوانب[٣٣]، ولكن على الرغم من تغير الظروف الجذرية فإن مفهوم التقسيم يبدو أنه يستحق المحاولة وأنه أفضل من أى من البدائل الأخرى.

ولسوء الحظ؛ فإنه بعد سنوات قليلة من محاولة تنفيذ التعهدات التى جاءت فى إعلان المبادئ فإنه قد كان من الواضح بشكل مؤلم أن عملية السلام الإسرائيلية- الفلسطينية تعانى من المتاعب، فالكثير من المواعيد المحددة تم تخطيها وتعرضت المحادثات من آن لآخر للفشل، وتباطأ التعاون وتآكلت الثقة المتبادلة لتحل محلها الشكوك العميقة، وأضعفت النداءات الكثيرة للولايات المتحدة للتدخل فى العملية برمتها، كذلك استمر بناء المستوطنات اليهودية والتوسع فيها فى المناطق التى كان من المفترض أن تكون موضوعًا للتفاوض النهائى. وحجم وشكل الكعكة كان، وفقًا لكلمات مراقب فلسطينى "يتناقص بسرعة فيما الجانبان يتفاوضان على مصيرها مما حدا بالأغلبية الساحقة من الفلسطينيين لفقدان كل الثقة فى نوايا السلام الإسرائيلية"[٣٤].

وعاد الإرهاب مع الانتقام فى أشكال أكثر ضراوة وغالبا فى المراكز السكنية الإسرائيلية، "اكتشف النشطاء المناهضون لأوسلو على الجانبين سرًا قذرًا صغيرًا: أن لديهم نوعا من الفيتو الواقعى على المفاوضات لأن كل عمل شائن يقومون به يؤدى إلى توقف آخر ونكسة جديدة لعملية السلام"[٣٥]، وفيما بين الفلسطينيين حازت فصائل حماس والجهاد الإسلامى على شعبية فيما هما تتهمان القيادة الرسمية للسلطة الفلسطينية بأنها تخدم كـ "رجل شرطة" إسرائيلى فى المناطق المحتلة، وأنهم قاموا بشكل مخز ببيع حقوقهم المشروعة للإسرائيليين الأقوياء ومناصريهم الأمريكان، وفضلاً عن ذلك فإن الاتهامات بالفساد والمحسوبية والقمع المخالف لمعايير الديمقراطية تم توجيهها للسلطة الفلسطينية الجديدة؛ ما أسهم فى ضعف مصداقيتها الدولية والثقة العامة فيها داخليا[٣٦].

ولم يكن "عرفات" أو قوى الأمن المنشأة منذ ١٩٩٤؛ قادرًا أو راغبًا فى القيام بعمل عنيف لكبح جماح المتطرفين العاكفين على ترهيب وقتل وجرح الإسرائيليين، وتم توجيه انتقادات بعدم وجود "تناغم استراتيجى" بين سياسات وأعمال منظمة التحرير الفلسطينية فى إشارة إلى غموض القيادة "حول حل الدولتين وإنهاء العنف المسلح، بعد فترة طويلة كان من المفترض فيها أن هذا الموضوع قد تم حسمه" وعدم قدرتها "على فهم حدود العنف"[٣٧]. وقد أسهم فشل "عرفات" فى السيطرة على العنف فى تعاظم الشكوك الإسرائيلية فى مدى إخلاص شريكهم فى السلام فى ظل أوسلو، واستخدم مناهضو عملية السلام عمليات الإرهاب من أجل إثارة الشعب ضد عمليات إعادة تمركز القوات والتنازلات للفلسطينيين.

في نوفمبر ١٩٩٥؛ اغتال متعصب ديني يهودى رئيس الوزراء "إسحاق رابين" عقابا له على تسليمه اليهود لأعدائهم، ولمنعه من الاستمرار فى المفاوضات مع السلطة الفلسطينية[٣٨]. هذا الاغتيال كان بمثابة الصدمة للأمة وتراجع القادة عن التفاؤل والثقة بالنفس ليعودوا مرة أخرى لمطالبة العالم بالبناء على الدروس السلبية للمحرقة فى خطاباتهم العامة، وعكس، بل ولعب، زعيم المعارضة "بنيامين نتنياهو" على المخاوف العامة عندما أشار إلى حدود إسرائيل عام ١٩٤٩ باعتبارها حدود (أشويتز)، فيما ذكَر "شيمون بيريز" فى خطابه فى اليوم السنوى لتذكر محرقة الشعب بأن إنشاء دولة إسرائيل كان "انتصارًا للشعب اليهودى على ألمانيا النازية"[٣٩].

وعلى النطاق الأوسع؛ فإن اغتيال رابين كان يرمز إلى انهيار آمال السلام التى تم تقويضها وعلى أساس يومى بالخبرات السلبية المرتبطة بعملية أوسلو[٤٠]، وبالنظر إلى الوراء، بدت نهايات التسعينيات وكأنها بمثابة قنبلة موقوتة تنتظر الانفجار، فقد كان موعد الانتقال من الترتيبات الانتقالية للمفاوضات إلى مسائل الوضع النهائى؛ يقترب فى حين كانت هناك خطوات لم تنفذ أو نفذت جزئيًا فضلاً عن الكثير من عدم الثقة المتراكم بين المفاوضين، كما أن سرعة التغيير فى رئاسة الوزارة الإسرائيلية: "رابين" (١٩٩٥)، "بيريز" (١٩٩٥/١٩٩٦)، "نتنياهو" (١٩٩٦/١٩٩٩)، "إيهود باراك" (١٩٩٩/٢٠٠١)، أدى لحدوث تأخير، وتغيير مسارات، وبقاء وعود دون تنفيذ لإعادة انتشار القوات وتسليم الأراضي، ما ضاعف من إحباط وشكوك الفلسطينيين فى النوايا الإسرائيلية. وفى أكتوبر ١٩٩٦ استثمرت إدارة "كلينتون" كثيرًا من الجهود والطاقة والموارد فى دعوة الفلسطينيين والإسرائيليين إلى محادثات على أعلى مستوى فى مزرعة واى ريفر بولاية ميريلاند بهدف الحصول منهم على تأكيد الالتزام، وإن كان بتغييرات طفيفة، بتنفيذ التزاماتهم المتأخرة بموجب اتفاق أوسلو[٤١].

كامب ديفيد مرة ثانية.. الانتفاضة:

أدى ترنح عمليتى السلام فى مدريد وأوسلو إلى بعض محاولات اللحظة الأخيرة لإحياء جهود توفيق احتياجات ومصالح كل من الإسرائيليين والفلسطينيين، وقد نجح "باراك" فى انتخابات يونيو ١٩٩٩ على وعد بسحب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان وتحقيق وصية "رابين" المتصلة باستكمال عملية السلام مع سوريا بجانب التفاوض حول الموضوعات الخاصة بالوضع الدائم مع الفلسطينيين، وبعد فشله مع سوريا، أقنع "باراك" الرئيس الأمريكى بأن الموقف خطير ويتطلب عقد قمة إسرائيلية- فلسطينية على أعلى مستوى للحسم، وأنها تستحق المخاطرة بالفشل، وعلى غرار سابقتها عام ١٩٧٨، كانت اجتماعات كامب ديفيد، فى يوليو ٢٠٠٠، مليئة بالتوتر الدرامى واستمرت لخمسة عشر يومًا، ولكنها لم تستنسخ النجاح التاريخى الذى حققه "السادات" و"بيجن" و"كارتر"، بل على العكس، عاد كل من "عرفات" و"باراك" خاوى الوفاض وساد مزاج من الإحباط وظهرت روايات متضاربة تحاول شرح أسباب الفشل فى كامب ديفيد ومن هو الطرف الذى يقع عليه اللوم لذلك، ووفقًا لإحدى الروايات قدم "باراك" لـ "عرفات" عرضًا كريمًا غير مسبوق لإنهاء الصراع، إلا أن الأخير رفضه دون أن يقدم مقترحات مضادة من جانبه ما أوضح أنه ليس طرفًا جادا من أجل السلام، وذهبت رواية أخرى إلى أن "باراك"، مدعومًا بالقوة الأمريكية، حاول دون نجاح أن يملى على "عرفات" صفقة غير جذابة ولا يمكن التفاوض حولها(٤٢).

وعلى الرغم من انهيار قمة يوليو ٢٠٠٠؛ فإن "عرفات" و"باراك" سمحا لمفاوضيهما المعنيين باستمرار المحادثات لرأب الصدع، وفى أواخر ديسمبر وقبل تركه للسلطة، قام "كلينتون" بمحاولة- فى اللحظة الأخيرة- لحمل الطرفين على

إبرام اتفاقية وذلك بتحديد مجموعة من "المقاييس" تستند إلى فهمه الشخصى لنقاط الخلاف بين الطرفين وكيفية إيجاد أرضية مشتركة بينهما[٤٣]، وعادت أطقم المفاوضات للعمل عدة أسابيع فيما بعد فى منتجع طابا المصرى لمناقشة مقترحات كلينتون الأخيرة.

وبكل المعايير؛ تم تضييق الفجوات فى طابا، ولكن دونما اتفاقية واضحة وجاهزة للتوقيع سواء بالأحرف الأولى أو للتوقيع النهائى، فحول موضوعين أساسيين- اللاجئون الفلسطينيون وحقهم فى العودة، والسيادة على القدس- لم يكن من الممكن التوصل إلى اتفاق فى ظل جو من الإحباط وعدم الثقة الذى ساد[٤٤]، فموضوع اللاجئين الشائك (بما فى ذلك ما يخص مطالب اليهود اللاجئين من الأراضى العربية)[٤٥] لمس مباشرة وتر الهوية والبقاء لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين[٤٦]، وقد فاجأت حساسية الرأى العام الإسرائيلى والفلسطينى حول موضوع القدس- كمعقل أماكنهم المقدس وعاصمة لدولتهم- المفاوضين فى كامب ديفيد، وكرست نفسها كواحدة من أصعب القضايا المستعصية على الحل على الرغم من المقترحات الخلاقة المتعددة للمشاركة فى تقسيم المدينة المقدسة[٤٧].

عقب الإحباطات العالية فى كامب ديفيد وطابا؛ تقوقع قادة الطرفين فى محاولة كل منهما تبرير نشاطه الأخير، مثيران الشكوك حول حسن نوايا المشارك الآخر فى عملية السلام، وبالانتقال من عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠١ تلاشت جميع الآمال فى إحياء عملية السلام وتم تجاوزها باندلاع العنف الفلسطينى أو الانتفاضة الثانية، ففى سبتمبر ٢٠٠٠ قام زعيم المعارضة الليكودى "أرييل شارون" بزيارة استفزازية إلى جبل الهيكل لإثبات حقوق اليهود فى الصلاة هناك، وكما سبق أن رأينا فى حوادث ١٩٢٨-١٩٢٩ يعتبر هذا الموقع مكانًا مقدسًا بالنسبة للمسلمين

باسم الحرم الشريف، وهو المكان الذى يقف عليه المسجد ذو القبة الذهبية (العمرى) وبجانبه المسجد الأقصى (الأقل تصويرًا لكن الأكثر قداسة)، وقد قام المحتجون الفلسطينيون الغاضبون فى اليوم التالى بالبدء فى قذف الحجارة؛ وهو ما تمت مقابلته بالتصويب عليهم وإلقاء القنابل المسيلة للدموع عليهم وتفريقهم بالقوة من قبل الشرطة الإسرائيلية التى قتلت أربعة وجرحت ١٦٠ من المتظاهرين، ووفقًا لبعض التقديرات فإن الناشطين الفلسطينيين كانوا مستعدين لهذه الهبة ولم تكن زيارة شارون سوى القشة أو اللهب وليست السبب وراء اندلاع الانتفاضة.

تميزت الانتفاضة الثانية بالشغب الواسع الانتشار ودموية أعمال الهجوم بالمقارنة مع الانتفاضة الأولى التى استندت أساسا إلى القذف بالحجارة، وكوكتيل المولوتوف، والرصاصات المطاطية. وفى عام ٢٠٠٠ وما بعدها استخدمت القوات والشرطة الإسرائيلية الذخيرة الحية حتى ضد مظاهرات التضامن السلمية التى نظمها مواطنوها العرب- الفلسطينيون، وكما كانت الحال فى نهاية العشرينيات فإن مخاوف المسلمين من تعدى اليهود على أماكنهم المقدسة أضافت إلى حدة المواجهات وذلك خلال ما صار يعرف باسم انتفاضة الأقصى(٤٨).

أصيبت مساعى التفاوض والتقارب بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية بالضعف مع تزايد عدد القتلى والجرحى ضحايا العنف اليومى من ضرب وإطلاق رصاص وقذف بالقنابل وقمع عسكرى قاسٍ، وبحلول سبتمبر ٢٠٠٤ بلغ عدد القتلى من الفلسطينيين ثلاثة آلاف فى مقابل ألف إسرائيلى، كما أن الآلاف الآخرين جرحوا، وأطلق الفلسطينيون فى الميدان سيلاً مستمرًا من الانتحاريين (الاستشهاديين) خاصة من صغار السن المستعدين لتفجير أنفسهم ضد المدنيين

الإسرائيليين فى حافلات النقل وفى أماكن التسوق، بينما لجأت إسرائيل لهدم المنازل والسيطرة على الطرق من خلال الحواجز الأمنية ونقاط التفتيش، وتوظيف قوتها العسكرية بمعداتها المتفوقة فى عملياتها ضد الإرهابيين، ما أهان بشدة وأعاق الحياة اليومية للفلسطينيين البريئين(٤٩).

ومن بين رد فعل إسرائيلى ضد عنف الفلسطينيين والتى أثارت جدالاً كبيرًا؛ الاغتيالات المنتقاة لتصيد الناشطين والإرهابيين؛ وبناء الجدار الأمنى (فى أماكن كثيرة أسوار وفى غيرها جدران أسمنتية عالية) للفصل بين السكان الفلسطينيين والإسرائيليين، وقد دافعت إسرائيل عن السياج/ الجدار باعتباره شكلاً شرعيًا للحماية الذاتية ضد الانتحاريين، مشيرة إلى الانخفاض الملحوظ فى عدد الاختراقات الإرهابية فى الأماكن التى يتواجد فيها السياج، واحتج الفلسطينيون على المتاعب الجمة والإعاقات التى سببها الجدار الذى قسم القرى والمدن والطرق، وقد ساعدت الجماعات الحقوقية فى تقديم شكاوى قانونية بشأن أماكن كثيرة تعدى فيها الجدار، وفقًا لهم، على أراض يملكها فلسطينيون أو أنه امتد فيما وراء الأراضى الإسرائيلية وفقًا لخطوط الهدنة عام ١٩٤٩ (الخط الأخضر)، ورأى بعض المعلقين أن طريق الجدار الأمنى يعتبر تمهيدًا لحدود الأمر الواقع بين إسرائيل وفلسطين العربية وكتمهيد لفك ارتباط واقعى مع الأراضى المحتلة، واعتقد الكثيرون أنه فى ظل مناخ العداء السائد، فإن مثل هذا الفصل للسكان سيتم تنفيذه بشكل أحادى بما يتناسب مع مصالح واحتياجات إسرائيل.

وجزئيًا بسبب الدرجة العالية من "العسكرة"، أثبتت انتفاضة الأقصى أنها تمرد مكلف وغير منتج سياسيًا(٥٠)، فتصاعد العنف الفلسطينى ضد إسرائيل ساعد فى وصول رئيس وزراء متشدد للسلطة، فـ "أرييل شارون" السياسى العسكرى -

المعروف بمآثره فى "قيبية" عام ١٩٥٣، وعبر السويس فى أكتوبر ١٩٧٣، وفى لبنان عام ١٩٨٢- قام بالرد بتدمير جزء كبير من الجهاز الأمنى للسلطة الفلسطينية والمكاتب الإدارية والبنية التحتية الاقتصادية وبمحاصرة وإهانة الرئيس "عرفات" فى البقايا المدمرة لمقره الشخصى فى رام الله، وأسفرت قنابل الانتحاريين الفلسطينيين ضد المدنيين الإسرائيليين عن خسارة الدعم الدولى لكفاح الفلسطينيين من أجل الدولة خاصة بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وبعد محاولته الأولية لإبعاد نفسه عن مساعى سلفه "كلينتون" وانخراطه الشخصى فى السعى لتحقيق اختراق فلسطينى- إسرائيلى، وجد الرئيس "جورج بوش" أنه من المستحيل أن يبقى بعيدا عن المأزق الفلسطينى- الإسرائيلى. وعاد الدبلوماسيون الأمريكان ومسئولو وكالة المخابرات المركزية إلى الشرق الأوسط لينخرطوا فى مساع للتوصل إلى وقف إطلاق النار خلال الانتفاضة، على أمل تمهيد الطريق فيما بعد لمفاوضات سياسية جديدة[٥١]، وعلى صعيد البيانات الأمريكية ولغة الخطاب السياسى يلاحظ أنها صارت أكثر قطعية فى مساندتها لحل الدولتين، لكنها كانت مقتصرة عن مساعدة "ياسر عرفات" والسلطة الفلسطينية؛ حيث شك الأمريكان فى ميلهم تجاه الإرهاب وتورطهم فى تعاملات سرية مع إيران وسوريا وغيرهما من أعداء الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين.

وعلى المستوى الدولى؛ فإن أمريكا وافقت على قرار الأمم المتحدة (١٣٩٧) فى ٢٠٠٢/٣/١٢[٥٢] الداعم لحل الدولتين، كما تعاونت مع روسيا والاتحاد الأوروبى والأمم المتحدة فى إنشاء (الرباعية) التى تحت رعايتها تم وضع خريطة طريق للأداء لتحقيق حل الدولتين الدائم للصراع العربى- الإسرائيلى، صدرت فى أبريل ٢٠٠٣[٥٣]، وعلى الرغم من أن جميع المدد الزمنية المتضمنة فيها قد تم

تخطيها؛ فإن خطة الطريق تبقى كواحدة من ثلاثة أسس ممكنة يمكن على أساسها استئناف البحث عن السلام عندما يمكن جمع الأطراف المتنازعة معًا.

والأساس الممكن الثانى لتحقيق اختراق فى المرحلة الأخيرة من المأزق للفلسطينى- الإسرائيلى، يأتى من اللاعبين الإقليميين فى الصراع؛ حيث لقيت مبادرة قدمتها المملكة العربية السعودية بتأييد الجامعة العربية خلال اجتماعاتها فى بيروت أواخر مارس ٢٠٠٢، فقد ذهبت هذه المبادرة إلى مدى أكثر من الخطط العربية السابقة من حيث عرض الاعتراف الدبلوماسى الكامل بإسرائيل مقابل الانسحاب الكامل من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧، وكان من المفترض أن يضفى عليها جاذبية أكثر مما أظهرته من مرونة عربية واضحة لعدم إصرارها على "حق العودة" الكامل للاجئين الفلسطينيين[٥٤]، إلا أنه جزئيًا بسبب تكثيف الانتفاضة خلال ٢٠٠٢ كان رد فعل إسرائيل على مبادرة الجامعة العربية باردًا وظلت المبادرة حبيسة الأدراج لعدة سنوات انتظارًا لمشجعين جدد (مثل باراك أوباما) وفرص جديدة، لتتم إعادة النظر فيها كأساس لكسر الجمود الإسرائيلى- الفلسطينى.

ومع قرب نهاية عام ٢٠٠٣؛ تم طرح برنامج عمل ثالث من قبل مجموعة من الفلسطينيين والمفاوضين السابقين الإسرائيليين بصفتهم الشخصية دونما تفويض أو سلطة حكومية، وقد كان "اتفاق جنيف" فى أكتوبر ٢٠٠٣ وثيقة مهمة توفق، من خلال نصوص تفصيلية، بين الاتفاقات الجزئية المتعددة التى تم التوصل إليها خلال المفاوضات الرسمية التى انتهت فى طابا فى يناير ٢٠٠١، وكجهد نابع من القاعدة سعت المبادرة للحصول على التأييد بين الفلسطينيين والإسرائيليين متخطية القيادات المعترف بها فى كلا المعسكرين اللذين كانا ممانعين من اتخاذ أى مخاطرة من أجل السلام[٥٥]؛ وفى وقت مثول هذا الكتاب للطبع (٢٠٠٩) كانت مبادرة جنيف

جاهزة كسلة ثالثة من المقترحات تنتظر المجموعة القادمة من القادة الفلسطينيين والإسرائيليين الذين يشعرون بأن الوقت صار مناسبًا من أجل إعادة الانخراط في عملية دبلوماسية (انظر: الجزء ١٢).

وربما كان من بين أهم الأحداث ذات المغزى التي وقعت منذ ٢٠٠٣: الانفصال الإسرائيلي الأحادي الجانب عن غزة عام ٢٠٠٥، وصعود حركة حماس لسدة السلطة في انتخابات ٢٠٠٦ الفلسطينية، فالأول: مهم باعتباره سابقة ممكنة للتحركات الإسرائيلية المستقبلية للخروج من الضفة الغربية، والثاني: وجه ضربة قاسية للمدرسة السياسية والقيادة القديمة لفتح ومنظمة التحرير الفلسطينية، فنجاح هذا الحزب الإسلامي، المؤيد بقوة للكفاح المسلح وعدم الاعتراف بالدولة اليهودية، وضع تساؤلات جديدة سواء فيما يتعلق بعملية التفاوض أو مستقبل فلسطين كنواة لدولة تحت قيادة قومية موحدة، والتحديات التي يطرحها هذان الحدثان ستكون موضوع تحليل المؤرخين الذين ينظرون إلى الوراء على العقد الحالي.

إن العديد من الأسئلة التي تبحث عن إجابة ما زالت قائمة، وفي أعماقها نجد النزاع الأساسي بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والكثير من المقولات الجوهرية المثيرة للجدال ما زالت بدورها في حاجة إلى إجابات، وإذا كان من الصحيح أن الأطراف قد قطعوا طريقًا طويلاً من حالة المقاطعة المتبادلة قبل أوسلو إلى الاعتراف المتبادل، وإن كان غير كامل أو متردد من قبل الطرف الفلسطيني، فإن القضايا الرئيسية التي تباعد بينهم والافتقار إلى الثقة المتبادلة في نوايا كل طرف ما زالت حتى الوقت الحالي هائلة أمام التفاهم المتبادل والتفاوض على السلام.

الهــوامــش

(١) من أجل استعراض أولى ومباشر من دبلوماسى إسرائيلى كان موفدا إلـــى القـــاهرة خـــلال السنوات الأولى الصعبة- انظر إفـــرابيم دويـــك، *Israeli Egyptian Relations*، ١٩٨٠-٢٠٠٠ بتقديم إسحاق شامير، لندن: فرانك كاس، ٢٠٠١.

(٢) حول مبادرة ريجان انظر رونالد يونج، *Missed Opportunities for Peace*: سياسة الولايـــات المتحدة فى الشرق الأوسط، ١٩٨١-١٩٨٦ فيلادلفيـــا، *PA: American Friends Service Committee*، سنة ١٩٨٧ الفـــصلان ٦-٧. لـــورا زيتـــرين أيزنبـــرج ونيـــل كـــابلان، *Negotiating Arab-Israeli Peace*: الأنماط، المشكلات، الاحتمالات، دار نـــشر جامعـــة إنديانا، ١٩٩٨، ص: ٤٨-٥١. نص خطة ريجن (١ ســـبتمبر ١٩٨٢) ونقـــاط الحـــديث لمناحم بيجن (٨ سبتمبر) أعيد إنتاجها فى المرجع السابق، ص: ١٨٤-٩١. والخطة جرى إعادة إنتاجها فى كتاب *The Israel Arab Reader*: التاريخ الموثق لصراع الشرق الوسط، الطبعة السابعة المنقحة، تحرير والتر لاكير وبارى روبين ، نيويـــورك: بنجـــوين ، ســـنة ٢٠٠٨- ص: ٢٥٧-٦٣.

(٣) خطة سلام بريجينيف، ١٥ سبتمبر ١٩٨٢، جرى أخذ مقتطفات منها فى كتـــاب *The Israeli Palestinian Conflict*: سجل وثائقى ١٩٦٧-١٩٩٠، تحرير يهودا لوكـــاش، دار نـــشر جامعة كمبريدج، ١٩٩٢، ص:٢٠-٢١. ومن أجل متابعة دقيقة للخطط جرى إعلانها فى يوليو ١٩٨٤ (المرجع السابق، ص: ٢١-٤).

(٤) الإعلان النهائى للقمة العربية الثانية عشرة فى فـــاس بـــالمغرب يـــوم ٩ ســـبتمبر ١٩٨٢، مقتطفات فى لا كير وروبين مرجع سابق ص: ٢٦٣-٥.

(٥) يزيد صايغ، *Armed Struggle and The Search for State*: الحركـــة الوطنيـــة الفلـــسطينية، ١٩٤٩-١٩٩٣ دار نشر جامعة أوكسفورد/ واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص:٥٨٥-٦٠. رشيد خالدى، *The Iron Cage*: قصة النضال الفلسطينى من أجل الدولـــة، بوسطن *MA: Beacon* سنة ٢٠٠٦، ص:١٤٦.

(٦) شيريل أ. روبنبرج ، *The Bush Administration and the Palestinians*: إعادة تقويم، وذلك فى كتاب *US Policy From Wilson to Clinton*، تحرير مايكـــل ســـليمان، *Normal, IL: AAUG Press* ١٩٩٥ ص: ١٩٥-٢٢١. صمويل ســـيجيف، *The Arab Israeli Conflict Under President Bush* ، وذلك فى كتاب *From Cold War To New World Order* سياسة بوش الخارجية، تحرير مينا بوز وروزانـــا بيروتـــى، *West Port CT: Greenwood and Hofstra University*، ســـنة ٢٠٠٢ ص: ١١٣-٣٦. كـــاثيلين كريستيـــسون، *The Arab Israeli Policy Of George Shultz*، مجلة الدراسات الفلسطينية رقم ١٨: ٢ (شتاء ١٩٨٩ ص: ٢٩-٤٧).

(٧) من أجل تفاصيل دور جورج بوش فى وثيقة بيريز- حسين (فيما بعد) وخططه انظر خطـــة شولتز ٦ مارس ١٩٨٨ والتى أعيد إنتاجها فى لاكير وروبين، مرجع سابق ص:٣٢١-٢. أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق الطبعة الثانية- الفصل ٣.

(٨) انظر: الحوار التجديدى من جانب هيربرت كيلمان فى جامعة هارفارد: *Herbert C. Kelman (creating The Conditions for Israeli Palestinian Negotiations*، مجلـــة تـــسوية الصراعات ٢٦: ١ (مارس ١٩٨٢ ، ص: ٣٩-٧٥). هربرت كيلمان، *Overcoming The Barriers To Negotiations Of The Israeli Palestinian Conflict*، مجلـــة الدراســـات الفلسطينية ١٦: ١ (خريف ١٩٨٦) ص: ١٣-٢٨. حسين أغا وشاهى فيلـــدمان وأحمـــد خالدى وزينيف شيف، *Track-II Diplomacy*: دروس من الشرق الأوســـط، كامبريـــدج، *MA: MIT Press* ســـنة ٢٠٠٣ ص: ٢٥-٧. مقابلـــة كيلمـــان علـــى موقـــع *Beyond Intractability: A Free Knowledge Base for Constructive Approaches to Destructive*

Conflict ، جـــرى الــدخول عليهـــا فـــى ١ ســـبتمبر ٢٠٠٨ علـــى:
. http://www.beyondintractability.org/audio/10637/

(٩) انظر: مرجع سابق يورى أفنيري، *My Friend The Enemy* ، *Westport CT: Lawrence Hill* ١٩٨٦. محمد ربيع، *US-PLO Dialogue*: الدبلوماسية السرية وتـسوية الـصراع ، دار نشر جامعة فلوريدا، ١٩٩٥ الأجزاء ٣، ٨، ١٢. بـسام أبـو شـريف، *Prospects of a Palestinian Israeli Settlement* ، الجزائر ٧ يونيو١٩٨٨ وأعيد إنتاجه (١٨ يونيو) فـى كتاب لوكاش، *Israeli Palestinian Conflict* ، ص: ٣٩٧-٩. وثيقة أبو شـريف أعيـد إنتاجها أيضا مع (رد فعل أمريكيين يهود كبار على وثيقة أبو شريف) ٣٠ يونيـو١٩٨٨، وذلك فى *GPS* ١٨: ١ (خريف ١٩٨٨) ص:٢٧٢-٥، و٣٠٢-٣. بـسام أبـو شـريف وعوزى مهنيمى، *Beast of Enemies*: مذكرات بسام أبو شـريف وعـوزى مهنيمـى، بوسطن، *MA: Little, Brown* ، ١٩٩٥، ص:٢٥٧-٦٢. محمود عبـاس (أبـو مـازن)، *Through Secret Channels*: الطريق إلى أوسلو: القائد الأعلى لمنظمة التحرير أبو مازن يميط اللثام عن قصة المفاوضات مع إسرائيل، *Concord, MA: Paul (Reading: Garnet)*، ١٩٩٥، ص:٤-٨ ص:١٣-٨. محمد حسنين هيكل، *Secret Channels*، مرجع سـابق، ص: ٣٤٣-٥١. يوسى بيلين، *Touching Peace*: من اتفاق أوسلو إلى المعاهدة النهائيـة، الترجمة من العبرية قام بها فيليب سيمبـسون، لنـدن:*Weidenfeld and Nicolso* ، ١٩٩٩ ص: ٧-٤٦. أغا وآل، مرجع سابق ص:٢٠-٧. وليد سالم وإيـدى كوفمـان، مرجـع سابق، تحرير إيدى كوفمان ووليد سالم وجوليت فيرهوفن، تقديم ن. شازان وح. سنيورة، بولدر ، *CO: Lynne Rienner* ، سنة ٢٠٠٦ ص: ٢٦-٣١.

(١٠) خطة العمل الأردنية- الفلسطينية (١١ فبراير ١٩٨٥) والتى أكدتها اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير فى ١٩ فبراير ١٩٨٥، هذا التصريح موجود فى لوكاش، مرجـع سـابق، ص: ٣٦٨-٩. عدنان أبو عودة، مرجع سابق ص:٢٢١-٢. *Ilan Pappé*، مرجع سابق موجود فى الكتاب الذى حرره جوزيف نيفوو إيلان بابيه، لندن، فرانك كاس، ١٩٩٤، ص: ٧٨-

٨٥. أفى شلايم، *Lion of Jordan*: حياة الملك حسين فى الحرب والسلام، لندن: دار نشر بنجوين سنة ٢٠٠٧ الفصل ٢٠. خالدى، *The Iron Cage* ، مرجع سابق ص: ١٤٨.

(١١) انظر أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق ص: ٦٠-٧٤، ١٩٥. شلايم، أسد الأردن مرجع سابق، فصل ٢١.

(١٢) ألان دوتي، الدولة اليهودية: بعد مرور قرن، دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٨، ص:٢٢٠-١.

(١٣) حول خلفية حركة حماس وبروزها فى المجتمع والسياسة الفلسطينية انظر زياد أبو عمرو، *Hamas*: خلفية تاريخية وسياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية ٢٢: ٤ (صيف ١٩٩٣) ، ص: ٥-١٩. شاؤول ميشال وأفرام سيلا، مرجع سابق. خالد حروب، *Hamas*: الفكر السياسى والممارسة، واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية عام ٢٠٠٠. جروين جانينج، *Hamas in Politics*: الديمقراطية والدين والعنف، نيويورك دار نشر جامعة كولومبيا عام ٢٠٠٨. ومن أجل نص ميثاقها انظر ميشال وسيلا، مرجع سابق ص:١٧٥-٩٩ (مقتطفات وردت فى لاكيرو روبين، مرجع سابق ص:٣٤١-٨) أو *The Yal University Avalon Documentation Project Website* :http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/hamas.htm

(١٤) مارك تسلر، *Intifada*، ١٩٨٧-١٩٩٣، موسوعة الفلسطينيين المنقحة والتى حررها فيليب مطر، نيويورك: *Facts on File* ، سنة ٢٠٠٥ ص: ٢٢٦.

(١٥) عن الانتفاضة انظر أيضًا زيئيف شيف وإيهود يارى، *Intifada* : الانتفاضة الفلسطينية- جبهة إسرائيل الثالثة، نيويورك: سيمون وشوستر، ١٩٩٠. *Intifada*: الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلى، تحرير زكارى لوكمان وجوئيل بينين، بوسطن ، *MA South End Press* ، ١٩٨٩. كينيث ستين، *The Intifada and The 1936-39 Uprising*: مقارنة، مجلة الدراسات الفلسطينية ١٩: ٤ (صيف ١٩٩٠ ص:٦٤-٨٥).

(١٦) الإعلان الفلسطينى للاستقلال، الجزائر، ١٥ نوفمبر ١٩٨٨، ورد النص فى كتاب لاكيرو روبين، مرجع سابق ص: ٣٥٤-٨. *The Palestinian Israeli Peace Agreement*: تسجيل وثائقى منقح، الطبعة الثانية، واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية سنة ١٩٩٤ (المشار إليه فيما بعد باسم *pipe*) ص:٢٦٨-٧٢. لوكاش، مرجع سابق، ص: ٤١١-٥. المجلس الوطنى الفلسطينى، الإعلان السياسى، الجزائر ١٥ نوفمبر ١٩٨٨، وذلك فى لاكيرو روبين، مرجع سابق، ص: ٣٤٩-٥٣. *Pipa*، ص: ٢٧٣ -٨٢. لوكاش، مرجع سابق ص: ٤١٥-٢٠.

(١٧) خطاب عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى جنيف يوم ١٣ ديسمبر ١٩٨٨ والنص فى *Pipa* ص:٢٨٣-٩٧. لوكاش، مرجع سابق ص:٤٢٠-٣٤. عرفات، مؤتمر صحفى وتصريحات جنيف ١٤ ديسمبر ١٩٨٨، والنص فى *Pipa* ص: ٢٩٨-٩. رونالد ريجان تصريح، بالسماح بالحوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير، واشنطن ١٤ ديسمبر ١٩٨٨ والنص فى *Pipa*، ص:٣٠٠. وانظر أيضًا:

http://www.mideastweb.org/arafat1988.htm

و

http://www.mfa.gov.il/MFA/Foreigh%20relations/Israels%20foreign%20relations%20since%201947/1984-1988/419%20statment%20by%20yasser%20arafat-%2014%20december%201988 . ومن أجل خلفية حول هذه الفترة انظر محمد ربيع مرجع سابق عن الدبلوماسية السرية وتسوية الصراع، تقديم هارولد سوندرز، *Gainesville*: دار نشر جامعة فلوريدا، ١٩٩٥ خاصة الفصل ٩. جيدون رمبا، مقابلة مع ستانلى شينباوم، جرى مناقشتها فى (*Self Appointed Arrogant American Jewish Interlopers Offer Illusions of Peace*) ١٧ أغسطس ٢٠٠٧، والمتاح على موقع:

www.ameinu.net/prespectives/current_issues.php?articleid=252 تم الدخول عليها فى ٢٩ أغسطس ٢٠٠٧.

(١٨) انظر بنيامين نتنياهو، مرجع سابق، طبعة منقحة، نيويورك: *Warner Books* سنة ٢٠٠٠، ص: ٢٢٨-٤٢.

(١٩) وليد خالدى، (*The United States and the Palestinian People*) جامعة جــورج تــاون، مارس ١٩٨٩، أعيد إنتاجه فى وليد خالدى *Palestine Reborn*، لنــدن/ نيويــورك *I.B. Tauris*، ١٩٩٢ ص: ١٥٧-٨ ومن أجل تقييمات مماثلة، انظر محمد مصلح (*Towards coexistence*: تحليل قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى)، مجلة الدراسات الفلسطينية ١٩: ٤ صيف ١٩٩٠، ص: ٣-٢٩. أعيد طباعتــه باســم *From War to Peace*: العلاقــات العربية- الإسرائيلية ١٩٧٣-١٩٩٣، تحرير بارى روبين وجوزيــف جينــات وموشــيه ماعوز، نيويورك دار نشر جامعة نيويــورك، ١٩٩٥، ص:٢٦٥-٩١. رشــيد خالــدى، مرجع سابق (*Iron Cage*) ص: ١٨٩-٩٥.

(٢٠) ألان دوتي، *Israel/Palestine*، الطبعــة الثانيــة، *Malden, MA/Cambridge*، بريطانيــا: *Polity Press* عام ٢٠٠٨ ص:١٣٤/٦.

(٢١) الكلمة الإنجليزية جرى استعارتها إلى العبرية وتم نطقها عبر *FEHR*. وحــول المفهــوم انظر الفصل السادس والمصادر المقتبس منها فى الهامش رقم ٤٨. وانظر أيــضا بينــى موريس (*A New Exodus for the Middle East?*) الجارديان ٢ أكتوبر ٢٠٠٢.

(٢٢) دوتي، مرجع سابق ص:٢٣٢-٤٨. برنارد وزارشتين، مرجع سابق، الطبعة الثالثة *New Heaven, CT* / لندن: دار نشر جامعة يــال/ لنــدن *Profile Books*، عــام ٢٠٠٨ ص: ١٣٠-٤٠.

(٢٣) خطــاب الملــك حــسين فــى ٣١ يوليــو١٩٨٨ متــاح علــى موقــع: www.kinghussein.gov.go/88_july31.html . أعيد إنتاجه فى هارولد سوندرز، *The Other Walls*: عملية السلام العربى- الإسرائيلى من وجهة نظر عالمية، طبعة منقحة دار نــشر جامعة برينستون، ١٩٩١، ص: ١٩٧-٢٠٣ وكذلك فى ويليــام كوانــت (تحريــر) *The Middle East*: عشر سنوات بعد كامــب ديفيــد، واشــنطن معهــد بروكنجــز، ١٩٨٨

ص:٤٩٤-٨. مقتطف من لاكيرو روبين ، مرجع سابق، ص: ٣٣٨-٤١. ***Asher Susser*** ***(Jordan, the PLO and the Palestine Question*** وذلك فى الكتاب الذى حرره جوزيف نيف ووايلان بابيه باسم ***Jordan in the Middle East***: إنشاء دولة فى البؤرة، لندن فرانك كاس ١٩٩٤ ص:٢١٨-٢١. أبو عودة، مرجع سابق، ص: ٢٢٤-٩. مروان معشر، مرجع سابق، ص: ٢٣.

(٢٤) حول مؤتمر مدريد انظر: أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق، ص:٧٥-٨٩ وص:١٩٦-٢٠٤.

(٢٥) حول بعض المبادلات فى الوثائق بين الوفود الإسرائيلية والفلسطينية والمذكرات المقدمة للأمريكان أثناء هذه المباحثات (يناير ١٩٩٢- أغسطس ١٩٩٣) انظر (***The Palestinian Israeli Peace Agreement***: سجل وثائقي) الطبعة الثانية المنقحة، واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٤ ص:٩٣-١٠٩. ومن أجل عرض مباشر من أعضاء الوفد الأردنى، انظر عبد السلام المجالى، وجواد العنانى ومنذر حدادين، ***Peacemaking***: القصة الداخلية للاتفاقية الأردنية- الإسرائيلية عام ١٩٩٤ تقديم سمو الأمير الحسن بن طلال والمقدمة بقلم ديفيد بورين، دار نشر جامعة أوكلاهوما، ٢٠٠٦، ص:٢٣-٢٣٢.

(٢٦) حول مفاوضات أوسلو و***DOP*** انظر أيزنبرج وكابلان مرجع سابق ص: ١٠٣-٢٦ ، ٢١٠-١٦. ومن أجل عرض بعض المشاركين انظر شيمون بيريز، ***Battling for Peace***: تذكرة، نيويورك راندم هاوس سنة ١٩٩٥. محمود عباس (أبو مازن) مرجع سابق. يوسيبيلين مرجع سابق ترجمة فيليب سيمبسون. جان كوربين، ***Gaza First***: قناة النرويج السرية من أجل السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير، لندن: ***Bloomsbury***، ١٩٩٤. أورى سافير، ***The Process***: ألف ومئة يوم غيرت الشرق الأوسط. نيويورك راندم هاوس ١٩٨٨. دينيس روس، ***The Missing Peace***: القصة الداخلية للقتال من أجل سلام الشرق الأوسط، نيويورك: ***Farrar, Straus, and Girox***، ٢٠٠٤. أحمد قريع (أبو علاء)، من أوسلو إلى القدس: القصة الفلسطينية للمفاوضات السرية، لندن : ***I.B. Tauris***، ٢٠٠٦.

(٢٧) عن مفاوضات أوسلو والـ*DOP* انظر: أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق، ص: ١٠٣-٢٦، ٢١٠-١٦.

(٢٨) عن المفاوضات السورية – الإسرائيلية انظر جيريمي بريسمان (***Mediation, Domestic Politics and the Israeli-Syrian Negotiations***) ١٩٩١-٢٠٠٠، الدراسات الأمنية ١٦: ٣ (يوليو- سبتمبر ٢٠٠٧)، ص: ٣٥٠-٨١. أيزنبرج وكابلان الطبعة الثانية الفصل ٦.

(٢٩) حول المفاوضات والمعاهدة الأردنية- الإسرائيلية انظر أيزنبرج وكابلان، ص:٩٠-١٠٢، ٢١٧-٢٨.

(٣٠) خطاب رابين أمام الكنيست، ٢٧ يونيو١٩٩٣، وهي الفقرات نفسها في افتتاح رابين يوم ١٣ يوليو١٩٩٢، أعيد إنتاجه في لاكيرو روبين مرجع سابق ص: ٤٠٣-٤.

(٣١) أهارون كليمان، ***New Directions in Israel's Foreign Policy***، ***Israel Affairs*** ١:١ (خريف ١٩٩٤)، ص:٩٨-٩. عدد الدول التي لإسرائيل معها علاقات دبلوماسية قفز من ١١٠ عام ١٩٩٢ إلى ١٦٣ عام ١٩٩٨. موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية تم الدخول عليه يوم ٥ سبتمبر عام ٢٠٠٨ على موقع:

http://www.mfa.gov.il/MFAHEB/general+info/about+us/foreign_relation.htm .

(٣٢) أبا إيبان، (***Why Hysteria on a Mideast Parley?***) نيويورك تايمز ٣ أبريل ١٩٨٨. حول تطور فكر رابين انظر حمدا بن يهودا، ***Policy Transformation in the Middle East***: نظم ضبط التسلح والأمن القومي، تصالح. وذلك في عرض المقالات في الدراسات الإسرائيلية: كتب عن إسرائيل المجلد ٥ تحرير لورا زيترين أيزنبرج ونيل كابلان ***Albany***: دار نشر جامعة نيويورك، ٢٠٠٠، ص: ١٧٨-٨٧.

(٣٣) حول الاختلافات الاجتماعية- الاقتصادية والاعتماد المتبادل بين إسرائيل والفلسطينيين انظر وزارشتين، مرجع سابق، ص: ٥٧-٦٨. وحول تطور حل الدولتين خلال العقد المنصرم انظر مارك هيلر، ***A Palestinian State***: ما يعنيه ذلك لإسرائيل، دار نشر

جامعة هارفارد، ١٩٨٣. مارك هيلر وسارى نسيبة، *No Trumpets, No Drums*: تسوية الدولتين فى الصراع العربى- الإسرائيلى ، نيويورك *Hill and Wang* ، ١٩٩١.

(٣٤) خليل الشقاقى (*Ending the Conflict*: هل تملك الأطراف ذلك؟) وذلك فى الكتاب الذى حرره روبرت روث شتاين وموشيه ماعوز وخليل شقاقى، برايتون المملكة المتحدة/ بورتلاند، أو *Sussex Academic Press*، ٢٠٠٢، ص: ٤٠، وانظر أيضًا المرجع السابق ص: ٤١. خالدى، مرجع سابق ص: ١٩٦، وخالدى أيضًا يؤكد أن الاختيار الاستراتيجى لأماكن المستوطنات اليهودية وخرائط الطرق تسيء إلى الشكل الممكن وإمكانية نشوء أى دولة فلسطينية تبتغى أن تضم الأماكن المتجاورة للشعب الفلسطينى.

(٣٥) *Baruch Kimmerling and Joel S. Migdal, The Palestinian People*: تاريخ، دار نشر جامعة هارفارد، ٢٠٠٣، ص: ٣٧٨.

(٣٦) فى عام ١٩٩٩ فإن مجموعة من المثقفين فى الداخل نشروا ما أصبح يعرف بـ(عريضة العشرين) تتهم السلطة الفلسطينية بالفساد وإهمال حقوق الإنسان الأساسية. لقد اعتقلت السلطة الفلسطينية العديد من الموقعين وعذبت غيرهم. انظر تعليق الدكتور عادل سمارا، تم الدخول عليه يوم ١٨ يوليو٢٠٠٨ على موقع المجموعة الإشتراكية الدولية البريطانية: *http://www.isg-fi.org.uk/spip.php?article179* وموقع: *http://www.isg-fi.org.uk/spip.php?article178*، وإننى مدين بالشكر إلى أحمد حماد لهذه المعلومة. وعمومًا، انظر خالدى، مرجع سابق ، ص: ١٥١-٢.

(٣٧) خالدى، مرجع سابق ص:١٤٦ ، ١٧٨.

(٣٨) انظر: يورام بيرى (تحرير)، *The Assasination of Yitzhak Rabin*، دار نشر جامعة ستانفورم.

(٣٩) على أبو النعمة، *Israel's Auchwitz Borders Revisited* ، *Desertpeace* ، ٨ ديسمبر ٢٠٠٨، تم الدخول عليها يوم ١٤ فبراير ٢٠٠٩ على موقع: http://www.desertpeace.world-press.com/2008/12/08/israels-auschwitzborders-revisited. ملاحظات رئيس الوزراء شيمون بيريز بمناسبة افتتاح حفل ذكرى شهداء المعركة والأبطال، *Yad Vashim* ، القدس، ١٥ أبريل ١٩٩٦.

(٤٠) من أجل وجهة نظر ومعالجة نقدية لإيجابيات وسلبيات سـنوات أوسـلو- انظـر: رون بونداك (*From Oslo to Taba*: ما الخطأ الذى حدث؟) وذلك فى الكتاب الذى حرره روث شتاين ومـاعوز والـشقاقى (*The Israeli Palestinian Peace Process*) مرجـع سـابق ص:٨٨-١٠١. كيمرلينج ومجدال، *The Palestinian People*، الفصلان ١٠-١١. يورام منتال، *Peace in Tatters*: إسرائيل- فلـسطين والـشرق الوسـط، *Boulder, CO: Lynne Rienner*، سنة ٢٠٠٠ الفصل ٣. جاليا جولان، *Israel and Palestine*: خطـط الـسلام ومقترحات من أوسلو لفصل القوات، برينـستون، *NG: Markus Wiener*، سـنة ٢٠٠٧ الفصل ٢.

(٤١) من أجل ملخـص لـنص اتفاقيـة *Wye* انظـر موقـع وزارة الخارجيـة الإسـرائيلية: *http://www.mfa.gov.il/MFA/peace%20process/guide%20to%20the%20peace%20process/the%20why%20river%* . عشرون مذكرة جرى الدخول عليها يوم ٢٠ سبتمبر عام ٢٠٠٨. ومن أجل عرض مباشر أولي انظر دينيس روس مرجع سابق نيويـورك عـام ٢٠٠٤، الفصلان ١٦-١٧. ومن أجل المناقشة انظر جولان مرجع سابق، ص:٢٩-٣٣.

(٤٢) موضوعات جيرمي بريسمان الخاصة بهذه الحكايات ووضعها موضع الدراسة وذلك فـى كتابه (*Visions in Collision*: ماذا حدث فى كامب ديفيد وطابا؟) *International Security* ٢٨: ٢ (آخر ٢٠٠٣)، ص: ٥-٤٣. ويفرق رابينوفيتش بين ٤ حكايات، الأوليـان منهـا (الأصولية والتحريفية) وهذا يتوافق عمومًا مع الاثنتين المقدمتين هنا: إيتامار رابينوفيتش *Waging Peace*: إسرائيل والعرب، ١٩٤٨-٢٠٠٣، الطبعة المنقحة والمحدثة، دار نـشر جامعة برينستون، ٢٠٠٤، ص: ١٦٠-٧٦. ومن أجل مناقشات عن قمة كامب ديفيد انظر أكرم هنية، *The Camp David Papers*، رام الله. صحيفة الأيام، ظهر لها اختـصار فـى مجلة الدراسات الفلسطينية ٣٠: ٢ (شتاء ٢٠٠١)، ص: ٧٥-٩٧. كلايتون سويشر، *The Truth About Camp David*: القصة التى لم تقال حول انهيار عملية سلام الشرق الأوسط، نيويورك: *Nation Books*، ٢٠٠٤. روس ، مرجع سابق ، الفصول ٢٤-٥. الكتاب الذى حرره شيمون شامير وبروس مادى – ويتزمان تحت اسـم *The Camp David Summit*–

ماذا جرى خطأ؟ الأمريكان، الإسرائيليون والفلسطينيون يحللون فشل المحاولة الجريئة لتسوية الصراع العربي- الإسرائيلي، برايتون، بريطانيا / بورتلاند، أو *Sussex Academic Press* عام ٢٠٠٥. منتال، مرجع سابق الجزء ٥. ديفيد ماتز *(Reconstructing Camp David)* مجلة المفاوضات ٢٢: ١ (يناير ٢٠٠٦) ص:٨٩-١٠٣. جولان، مرجع سابق الفصلان ٣-٤. أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق، الطبعة الثانية، فصل ٩.

(٤٣) نص مقاييس كلينتون في ٢٣ ديسمبر سنة ٢٠٠٠ معاد إنتاجه في كتاب روس، مرجع سابق، ص:٨٠١-٥. وهو كذلك متاح على موقع:
http://domino.un.org/unispal.NSF/1ee874ab1832a53e85257obboo6dfaf6dfaf6/d57af edd6e-b1445585256e37006655e4 ، تم الدخول عليه يوم ٧ سبتمبر ٢٠٠٨.

(٤٤) حول مفاوضات طابا انظر وثيقة موراتينوس كما جاء بها أكيفا إلدار *(The Peace That Nearly Was At Taba)* صحيفة هاآرتس ١٥ فبراير ٢٠٠٢، وهو متاح أيضًا على: www.mideastweb.org/moratinos.htm. بريسمان مرجع سابق. جولان، مرجع سابق، الفصل ٥. ديفيد ماتز *(Trying to Understand the Taba Talks)* الجزء الأول، المجلة الإسرائيلية- الفلسطينية للسياسة والاقتصاد والثقافة ١٠: ٣ سنة ٢٠٠٣ ص:٩٦-١٠٥ و *(Why did Taba End?)* الجزء الثاني، المجلة الفلسطينية- الإسرائيلية للسياسة والاقتصاد والثقافة ١٠: ٤ (٢٠٠٣) صفحات: ٩٢-٨.

(٤٥) مؤتمر العدالة لليهود في الدول العربية *(JJAC)* يوليو٢٠٠٨ في لندن، ناتان جيفيه *(The Other Middle East Refugees)* تقرير القدس ٤ أغسطس ٢٠٠٨ ص: ٣٣-٤. *Michael R. Fischbach* *(Palestinian Refugee Compensation and Israeli Counterclaims for Jewish Property in Arab Countries)* مجلة الدراسات الفلسطينية ٣٨: ١ (خريف ٢٠٠٨) ص: ٦-٢٤.

(٤٦) انظر: *(The Refugee Problem at Taba*- مقابلة أكيفا إلدار مع يوسي بيلين ونبيل شعث) المجلة الفلسطينية- الإسرائيلية للسياسة والاقتصاد والثقافة ٩: ٢، ٢٠٠٢، ص: ١٢-٢٣.

مـــا حـــرره *Ann M. Lesch and Ian S. Lustic* بعنـــوان *Exile and Return*: مـــشاكل الفلسطينيين واليهود، دار نشر جامعة بنسلفانيا، ٢٠٠٥. خليل الـــشقاقى (*Refugees and The Legitimacy of Palestinian-Israeli Peace Making*) وذلك فى كتاب مقالات علـــى شرف موشيه ماعوز، تحرير إيلى بوديه وأشير كوفمان بعنوان (*Arab Jewish Relations From Conflict to Resolution*) برايتون *Sussex Academic Press* عام ٢٠٠٦ ص:٣٦٣-٧٤. وزارشتاين مرجع سابق ص:١٥٧ - ٦١. أكيفا إلدارو آفى إســـخاروف (*Abbas to Haaretz Peace Deal would Have to Include Right of Return*) صـــحيفة هـــاآرتس ٩ سبتمبر ٢٠٠٨.

(٤٧) انظر إيليسا إفرات (القدس: خطط التقسيم للمدينة المقدسة) وذلك فيمـــا حـــرره إفـــراييم كارش فى كتاب (*Israel*: المئة سنة الأولى) المجلد ٢، من الحرب إلى الـــسلام، لنـــدن، فرانك كاس، ٢٠٠٠، ص: ٢٣٨-٥٧. مناحم كلاين، *Jerusalem: The contested City*، ترجمة حاييم واتزمان، نيويورك دار نشر جامعة نيويورك سنة ٢٠٠١. وترجمة حـــاييم واتزمان لكتاب *Jerusalem Problem*: النضـال من أجل الوضع الدائم، دار نـــشر جامعـــة فلوريدا، ٢٠٠٣. ريوفين ميرهاف (*Planning for Jerusalem*) وذلك فيما حرره شـــامير ومـــادى- ويتزمـــان تحـــت عنـــوان *Camp David Summit*، ص: ١٦٧-٧٥. برنـــارد وزارشتاين، *Divided Jerusalem*: النضال من أجل المدينـــة المقدســـة، الطبعـــة الثالثـــة نيوهافن، *CT* دار نشر جامعة يال سنة ٢٠٠٨. مايكل دامبـــر، *The Politics of Sacred Space*: مدينة القدس القديمة فى صراع الشرق الأوسط، بولدر، *CO: Lynne Rienner* سنة ٢٠٠٢. وزارشتاين مرجع سابق ص:١٦١-٤. *Jerusalem in the Current Final Status Talks*، *Betterlemons.org, Palestinian – Israel Cross fire* (تحريـــر)، ٣٥، ٨ ســـبتمبر ٢٠٠٨.

(٤٨) حول انتفاضة الأقصى انظر جيرمى بريسمان (*The Second Intifada*: خلفية وأسباب الصراع الإسرائيلى- الفلسطينى) مجلة دراسة الصراع ٢٢: ٢ (نهاية ٢٠٠٣)، ص:١١٤-٤١. منتال، مرجع سابق، الفصل ٦.

(٤٩) فيليب مطر (*Al-Aqsa Intifada*) موسوعة الفلسطينيين طبعة منقحة (تحرير) فيليب مطر، نيويورك: *Facts on file* ، ٢٠٠٥، ص:٢٣-٤.

(٥٠) من أجل نقد استراتيجية الفلسطينيين خلال الانتفاضة الثانية، انظر يزيد صايغ (*Arafat and the Anatomy of a Revolt*) *Survival* ٤٣-٣ (خريف ٢٠٠١) ، ص:٤٧-٦٠. و(*The Palestinian Strategic Impasse*) *Survival* ٤٤: ٤ (شتاء ٢٠٠٢) الصفحات ٧-٥١.

(٥١) التقرير النهائى للجنة شرم الشيخ لتقصى الحقائق (تقرير ميتشل)، ٣٠ أبريل ٢٠٠١، وكذلك خطة عمل تينت ١٣ يونيو ٢٠٠١، وتم الدخول للإطلاع عليهما يوم ٥ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط التالي: ***http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mieast/mitchell_plan.htm*** ***.http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/mid023.htm***

(٥٢) قرار مجلس الأمن رقم ١٣٩٧ بتاريخ ١٢ مارس ٢٠٠٢، تم الإطلاع عليه يوم ٥ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط
http://daccessdds.un.org/doc/UNDOC/N02/283/59/PDF/N0228359.pdf

(٥٣) خارطة طريق مبنية على أساس الأداء للوصول إلى تسوية دائمة قائمة على أساس الدولتين، ٣٠ أبريل ٢٠٠٣، تمت إعادة نشرها فى كتاب جولان، "إسرائيل والصراع الإسرائيلى- الفلسطينى"، المتاح على الرابط:
http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/roadmap.htm وتم الإطلاع عليه يوم ٥ سبتمبر ٢٠٠٨.

(٥٤) نص إعلان بيروت حول مبادرة السلام السعودية، ٢٨ مارس ٢٠٠٢، وهو متاح على الرابط ***http://www.al-bab-com/arab/dics/League/peace02.htm***، وفى: جولان: "إسرائيل

وفلسطين"، الملحق الثالث. ومن أجل دراسة أكثر عمقًا للموقف الأردنى من المفاوضات العربية- العربية والمفاوضات الأخرى المتصلة بها انظر: موشار، "المركز العربى". وللمزيد من المناقشات والتحليل انظر: جولان، "إسرائيل وفلسطين"، ص: ٦٩-٧١ وكذلك منتال، *Peace in Tatters*، ص: ١٤٩-١٥٦، وأيضًا: إيلى بودة، "من فهد إلى عبد الله: مبادرات السلام السعودية وأثرها فى النظام العربى وإسرائيل"، القدس، معهد ترومان، الجامعة العبرية، ٢٠٠٣.

(٥٥) يمكن الدخول على الموقع الإلكترونى لمبادرة جنيف على الرابط *http://www.geneva-accord.org/HomePage.asppx?FolderID=11&lang=en*، وفيما يتصل بنص أكتوبر ٢٠٠٣ فيمكن *ID=33&lang=eng*: إعادة نقل مقتطفات منه فى: جولان، "إسرائيل وفلسطين"، ص: ١٩٩-٢٠٧. وللحصول على تحليل من حول هذا الموضوع انظر: ميناحم كلين، سلام ممكن بين إسرائيل وفلسطين: رواية مشارك فى مبادرة جنيف، ترجمة حاييم واتزمان، نيويورك، جامعة كولومبيا، ٢٠٠٧.

الفصل الحادى عشر

الكتابة عن الصراع

فى الأجزاء السابقة قدمت عرضًا تاريخيًا للصراع الإسرائيلي-الفلسطينى والعربى- الإسرائيلى خلال ما يناهز ١٣٠ عامًا فى أقل من ١٨٠ صفحة، وكان الهدف هو إعطاء القارئ:

- الإحساس بكيفية تطور الصراع من بداياته المبكرة إلى صراع له أبعاد إقليمية ودولية.
- الوعى بالتغييرات فى الإطار التاريخى، وأنماط السلوك المتكررة خلال هذه الفترة.
- بعض الفهم للأطراف ودوافعهم والمضمون العاطفى لوجهات نظرهم المتصارعة.
- لمحة عن الأسباب التى تجعل هذا الصراع مقاومًا إلى هذا الحد للحل، خاصة عندما يحدد الشخص عددًا من المقولات الجوهرية المثيرة للجدال التى لم تحل، والتى ربما تكون غير قابلة للحل.
- معرفة أساسية للموضوعات الرئيسية موضع الجدال بين أطرف الصراع الرئيسية، وأيضًا بين المؤرخين الذين كتبوا عنه.

وكانت الفصول من (٣) إلى (١٠) محاولة لتقديم تاريخ للصراع بشكل محايد وموضوعى وقانونى، مبنية على الانفتاح على الدلائل المتعارضة ومختلف التفسيرات التى جرى تقديمها، ولم يظهر أن أيًا من الصهاينة والإسرائيليين والفلسطينيين والعرب، آمل فى ذلك، على أنه يحتكر الحقيقة أو الشر أو الفضيلة أو الرذيلة.

وإحدى النتائج التى يمكن التوصل إليها من العرض السابق؛ هو أن كلاً من الأطراف كان يعمل، وما زال حتى اليوم، حاملاً معه حقيبة تاريخية ثقيلة، هذه الحقيبة تتضمن:

أ) تراكمات من المظالم غير المحلولة إزاء الطرف الآخر، وإدراك لأعمال غير عادلة ارتكبت من جانبه.

ب) شعور مستمر ومتجدد بأحقية وعدالة قضية.

ج) شعور مستمر ومتجدد بأنه كان الضحية على يد الآخرين.

د) درجة من التشاؤم والسخرية واليأس بسبب توالى الإحباطات إثر الجهود الفاشلة والفرص الضائعة من أجل تسوية عادلة / أو سلمية.

إن الروايات المختلفة للفلسطينيين والإسرائيليين عن تاريخهم المشترك للصراع- وقصصهم المتعارضة- لا يمكن التوفيق بينها بسهولة، وقد حاولت أن أكون أمينا فيما يتصل بالروايات المتعددة، وتركت كلاً من الروايات المتعارضة يتحدث عن نفسه فى الصفحات السابقة والالتزام بحد أدنى من التقديم من جانبى.

يوجد عدد من الطرق المختلفة لتقديم الـ ١٣٠ سنة من الصراع، ليس من بينها العرض المحايد للحقائق المجردة أو سرد للأحداث وفقًا لتسلسلها الزمنى، وفى هذا الفصل الأول من الخاتمة سننظر إلى كيف أن الكتابة التاريخية والسياسية عن هذا الصراع لا تقوم فقط بوصفها تقديم تقرير عنه، وإنما أيضًا تشارك فيه، وغالبًا أيضا ما تشوهه.

نقائص الأساطير فى مواجهة الحقائق:

خلال الصفحات السابقة رأينا أمثلة لكيف أن الأحداث نفسها يمكن أن تفسر بطرق شديدة الاختلاف من جانب الإسرائيليين ومن يؤيدهم من ناحية، والفلسطينيين ومن يساندهم من ناحية أخرى، وكل طرف يتمسك- بدقة- بروايته ويسارع برفض الروايات المناقضة، ويصف مكوناتها بأنها أساطير ودعايات وأكاذيب.

ولسوء الحظ؛ فإن هذا العرض لتاريخ النزاع من خلال تجميع ودعم "حقائق" طرف ضد "زيف" و"أسطورية" الآخر قد صار طريقة شائعة، لكنها شديدة التبسيط، فى تفسير الصراع للمبتدئين مستبعدة الشكوك غير الملائمة للمخلصين ومحاولة استمالة المراقبين غير المرتبطين ببرامج معينة، وعلى الرغم من أنه غالبًا ما يكون مدعومًا أكاديميًا مما يزيد من جاذبيته، فإنه يلزم التدقيق فيه جيدًا للتعرف على نقائصه الكثيرة، فالكثير من التاريخ المعقد لهذا النزاع يتم اختزاله فى معركة بين الحقائق التى يقدمها "طرفنا"، والأكاذيب والدعاية الصادرة عن "الطرف الآخر"، وكذلك فضيلتنا تصير مكرسة ضد نواياهم الشريرة، والمقاومة (الدفاع عن النفس) التى يقوم بها طرفنا ضد عدوانهم، ويأس طرفنا وضعفه فى مواجهة قوتهم المهيمنة وتفوقهم غير العادل.

خلال المئة والثلاثين عامًا الماضية؛ قدم كل من الصهاينة/ الإسرائيليين والعرب/ الفلسطينيين أمثلة مكررة لهذه العقلية، وعندما تأتى هذه المواقف من المتصارعين أنفسهم فى حمأة الصراع، فإن هناك شيئًا أصيلاً يرتبط بهذه العقلية المغلقة المناوئة، وهذه الاتجاهات هى عقبات حقيقية يجب تجاوزها بين المحاربين الحقيقيين، وبالنسبة للمتخصصين والمشاركين فى ثقافة السلام وغيرها من الأنشطة الهادفة إلى بناء الجسور[1]، فإن هذه الاتجاهات هى العقبات التى يجب أن تتركز

إليها جهودهم. ولكن ماذا يحدث عندما يقوم الكتاب والصحفيون والباحثون وغيرهم من المفسرين الذين يقفون خطوة أو أكثر بعيدًا عن الصراع الحقيقى، يقدمونه وفقًا لهذا المقترب الثنائى، ويحتفظون أو يحاكون واحدة أو أخرى من هـذه الروايـات المتعارضة تمامًا للتاريخ؟

وخلال عقود تم نشر العديد من الكتب والمـذكرات والمقـالات المنحـازة لطرف دون آخر تعكس مستويات مختلفة من التعقيد بل وحتى ادعت الموضـوعية والحياد، وتكشف عن ذلك عينة من العناوين التى صـدرت: "فلـسطين: الحقيقـة" (١٩٣٩)، "فلسطين عبر ضباب الدعاية" (١٩٤٦)، "أساطير وحقائق: سجل ملخص للصراع العربى- الإسرائيلى" (١٩٤٦/١٩٦٧/١٩٨٥)، "حالة إسرائيل" (١٩٦٧)، "الصواب والخطأ عن إسرائيل" (١٩٧٢)، "أرض المعركة: الحقيقة والخيـال فـى فلسطين" (١٩٧٣-١٩٨٥)، "تزييف المعلومات الصهيونى: إجابات منظمة التحرير الفلسطينية" (١٩٨٠)، "فلسطين والصهيونية عـشرة أسـاطير" (١٩٨١)، اعـرف الحقائق (١٩٨٥)، "حالة فلسطين" (١٩٩٠-٢٠٠٥)، "حالة إسرائيل" (٢٠٠٣)[٢].

وسرعان ما يكتشف القراء الناقدون أن النية الحقيقية لهذه المطبوعات؛ هـى تسجيل نقاط فى إطار من حرب العلاقات العامة المـستمرة بـين وجهـات نظـر الإسرائيليين/الصهاينة والفلسطينيين/ العرب. والمناوشات الساخنة الجاريـة هـذه الأيام فى أروقة الجامعات بين المؤيدين للفلسطينيين والمؤيدين لإسـرائيليين مـن مجموعات الطلبة تمثل التجسيد الأخير لهذه المعركة التى هى قديمة قدم الـصراع نفسه، وعلى الرغم من تغيير الشكل والبنية والتكنولوجيا؛ فإن الكثير من منتجـات اليوم تتبع النمط المعتاد "حقائقنا فى مواجهة أساطيرهم" وشـبكة الإنترنـت مليئـة

بأمثلة على مثل هذا الأسلوب لتقديم موضوعات النزاع مع المساعى الناجحة للتقديم المحايد والموضوعية[٣].

وبالنسبة لأولئك المهتمين بصدق مهارات النقاش والتأييد؛ فإن هذه الطريقة لتقديم وعرض الصراع لها بلا شك جاذبيتها[٤]، ولكن فضائلها لأولئك الذين لا ينتمون لأى طرف- أولئك الذين يريدون الفهم الحقيقى: لماذا يحارب الأطراف بعضهم، وهل وتحت أى ظروف سيكونون قادرين على تسوية خلافاتهم- فهذه الفضائل والمزايا مشكوك فى نتائجها، وأحد الأوجه المقلقة لإصدارات "الأساطير فى مواجهة الحقائق" والمواقع الإلكترونية هى درجة التأكد التى يظهرونها والتى غالبًا لا تتماشى مع أى شيء فى الحياة الفعلية، فالحقائق نادرًا ما تكون بهذه البساطة، كما أن الوقائع نادرًا ما تكون واضحة مستقيمة مثلما يحاول تقديمها مروجو الأساطير فى مواجهة الحقيقة، وأيضًا من خصائص هذا النوع من الكتابة الاتجاه السهل نحو افتراض عدم الإخلاص فى دوافع الآخر، ويحذرنا رجال علم الاجتماع المتمرسون حول كيف أنه من الصعوبة معرفة والحكم على دوافع طرف ما: "إن قدرتنا على معرفة دوافع الآخرين هى فى الحد الأدنى ولا يمكن الاعتماد عليها وتخضع للإغراءات القوية لتبرير الذات والإسقاط"[٥]، وأولئك الذين يريدون الدقة الفعلية والتقييم الأمين والمخلص للقوى التى تتفاعل لن يخدمهم مقترب الأساطير فى مواجهة الحقائق لأنه من الناحية المنهجية تشوبه عيوب كثيرة، وبحكم طبيعته فإنه يرتب الحقائق بطريقة انتقائية ويتلاعب بالمعلومات باستخدام الحيل وسلسلة من الأدوات والأساليب لهدف واحد هو إبراز قضية، ومن الصعب جدًا أن يقود إلى معرفة بعيدة عن العاطفة أو فهم نقدى كما أنه لا يمكن أن يكون مساعدًا لنشطاء السلام الباحثين عن طريقة للخروج من المأزق؛ لأنه صيغة صدامية تغذى دائرة لا تنتهى من الاستقطاب وتبرير الذات وشيطنة الآخر.

دور الأكاديميين:

ماذا عن دور القاعات الأكاديمية؟ لسوء الحظ حتى فى هذه القاعات؛ حيث يجب أن تكون الموضوعية والدقة فى أعلى مستوياتها فى الكتابة عن الصراع العربي- الإسرائيلى والإسرائيلى- الفلسطينى، فإننا نجد الكثير من مشكلات التشويه وسوء التقديم التى واجهناها من قبل، فبعض الباحثين يرغبون فى اختيار تقديم مساندتهم إلى واحدة من صيغ الصراع على الأخرى، ويقدمون تأييدهم لمشروعات تعليمية متصلة بالعلاقات العامة- التى تكون دراساتها البحثية فى الأغلب أكثر قليلاً كمًا من الصيغ المعقدة لمواد الحقيقة فى مواجهة الأسطورة التى أوضحناها فيما سبق(٦).

إن مشكلات الموضوعية العلمية فى الكتابة عن الصراع؛ ليست - بأى حال- جديدة ولكنها طفت على السطح بطرق مختلفة عبر السنين، ففى بداية الخمسينيات على سبيل المثال فإن "سيلفيا حاييم" تجادلت مع إصدار "جورج أنطونيوس"- "يقظة العرب" (١٩٣٨)، الذى اقتبسناه فى الفصل الثالث وكتبت:

> **"يمكن الدفع بأنه لا يوجد مؤرخ يمكنه الكتابة دونما وجهة نظر محددة، فأنطونيوس يتبنى وجهة نظر قومية، وفى هذه القضية يجب تقويمه كمؤرخ قومى، وعبارة مؤرخ قومى تعنى أنه يكرس قدراته ومهنيته لتعظيم وتضخيم أمته أو مجتمعه، وهذه الظاهرة بلا شك شائعة ولكنها تستحق الإدانة، فالمؤرخ قد تكون له فى الحقيقة تحيزاته وتفضيلاته وهذه يجب أن تكون نوعًا من المسموح به له، ورؤية أنه يتعامل مع سلوك الرجال فى السلطة بالحق أو الخطأ وبما**

يفعله البشر مع كل منهم، فإنه ليس مسموحًا له أن يُنصب نفسه كمحامٍ لقضية منقوصة ضد أخرى وكل القضايا السياسية هى ناقصة وغير مكتملة، وهذا يوضح الفشل فى نزاهته الأكاديمية المهنية"(٧).

الكثير من الأعمال العلمية المنشورة عن الصراعات العربية- الإسرائيلية والإسرائيلية- الفلسطينية، ربما أكثر من الموضوعات الخلافية الأخرى؛ كتبها أناس يمكن أن نسميهم "مؤرخون قوميون"، وفى أيامنا يمكن أن نسميهم الأكاديميين الذين يتبنون ويدافعون بالنيابة عن قضية قومية معينة. وكما يتحسر محرر "موسوعة الفلسطينيين" فإن هناك الكثير من "اندماج الأيديولوجية والعلمية" فى مجال" يغلب عليه الأنصار... الذين استغلوا العلمية والصحافة من أجل استثارة شعوبهم، للحصول على التأييد العالمى، وكسلاح ضد الآخر فى كفاحهم من أجل فلسطين"(٨).

ومنذ عشرين عامًا؛ فإن محررى خلاصة من المقالات عن الصراع وصفوا مشكلات التحيز الأكاديمى بشكل مشابه:

"حتى بين الباحثين المفترض أنهم مراقبون موضوعيون، أحدث الصراع عاطفية شديدة... والباحثون ليسوا معصومين من العواطف التى تشجع المحاربين الذين ينتمون إلى روايات تاريخية مختلفة من أجل دعم ادعاءاتهم، هذه الحرب المستعرة بين الباحثين... تمثلت نفسها فى ادعاءات وحجج متناقضة على الخطوط نفسها التى يستخدمها المحاربون أنفسهم"(٩).

هذه الملاحظات تردد صدى واحدة من المقدمات المنطقية لسلسلة التـواريخ المتضاربة؛ وبالتحديد إن المؤرخين لصراع ما غالبًا ما يعكسون مواقف أطرافـه وحججهم. ومنذ نهايات الثمانينيات- حيث كانـت تكتـب هـذه الكلمـات- فـإن الأكاديميين قد صاروا أكثر استعدادًا للمقاتلة بطرق تعكس عـدم التـسوية وتفـاقم الصراع. ولسوء الحظ فإن العروض المشوهة وشديدة الجدال تبدو أكثر تواترًا من أى وقت فى الكتابات الأكاديمية والمحاضرات[١٠]، وفى أيامنا هـذه فـإن المنـاخ الموات للمناقشة الهادئة والمتفتحة للصراع أصبح سلعة نادرة فى أروقة الجامعـات حول العالم. وأحد الأمثلة للمعارك الساخنة التـى دارت فـى جامعـات أمريكـا الشمالية؛ هو إنشاء وتفعيل المراقبة من خلال موقـع إلكترونـى يعمـل كـ "كلـب حراسة"- *WATCH DOG* يتمثل دوره فى عرض التحيـز ضـد إسـرائيل فـى المحاضرات والموضوعات التى يقوم الأساتذة بتدريسها[١١].

فالسياسات الأكاديميـة المعتـادة تتـضمن إظهـار الـذات، وصـراعات الشخصيات، والحاجة لخلق الإعجاب لدى مـن لهـم الـسلطة لتقـدم الآخـرين. والمناظرات الأيديولوجية الأصيلة تصبح أكثر تعقيدًا ومرارة عندما يتصل الأمـر بالصراع العربى- الإسرائيلى؛ حيث امتدت الاتهامات بـالتحيز والـسلوك غيـر المهنى ومطاردة المشعوذين وقمع الحرية الأكاديمية إلى خارج الأسوار الجامعيـة الأكاديمية فى عدد من الحالات ذائعة الصيت، وتضمنت فى بعض الأحيان حملات دنيئة على المستوى القومى بهدف تشويه السمعة الأكاديمية[١٢]، إنها تكـاد تكـون حقيقة بديهية لكنها تعنى أنه لا يمكن أن تكون هناك موضوعية خالصة فى مناقشة الشئون الإنسانية وأن التحيز هو ذاتى جدًا وهو مصطلح نسبى، وفيما يخـص أى موضوع فالتحدى للكاتب والقارئ هو أن يكون يقظًا وواعيًا بـأى تحيـز فـى أى دراسة بحثية، فعلى القارئ أن يكون متشككًا للغاية فى الكُتَّاب الذين يـدعون عـدم

التحيز مطلقًا أو الذين يبدون أنهم يمكنهم تجنب تأثير تحيزاتهم فى مهنيتهم، فهؤلاء الكتاب ربما يكونون هم أنفسهم غير واعين، أو ينكرون، هذه التأثيرات التى لا يمكن تفاديها، وهم غالبًا يلبسون التاريخ القومى الثوب الأكاديمى مقتنعون أن ما يكتبونه هو علميًا على أساس سليم، ويؤدى غياب الوعى النقدى الذاتى إلى أن يصبحوا قادرين على معرفة أين تتدخل الأيديولوجية والتحيز فى عملهم الأكاديمى.

وفى هذا السياق؛ يثور السؤال التالى: ماذا يمكن قوله بشكل عام حول الدور الأمثل للأكاديميين والأساتذة فى بحوثهم العلمية، وكتاباتهم، ومحاضراتهم عن هذا الصراع؟ وحل هذا الموضوع، ربما تحظى القائمة التالية بتوافق كبير بين المؤرخين، على الرغم من أنه بكل تأكيد لا يوجد ثمة إجماع بينهم:

- تقديم حقائق أساسية دقيقة والعمل على تأسيس سجل تاريخى يستند إلى مصادر ذات مصداقية ومتعددة ما أمكن.
- إقامة "السببية" حيث يمكن ذلك، بين تصرف ما وآخر وعرض فرضيات بديلة تشرح الصلات بين الأحداث.
- تقديم معلومات إطارية تتناول البيئة المحيطة تساعد القراء فى فهم وتأكيد الدوافع والاتجاهات والقرارات وسلوك الفاعلين.
- تحديد الأنماط التى تعمق فهمنا للقوى التى تساهم فى حدوث الصراع والمحافظة على استمراريته.
- دراسة المعتقدات والأساطير لكل الأطراف بطريقة محايدة، دون الانجراف للدفاع بالوكالة عن أى رواية تاريخية.
- تحدى التشوهات والعروض الخاطئة أيًا كان مصدرها، بتقديم عروض مضادة ذات مصداقية.

الأساتذة والمفكرون:

أين إذن وتحت أى شروط يمكن للمؤرخين لهذا الصراع أن يعرضوا وجهات نظرهم الشخصية؟ الأقلية القليلة منهم ستأخذ الموقف المتطرف وتدفع بأن الأكاديمى يجب أو يمكنه البقاء محايدًا بين السيد والعبد، والمظلوم والظالم والضحية والجلاد، لا يقدم أى أحكام مهما كانت بين ما يعتبرونه صحيحًا وخاطئًا، فى حين أن الأغلبية العظمى سيتفقون على أن المؤرخ عليه أن يعرض اعتقاداته لموضوعاته، ولكن أين يجب على المرء أن يضع خطًا فاصلاً بين المقبول وغير المقبول من إدخال الباحث لوجهات نظره الشخصية؟

> **الناقدون الذين يميلون للتبسيط على أساس إدانة التحيز الذى تتم ملاحظته لدى الباحث، ومدح ما الموضوعية أو الحياد المزعوم هم أنفسهم مشكلة؛ حيث غالبا ما يخبرونا الكثير عن تحيز الناقد أكثر منه عن الشيء موضع النقد(١٣). وبدلا من ذلك فإننى أرى أنه قد يكون من المفيد أكثر النظر إلى المقتربات الأكاديمية لهذا الصراع استنادا إلى نطاق أو خط يستند إلى مدى ممانعة أو استعداد الباحث للإفصاح عن آرائه الشخصية، وفيما بعد سأحاول تحديد مدى درجات الممانعة/ الرغبة كما أراها من أدنى درجة حتى المتوسط إلى أعلى درجات الإيضاح، هذا النطاق أو الخط يمكن أيضا رؤيته بأنه يمتد بين هؤلاء الذين تكون آراؤهم الشخصية ضمنية فى كتاباتهم وأولئك الذين يكونون أكثر صراحة ووضوحًا فى تقديم تقييماتهم وأحكامهم.**

فى نهاية هذا الخط، نجد الأكاديميون الذين يعتبرون أن عملهم الأساسى يقتصر على إظهار أو إيضاح سجل الحقائق: من فعل ماذا؟ لمن؟ متى؟ كم من الأشخاص مات؟ وتتمثل مصادرهم الرئيسية فى الأرشيف وغيره من المصادر الأولية، ويذهب هؤلاء إلى أن عملهم الفكرى الأساسى هو كشف وتقديم الحقائق والدليل بطريقة متماسكة، وتصبح المناقشات حول أن دوافع المتصارعين حذرة وغير نهائية، وبشكل ما ثانوية بالمقارنة بهدف وضع سجل يمكن الاعتماد عليه وترك الحقائق تتحدث عن نفسها.

ويمانع هؤلاء الأكاديميون فى التعبير عن آرائهم الشخصية فيما يتصل بصحة وخطأ ما قام أطراف الصراع بارتكابه؛ حيث يعترفون بأن خلفياتهم المتصلة بوضعهم البيولوجى والاقتصادى- الاجتماعى والعرقى والدينى كان لها أثرها فى عملهم، وهم حريصون على ألا يفرطوا فى التأثير فى نتائج أبحاثهم بإضافة الكثير من التوجهات الشخصية، وعلى الرغم من أنه يتم أحيانا انتقادهم باعتبارهم مفكرين يعيشون فى أبراج عاجية فإنهم راضون عن قيامهم بتوفير مادة خام؛ لها مصداقيتها؛ تاركين لغيرهم من الأكاديميين والمعلقين البحث فيها واستغلالها فى عملهم. إنهم يفضلون عدم الظهور الفاضح والدخول فى مناظرات عامة أو اتخاذ مواقف حول قضايا خلافية.

إننى أرى نفسى متبعًا، فى معظم نتائج أبحاثى- هذا المقترب؛ حيث إننى فيما عملت غالبًا أركز على ما يمكن للبعض أن يعتبره وثائق دبلوماسية صماء، إننى أريد أن يقوم قرائى باستخلاص النتائج بأنفسهم، ويسجلوا انتقاداتهم على أساس السجل التاريخى الذى قمت وآخرون بتقديمه، وإذا ما حدث وأقحمت أحكامى الشخصية فإن ذلك عادة يكون لانتقاد ما أعتبره تقييمات خاطئة من قبل طرف أو

آخر أو خداعا للذات أو تفكيرا بالتمنى، وتقتصر تحيزاتى الشخصية على ما تتضمنه اختياراتى: أى موضوع أكتب عنه؟ أين أبحث عن المواد الأولية والقراءات الثانوية؟ كيف أقوم بالانتقاء من بين الكثير من مواد البحث بهدف استخدام بعضها (التى يتم الحكم عليها بأن آراءها أكثر مصداقية وذات صلة بالموضوع) واستبعاد بعض آخر (الأقل مصداقية والأقل اتصالاً بالموضوع) من أجل المناقشة؟ كيف أقوم بعرض وتقسيم المادة التاريخية؟ وكيف يمكننى أن أقدم إطارًا مناسبًا؟

وامتناعى عن تقديم آرائى الشخصية فى بعض الموضوعات الكبرى ينبع كذلك من احترامى للموضوعات وأولئك الذين يستعينون بأبحاثى، فضلاً عن رغبتى فى تفادى المخاطر المحتملة التى قد تنجم عن مدركات قد تكون غير معصومة من الخطأ، وكما ذكر كل من الباحث "تاميل" وناشط السلام الإسرائيلى "ديفيد شولمان": "إننا نقرأ العالم بأفضل ما يمكننا، ولكننا غالبًا ما نكون على خطأ"[١٤]، ومع ذلك فإن النظرة السريعة على هذا الحقل توضح أن هذا المقترب يقتصر فقط على الأقلية؛ حيث يوجد الكثيرون من الأكاديميين الذين يرون دورهم أكثر نشاطًا، وفى هذا الخصوص أشار "أفى شلايم"، أحد المبتكرين داخل تيار "المؤرخين الجدد"، (انظر ما يلى) إلى أن "أهم مهام المؤرخ ليست عرض الأحداث على أساس زمنى، ولكن تقييمها؛ حيث تصبح مهمة المؤرخ إخضاع دعاوى المتخاصمين لعملية فحص دقيقة، ورفض تلك الدعاوى (مهما كانت عميقة الجذور) التى لا تصمد أمام البحث والتمحيص"[١٥]، وعلى عكس مقترب الحد الأدنى الذى عرضنا له آنفًا تفترض هذه الآراء مسئولية مهنية لتقديم الآراء والأحكام وليس مجرد الحقائق للقراء. والكثيرون فى هذه المجموعة يشعرون بالراحة للإسهام، سواء فى القاعات العلمية أو خارجها، فى الحوارات الدائرة والمناقشات، ويقودهم

إنتاجهم العلمى إلى أخذ مواقف بالنسبة للقضايا التاريخية والأحداث الجارية القريبة من قلوبهم وتخصصهم.

يقدم "بينى موريس" مثلاً صريحًا على هذا النوع من الأكاديميين، فدراساته المنشورة عن الموضوعات الصعبة تعكس التزامًا مهنيًا ونظامًا صارمًا يسمى الأشياء بمسمياتها ولا يتردد فى القيام بنقد لاذع استنادًا إلى قراءته، ونشير هنا إلى أن نتائج أبحاثه التى نشرت عام ١٩٨٧ حول طرد وهروب اللاجئين الفلسطينيين استندت أساسًا إلى المصادر الأولية الصهيونية والإسرائيلية، وكان من شأن ذلك أن زلزل الأرض وفتح الأعين، وتلقى "موريس" كلاً من المدح والنقد على عمله الذى تضمن العديد من الأحكام القاسية تحدت عددًا من الأساطير لدى اليهود والإسرائيليين حول الخروج الطوعى المزعوم للفلسطينيين وسلوك الميليشيات الصهيونية والمقاتلين الإسرائيليين خلال ١٩٤٧-١٩٤٩، كما رأينا فى الفصل السادس، وقد كان "موريس" فى طليعة جيل "المؤرخين الجدد" ليتحدى الرواية الشائعة فى إسرائيل عن عام ١٩٤٨ (انظر ما يلى).

وخلال قيامه بعرض نقدى لكتاب قام بنشره زميل من "المؤرخين الجدد"، قدم "موريس" وصفًا لنضاله الشخصى ومعاناته من أجل الموضوعية ومحاولته الإبقاء بوجهة نظره الشخصية بعيدة عن بحوثه ودراساته:

> **"فى حين أن المؤرخين كمواطنين لديهم وجهة نظرهم وأهدافهم السياسية؛ فإن عملهم الأكاديمى هو محاولة الوصول للحقيقة حول الحدث أو العملية التاريخية لإضاءة الماضى بموضوعية ودقة على قدر الإمكان، وعلى عكس ما يرى الكتّاب مثل "إيلان بابى"... أعتقد أنه يوجد شيء اسمه**

الحقيقة التاريخية التى توجد مستقلة عن، ويمكن فصلها عن، ذاتيات الباحثين، وأن واجب المؤرخ محاولة الوصول لها باستخدام أكبر قدر من المصادر التى يمكنه استخدامها. وعند كتابة التاريخ فعلى المؤرخ تجاهل السياسة المعاصرة ويناضل ضد توجهاته السياسية وميوله فيما يحاول اختراق ظلمة الماضى"[١٦].

على أن الفصل بين عمل الإنسان المهنى كمؤرخ وبين عقائده ونشاطاته كمواطن معنى، هو أمر يسهل قوله أكثر من تنفيذه؛ وكان ذلك واضحًا فى حالة "موريس" عام ٢٠٠٢، فمثل كثير من الإسرائيليين الذين عاشوا آنذاك فى ظل العنف اليومى للانتفاضة الثانية والحانقين على إخفاق محادثات كامب ديفيد وطابا، كان "موريس" يائسًا من فرص التسوية وقام بالتعبير علنًا عن إحباطه من الفلسطينيين لأهدافهم غير الواقعية واتجاهاتهم المعادية، وانضم لـ "إيهود باراك" فى مهاجمة "عرفات"؛ باعتباره السبب الرئيسى وراء فشل جهود السلام الأخيرة[١٧]، وقد دفع ذلك زميله المؤرخ الجديد "آفى شلايم"، الذى يعتبر الإسرائيليين العقبة الحقيقية فى طريق السلام، إلى أن يكتب فى صحيفة الجارديان نائيًا بنفسه عن رفاقه فى السلاح[١٨].

وفيما بعد، وخلال مقابلة فى يناير ٢٠٠٤، أطلق "موريس" ملاحظات سلبية تجاه مجتمع العرب والمسلمين وثقافاتهم، وهى ملاحظات اعتبرها بعض صورًا نمطية وعنصرية[١٩]، وقد أثار هذا الثوران سؤالا مهمًا: هل يمكن للمؤرخ أن يستمر فى كتابة تاريخ جاد وذى مصداقية عن الصراع الفلسطينى- الإسرائيلى بعدما أظهر افتقاره إلى العاطفة تجاه أحد موضوعات بحثه وبعد التعبير عن

اعتقاده بأن "العرب هم ضد دولتنا، وهم وراء دمنا"(٢٠)، وعلى كل الأحوال، فـإن بعضًا ممن عرض كتابه الأخير عن حرب ١٩٤٨ رحب به وحياه لفصل مهنيته عن آرائه الشخصية حول الشعب والحوادث الجارية(٢١).

وباعتباره منشقًا ومختلفًا عليه بطبعه؛ فإن "بيني موريس" ربما لا يكون المثل التقليدى عن كيفية قيام مؤرخى الصراع العربى- الإسرائيلى بنقل آرائهم خلال نتائج أبحاثهم إلى العامة، ولكن يوجد كثيرون، مثل "موريس"، لا يقتصرون فقط على الكتابة عن الماضي، ولكن يساهمون بتعليقات بصيرة على الأحداث الجارية ويشاركون فى الموضوعات الخلافية المعاصرة، ويرون أن ذلك جزء طبيعى من وظيفتهم من خلال تقديم آراء تستند إلى معلومات وأحكام على اتجاهات وسلوك أطراف فى الصراع للقراء والطلبة والإعلام.

وأخيرًا، يوجد عدد صغير من الأكاديميين والمعلقين الذين يمكن وصفهم باعتبارهم مفكرين متداخلين مع الموضوع، وهؤلاء عادة يتعاملون مع الصراع الإسرائيلي- الفلسطينى كموضوع دراسة واهتمام يقع تحت مظلة أكبر (من قبيل الالتزام بقضية أو عقيدة فى نظام أيديولوجى)، وكثيرون من أفراد هذه المجموعة يرفضون أى فصل بين التركيز المهنى الضيق وواجباتهم الأوسع كمواطنين وبشر، ومن بين أشياء أخرى كثيرة؛ فإن إطارهم الأوسع يجعل من السهل عليهم تبنى وجهات نظر محددة وواضحة عن الصواب والخطأ الذى ارتكبه الأطراف فى الصراع العربى- الإسرائيلى، وهؤلاء الأساتذة يشعرون بحرية- وبعضهم ربما يشعر بأن عليه واجبًا هو تقديم الحكم على الأفعال، أو/ وعدم الأفعال، ودوافع المتخاصمين، وتوجيه النقد ونسب المسئولية عن الحروب واستمرار الظلم، و/ أو غياب الحل.

هؤلاء الأساتذة هم غالبًا ما يكونوا ناشطون يعملون خارج العمل الأكاديمى على سبيل المثال كمستشارين لصانعى السياسات، أو منظمات المجتمع المدنى وجماعات المصالح؛ حيث يساهمون بجهودهم وخبرتهم ومصداقيتهم للكفاح من أجل حقوق الإنسان أو السلام والمصالحة، وهذا التورط غالبًا ما تتم ترجمته بتبنى وجهة نظر أولئك الأطراف فى الصراع الذى يرونهم الطرف المظلوم ويتبنون قضيتهم، وبهذا هم يقبلون المخاطرة باتهامهم بأنهم يسمحون لمكانتهم العلمية أن تقودها أيديولوجيتهم أو يوصمون بأنهم مدافعون ومجادلون أو منحازون.

ويقدم "إيلان بابى" نموذجا لهذا المقترب فى البحث والكتابة عن الصراع الإسرائيلى- الفلسطينى، وهو مؤرخ إسرائيلى، يقدم نفسه على أنه أحد أتباع "إدوارد سعيد"، كان يعمل فى جامعة حيفا ثم انتقل لجامعة إيكستر، وقد اتبعت أعماله الأولية النظام التقليدى لمطبوعات الحاصل على الدكتوراه من حيث الابتعاد عن الإفصاح عن الآراء الشخصية، فكتابه بريطانيا والصراع العربى- الإسرائيلى عام ١٩٨٨(٢٢) يحمل كل الصفات السابقة، إلا أنه منذ ذلك التاريخ بدأت أعماله تعكس بشكل أكبر وضوحًا بعض آرائه الشخصية، وباعتباره شاذًا بين المثقفين الإسرائيليين فقد ذهبت إلى أبعد من مجرد نقد الرواية الإسرائيلية ليتبنى وجهة النظر المنافسة (الفلسطينية) التى حاول الدفاع عنها فى أعماله، وفى كتابه "تاريخ فلسطين الحديثة أرض واحدة وشعبان" (لعام ٢٠٠٤ والتى تم تنقيحها عام ٢٠٠٦) كشف "بابى" عن عقيدته كما يلى:

> **"انحيازى واضح على الرغم من رغبة زملائى فى أن أتمسك بالوقائع و"الحقيقة" عندما أعيد هيكلة حقائق الماضى، إننى أنظر إلى هذا العمل على أنه عبث ومبنى على**

الافتراض أو الاحتمال، هذا الكتاب كتبه من يكن عاطفة للمحتل وليس للذى يقوم بالاحتلال، ويتعاطف مع من احتلت أرضه وليس من احتلها، ويأخذ جانب العمال وليس الرؤساء، ويشعر بالمرأة التى هى فى مأساة ولديه إعجاب قليل لأولئك الذين فى القيادة، وهو لا يمكنه أن يبقى غير آبه تجاه الأطفال الذين تُساء معاملتهم، أو يمتنع عن إدانة كبارهم أو المسئولين عنهم، وباختصار فإن مقتربى ذاتى يساند غالبا، ولكن ليس عادة، المهزوم ضد المنتصر"[٢٣].

هذا التصريح غير المعتاد والمخلص عن التحيز والذاتية[٢٤]، هو نتاج الدراسات الثقافية لما بعد الحداثة، وهى وجهة نظر عالمية تقف فى جانب واحد من حوار أوسع وأعمق (لم يكتمل) حول الطريقة التى يجب على الإنسان أن يدرس بها ويكتب التاريخ.

وفى عمل رئيسى تلا ذلك عن طرد الفلسطينيين اختار "بابى" كعنوان له "التطهير العرقى لفلسطين"[٢٥]، وهو عنوان- مثل عنوان كتاب "جيمى كارتر" عام ٢٠٠٧ "فلسطين: السلام وليس الأبارتهيد"[٢٦]- مرادا به أن يوقظ كل المؤيدين حتى المنتقدين المعتدلين لإسرائيل، وتكشف النظرة عن قرب للكتاب عن أن العنوان لم يكن مجرد وسيلة من الكاتب لجذب الانتباه، لكنه إشارة خطيرة عن استخدام متعمد لمصطلحات اتهامية- التطهير العرقى مثل الإبادة الجماعية هو جريمة حرب وفقًا للقانون الدولى- كنموذج يجب من خلاله فهم كل الصراع وليس فقط مجرد حرب ١٩٤٨ كما يعتقد، وفى أعقاب كتاباته المبكرة عن الترانسفير التى تعرضنا لها فى الفصل السادس قام "بابي" فى إصداره عام ٢٠٠٦

بتقديم معلومات تاريخية مختارة وإضافية لتقديم النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني على أنه نتاج لنية صهيونية مبيتة، منذ البداية، لإنشاء الدولة اليهودية من خلال التطهير العرقي للسكان الفلسطينيين.

وهناك أقلية من الأساتذة أصحاب الأصوات المرتفعة قامت، مثل "إيلان بابي"، بالكشف بشكل علني عن الكثير من معتقداتهم الشخصية والعالمية في منشوراتهم عن الصراع ليمكن اعتبارهم من الأكاديميين المتورطين في الموضوع على خط التصنيف الذى اقترحناه، ويدفعهم نشاطهم في كثير من الحالات إلى سجالات وجدال ساخن أيضا، وهم يرون أنفسهم "كمفكرين عامين ... ويشيرون إلى مسئوليتهم الأكاديمية و/ أو سلطتهم في التعبير عن أنفسهم في موضوعات ذات اهتمام عام"[٢٧]، ولكن في ظل تورطهم العاطفي يصعب أحيانا معرفة متى يتسبب ولاؤهم لأيديولوجيتهم ووجهات نظرهم في دفعهم لاختيار وتقديم الحقائق لتتماشى مع إملاءات التزاماتهم[٢٨].

وقد حاولت "سارة روى"، خلال مناقشة معقدة كشفت خلالها بوضوح عن المقترب الشخصي ومعتقداتها، الدفاع عما سمته "البحثية الإنسانية" في الصراع العربي- الإسرائيلي؛ واستنادا إلى إدراكها لذاتها باعتبارها ابنة لشخص نجا من المحرقة؛ فإنها شعرت بأنها ملزمة أخلاقيا بعرض أسباب وعوامل القمع وترفع صوتها متعاطفة مع ضحايا الظلم والقهر[٢٩]، والنتيجة بالنسبة لـ "روى" هي تبني إعادة الحقوق الفلسطينية التي ألغتها الصهيونية وإسرائيل، وقد لا يعجب ذلك بعض الناقدين أو قد يرفضون هذا الموقف باعتباره دعاية ضد إسرائيل لها دوافعها الأيديولوجية، وإن كانت تتخفى تحت صياغة أكاديمية تحظى بالاحترام، فإن

الأمر بالنسبة للباحثة يتصل بالإنسانية التى تقود، بوعى من الذات، خطواتها وأبحاثها فى هذا المجال المضطرب.

إن القراء والطلبة، أيا كانت ميولهم أو التزاماتهم الأيديولوجية، هم فى النهاية يستعملون الكتابة العلمية، وبهذه الصفة تقع عليهم مهمة تنمية قدرة نقدية لتفسير ليس فقط الحقائق والحوادث أو التفسيرات المتصلة بالصراع؛ لكن كذلك الفروق بين القنوات الإنسانية المختلفة التى من خلالها يتم تقديمها لهم. فالنزاهة الشخصية والأكاديمية المهنية يجب أخذها باعتبارها معطيات لكل الأساتذة والعلماء والمؤلفين ولكن التنفيذ العملى اليومى لهذه المثاليات يخضع للنواقص الإنسانية المعتادة، ومن ثم فإن القراء الحريصين هم على قدر من الحكمة لإدراك حقيقة أن كل الكتابات عن هذا الموضوع الخلافى يتضمن الآراء الشخصية للمؤلفين سواء جاء ذلك صراحة أو ضمنًا فى النصوص المتصلة بهذه التواريخ المتضاربة.

لقد أفصحت عن تفضيلى الخاص للكتابة الذى يقضى بأن يقوم الأكاديميون بالإبقاء على التعبير عن آرائهم الشخصية فى حده الأدنى، وهو مقترب أكثر تقليدية (إيجابية) تجاه الحقائق التاريخية، والموضوعية، والانحياز[٣٠]، ما يجعلنى أشك فى مزايا الدراسات التى يتم بناؤها حول الرفض الصريح للتجرد الأكاديمى وما يتبعه من الوقوف مع أى من الأطراف المتحاربة فى التواريخ المتضاربة فى فلسطين/ إسرائيل، ولكن هذا المجال يغلب فيه الباحثون الذين لا يتفقون مع هذه النظرة ويميلون إلى المزيد من الصراحة والنشاط وتبنى المواقف، وفى مجال الدفاع عن تفضيلى الذى ينتمى إلى الأقلية، فإننى أختتم حديثى باقتباس كلمات "توثروب فرى":

"الباحث... لديه كل المعضلات المعنوية شأنه فى ذلك شأن جميع الرجال، بل وربما يتم تضخيمها بالنوع الخاص من الوعى الذى تضفيه عليه حرفته، ولكن بوصفه باحثًا فإن المهم ما يقدمه للمجتمع، وهو حرفته، وإذا ما أدرك الفارق بين قيمة الموهبة وقيمة لماذا تم منحه إياها، فإنه ليس فى حاجة، ما دام ظل باحثا، إلى أى مرشد أخلاقى آخر"(٣١).

مؤرخو إسرائيل الجدد:

مع توافر إمكانية الاطلاع على مكونات أرشيف ١٩٤٨، عكف جيل جديد من الباحثين على فحص الماضى من خلال هذه المصادر الأولية، ما أسفر عن موجة من الموضوعات والأطروحات المعدلة لرسائل الدكتوراه والدراسات، وفى نهاية الثمانينيات ظهرت مجموعة خاصة من الناشطين والباحثين فى إسرائيل قادها "بينى موريس"، و"آفى إشلايم" و"إيلان بابي" وهم باحثون لهم "مهمة"(٣٢) والذين، على الرغم من اختلافهم فى المنهجية وميولهم الأيديولوجية، تجمعوا معا وكأنهم فى "حرب صليبية"(٣٣) تحت راية "المؤرخون الجدد".

ومن بين المهام التى أخذها هؤلاء على عاتقهم، تحدى الأساطير خاصة تلك المتصلة بالرواية المقبولة من الصهيونيين لعام ١٩٤٨، ناظرين للوراء بعد مرور أربعين عاما، وضمن أشياء أخرى قام هؤلاء بالكتابة بشكل متعاطف مع الضحايا الفلسطينيين لقصة نجاح الصهاينة، منتقدين قادتهم الذين سممتهم نشوة النصر وأصبحوا أكثر تشددًا فى موقعهم السلطوى الجديد. ولقد رحب بعض داخل

إسرائيل، مع الكثير من الفلسطينيين وناقدى إسرائيل فى الخارج - كل لدوافعه- بظهور هؤلاء المؤرخين الجدد؛ فقد تطلع بعض الإسرائيليين للأثر التصحيحى الذى يمكن لهؤلاء الأساتذة أن يقدموه لمراجعة التيار الرئيسى للروايات التى شملت جرعة زائدة من تعظيم الذات ونقصًا فى النقد الذاتى، أو وجود توقعات عمياء غير مناسبة. والكثيرون يتفقون أن مجرد ظهور مثل هذه المناقشات يمكن أن يكون مفيدًا للدراسة والكتابة المستمرة عن تاريخ الصراع.

لكن الكثيرين فى إسرائيل والعالم اليهودى أخذوا على حين غرة؛ حينما رءوا أبطالهم وبطلاتهم السابقين يتم تصويرهم بهذه الطريقة غير الجذابة، ولم يكن الكثيرون منهم سعداء حين يُقال لهم إن قصة الصهيونية الزاخرة بالأعمال البطولية وولادة إسرائيل كانت موصومة بذنب أصيل بسبب طريقة معاملة الفلسطينيين، فالبحث الجديد فى أحداث ١٩٤٨ بدأ يُظهر تأسيس الدولة ذاته على أنه شىء آخر يختلف عن النصر الأسطورى للضحايا المحاصرين متحديًا صورة إسرائيل عن نفسها باعتبارها القلة فى مواجهة الكثرة مثل "داود" فى مواجهة "جولياث". وفى نهاية الثمانينيات وخلال التسعينيات؛ فإن عدم سعادة الرأى العام الإسرائيلى بالمؤرخين الجدد (غالبًا يتم جمعهم- بشكل خاطئ- مع من يطلقون على أنفسهم "ما بعد الصهيونية" والإسرائيليين المناهضين للصهيونية والباحثين اليهود)[٣٤] كانت ملموسة وأثارت العديد من الهجمات المضادة[٣٥]، فقد انتقدهم بعض باعتبار أن كتاباتهم عكست عدم توازن فى مصادرهم الأولية والذى قادهم بشكل طبيعى إلى نقد غير متوازن لمتخذى القرار الإسرائيليين الصهاينة، فى حين لم يقولوا شيئًا أو

قالوا القليل عما كان يفكر فيه أو يفعله قادة العرب فى ذلك الوقت، أما المنتقدون الآخرون والأقل كرمًا؛ فقد ذهبوا إلى حد اتهام "المؤرخين الجدد" بالقيام بانتهاك المقدسات (ذبح البقرة المقدسة) خلال سعيهم الأنانى نحو الشهرة والتقدم فى مهنتهم، ولفظهم آخرون لقيامهم بعملية تعذيب للنفس إلى حد الانتحار؛ وهو ما يثير الاشمئزاز[٣٦].

ووراء إثارة هذه المناقشات العامة التى ينظر إليها أحيانا على أنها شريرة، عن التاريخ بين الإسرائيليين واليهود، فإن ظاهرة المؤرخين الجدد كانت لها انعكاسات وآثار أخرى سيتم تخصيص الجزء الباقى من هذا الفصل لتناول اثنين منها هما:

١) استخدام منهج "الفرص الضائعة" فى دراسة مدى مراوغة السلام العربى-الإسرائيلى.

٢) فيضان هذه الظاهرة الإسرائيلية الخاصة على اتجاهات التأريخ الرسمى على الجانب الفلسطينى[٣٧].

الفرص الضائعة:

إذا كان استكشاف النوافذ المفتوحة والفرص المتاحة لتحقيق مصالح الشعوب من صميم عمل رجال الدولة والقادة، فإنه من اختصاص الباحثين وغيرهم من المحللين، من مواقعهم واستنادًا إلى الحكمة والبصيرة، مراجعة تاريخ الصراعات وتحديد الفرص الضائعة للسلام وتحقيق التقدم فى القضايا التى يتم الدفاع عنها،

وهناك هدفان لهذه الجهود التى تتم بعد وقوع الحدث: توجيه النقد للقيادة الفاشلة؛ ومعرفة المزيد عن طبيعة الصراع وفرص تسويته، والكتابات المتحيزة التى تفضل الجدال تكثر حول الهدف الأول، فيما الأكاديميون ومستشارو السياسات يميلون للهدف الثانى، وفى الصفحات المقبلة سنقوم ببحث كل من الاستخدامين لمقترب "الفرص الضائعة" من جانب الفلسطينيين والإسرائيليين.

ذهب بعض المؤلفين، بصفة خاصة بين مؤرخى إسرائيل الجدد، إلى تصوير الصراع العربى- الإسرائيلى وكأنه أساسًا يمثل سلسلة من الفرص الضائعة من أجل السلام، ويتمثل الهدف الرئيسى للبحث بالنسبة لهؤلاء الذين يضعون المناقشة فى هذا الإطار فى فهم أسباب الفشل فى الوصول للسلام وتحديد وإدانة الطرف أو الأطراف المسئولة عن فقدان مثل هذه الفرص المفترضة، إلا أن حصر المناقشة فى هذا البعد الوحيد وتطبيق درجة من اليقين بأثر رجعى على "ماذا كان يمكن أن يكون" هو تبسيط لظاهرة أكثر تعقيدًا؛ يلزم النظر إليها فى وقت واحد من خلال مكونات الصراع والأسباب التى من أجلها لم يتم حله بعد.

وباعتباره شكلاً من أشكال التحليل المضاد للواقعية؛ فإن منهج الفرص الضائعة يعتمد – بشكل كبير – على التنبؤ التصورى لو أن (أ) قام فقط بعمل (أو لم يعمل) – (ب)؛ إذن (ج) كان يمكنه أن يفعل (أو لا يفعل) (د)، وكمثل على هذه الصيغة: "لو فقط...حينئذ"، فإن التاريخ يجب أن يستكشف فرضية: لو أن هتلر والحزب النازى لم يأت للسلطة عام ١٩٣٣؛ فإن الحركة الصهيونية لم تكن قد جاءت لتغرق فلسطين تحت الانتداب بالمهاجرين اليهود، ومن ثم فإن الفلسطينيين ربما كانوا قادرين على إنشاء دولة عربية بأقلية يهودية، ولربما هذا يبدو خطأ

جاذبًا للبحث، لكنه يثير الجدال من الناحية المنهجية، فنحن واقعيًا لا نعرف كيف كان من الممكن أن يتصرف أى من الأطراف إزاء احتمالات افتراضية: "إذا فقط...ثم" و"ماذا إذا"؛ هى افتراضات تتضمن تصرفات افتراضية ونتائج افتراضية لا نملك أى وسيلة لتأكيدها حتى باستخدام أحدث التقنيات[٣٨].

فيما يتصل بمحاولات التفاوض، يوجد عدد من الأسباب المعقدة والمتداخلة لشرح لماذا يفشل بعض وينجح بعض آخر[٣٩]، فحسن النوايا والرغبة المخلصة للسلام (وهى نفسها كلمات مرنة وغير محددة تتضمن سلسلة من الشروط والملابسات) ليست وحدها فقط العوامل المحددة فى هذا الخصوص. وأولئك الذين يشيرون لهذه العوامل من أجل الدراسة والتمحيص؛ غالبًا ما يسارعون بطريقة تبسيطية لإصدار أحكام تدين طرفًا ما من أنه لم يستغل فرصة مفترضة لإنهاء الصراع، وما يجعل الأمور هو الاتجاه المصاحب لاقتراح نموذج، يُبنى، وفقًا للكاتب، أن العرب والفلسطينيين أو الصهاينة أو صانعى القرار الإسرائيليين لم يكونوا راغبين بالسلام، وحصر الاتهام باستمرار الصراع فى طرف[٤٠]، ولا يمثل هذا عملاً فكريًا مهمًا على الرغم من أنه قد يشبع احتياجات أولئك الذين يدافعون عن طرف واحد فى الصراع.

ويقدم المؤرخون الجدد، كما سبق الإشارة، أفضل النماذج لمقترب الفرص الضائعة؛ كما لاحظنا المؤرخين الجدد الذين توصلوا إلى أن القادة الإسرائيليين مذنبون لفقدان العديد من الفرص لإنهاء الصراع، وهذا يظهر على سبيل المثال فى دراسة "شلايم" الأولى عن "حسنى الزعيم" فى سوريا، كما هى الحال أيضًا فى دراستين أخريين "صدام عبر الأردن" و"الجدار الحديدى"[٤١]، وبالأخص ينتقد

"شلايم" وغيره من المؤرخين الجدد قيادة إسرائيل لعدم بذل المزيد من الجهد لتحويل اتفاقاتهم المحدودة للهدنة الموقعة ١٩٤٩ إلى معاهدات سلام أكثر امتدادًا واستمرارية، وكذلك لعدم الاستجابة بشكل أكثر إيجابية لمبادرات الانفتاح من الجانب العربى (انظر ما سبق)، ويقدمون أدلة من الأرشيف تشير إلى أن "ديفيد بن جوريون" وحتى المسالم "موشى شرتوك/ شاريت، و"أبا ايبان" قد اتخذوا قرارات واعية أكدت تفضيلهم الإبقاء على الوضع الراهن غير المستقر على صفقة محتملة ربما تتضمن التفاوض على الثمن الذى تطلبه الدول العربية (المهزومة) من أجل سلام أكثر عمرًا: الانسحاب من خطوط الهدنة إلى حدود التقسيم التى اقترحتها الأمم المتحدة وإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين(٤٢).

وتلزم الإشارة إلى أن المؤرخين الجدد لم يكونوا أول من قام بالتعرض لقرارات تتصل بالفرص الضائعة، فالدراسات الناقدة لتعامل إسرائيل المبكر مع قضية اللاجئين تم نشرها من قبل الأستاذين "دون بيريز" و"رونى جابى" فى الخمسينيات، كذلك تم نشر انتقادات أوسع تغطى فترة ما قبل فترة ١٩٤٨ من قبل الناشطين اليساريين "أهارون كوهين" و"سمحا فلابان" فى الستينيات والسبعينيات(٤٣)، وحتى داخل المستوطنات اليهودية نفسها قبيل ١٩٤٨ انخرط عدد من الشخصيات اليهودية المنشقة، الذين كانوا منخرطين فى محادثات مع العرب والفلسطينيين، فى النقد العام للقادة الصهاينة الرسميين لعدم إيلائهم الانتباه الكافى لكسب السكان المحليين. وهذه الانتقادات تمت صياغتها أحيانًا فى إطار تركيز الصهاينة على الحصول على تأييد القوى الخارجية وفشلهم، إما بسبب الجهل وإما الغطرسة، فى الحصول على "وعد بلفور عربى" الذى كان من شأنه (كما يتم الادعاء) أن يضمن بشكل أفضل مستقبلهم السلمى كمقيمين وسكان فى فلسطين / إيريتز إسرائيل(٤٤).

وفى هذا الصدد يذهب مؤرخو التيار الرئيسى للصهيونية/ إسرائيل فى دفاعهم؛ إلى أنه نتيجة رغبتهم واحتياجهم للقبول من والسلام مع العرب، ذهب القادة الصهاينة والإسرئيليون حدا بعيدا لئلا يفقدوا أى فرصة ممكنة للاتفاق أو الوفاق، وتتم غالبًا الإشارة إلى اتفاق "حاييم وايزمان" مع الأمير "فيصل" الذى تم إجهاضه عام ١٩١٩باعتباره مثلاً واضحًا على هذه الجهود للحصول على القبول العربى للبرنامج الصهيونى فى فلسطين[٤٥]. وخلال فترة الانتداب بحث المسئولون الصهاينة عددًا من المبادرات المشكوك فيها من الطرف الآخر وأعطوها اهتمامًا ربما أكثر مما يستحق لتفادى النقد بفقدان فرصة من أجل اختراق حقيقى[٤٦]. ووفقًا لهؤلاء المؤرخين؛ فإن المشكلة لم تكن فى القادة الصهاينة وإنما فى عدم معقولية العرب وعدم استعدادهم.

وقد حاول بعض الباحثين السعى لاستخدام أكثر لمقترب الفرص الضائعة، ففى عام ١٩٩١ نشر "إيتامار رابينوفيتش" من جامعة تل أبيب (مركز دايان) "الطريق الذى لم يتم طرقه: المفاوضات العربية- الإسرائيلية المبكرة"[٤٧]، وكان الكتاب تطويرًا لدراسة بحثية جاءت كرد على مقال للمؤرخ الجديد "أفى إشلايم" عن حقيقة المفاوضات التى جرت مع "حسنى الزعيم"؛ حيث انتقد "إشلايم" إسرائيل لإضاعتها فرصة تاريخية للسلام مع زعيم سورى (تمت بسرعة إزاحته من سدة الحكم واغتياله)[٤٨]، وعلى حين أنه لم يدع أى نية فى الدفاع أو لوم أى طرف من الأطراف والتركيز على ما سماه (الموضوع المراوغ للفرص الضائعة) فإن كتاب "رابينوفيتش" كان تصحيحًا لمقترب الفرص الضائعة الذى يجرى أحيانا إساءة استخدامه من جانب المؤرخين الجدد.

ودون أن يناقض بشكل مباشر الدليل الذى تم الكشف عنه على قصر النظر من جانب صانعى القـرار السياسى لإسـرائيل أواخـر الأربعينيـات وأوائـل الخمسينيات، وزع "رابينوفيتش" المسئولية عن الفشل فى تحقيق السلام بطريقة أكثر عدلاً على الأطراف المتصارعة؛ وانطلاقًا من خبرته فى السياسة الإقليمية العربية واستنادًا إلى اختيار واسع للمصادر الأولية والثانوية بحث "رابينوفيتش" بشكل جـاد عما إذا كان هناك شخص على الجانب العربى يمتلك القدرة على ومـستعد لقبـول وعقد صفقة من أجل السلام مع إسرائيل، إذا ما كان الإسرائيليون قـد أبـدوا إرادة لتقديم تنازلات. وفى استعراضه الحذر والدقيق لثلاث حـالات بعـد ١٩٤٨ قـدم "رابينوفيتش" دليلاً يثبت أنه ليس من بين شركاء السلام مع إسرائيل فـى سـوريا ومصر والأردن من كان فى أى موقع واقعى ليستمر فى اتفاقيـة محتملـة ويقـدم المطلوب فى مواجهة المعارضة الداخلية – حتى لو كان الإسرائيليون أكثر كرمـا فى مواقف المساومة، وقدم "رابينوفيتش" نموذجا للتحليل الدقيق المتأنى الذى يمكن اختباره وتنقيته أو مناقضته من خلال مزيد من الدراسة والحصول على المزيد من مصادر المعلومات التى يمكن أن تكون متاحة(٤٩).

أما فيما يخص التوجه الثانى لمتخذى القرار الصهاينة والإسرائيليين؛ فيوجد كذلك الكثير من الكتاب الذين يتلاعبون بمقترب الفرص الضائعة كمنهج بهدف نقد العرب والفلسطينيين لغياب السلام، فالدبلوماسى الإسرائيلى السابق "أبا إيبان" لاحظ ذات مرة بسخرية أن العرب "لم يفقدوا أبدًا فرصة لفقد الفرصة"، وهى العبارة التى أضحت فيما بعد فى المخزون الخطابى الإسرائيلى للوم الطرف الآخر فى الكثيـر من المناسبات عندما يكون باب الفرص مفتوحًا ويتم غلقه ثانية، وكثير من هـؤلاء الذين يقتبسون هذه الجملة الذكية من مخزونهم يفعلون ذلك فى إطار "لعبة اللـوم"؛ وبهذا العمل فإنهم ينشرون وجهة النظر التى تخدم الذات: الإسرائيليون مـستعدون

دائمًا لتقديم تضحيات من أجل السلام، أما العرب والفلسطينيون فهم بشكل ما وبطبيعتهم غير قادرين على الإمساك بهذه الفرص- سواء كان ذلك بسبب العداوة المتأصلة أو لغياب الذكاء السياسى أو لعدم القدرة على فهم أفضل مصلحة لهم أو لعنة استمرار القيادة التى تفتقر إلى الكفاءة، أو اندفاع شرير معاد لإسرائيل الذى ينقلب ويصير أكثر ضررًا لهم مما هو لأعدائهم[٥٠].

وهؤلاء الذين يختارون لوم "تشدد" الفلسطينيين وأتباعهم لمنهج "الرفض" على الفرص الضائعة، عادة ما يشيرون لرفض الفلسطينيين لتقرير لجنة "بيل" عام ١٩٣٧، وتقرير لجنة الأمم المتحدة عن فلسطين عام ١٩٤٧وما تضمنه من خرائط مقترحة، ودعنا نقتبس من استعمال حديث مثير للجدال لمقترب الفرص الضائعة:

> **"إن المعاناة عديمة الجدوى التى تسببها القيادات والنخب الفلسطينية لشعبها ولكل من يواجهونه (اليهود والأردنيون واللبنانيون وضحايا الإرهاب فى العالم كله) هى نتاج مباشر لاستحواذ العدالة عليهم، ولو أنهم كانوا راغبين فى قبول الحل التوفيقى التاريخى الحتمى لكانت لهم دولتهم الفلسطينية عام ١٩٤٧ على أرض أكثر مما يوجد الآن فى قطاع غزة والضفة الغربية، فمنذ ثلاثين عامًا قبل بناء معظم المستوطنات، كان يمكنهم تنمية وتطوير مشروع الحكم الذاتى لـ "مناحم بيجين" إلى دولة ذات سيادة لهم (كما قال "عرفات" نفسه ذلك)، ومنذ سبعة أعوام (فى كامب ديفيد يوليو ٢٠٠٠) جرى إعطاؤهم دولة على ٩٨% من الأراضى المحتلة بعاصمة فى القدس والسيطرة على جبل الهيكل و٤٠**

مليار دولار لإعادة توطين اللاجئين، ولو كانوا بادلوا بحثهم غير الواقعى عن العدالة النهائية بحل وسط ممكن لربما كانوا قد منحوا ثلاثة أجيال من أبنائهم مستقبلا واعدا"(٥١).

هذه النظرة تعانى من التصدع والتشقق فى اختيارها الذى يشى بتحريف وتشويه الحقائق بجانب استبعاد أمور أساسية تسهم فى شرح لماذا لم يوافق الفلسطينيون- أو وفقًا لمصلحتهم الأفضل ربما كان يجب عليهم عدم الموافقة- على هذه المقترحات. وحتى يكون التحليل للفرص الضائعة أكثر دقة؛ فإنه يجب كذلك أن يتساءل عما إذا كانت المقترحات ذاتها كان يمكن تنفيذها، فى حال قبولها من الطرف الآخر، وإلى ماذا يمكن إرجاع ذلك إلى التصدعات داخلها أم إلى أسباب أخرى كانت ستقود إلى الفشل حتى لو وافق عليها الفلسطينيون كأساس للمناقشة؟(٥٢)

إن محاولة تقديم تحليل كامل مضاد للحقائق يتخطى أهداف هذا الجزء، وعلى الرغم من هذا يمكن طرح الأسئلة التالية التى تحتاج لبحث دقيق قبل أن يكون المرء فى وضع يمكنه من الوصول إلى نتائج لها مصداقية حول ماذا كان يمكن أن تكون النتيجة فقط إذا ما كانت القيادة الفلسطينية قد قبلت مع لجنة "بيل" التعاون مع مقترحات لجنة الأمم المتحدة لفلسطين، ومن قبل ذلك:

١) هل كان من الممكن أن تظل الحدود التى قدمتها لجنة "بيل" والتى تقدم الدولة اليهودية كدولة صغيرة على عشرين فى المئة من فلسطين الغربية (الجليل وساحل البحر المتوسط شمال تل أبيب) على المائدة فى ضوء الرفض الحاد من قبل القيادة الصهيونية لها، فى وقت صرحت بقبولها- من حيث المبدأ- تقرير لجنة "بيل"؟ فخلال السنة التالية مولت الوكالة اليهودية ثم قدمت دراسات

بحثية شاملة إلى لجنة "بيل" ولجنة "وودهيد" الفنية وطالبت بمنطقة أكبر بطريقة واضحة.

٢) هل كانت الدولة العربية التى اقترحها "بيل" قابلة للحياة؟ فالخطة البريطانية لم تدع إلى دولة فلسطينية مستقلة (والتى كان على الأرجح أن يقودها المفتى وأتباعه) ولكنها دعت إلى مناطق عربية من فلسطين المقسمة توضع تحت سيطرة الأمير "عبد الله" حليف بريطانيا المخلص بما يعنيه ذلك من توسيع إمارة شرق الأردن، وفى ضوء أن حكم الأمير كان ينظر إليه على أنه "أجنبي" بالنسبة للفلسطينيين فى معظمهم، كان من المتوقع أن يتم رفضه بشكل ساحق من قبل الفصائل الفلسطينية السياسية، وإدراكا منه بهذا العداء تراجع الأمير "عبد الله" عما أبداه من تحمس مبدئى لمقترحات بيل.

٣) هل كان يمكن تنفيذ عملية الترانسفير اللازمة للسكان؟ إن الاختلال فى التوازن فى التوزيع الديموغرافى لليهود والعرب فى الدولتين المقترحتين من جانب "بيل" كان يقتضى بالضرورة تعديلا على الحدود وكذلك، وهو الأمر الأكثر إثارة المشكلات وربما غير القابل للتنفيذ، تبادلا للسكان، فنحو ٢٢٥ ألف عربى كانوا سيجدون أنفسهم داخل حدود الدولة اليهودية المقترحة (وسكانها ٣٩٦ ألفا) و١٢٥٠ يهوديا فى الدولة العربية المقترحة (٥٣)، وبعد مرور عشر سنوات جاءت خريطة لجنة الأمم المتحدة لفلسطين (وهى عبارة عن خليط من المثلثات) وخليط من السكان كانت بصورة أكثر تعقيدا. فالدولة اليهودية المقترحة كان المفترض أن تضم ٥٠٠ ألف مع أقلية عربية تقدر بنحو ٤١٦ ألفا، والدولة العربية المقترحة كان فيها من العرب ٧١٥ ألفا مع ٦ آلاف يهودى داخل حدودها.

وعلى خلاف الاستخدام المتكرر لمقترب الفرص الضائعة كجزء من "لعبة اللوم"؛ فإن تحليلاً تاريخيا أكثر جدية وغير منحاز يجرى حاليًا إعداده يحاول التعرف على ما إذا كان من الممكن للفلسطينيين ألا يخسروا وطنهم لصالح اليهود، أو كان عليهم العمل للتوصل إلى ترتيبات متسامحة معهم، إذا كانوا فقط يتعاملون ويتصرفون بطريقة مختلفة فى اللحظات الحاسمة من تاريخهم؟ على الرغم من تعرض مثل هذه الدراسة لنفس مخاطر الدراسات المقدمة من مؤرخى إسرائيل الجدد؛ فإن بعض الباحثين قد قاموا بعمل بحث وتقص للحقائق لبعض من هذه النقاط الأساسية فى تاريخ الصراع. وفى الفصل الرابع، على سبيل المثال، رأينا كيف أن الفلسطينيين عام ١٩٢٢ و١٩٢٣ رفضوا مقترح بريطانيا لحكومة ذاتية محدودة. وفى فصل من دراسته القيمة للفرص الضائعة(٤٥)؛ فإن "فيليب مطر" ألقى نظرة تفصيلية على هذه الحقبة والإطار الذى اتخذ فيه القادة الفلسطينيون قرار رفض ثلاثة مقترحات بريطانية متعاقبة: مجلس تشريعى منتخب؛ مجلس استشارى معين؛ وكالة عربية على نمط الوكالة اليهودية، وبالنظر إلى اختيارهم مقاطعة هذه المبادرات البريطانية لمؤسسات حكومة ذاتية محدودة، تساءل "مطر": هل منع القادة الفلسطينيون أو حرموا شعبهم من أداة لربما كانت قللت من تقدم الصهيونية ودعمت فرصهم فى دولة؟

وبعد عملية فحص دقيقة لمجموعة واسعة من المصادر الأولية، ذهب "مطر" بوضوح إلى القول بأن رفض مقترحات ١٩٢٢ المتصلة بإنشاء مجلس تشريعى كان خطأ جسيمًا؛ حيث إن هذا القرار يعنى أن الفلسطينيين حرموا أنفسهم من منبر كان يمكن أن يكون أداة منتظمة للاتصال بالمسئولين البريطانيين، فى وقت استمرت فيه الوكالة اليهودية فى تقديم النصح لحكومة فلسطين فى القدس ومارست المنظمة الصهيونية نفوذها على الحكومة البريطانية فى لندن وعصبة الأمم فى

جنيف(٥٥)، كما أنه برفضهم مقترحات ١٩٢٢/١٩٢٣، فقدوا آلية للضغط من أجل إلزام بريطانيا بالجزء الثانى من تعهدها المزدوج (الفصل ٤) حسب وعد بلفور والانتداب. وفضلاً عن ذلك؛ فإن اجتماعات المجلس المنتظمة، على الرغم من أنها كانت ستعد مسرحًا للجدال، كان سيترأسها المندوب السامى الليبرالى السير "هربرت صامويل"، وربما كان من الممكن أن يسمح المجلس، كمكان، لكل من الفلسطينيين والصهاينة بالعمل معًا فى المسائل الخاصة بالاقتصاد والنواحى الاجتماعية والثقافية ذات النفع المتبادل ويخلق تفاعلات ولقاءات شخصية بما يجعل مواقف بعض الأفراد أكثر اعتدالاً واتجاهًا للبحث عن أرضية مشتركة، وأيضًا توفير فرصة لتسوية المآزق المحتملة حول الموضوعات الساخنة مثل حصص المهاجرين؛ فقد كان المجلس كفيلاً، كما يقول "مطر"، بحكم سلطاته بسن القوانين والتصديق على الميزانيات أن يزود الفلسطينيين ببعض الأدوات لحماية وتحديث مجتمعهم ويمكِّنهم من المنافسة بطريقة أفضل مع المستوطنات اليهودية ذات الطابع الغربى.

وإجمالاً، عبر "مطر" عن اعتقاده بأن الفلسطينيين "كانوا فى موقع أكثر تميزًا مما تحولوا إليه بالفعل" إذا ما وافقوا فقط على المشاركة فى المجلس التشريعى المقترح:

> **"بدون استراتيجية واضحة سواء للمواجهة أو التعاون (تجاه الحكام البريطانيين للبلاد) فقد سمحوا للمستوطنات بالنمو وتأسيس مؤسسات حكومية وعسكرية، والتقى قادتهم المسئولين البريطانيين غالبًا فقط للاحتجاج وتقديم الطلبات والتهديد والمناشدات التى قادت إلى تغيير ضئيل فى الساسة، لا يذكر حتى إن وجد".**

وعلى الرغم من وخز الضمير من أن مشاركتهم ستمثل قبولاً ضمنيًا بالمجتمع اليهودى القومى والانتداب، فإنهم كانوا سيكسبون أكثر من العمل من داخل الحكومة أكثر منه من خارجها، ويسلم "مطر" بأن مشاركتهم فى ذاتها لن تكون كافية لوقف فيضان الهجرة اليهودية وشراء الأراضى فى ضوء عدم التوازن بين قوة الصهيونية وضعف الفلسطينيين. وعلى الرغم من هذا، فقد كان من الصعب تصور كيف أن قبول المشاركة فى المجلس كان يمكن أن يتمخض عنه سوى تحسين الموقف السياسى للفلسطينيين وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، فقد كان بإمكانها أن تسمح له بالمشاركة فى صياغة التشريعات، وكان من شأنها أن توفر لهم صوتًا فيما يتصل بالمصروفات وحصص الهجرة اليهودية، وكان يمكنهم استخدام مواقعهم الرسمية لنقد البريطانيين وسياساتهم وأن يهيبوا ببريطانيا والعالم لمساعدتهم، وفوق كل ذلك وأهم منه كان يمكنهم أن يضعوا أنفسهم فى موقع يطالبون فيه بالمزيد.

وعلى خلاف الاستخدام الجدالى للدليل الذى سبق إيضاحه، وعلى العكس ممن يدعون أن مصير فلسطين كان سيختلف لو أن الفلسطينيين اتبعوا نصيحة "راغب النشاشيبى" بقبول هذه المقترحات(٥٦)، فإن منهج "مطر" قام على أساس البحث المضنى فى حقب مختلفة مثل هذه الحقبة، ولم تكن نتائجه أقل قسوة من أولئك الذين اقتبسنا منهم سابقًا، وإن كانت النبرة مختلفة كليًا: "بطلبهم للعدالة الكاملة بدلاً من العدالة الممكن الحصول عليها، فإنهم لم يحصلوا على شىء، وفى النهاية فقدوا منازلهم وأرضهم ووطنهم القومى وهذا يعنى أنه بتجاهلهم للسياسة العملية والسماح فقط للأيديولوجية والعواطف بتحديد سياساتهم وسلوكهم، قد ضمنوا لأنفسهم الفشل".

وقد كان التطبيق الحكيم من قبل "مطر" لمقترب الفرص الضائعة على عملية صنع القرار الفلسطيني حسن الطالع بالنسبة للباحثين في هذا الصراع، حيث تم تكراره على لحظات أخرى لاتخاذ القرارات الصهيونية/ الإسرائيلية والفلسطينية، ففي كتابه "القفص الحديدي" على سبيل المثال انخرط "رشيد خالدي"، الأستاذ في جامعة كولومبيا، في جهد مشابه طارحًا العديد من الأسئلة حول ما كان يمكن للفلسطينيين فعله بطريقة مختلفة مثل:

- هل كان يمكنهم المساومة وقبول حل وسط يتضمن شكلاً ما من الوطن القومي اليهودي داخل نطاق دولة عربية في فلسطين قبل ١٩٣٩؟
- لو فعلوا هذا، فهل كان سيكون له أي أثر في القوة الدافعة للحركة الصهيونية من أجل دولة يهودية مستقلة في فلسطين؟
- هل لو كان الفلسطينيون في حال أفضل هل سيكونون أكثر ثورية في تعاملهم مع البريطانيين بشكل مبكر عن ذلك؟
- هل لو كانوا في حال أفضل كانوا سيكبحون جماح ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ ويحققون بعض المكاسب السياسية منها؟

وبمراجعة الخيارات والنتائج الممكنة لهذه الفرضيات (ماذا لو) في ظروف الثلاثينيات والأربعينيات، خلص "خالدي" إلى أنه كان من "الصعب أو المستحيل" تصور مسار ناجح سواء بالنسبة لدولة فلسطينية أو التوفيق بين المطامح القومية لكل من الفلسطينيين والصهاينة[٥٧]، ويمكن استخدام تحليل مشابه للتعرف عما إذا كان يجب لوم الفلسطينيين، أو أن يلوموا هم أنفسهم، لفقد فرصة أخرى لتطويق أو وقف توسع الوطن القومي اليهودي وذلك عندما قرروا في مايو ١٩٣٩ رفض كتاب "ماكدونالد" الأبيض، وليس استغلال مواده لصالحهم (انظر: الجزء ٥).

وسواء اختار الفرد الموافقة أو عدمها على مجموعة محددة من النتائج، فإن الاستخدام المناسب للفرص الضائعة كمقترب يحمل فى طياته الكثير من الأمل فـــى تبلور تحليل تاريخى معقول على الجانبين، ولكن كما لاحظنا فإن التحليـــل الـــدقيق لمواجهة الواقع يعنى تفادى مؤكدات بسيطة حيث الاحتمالات فقط مؤكدة واستمرار البحث وظهور دلائل جديدة يمكن أن تساعد فى تنقية وتحسين النتـــائج التـــى يـــتم التوصل إليها.

اتجاهات فى التاريخ الفلسطينى والإسرائيلى:

لماذا بدأ وازدهر التاريخ النقدى والتنقيحى بين الإسرائيليين أكثر منـــه بـــين الباحثين الفلسطينيين؟ ولماذا لا يوجد حتى الآن مثيل فلـــسطينى لـــــ "المـــؤرخين الجدد" الإسرائيليين؟ على الرغم من أن جزءًا من التفسير هو ذو طبيعة فنية، فإنـــه سرعان من يصبح متصلاً بديناميكيات الصراع ذاته، فلأســـباب متنوعـــة تتميـــز المصادر الأولية فى شكل الاتصالات الدبلوماسية والمـــذكرات بـــالوفرة وســـهولة الوصول إليها على الجانب الإسرائيلى، وفى المقابل فإن التقليد الغربى للأرشـــيفات المفتوحة ليس - بصفة عامة - أمرًا معهـــودًا فـــى العـــالم العربـــى، والمجتمـــع الفلسطينى المفتقر إلى دولة والمبعثر فى الشتات تنقصه الهياكل والموارد اللازمـــة لتسهيل وتشجيع عملية تجميع توثيق موثوق فيه للتاريخ الفلـــسطينى علـــى نفـــس مستوى الأرشيف المركزى الصهيونى المنافس وأرشيف دولة إسرائيل. ولـــسنوات فإن فلسطينيى الشتات اعتمدوا على معهد البحوث والدراسات الفلـــسطينية التـــابع لمنظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت لجمع وحفظ هـــذه الأجـــزاء مـــن تـــراثهم القومى، ولكن جزءًا كبيرًا من عملية الحفظ للوثائق تم تركه للأشخاص والعائلات،

كما تمت مواجهة النقص فى الشهادات المكتوبة بشكل جزئى من جانب جيل جديد من أولئك الذين عملوا على تجميع التاريخ المنقول شفاهة[٥٨].

وقد كانت لعلاقة القوة غير المتوازية بين الطرفين تأثيرات أكثر فى الكتابات المتصلة بتاريخ النزاع؛ حيث ذهب "إيلان بابى" إلى أن إسرائيل لم تستعمر فقط الأرض الفلسطينية ولكنها ولسنوات كثيرة احتلت كتابة تاريخها:

"بالإجمال، قدم المؤرخون الإسرائيليون رسالة فحواها أن الإسرائيليين كانوا ضحايا الصراع وشكلوا الطرف العقلانى فى الصراع على فلسطين، فيما الفلسطينيون كانوا غير عقلانيين إن لم يكونوا متعصبين، متشددين ولا أخلاقيين...وكلما كان الطرف قويًا... كانت لديه القدرة على كتابة التاريخ بطريقة أكثر فعالية. وفى حالتنا الخاصة هذه (إسرائيل) كونت الدولة ووظفت جهازها من أجل الدعاية لروايتها فى مواجهة الرأى العام المحلى والخارجى، فى حين كان الطرف الضعيف (الفلسطينيون) منخرطًا فى صراع تحرير وطنى وغير قادر على تقديم المساعدة لمؤرخيه لمواجهة دعاية الطرف الآخر."[٥٩]

وقد تمثلت إحدى نتائج عدم التماثل هذا فى أن الكتابات التاريخية الفلسطينية المبكرة تميزت بأنها "شكل من المقاومة عن طريق تشكل رواية قومية فلسطينية" التى تشبه "الخطب العاطفية والدعاية القومية المباشرة أكثر مما هى البحث عن الحقيقة"[٦٠]، وبهذا المعنى فإن التأريخ الفلسطينى ربما يعانى أيضًا كجزء من مرض فكرى عربى أوسع؛ حيث كتابة التاريخ كانت تعمل بشكل "أقل من البحث الأصيل وأقرب ما تكون إلى الدفاع النفسى"[٦١].

رافضين أو متجاهلين الشكاوى المتصلة بعدم التوازن فى القوة، ذهب بعض الإسرائيليين المنخرطين فى الحوار مع الفلسطينيين إلى القول بأنه بعد أن قاموا

بإخضاع أنفسهم للعملية القاسية الخاصة بإنكار الأسطورة من خلال مؤرخيهم الجدد، فقد حان الوقت للجانب الفلسطيني للحاق بهم من خلال حملة مماثلة في النشاط لإعادة كتابة تاريخ فلسطين وإخضاع أساطيرهم ورواياتهم للبحث والتدقيق. وتوجد عدة استجابات قدمها الفلسطينيون وغيرهم لهذا التحدى من قبل زملائهم الإسرائيليين، فقد أشاروا إلى أنه فى الوقت الذى يستمر فيه الصراع فى شكله الحالى، يتمتع المؤرخون الإسرائيليون برفاهية نقد تاريخهم المنتصر بسهولة نسبية وحصانة؛ مخاطرين فقط بأقل الأضرار للصورة القومية الذاتية ولتقدمهم المهنى، أما الأكاديميون الفلسطينيون؛ فلا يمكن اعتبارهم متساويين مع زملائهم الإسرائيليين، وبحكم كونهم أعضاء فى الجانب الأضعف والمنهزم ويعيشون عموما تحت الاحتلال أو ضيوفًا فى دول غير ديمقراطية، فإن مؤرخيهم تحت الحصار ولا يمكنهم علنًا مهاجمة القادة والنظم أو الانخراط فى نقد المقدسات "ذبح الأبقار القومية المقدسة"، فضلاً عن أنهم عازفون عن الانخراط فى أعمال نقد ذاتى يمكن أن تكون ذخيرة فى أيدى الأعداء مما قد يؤدى إلى كوارث لكفاحهم القومى الجارى.

ويوجد سبب آخر لعدم قيام الفلسطينيين، على الرغم من رغبتهم فى إعادة الفحص النقدى لرواياتهم، بتكرار النموذج والحماس "الصليبى" لمؤرخى إسرائيل الجدد؟ فكما أشار "رشيد خالدى": أضفت نتائج بحوث الأخيرين (المؤرخين الجدد) التدقيق المطلوب على "العديد من عناصر الرواية التاريخية الفلسطينية المعتادة"(٦٢)– ومن ثم تركت للتوضيح من جانبهم. وقد ذهب بعض فى هذه النقطة بعيدًا؛ حيث رعوا ببساطة فى بروز المؤرخين الجدد فى إسرائيل اعترافًا متأخرًا بعدم إمكانية الدفاع عن "التاريخ الرسمى القديم والمشوه" للصهيونية وإسرائيل، وبرهانًا على صحة وحقيقة روايتهم كضحية على يد الاستعمار الصهيونى، وفى هذا الصدد، كتب الشاعر الفلسطينى "زكريا محمد":

"إن الحاجة إلى مؤرخين إسرائيليين جدد نبعت من وجود تاريخ لا يمكن أن يقف أمام النقد الجاد وبعد كل شيء... من هو المؤرخ الجاد الذى يمكنه أن يصف الحركة الصهيونية بأنها حركة تحرر وطنى؟ الفلسطينيون يرون المؤرخ الإسرائيلى الجديد كنادم وتائب أكثر مما هو مؤرخ جديد، فالتاريخ الذى يقدمه ليس إلا اعترافاً أمام كاهن التاريخ، هذا اعتراف بالذنب وليس أكثر، وعلى الجانب الآخر، فإن المؤرخ الفلسطينى لا يمكن أن يكون نادما لأنه ليس لديه ما يعترف به لكاهن التاريخ"(٦٣).

هذه الاختلافات الحادة بين مقتربات المؤرخين الإسرائيليين والفلسطينيين، وحتى بين الإسرائيليين والفلسطينيين أنفسهم، هى مؤشر قوى على مدى استمرارية التباعد بين الكُتّاب للتواريخ المتضاربة فى إسرائيل وفلسطين، وقد وقعت مآزق وجدال مشابه فيما يخص كتابة وإعادة النظر فى كتب المدارس الرسمية منذ ١٩٩٣(٦٤)، فعلى الرغم من بعض التجارب المهمة والأصلية فى الفصول الدراسية- خاصة عرض مشروع الـ ***PRIME*** لقصتين متوازيتين إسرائيلية وفلسطينية للأطفال على الجانبين- فإن النتائج المباشرة كانت مخيبة للآمال بصفة عامة بسبب الآثار الناجمة عن الصراع والتى ما زالت ملموسة فى الشارع(٦٥).

حتى عندما يلتقى الأكاديميون للحديث بصراحة فى أرض محايدة هادئة، فإن التفاعل بينهم غير مشجع على الدوام؛ حيث يوجد صدام لا يمكن تسويته ويبرز من خلال التوتر والغضب والإحباط التى تم رصدها فى مؤتمر دولى مغلق للخبراء عن الروايات التاريخية لكل من الطرفين، عقد عام ٢٠٠٣ بدعوة من مؤسسة

السلام العالمى ومركز بيلفر للعلوم والشئون الدولية فى مدرسة كينيدى الحكومية بجامعة هارفارد(٦٦). وفيما عرض الأكاديميون الإسرائيليون من وسط اليمين حتى اليسار واليسار المتطرف مستويات مختلفة من النقد للقضية القومية اليهودية فى وجود زملائهم الفلسطينيين، رفض الأخيرون القيام بالشىء نفسه، وقد استغل "نديم روحانة" - وهو من فلسطينيى إسرائيل فى علم النفس الاجتماعى - الفرصة ليشن هجومًا قاسيًا على العنف الكامن فى نسيج الصهيونية والطرد والقهر "الثقافة الصهيونية للقوة" التى ما زالت تمارسها إسرائيل على الفلسطينيين الذين لا يجب لومهم على المقاومة(٦٧). وعلى الرغم من اعترافه بحقيقة المعاناة الفلسطينية، هاجم مؤرخ إسرائيلى وناشط سلام العرض العدوانى المقدم من زميله والمتضمن نزع الشرعية عن وجوده كابن إسرائيلى محب للسلام، مشيرًا إلى أن عرض زميله الفلسطينى تضمن كل الصفات المرفوضة لرواية تقوم على الإقصاء، واقترح فى المقابل أن عملية مراجعة النقد للذات التى يتم تطبيقها من قبل الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى تلزم أن تتضمن ثلاث استراتيجيات:

١) الكشف والابتعاد عن الروايات القومية القائمة على الإقصاء والأيديولوجيات القائمة على تمجيد الذات بما يحدث التشوه.
٢) تخطى التعميمات المبسطة والتوصيفات، واكتشاف دوافع وأسباب التعقيد الكامل للأحداث المختلف عليها.
٣) محاولة فهم الدوافع والمنطق وراء "سلوك العدو"، وأن يتم تقديم الرواية التاريخية بحساسية فائقة لمشاعر الطرف المعارض بتعاطف إنسانى وفهم عميق للطبيعة المأساوية للصراع(٦٨).

ومن غير الواضح ما إذا كانت الخطوط الرئيسية التى اقترحها "بار أون"؛ قد تركت أى أثر فى المشاركين الفلسطينيين فى هذا اللقاء المغلق أو غيرت من مقتربهم بالنسبة لتواريخهم المتضاربة. وكثير من الباحثين على الجانبين سيقبلون دعوة "إدوارد سعيد" للنظر إلى بروز المؤرخين الجدد فى إسرائيل على أنه فرصة للانخراط فى حوار فيما يمحصون تاريخهم برؤية نقدية جديدة[٦٩]، وكثيرون سيقبلون أيضًا ملاحظة "رشيد خالدى" بأن الرواية الفلسطينية القومية تتضمن نصيبها من الأسطورة، لكن القليلين من الفلسطينيين سيذهبون بعيدًا كما فعل "خالدى" (الموجود فى جامعة كولومبيا بنيويورك)؛ حيث قام بوضع قائمة للأساطير الأساسية خاصة حول الصهيونى الآخر الذى يستحق فضح زيفه، فالكثيرون سيجدون صعوبة فى الموافقة على نقده لوجهة النظر الفلسطينية:

> **"التى تقلل من الوزن وترى الصهيونية أنها ليست أكثر من مشروع استعمارى. هذا المشروع كان وما زال استعماريًا بمعنى علاقته مع السكان العرب المحليين لفلسطين، لكن الفلسطينيين فشلوا فى فهم، أو رفضوا الاعتراف بأن الصهيونية خدمت باعتبارها الحركة القومية للدولة الإسرائيلية الوليدة التى أقيمت على حسابهم، ولا يوجد ثمة سبب لماذا الموقفان لا يكونان صحيحين"[٧٠].**

وما هو واضح تماما من محاولات "هارفارد" وغيرها[٧١] لجمع الأكاديميين معًا هو الصعوبة الشديدة فى تصميم مشروع فلسطينى- إسرائيلى مشترك لإعادة النظر فى التاريخ ودحض الأساطير ونقد الروايات الوطنية[٧٢]، وعلى الرغم من هذا فمهما كان ما يمكن إنجازه بشكل منفصل أو مشترك بين مؤرخين من خلفيات مختلفة؛ فإن تفكيك هذه الأفكار سيكون مهمًا وحاسمًا لأى مصالحة قادمة بين الشعبين[٧٣].

الهوامش

(١) من بين الأمثلة انظر: معهد بحوث السلام فى الشرق الأوسط (*PRIME*) وموقعه الإلكترونى: http://vispo.com/PRIME . بذور السلام على موقع: http://www.seedsofpeace.org . الاستماع الوجدانى على موقع: http://www.compassionatelistening.org . ابحث عن الأرضية المشتركة على موقع: http://www.sfeg.org

(٢) *J.M.N. Jeffries, Palestine*: الواقـــع، لنـــدن، لونجمـــان جـــرين ١٩٣٩. *M.F. Abcarius, Palestine Through The Fog Of Propaganda*، تقديم الميجور جنرال السير *E .L. Spears*، لندن نيويـــورك، *ATC: Hutchinson* ١٩٤٦، (*Westport, CT: Hyperion Press Reprint*). *Myths And Facts*: سجل ملخص للصراع العربى- الإسرائيلى، واشـــنطن تقريـــر الـــشرق الأدنى (خطاب واشنطن حول السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط) ١٩٦٤: منقح ومحدث ١٩٧٦، ١٩٨٥، ١٩٨٩. *Myths And Facts*: دليل الصراع العربى- الإسرائيلى، تحريـــر ميتشيل ج. بارد: تقديم إيلى هيرتز: *Chevy Chase, MD*: المشروع الأمريكى- الإســـرائيلى للتعاون، ٢٠٠١: منقح ومحدث سنة ٢٠٠٢. ومتاح على موقع المكتبة اليهودية الإلكترونية، جـــرى الـــدخول عليهـــا يـــوم ١٣ أغـــسطس عـــام ٢٠٠٨ علـــى موقـــع: http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/myths/mftoc.html. فرانك جيرفازى، *The Case For Israel*، تقديم أبا إيبان، نيويورك: *Viking Press* ١٩٦٧. جاكوب أروبين، *True And False About Israel*، نيويورك *Herzel Press* من أجل الاتحاد الـــصهيونى الأمريكـــى، ١٩٧٢. صموبل كاتز، *Battleground*: الحقيقة والخيال فى فلسطين، طبعة محدثة وموسعة، نيويـــورك / جيـــروزالم: *Steimatsky*، ١٩٨٥. (*Zionist Mythinformation*: ردود منظمـــة التحرير) أوتاوا كندا مكتب الإعلام الفلسطينى، *nd (c, 1980)*. تـــوم نـــايلور، *Palestine & Zionism*، عشر أســـاطير، *This Magazine*، ديـــسمبر ١٩٨١- ينـــاير ١٩٨٢. *Know The*

Facts: دليل تاريخى للصراع العربى- الإسرائيلى، تحرير ديفيد نيف، القدس: إدارة التعلـيم والثقافة، المنظمة الصهيونية العالمية، ١٩٨٥. جون كويجلى، مرجع سـابق طبعـة حديثـة ومنقحة، لندن: دار نشر جامعـة ديـوك سـنة ٢٠٠٥. ألان ديرشـويتز، *The Case For Israel*، نيويورك *John Willy* سنة ٢٠٠٣.

(٣) من أجل أمثلة على هذا الخير انظر *Procon.org's page on this conflict* وذلك على موقـع: *http://israelipalestinian.procon.org and betterlemons.org*، *(Palestinian-Israeli Cross Fire)*، فى موقع: *http://www.betterlemons.org* .

(٤) الموقع المعتاد المؤيد لإسرائيل هو *Myths & Facts* متاح على: (مكتبة إسرائيل الإلكترونية) على موقـع: *http://www.jewishvirtuallibrary.org/Jsource/myths/mftoc.html* . وهنـاك ذلـك الأكثـر حـدة مـن حيـث الثورية (مـسادا ٢٠٠٠) علـى موقـع: *http://www.masada2000.org* . والمواقع المؤيدة للفلسطينيين تتضمن الانتفاضة الإلكترونية المتاحة على موقع: *http://electronicintifada.net* . وفلسطين تتذكر، المتاح علـى موقـع: *http://www.palestineremembered.com* .

(٥) ديفيد ماتز، *(Reconstructing Camp David)* مجلـة المفاوضـات ٢٢: ١ (ينـاير ٢٠٠٦، ص:٨٩-١٠٣).

(٦) قارن على سبيل المثال الموقع المؤيد لفلـسطين *(Faculty For Israeli, Palestinian Peace)* على موقع: *http://www.ffipp.org* وذلك مع المؤيد لإسرائيل (*Scholars For Peace In The Middle East*) وذلك على موقع: *http://www.spme.net*، ومواقع أخرى مؤيدة لإسرائيل تعتمـد علـى الأكـاديميين وهـى المعهـد الكنـدى للبحـث اليهـودى، علـى موقـع: *http://www.isranet.org* والأساتذة مـن أجـل إسـرائيل قويـة، وذلـك علـى موقـع: *http://www.professors.org.il* .

(٧) سيلفيا ج. حاييم، *(The Arab Awakening)* مصدر للمؤرخ، صحيفة ديفيلت الإسلامية، *n. s.* المجلد ٢ (١٩٥٣) ص:٢٤٨-٩.

(٨) موسوعة الفلسطينيين، طبعة منقحة تحرير فيليب مطر، نيويورك: *Facts On File*، ٢٠٠٥، *xv*.

(٩) يهودا لوكاش وعبد الله م.بتاح (تحرير)، *The Arab Israeli Conflict*: عقدان مــن التغييــر، *Boulder CO*/ لندن: *Westview Press*، ١٩٨٨ ص:٣.

(١٠) من أجل وجهة نظر متعلقة انظر برنارد وزارشتين (مرجع سابق) الطبعة الثالثة، نيوهافن، *CT*/لندن دار نشر جامعة يال/ لندن: *Profile Books* عام ٢٠٠٨ ص:٣.

(١١) دخول على الموقع يوم ١٦ أغسطس ٢٠٠٥ http://www.campus-watch.org ، هذا الموقع جرى إنشاؤه على نمط (*Media Watch*) المؤيد لإسرائيل الذى يعرض ما يرونـــه التغطيـــة الصحفية المتحيزة فى الصراع. انظر أيضًا (*CAMERA*) (اللجنة الخاصة بالتقرير الـــدقيق عن الشرق الأوسط فى أمريكا) علـــى موقـــع: http://www.camera.org ، و(*SHIT List*) (*Self-heating and/or Israel Threatening*) علــــــــــى موقــــــــــع: http://www.masada2000.org/shit-list.html. ومن أجل نقد *Campus Watch* انظر موقـــع: http://electronicintifada.net/v2/article732.shtml جرى الدخول عليه يوم ١٦ أغـــسطس عام ٢٠٠٨.

(١٢) يمكن للقراء المهتمين متابعة هذه الحالات الثلاث وذلك بزيارة المواقع الشخصية لنورمـــان فينكلشتاين حول إنكار الاستمرار (صيف ٢٠٠٧) تم الدخول عليه يوم ١٦ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع: http://www.normanfinkeltein.com/article.php?pg=11&ar=1070 . وعلى جوزيـــف ماساد انظر (*Special Document*) ملف فى مجلة الدراســـات الفلـــسطينية ٣٤: ٢ (شـــتاء ٢٠٠٥) ، ص:٧٠-٨٤ و٣٤: ٤ (صيف ٢٠٠٥) ص:٧٥-١٠٧. عريضة غير مؤرخـــة على موقع: http://www.petitiononline.com/jmassad/petition.html والنقد علـــى موقـــع: http://camera.org/index.asp?x-context=2&x-outlet=118&x_article=874، وكلاهما تـــم الدخول عليه يوم ١٦ أغسطس عام ٢٠٠٨. انظر ناديا الحـــاج وجـــين كرامـــر (*The Petition*: إسرائيل، فلسطين، والمعركة المستمرة فى برنارد). النيويوركار ١٤ أبريـــل ٢٠٠٨ ص:٥٠-٩ (على موقع: http://www.newyorker.com/reporting/2008/04/14/080414fa_fact_kramer) وانظر أيضًا موقع: http://www.muzzlewath.com/?p=227 وموقـــع: http://www.zionism-israel.com/log/archives/00000443.html .

(١٣) حول مشكلات حـدود الموضـوعية انظـر *e.g. , Joyce APPLEBY, Lynn Hunt, and Margaret Jacob, Telling The Truth About History* ، نيويـورك، لنـدن *WW Norton* ، ١٩٩٤ الفصل ٧. ريتشارد إيفانز، *In Defense Of History* ، لنـدن نيويـورك *W.W. Norton*، ١٩٩٩ الفصل ٨.

(١٤) ديفيد شولمان، *Dark Hope*: العمل من أجل السلام فى إسرائيل وفلسطين، دار نشر جامعة شيكاغو عام ٢٠٠٧ ص:١٢.

(١٥) آفى شلايم، *The Debate About 1948*، وذلك فى: *The Israel/Palestine Question*، تحرير إيلان بابيه، لندن/ نيويورك: *Routledge*، ١٩٩٩ ص:١٧٧.

(١٦) بينى موريس، (*Politics By Other Means*) *The New Republic* ٢٢ مارس ٢٠٠٤.

(١٧) بينى موريس، (*Peace? No Chance*) الجارديان، ٢١ فبراير ٢٠٠٢. بينى موريس، مقابلة مع إيهود باراك (*Camp David And After: An Exchange*) *New York Review Of Books* ٤٩: ١٠ (١٣ يونيو ٢٠٠٢). بينى مـوريس وإيهـود بـاراك (*Camp David And After- Continued*) *New York Review Of books* ٤٩: ١١ (٢٧ يونيو ٢٠٠٢) تم الدخول عليهـا ١٥ سـبتمبر ٢٠٠٨ علـى موقـع: http://www.nybooks.com/articles/15501 و http://www.nybooks.com/articles/15540 .

(١٨) آفى شلايم، (*A Betrayal Of History*) الجارديان، ٢٢ فبرايـر ٢٠٠٢. وعـن رد الفعـل العربى على موريس انظر مصطفى كبحا (*A Palestinian Look At The New Historians And Post Zionism In Israel*) وذلك فى كتاب بينى موريس وأن أربـور (تحريـر) *In Making Israel* ، دار نشر جامعة ميتشيجن، ٢٠٠٧، ص:٣١٠-١٢.

(١٩) آرى شافيت، (*Survival Of The Fittest*) (مقابلة مع بينى مـوريس) هـاآرتس ٩ ينـاير ٢٠٠٤.

(٢٠) كريستوفر فـرح، (*The Arabs Are After Our Blood*) (مقابلـة مـع بينـى مـوريس) www.salon.com ٢٣ يناير ٢٠٠٤.

(٢١) يقول آفى شلايم إن لديه معلومات جيدة ودقيقة، حريص فى استخدام الدليل، مفكر ويثيـر التفكير لدى الآخرين. (لا توجد مشاعر فى الحرب)، الجارديان ٣١ مـايو٢٠٠٨، جـرى الدخول عليها يوم ١٧ أغسطس علـى موقـع: http://www.theguardian.co.uk . *Roane*

Counter ،(المؤرخ والسياسة الملتوية للطـــرد) :*Carey, (Doctor Benny and Mr. Morris* *Punch* ١٩-٢٠ يوليو٢٠٠٨، جرى الدخول عليها يــوم ٢٣ يوليـــو٢٠٠٨ علـــى موقـــع: *A History* :١٩٤٨ ، بينى موريس، *http://www.counterpunch.org/carey07192008.html* . *Of The First Arab-Israeli War, New Heaven, CT* : دار نشر جامعة يال سنة ٢٠٠٨.

(٢٢) إيلان بابيه، *Britain And The Arab-Israeli Conflict*، ١٩٤٨-٥١، لندن، ماكميلان برس، كلية سانت أنطونى، سنة ١٩٨٨.

(٢٣) إيلان بابيه، *A History Of Modern Palestine*: أرض واحدة وشعبان، الطبعة الثانيـــة دار نشر جامعة كامبريدج، ٢٠٠٦، ص: ١١-١٢. ومن أجل تصريح بابيـــه المبكـــر (١٩٩٣) المؤيد للقضية الفلسطينية فى الدورية العبرية المسماة *Teoria U-Vikoret*، انظر مردخاى بار أون (*Historiography As An Educational Project*: حوار المؤرخين فى إسرائيل وعملية سلام الشرق الأوسط) وذلك فى كتاب حرره إيلان بيليج وألبانى، دار نشر جامعة نيويورك ١٩٩٨ ص:٣١.

(٢٤) انظر أيضا *Ted Swedenburg's Similar Profession Of Solidarity With The Palestinians And Their Resistance And His Confession That His Study Of The 1936-1939 Revolt (required an effort to unlearn an academic training in anthropology and history that engoins one to uncover the objective truth) Ted Swedenburg, Memories Of The Revolt* تمرد ١٩٣٦-١٩٣٩ والماضى القومى الفلسطيني، دار نشر جامعـــة أركانـــساس، ٢٠٠٣ *xxviii*.

(٢٥) إيلان بابيـــه، *The Ethnic Cleansing of Palestine*، أوكـــسفورد، دار نـــشر *Oneworld Publications* سنة ٢٠٠٦.

(٢٦) جيمى كارتر، *Palestine*: السلام وليس الأبارتهايد، نيويورك، سيمون وشوستر، ٢٠٠٧.

(٢٧) ليزا تاراكى، *The Excessive Charms Of The Internet*، المجلة الدولية لدراسات الـــشرق الأوسط ٣٩: ٤ (نوفمبر ٢٠٠٧، ص:٥٢٨).

(٢٨) نورثروب فـــراى، *The Knowledge Of Good And Evil*، فـــى ن. فـــراى، ســـتيوارت هامبشاير، وكروز أوبريان، *The Morality Of Scholarship*، (تحرير) *Max Black Ithaca, NY*، دار نشر جامعة كورنيل سنة ١٩٦٧ ص:٢٢.

(٢٩) سارا روى، (*Humanism, scholarship and politics*: الكتابة عن الـصراع الفلـسطينى–الإسرائيلى)، مجلة الدراسات الفلسطينية *XXXVI*: ٢ (شتاء ٢٠٠٧) ص:٥٤–٦٥.

(٣٠) من أجل الدفاع عن التاريخ الوضعى والنقد الفعال لمقترب النسبية ما بعد الحداثـة، انظـر *Appleby*، وجاكوب، *Telling the Truth About History, and*، وذلك فى كتاب الدفاع عـن التاريخ.

(٣١) نورثروب فراى، (مرجع سابق)، فى فراى وآل، *The Morality of Scholarship*، صفحة ٢٨.

(٣٢) *Derek Penslar, Israel in History. The Jewish State in Comparative Perspective, London/Nez York: Routledge, 2007, 23.*

(٣٣) بارئون، (مرجع سابق، ص: ٢٣).

(٣٤) هؤلاء الأساتذة استمرت محاولات شيطنتهم من جانب أجنحة اليمين والوسط الإسـرائيلى واليهود. انظر مارتين شيرمان، *YN News*، *"Post-Zionism's Fatal Flaw"*، ١١ أغـسطس ٢٠٠٨، تــم الــدخول عليهـا يــوم ٢٨ اغــسطس ٢٠٠٨ علـى موقــع *http://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L 3580743,00.html*.

(٣٥) من أجل مناقشة موسعة للمعالجة الإسرائينية الثقافية والسياسية للأبطال والبطولة فى أوائـل التسعينيات، انظر كاليف بن ديفيـد *The Jerusalem Report* ،(*Heroes under attack*)، ٢٩ ديسمبر ١٩٩٤، ص: ١٢ ـ ١٧.

(٣٦) حول المؤرخين الجدد والحوارات الأكاديمية والعامة التى أثاروها، انظر: أهارول نيجيـد (*The Israeli Suicide drive*)، ملحق هاآرتس، ١٠ يونيو١٩٩٤، ٢٧ :*f* التاريخ والـذاكرة: دراسـات فـى تقـديم وعـرض الماضـى، ٧:١ (ربيـع ـ صـيف ١٩٩٥) *Israeli* ,*Historiography Revisited*، تحرير *Gulie Ne'eman Arad.* آفى شلايم (*The debate about 1948*)، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسـط، ٢٧ (أغـسطس ١٩٩٥، ص ٢٨٧ ـــ ٣٠٤). *Penslar, Israel in History,* الفصلان ١ ـ ٢. بارئون (مرجع سابق)، ٢١ ـ ٣٨. جوزيف هيلر، *The birth of Israel, 1945-1949* بن جوريون وناقـدوه، *Gainesville, etc,*، دار نشر جامعة فلوريـدا، ٢٠٠٠، ص: ٢٩٥ــ٣٠٧. *Making Israel,* تحريـر بنـى موريس، آن هاربور، دار نشر جامعة متشيجن. ٢٠٠٧، وهناك بصفة خاصة هجوم معـاد

من جانب إفرايم كارش، *Fabricating Israeli History :* المؤرخون الجدد، الطبعـة الثانيـة المنقحة، لندن: فرانك كاس، ٢٠٠٠.

(٣٧) من أجل استقصاء ردود الفعل الفلسطينية والعربية حول المؤرخين الجدد، انظر *Kabha (a Palestinian Look)* ص: ٢٩٩ ــ ٣١٨.

(٣٨) من أجل الاعتبارات الفكرية لبعض الصعوبات للتحليل المـضاد للحقـائق، انظـر ولـيم ظارتمان، *Cowardly Lions :*، الفرص المفقودة لمنع وتفادى الصراع المميت وانهيار الدولة، *Boulder, CO/London: Lynne Rienner, 2005*، ص : ٣ــ٥. موردخاى بار (*Conflicting Narratives or Narratives of a Conflict:* هل يستطيع الحكاؤون الفلسطينيون والـصهاينة عن حرب ١٩٤٨ أن يتم جسرهم وجمعهم على كلمة سواء؟) وذلك فى الكتاب الذى حرره روبــرت أ. روثبــرج بإســم (*Israeli and Palestinian narratives of conflict: History's double helix, Bloomington, Indianapolis*: دار نشر جامعة إنديانا، ٢٠٠٦)، ص: ١٥٧-٨. زيئيف ماعوز، *Defending the Holy Land:* تحليل نقـدى للأمـن والـسياسة الخارجيـة الإسرائيلية، أن هاربور: دار نشر جامعة ميتشجن، ٢٠٠٦، ٣٨٧ ــ ٨.

(٣٩) كمثال على دراسة تستكشف سبعة عناصر متداخلة تؤثر فى النجاح والفشل، انظر لـورا زترين ايزنبرج ونيل كابلان، *Negociating Arab Israeli Peace:* الأنمـاط، المـشكلات، الاحتمالات، بلومينجتون، أنديانا بوليس: دار نشر جامعة لأنديانا، ١٩٩٨. ومن أجل نقـد حاد من حانب أستاذ علوم سياسية لصنع القرار الإسرائيلى باستخدام تحليل عوامل متعـددة عبر خط من الفرص المفقودة، انظر ماعوذ، *Defending the Holy Land,* الفصل ١٠.

(٤٠) كعينات من هذا المقترب انظر جيروم سلاتر، (*What went wrong?*، انهيار عملية الـسلام الفلسطينية – الإسرائيلية، المجلة الربع سنوية للعلوم الـسياسية، ١١٦: ٢ صـيف ٢٠٠١، ص: ١٧١ ــ ٩٩)، و(*Lost Opportunities for Peace in the Arab Israeli Conflict:* إسرائيل وسوريا، ١٩٤٨ ــ ٢٠٠١)، *International Security, 27:1* صيف ٢٠٠٢، ص: ٧٩ ــ ١٠٦.

(٤١) آفى شلايم، *Collusions across the Jordan:* الملك عبد الله، الحركة الـصهيونية وتقـسيم فلسطين، أوكسفورد: *Clarendon Press, 1988*. آفـى شـلايم، *The iron wall:* إسـرائيل والعالم العربى، لندن *Allen Lane/* بنجوين، ٢٠٠٠، ص: ٤٧ ــ ٥٣. ومن أجل النقد انظر

نيل كـــابلان (Zionism and the Arabs: نظــرة أخــرى علـــى الجغــــرافيا التاريخيـــة) Review essay، مجلة التاريخ المعاصر، ٦٣:٢ (أبريل ٢٠٠١)، ص: ٣٥٦ ــ ٦٠.

(٤٢) شلايم، Iron wall. Flapan, Birth of Israel، ص : ٢٠١ ــ ٣٢. توم ســيجيف، ١٩٤٩: أول إسرائيلى، نيويورك/ لندن، Free Press/Collier Macmillan، ١٩٨٦، ص: ٣٤ ــ ٤٠. بابي، Making، الفصول ٧ ــ ٩. بارئون، مرجع سابق، صفحة ٣٠.

(٤٣) دون بيريتز، Israel and The Palestine Arabs، واشنطن، معهد دراسات الشرق الأوسط، ١٩٥٨. رونى جاباى، Political Study of the Arab Jewish Conflict: مــشكلة اللاجئــين العرب (دراسة حالـــة). جينيــف، Librairie E. DROZ (Paris), Libraire Minard, 1995. أهـــارون كـــوهين، Israel and the Arab World, New York: Funk and Wagnalls, 1970 (ترجمة العمل العبــرى الـــذى نــشر عـــام ١٩٦٤). ســـيمحة لابـــان، Zionism and the Palestinians, New York: Barnes and Nobel/ London: Croom Helm, 1979.

(٤٤) انظر نيل كابلان، Futile diplomacy، المجلد الأول: محاولات التفاوض المبكرة العربيـــة الصهيونية، ١٩١٣ــ١٩٣١. لندن: فرانك كاس، ١٩٨٣، ص: ١١٣ــــ١٤، ١٩٢، ٢٠١. كوهين، Israel and the Arab World. فلابان، Zionism and the Palestinians: Dissenter in Zion: from the writings of Judah L. Magnes، تحرير Arthur A. Goren، كامبريدج، MA/ لندن، دار نشر جامعة هارفارد.

(٤٥) بنيامين نتنياهو، A durable Peace، طبعة منقحة، نيويورك، Warner Books, 2000, 48-9. والملحق A (ص: ٤٠٥ ــ ٧)، B (٤٠٩ ــ ١٠). ومن أجل وجهة نظر متشككة انظـــر أ. ل. طيباوى، T.E. Lawrence، فيصل ووايزمان: محاولة ١٩١٩ لتأمين وعمل تـــصريح بلفـــور عربـــى. Royal Central Asian Journal, 65:2، يونيـــو ١٩٦٩، ص: ١٥٦ ــ ٦٣. ولنظرة كلية، انظر نيل كـــابلان (Faisal Ibn Husain and the Zionists: إعـــادة فحـــص ودراســـة بالوثـــائق)، International History Review, V: 4، نـــوفمبر ١٩٨٣، ص: ٥٦١ــ٦١٤.

(٤٦) كابلان، Futile Diplomacy مجلدات I – II، Passim.

(٤٧) إيتامار رابينوفتش، *The road not taken* المفاوضات العربيــة- الإســرائيلية المبكــرة، نيويورك/ أوكسفورد: دار نشر جامعة أوكسفورد، ١٩٩١. الصيغة العبرية، ها ــ شــالوم شي ــ هاماك (السلام الذى اختفى)، وجرى نشره مبكراً هذه السنة.

(٤٨) آفي شلايم (خطة حسنى الزعيم لإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين)، مجلــة الدراســات الفلسطينية، ١٥: ٤، صيف ١٩٦٨، ص: ٦٨ ــ ٨٠.

(٤٩) كمثل آخر لدراسة جادة للحالة، انظر مرضخاى جازيت (*Egypt and Israel* ــ هل كانــت هناك فرصة مفقودة للسلام عام ١٩٧١؟)، مجلة التاريخ المعاصر، ٣٢ :*I* (ينــاير ١٩٩٧)، ص: ٩٧ ــ ١١٥.

(٥٠) لمناقشة نقدية انظلا ماعوز، *Defending the Holy Land, 2006,* ، الفصل ١٠ "لــم نفقــد فرصة حتى نفقد فرصة": اللا سياسة الإسرائيلية للسلام فى الشرق الأوسط. وانظر أيــضا خالدى، *Iron Cage*، ص: ٢٩١ (*n.2*).

(٥١) دان شيوفتان، (*Historic comprmise and historic justice*) ، وذلك فى "*The 1937 Peell Report revisited*"، ١٤ يناير ٢٠٠٨، الطبعــة الثانيــة، *Bitterlamons.org*، *Palestinian-Israeli crossfire,*، جــرى الــدخول عليهــا يــوم ٢٥ أغــسطس ٢٠٠٨ علــى موقــع http://www.bitterlamons.org/previous/bl140108ed02.html .

(٥٢) حول النقاش الأخير بين الفلسطينيين والإسرائيليين الأكاديميين انظــر: *Shared Histories*: حوار فلسطيني- إسرائيلي، تحرير *Paul Scham* ، وليد سالم وبنيامين بوجروند، *Walnut Creek, CA: Left Coast Press* ، سنة ٢٠٠٥ ، ص:١٧٧-٢٠٤.

(٥٣) لإعادة الفحص والنظرة الأخيرة لتوصيات لجنة بيل غير العملية انظر وزارشتين، *Israelis and Palestinians*، ص:١٠٩-١٤.

(٥٤) فيليب مطر، *Unpublished ms* ، الفصل ٢. وإننى مدين بالشكر العميق للــدكتور مطــر حيث شاركنى المسودة غير المنشورة. والمواد والاقتباسات فى الفقرات المقبلة مأخوذة مــن هذا المصدر. وقد أثار خالدى قضايا وأسئلة مضادة لهذه الوقائع ، انظــر خالــدى، *Iron Cage* ، ص:٣٣-٤، ٤٤-٦، ٦٤، ١١٨.

(٥٥) برفض القادة الفلسطينيين إدخال البريطانيين بجدية قبل ذلك بسنة؛ فإنهم فقدوا أيضا فرصة مهمة فى التأثير فى صياغة ورقة تشرشل البيضاء فى يونيو١٩٢٢، وهى أهم ورقــة فــى

السياسة البريطانية فى فلسطين بين ١٩١٧ و١٩٣٧. انظر أيضا يهوشوا بوراث، *The Emergence of the Palestinian arab national movement*، ١٩١٨-١٩٢٩، فرانك كاس، ١٩٧٤، ص:١٤٤-٦.

(٥٦) ناصر الدين النشاشيبى، *Jerusalem's Other Voice*: راغب النشاشيبى والاعتدال فى السياسة الفلسطينية، ١٩٢٠-١٩٤٨، *Exeter: Ithaca Press*، ١٩٩٠، خاصة الفصل رقم ٩.

(٥٧) خالدى، *Iron Cage*، ص: ١١٨-٢٠.

(٥٨) حول مشكلات المصادر الفلسطينية الأولية المكتوبة والشفهية انظر: صالح عبد الجواد (*The Arab And Palestinian Narratives of the 1948 War*)، وذلك فى كتاب روث بيرج، *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict*، ص:٧٢-١١٤، خاصة ص:٩٥-١٠٣. خالدى، *Iron Cage*، *xxxv-xxxviii*. عادل يحيى وعزيز حيدر وبرنارد سابيلا وذلك فى *Scham et Al., Shared Histories*، ص:٢٣٢-٤١، ٢٦٥. مطر، موسوعة الفلسطينيين، *xiv-xv*.

(٥٩) إيلان بابيه، (مقدمة: التوجهات التاريخية الجديدة فى البحث حول القضية الفلسطينية) وذلك فى *The Israel\Palestine Question*، تحرير إيلان بابيه، لندن/ نيويورك: *Routledge*، ١٩٩٩، ص:٢-٣.

(٦٠) عادل يحيى، وذلك فى *Scham et AL*، مرجع سابق ص:٢٣٢.

(٦١) *W. Cantwell Smith, Islam in Modern History*، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٥٧، وجرى الاقتباس منه فى كتاب *Arab Nationalism* تجميع (تحرير)، وتقديم سيلفيا ج. حاييم، دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٢، ص:٣٨ رقم ٨٣. وانظر أيضا أفراهام سيلا: *Arab Historiography of the 1948 War*: البحث عن الشرعية فى كتاب: *New Prespectives on Israeli History*: السنوات الأولى للدولة، تحرير لورانس سلبرشتاين، نيويورك، دار نشر جامعة نيويورك سنة ١٩٩١، ص:١٢٤-٥٤.

(٦٢) خالدى، *Iron Cage*، *XXXIV*. وانظر أيضا: *Kabha (A Palestinian Look)* ص:٣٠١، ٣١٣-١٤.

(٦٣) زكريا محمد، (*New Palestinian Historians*) الأيام، ٤ نوفمبر ١٩٩٩، مقتبس فى ياكوف لوزويك، *Right to Exist*: دفاع أخلاقى عن حروب إسرائيل، نيويورك، *etc: Double*

Day ، سنة ٢٠٠٣ ، ص:٨٢-٣. وانظر أيضًا: وجهات نظر وجيه كـوثراني وعمـاد عبـد الغني والتي جرى مناقشتها في كتاب *Kabha (A Palestinian Look)* ص:٣٠٧، ٣١٣.

(٦٤) نقد الكتب الرسمية الفلسطينية جاء من الإعـلام الفلـسطيني (*Palestinian Media Watch*) جرى الدخول عليها ٢١ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع: *http://www.pmw.org.il/* ، ومركـز مراقبة أثر السلام (*CMIP*) والمعروف الآن بمعهد مراقبة السلام والتـسامح الثقـافي فـي التعليم المدرسي (*IMPACT-SE*) جرى الدخول عليه يوم ١٦ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع: *http://www.impact-se.org/* ومن أجل بعض الأدبيات حول الكتب موضع الخلاف انظـر إيلي بوديه (*History and Memory in the Israeli Educational System*: تصوير الـصراع العربي- الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسـية ١٩٤٨-٢٠٠٠). *History and Memory* ١٢، ٢٠٠٠ ، ص:٦٥-١٠٠، خاصة ص:٨٩-٩١. ناثان بـراون، *Palestinian Politics After the Oslo Accords*: استعادة فلسطين العربية، دار نشر جامعة كاليفورنيا سـنة ٢٠٠٣ الفصل ٦. ناثان براون (*Contesting National Identity in Palestinian Education*) ، وذلك في كتـاب روث بيـرج، *Israeli and Palestinian Narrative of Conflict*، ص:٢٢٥-٤٣. إيال نافيـه (*The Dynamics of Identity Construction in Israel Through Education in History*) وذلك في روث بيـرج – المرجـع الـسابق- ص:٢٤٤-٧٠. جينيفـر ميلـر، *Inheriting the Holy Land*: بحث أمريكي عن الأمل في الـشرق الأوسـط ، نيويـورك: *Ballantine Books* ، سنة ٢٠٠٥ ص:٤٥-٦٨.

(٦٥) انظر دان بار أون وسامي عـدوان (*The Psychology of Better Dialogue Between two Separate But Interdependent Narratives*) وذلك في كتاب روثبيرج – المرجع السابق- ص:٢٠٥-٢٤. معهد أبحاث الـسلام فـي الـشرق الأوسـط (*PRIME*) علـى موقـع: *http://vispo.com/PRIME/* .

(٦٦) المؤلف الحالي حضر هذه الندوات، وجرى كتابة التقرير من جانب ديبورأويست باسم *Myth and Narrative in the Israeli Palestinian conflict*، كامبريـدج، *MA*: مؤسـسة الـسلام العالمي (*WPF*) تقرير رقم ٣٤، سنة ٢٠٠٣. ومجموعة الأوراق من هذه المؤتمرات جرى تحريرها وتقديمها من جانب روبرت أ.روثبرج باسم *Israeli and Palestinian narrative of conflict*.

(٦٧) نادين ن.روحانا، (*Zionism's Encounter with the Palestinians*: ديناميكية القوة والخوف والتطرف) وذلك فى كتاب روثبيرج- المرجع السابق ص:١١٥-٤١.

(٦٨) بار أون، (*Conflecting Narratives*) ص:١٥٣. ورد فعله على روحانا فى الصفحات ١٤٣-٥٠.

(٦٩) وجهات نظر سعيد جرى مناقشتها باختصار فى *Kabha (A Palestinian Look)* ، ص:٣١٤-١٥.

(٧٠) خالدى، *Iron Cage* ، *xxxiii-xxxiv*.

(٧١) *Scham et al, "Shared Histories"*، انظر كذلك المقال الممتاز من نيد لازاروس بعنوان: "*Making Peace with the Duel of Narratives: Dual-Narrative Texts for Teaching the Israeli-Palestinian Conflict"*، فى *Israel Studies Forum*، العدد ٢٣ (صيف ٢٠٠٨)، ص: ١٠٧-١٢٤.

(٧٢) ليس كل مراقب يشاركنى تقديرى المتشائم. انظر وزارشتين، *Israelis and Palestinians*، ص:٣.

(٧٣) خالدى، *Iron Cage* ، *xxxvi*.

الفصل الثانى عشر

مواجهة العقبات

فى الوقت الذى ندخل فيه العقد الثانى للقرن الواحد والعشرين، فإن التجسيدات الأخيرة للصراع الأصلى الصهيونى/ الفلسطينى/ العربى، وما تلاه من نزاع إسرائيلى- عربى استمر مستعصيًا على جهود تسويتها؛ حيث إن طبيعة التداخل بين هذه الصراعات التى دامت فترة طويلة[١] واصطبغت بصفة التصلب، قد تشير إلى أنها لن تحل بشكل نهائى من خلال ترتيبات لحلول توافقية، أو الالتقاء فى منتصف الطريق أو إنهاء المظالم، وكما أشرت فى الفصل الأول ربما تكون هناك فقط طرق لإدارة الصراع من خلال احتواء المعاناة المتقيحة والنزول بها إلى مستوى يمكن احتماله، وحتى أولئك الذين يعملون على تحقيق هذا الهدف المحدود لا يمكنهم تقديم الضمانات على أن الصراع لن يعاود الانفجار فى شكل أزمة محلية أو إقليمية أو دولية، ما يجعل من استراتيجيات الوقاية من الأزمات عنصرًا ضروريًا لتفادى تحول الانفجارات فى المستقبل إلى عنف صريح[٢].

ما أفضل الطرق لمواجهة العقبات طويلة الأمد أمام المصالحة والسلام بين الأطراف؟ وما أفضل الطرق للتعامل مع العقبات المرتبطة بقدرتنا- كطلبة ومراقبين وناشطين- على طرح وفهم التواريخ المتضاربة للإسرائيليين والفلسطينيين بطريقة مفيدة؟

القضايا محل النزاع.. البناء على الماضي، وتخيل المستقبل:

فى أى لحظة محددة يمكن أن يأخذ تلخيص القضايا التى يختلف عليها الإسرائيليون والفلسطينيون أشكالاً مختلفة. وفى وقت إعداد هذا الكتاب (٢٠٠٩) يمكن بسهولة إعداد قائمة باستلهام قضايا الوضع الدائم التى لم تتم تسويتها على النحو الذى تم إيضاحه كما تم تحديدها فى اتفاقات أوسلو١٩٩٣ التى لم يتم تنفيذها:

- التوصل إلى، والحفاظ على، التزام حقيقى وقوى من كل الأطراف بإقامة دولة فلسطينية وإسرائيلية من خلال الاعتراف المتبادل.
- تقرير الحدود بين دولة إسرائيل والدولة المستقلة الفلسطينية المستقبلية (كم نسبتها؟) فى الضفة الغربية وغزة، واستكمال انسحاب القوات الإسرائيلية المقرر من المناطق التى ستخصص لفلسطين.
- مستقبل المستوطنات اليهودية التى تم بناؤها فى الضفة الغربية منذ ١٩٦٧، سواء ما سيتم الإبقاء عليها (فى مقابل أراضٍ تتم المقايضة بها) أو التى سيتم الانسحاب منها.
- ترتيبات أمن للدولتين الجارتين المستقبلتين.
- عودة و/ أوتعويض للاجئين الفلسطينيين، الذين طردوا أو هربوا فى حروب ١٩٤٨ و١٩٦٧: كم سيعود لفلسطين؟ وكم سيعود لإسرائيل؟ وماذا عن ادعاء إسرائيل الذى لا يعترف به الفلسطينيون، للأخذ بشكل متبادل فى الاعتبار اليهود الذين تم حملهم على مغادرة الدول العربية فى فترات الحرب؟
- مستقبل القدس الذى يدعى كل من الإسرائيليين والفلسطينيين أنها عاصمتهم الوطنية، والتى ينظر إليها على أنها مدينة مقدسة لمئات الملايين من المسلمين

والمسيحيين واليهود، هل يمكن المشاركة فيها؟ أو تقسيمها؟ وتحت أى سيادة ستكون؟

وعندما يستعرض المرء المطالب الأساسية فى حدها الأدنى ("الخطوط الحمراء") ومصالح الأطراف الرئيسية، بالتوازى مع قدرته المثيرة للدهشة على مقاومة الضغوط لتغيير هذه المطالب، فإن الصراع قد يبدو أنه لا يمكن تسويته، وعلى الرغم من هذا فشهادة المفاوضين فى طابا (يناير ٢٠٠١) والمشاركين فى مبادرة جنيف (أكتوبر ٢٠٠٣)؛ تشير إلى أنه من خلال صياغات ماهرة وروح حقيقية للوصول إلى حلول وسط فإنه يمكن التوصل إلى تخطى كل العقبات[٣].

وفى هذه الأثناء، يستمر الصراع فى التعبير عن نفسه بشكل يومى ليس فقط من خلال توقعات متقطعة عن مناورات دبلوماسية ممكنة ولكن وبطريقة أكثر انتظاما فى أشكال عنيفة وقمعية، فالمدنيون الإسرائيليون يُقتلون أو يُجرحون جراء إطلاق الصواريخ والهجمات الإرهابية التى يقوم بها الفلسطينيون، والمدنيون الفلسطينيون يقتلون أو يجرحون خلال العمليات التى تشنها القوات الإسرائيلية. كما يتعرض سكان الضفة الغربية بشكل متزايد للعنف من قبل عصابات المستوطنين[٤]، ويعانى الفلسطينيون الذين يعيشون تحت الاحتلال من انتهاكات لحقوق الإنسان وإهانات بشكل أكثر وضوحًا عند نقاط التفتيش. وبشكل دورى يتم تنظيم التجمعات المحتجة واتخاذ الإجراءات القضائية الهادفة إلى تحدى شرعية الحاجز الفاصل أو الجدار الأمنى الذى أنشأه الإسرائيليون للفصل بين الشعبين، وكذلك مصادرة أراضى الفلسطينيين. ومن جانبهم، يصدر القادة الفلسطينيون احتجاجات دبلوماسية ضد استمرار بناء المستوطنات الجديدة وتوسيع القائم منها بالفعل فى مناطق يفترض أن تكون موضوع المفاوضات بين الأطراف حينما يتم استئناف المحادثات.

ولسوء الحظ؛ فإن البناء على الماضى وإعادة تتبع تطـور الأشـكال الأولـى للقضايا نفسها (الفصول من ٣ إلى ١٠)؛ لا يوفران لنا دروسًا يمكن الاستفادة منها فيما يتصل بكيفية تحرك الفلسطينيين والإسرائيليين حتى يقتربوا من بعضهم بعـض تجـاه السلام والتسوية.. وفى المقابل فإن البناء على التواريخ المتضاربة للأطراف يمكـن - على أى حال - أن يمكِّن المراقبين المعاصرين مـن تقيـيم تعقيـدات الموضـوعات المختلف عليها، فضلاً عن عمق المشاعر وعدم الأمن الذى يشعر به المتصارعون.

وبالنسبة للبرجماتيين الساعين إلى التسوية، فـإن هـذا التقيـيم لـصعوبات الماضى يمكن أن يشكل مرشدًا وعنصرًا أوليًا ليس على ما يمكن أن "يـؤدى إلـى نتيجة" ولكن على الذى "لا يمكنه أن يكون فعالاً". وفيما يتـصل بالبـاحثين الـذين يكرسون عملهم سعيًا لاقتراح حلول انطلاقًا من خبرة الماضى، فـإنهم سـيدركون أيضًا حدود التوصيات التى تستند إلى مقترب "إذا/ فقـط" والتـى تحـدد الـسلوك الأفضل لواحد أو أكثر من المتصارعين. وبشكل عام؛ فإن البناء علـى الماضـى يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة فى أن نتجنب سوء تقدير العقبات الكئود التى يجـب مواجهتها للوصول إلى تحقيق تقدم ملموس نحو الحل السلمى.

وعندما نتطلع إلى الأمام لاستجلاء "ملامح المستقبل"[٤]؛ يجب ألا نتصور أن هناك مساحة كبيرة لابتكار شيء جديد من جذوره، على الرغم مـن أن الكثيـرين سيستمرون فى الاستشهاد بالصياغات القديمة من قبيل "دعنا نفكر من الخـارج"، فأولئك المنخرطون فى مثل هذه المناقشات اليوم سيجدون أنفـسهم، بعلـم أو دون علم، أمام العديد من الخطط والأفكار التى سبق طرحها من قبـل؛ حيـث أظهـر تسجيلنا للتواريخ المتضاربة (الفصول من ٣ إلـى ١٠) وفـرة لـيس فقـط فـى المواجهات العنيفة ولكن كذلك فى جهود السلام التى فـشل معظمهمـا وإن حقـق بعضها نجاحًا جزئيًا.

وفى الوقت الذى يتم فيه إعداد هذا الكتاب (٢٠٠٩)؛ انخرط عدد من الشخصيات السياسية والفكرية فى مناقشات فلسفية وسياسية وديموغرافية؛ تتصل بما إذا كان مستقبل الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن أن يكون أفضل من خلال حل "الدولتين" (الفصل/التقسيم) أو بالعيش تحت نظام دستورى مناسب داخل "دولة واحدة" (مزدوجة القومية أوغيرها)(٦). وبعيدًا عن السيناريو المتطرف القائل بقيام أحد الأطراف بمحو الآخر تمامًا، فإن هذه هى، وبشكل أساسى، الخيارات المتاحة للمتصارعين. وبالنظر إلى الخبرات التفاوضية الحديثة (مفاوضات طابا، خريطة الطريق، المبادرة السعودية، مبادرة جنيف) فإن خيار دولتين لقوميتين، على الرغم من أنه لا يتسم بالكمال، فيمثل بصيصًا من الأمل، على الرغم من بروز تكهنات حول زوال هذا الخيار. وأيًا كانت تفصيلاتهم، فإن أولئك المنشغلون بتصور ملامح شكل المستقبل سيكونون أكثر علمًا – وفى النهاية أكثر فعالية فى تقديم الحل المفضل من وجهة نظرهم- من خلال البناء على الخطط والمواقف التى تم طرحها ودراستها فى الماضى، وبصفة خاصة التقسيم والخطط الداعية للقومية المزدوجة والتى نوقشت خلال الثلاثينيات والأربعينيات(٧).

الضحية الحقيقة:

تساعد قائمة الموضوعات – التى سبق الإشارة إليها – فى تكوين شعور جزئى عن العقبات التى يجب تخطيها قبل توقع حركة من حالة الجمود المطبق تجاه نوع ما من التسوية المحتملة، وعلى الرغم من كونها مستعصية ومقاومة للحل؛ فإنها تشكل فى الأساس قضايا "ملموسة" يمكن التفاوض حولها، وفى المقابل

توجد مجموعة من العقبات "الوجودية" و"غير الملموسة" التى ربما هى أكثر صعوبة فى التغلب عليها.

ويبرز التشابك بين كل من العقبات "الملموسة" و"غير الملموسة" من خلال استعراض المقولات الجوهرية المثيرة للجدال (الإحدى عشرة)؛ والتى تم تركيز الضوء عليها على مدار تاريخ الصراع، ولا تزال تنتظر الحل سواء بين الأطراف ذاتها أو أولئك الذين يكتبون ويعلقون على الصراع وهذه المقولات هى:ـ

١)من كان هناك أولا؟ وأرض من كانت بداية؟

٢) هل كان الحل الصهيونى للمسألة اليهودية شكلاً مختلفاً من النضال الوطنى من أجل التحرر؟ أم كانت الصهيونية جزءًا من توسع استعمارى عدوانى فى الشرق الأوسط بهدف الاستغلال والاستيلاء وقهر السكان المحليين؟

٣) هل قام البريطانيون بخلق أم مفاقمة الصراع بين الفلسطينيين العرب واليهود الصهاينة من خلال تقديمهم دعمًا مفرطًا لطرف على حساب الطرف الآخر؟

٤) هل كانت الاحتجاجات والمطالب من جانب قادة الفلسطينيين تعبيرات مشروعة عن شعور فلسطينى قومى أصيل؟

٥) هل أوقعت الصهيونية ضررًا أم أنها عادت بالفائدة على السكان المحليين لفلسطين وللإقليم؟

٦) هل كان لجوء الفلسطينيين / العرب / الصهاينة /الإسرائيليين للعنف أمرًا مبررًا؟ أم تلزم إدانته؟

٧) ما الصلة، إن كانت ثمة صلة، يجب إقامتها بين القضاء على اليهود الأوروبيين خلال المحرقة ومسألة من يجب أن يحكم فلسطين/إسرائيل؟

٨) هل كان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٨١) الخاص بالتقسيم؛ ممارسة شرعية لسلطة الأمم المتحدة وفقًا للقانون الدولي؟ وهل كان من الحكمة أن ترفضه الدول العربية والفلسطينيون؟

٩) كيف صار الفلسطينيون لاجئين عام ١٩٤٨/١٩٤٩؟ ولماذا استمروا على هذا النحو لفترة طويلة؟

١٠) هل الأرض التي غزتها إسرائيل في يونيو ١٩٦٧ في الضفة الغربية للأردن يجب اعتبارها "أرضًا محتلة"؟ وهل لإسرائيل الحق في بناء المستوطنات اليهودية هناك؟

١١) ما النوايا الحقيقية للفلسطينيين ولمنظمة التحرير الفلسطينية؟ هل هي إزالة الدولة اليهودية لإسرائيل وتغييرها بدولة عربية لفلسطين؟ أم خلق دولة عربية فلسطينية على جزء من فلسطين التاريخية تتعايش جنبًا إلى جنب مع دولة إسرائيل اليهودية؟

وبفهم التواريخ المتضاربة للإسرائيليين والفلسطينيين في ضوء هذه السلسلة من الأسئلة؛ يصبح لدينا شعور وإدراك أقوى بالعقبات التي يجب مواجهتها فيما لو وجد حل لهذا النزاع، والمحصلة التراكمية لهذه الإشكاليات الإحدى عشرة الجامدة؛ هي التي تجعل من الصراع العربي- الإسرائيلي نزاعًا متواصلاً ولربما غير قابل للحل.

وتوجد عقبة سلوكية رئيسية تشكل قاعدة مشتركة لجميع الحجج التي يتم تقديمه؛ فيما يتصل بجميع القضايا المثارة في القائمة السابقة وتتمثل في اتجاه كل من الطرفين لإلقاء المسئولية على الآخر باعتباره السبب الرئيسي لمعاناته، فكل من الفلسطينيين والإسرائيليين تنحصر نظرتهم لأنفسهم على أنهم ضحايا للطرف

الآخر، بل أكثر من ذلك ليس فقط ضحايا وإنما (كما يقول "بيني موريس") "الضحية الحقيقية"، ومن جانبي فإنني أعتبر هذه العقلية العقبة الرئيسية أمام السلام والمصالحة، ويعتبر تحييدها أو التقليل من أثرها شرطًا مسبقًا للخروج من العديد من المآزق في كثير من القضايا الأساسية.

وربما قد يكون من غير الممكن التخلص بشكل تام من المأزق الناجم عن الإدراك المتبادل للطرفين بأن كلاً منهما ضحية للآخر، وكما يقر الروائي الإسرائيلي والناشط من أجل السلام "آموس عوز": "حتى عندما يصبح هذا الصراع جزءًا من التاريخ سيكون هناك اختلاف حول المرارة ... ولن يتنازل أي من الطرفين عن دعواه بكونه الضحية"، ووفقًا له فإن ذلك هو شيء يجب على الأطراف أن تتعايش معه وتتحرك حوله[٨]، وفي كتاباته وخطاباته يذهب "عوز" إلى القول بأنه ربما يكون من المفيد النظر إلى أن الطرفين المتصارعين شريكان في وضعية الضحية لطرف ثالث وهو على وجه التحديد أوروبا المسيحية:

> **"العرب كانوا ضحايا من خلال الاستعمار والإمبريالية والقمع والاستغلال، فيما أن اليهود كانوا ضحايا التمييز والمذابح والطرد وأخيرًا القتل الجماعي... ومن بين أسوأ الصراعات ذلك الذي يتطور بين ضحايا لنفس الطرف الظالم: فطفلين لذات الأهل القاسيين لا يحب بالضرورة أحدهما الآخر؛ حيث يرى غالبا كلاهما في الآخر صورة الظالم في الماضي، وهذا هو ما يحدث إلى حد كبير بين الإسرائيليين والعرب؛ فالعرب فشلوا في النظر إلينا كمجموعة ممن نجوا من المحرقة وهم يروننا امتدادًا لكابوس ظلم المستعمرين**

الأوروبيين، فيما أننا غالبا ننظر للعرب ليس كضحايا مثلنا ولكن كتجسيد للظالمين السابقين.. الكوزاك الذين نظموا المذابح، والنازيون الذين أصبحت لهم ملامح جديدة (شوارب طويلة) وملبس مختلف (الكوفية) ولكن ما زالوا يقومون بالعمل ذاته وهو قطع رقاب اليهود"[٩].

ومن بين المكونات المهمة الناتجة عن شعور كل طرف بأنه الضحية، الإحساس العميق بالخوف، ويدرك المنخرطون فى محاولات الحوار الحاجة الضرورية لاكتشاف كيفية تجاوز مخاوف طرف وشعوره بعدم الأمان؛ ليكون قادرًا على التعاطف مع الآخر ومشاعره الأصيلة المتساوية فى الإحساس بالتعرض للخطر، وقد رأينا هذا كواقع معاش فى الفصل السادس عندما درسنا آثار المحرقة والنكبة على الإسرائيليين اليهود والفلسطينيين العرب.

ومن بين الأشياء التى فاجأت "مروان معشر" - أول سفير للأردن فى إسرائيل عندما تولى منصبه منتصف التسعينيات - كان الاحساس العميق بعدم الأمن لدى الإسرائيلى العادى:

"لقد نشأت فى مجتمع عربى، يعتقد بأن أمنه تحت تهديد مستمر من قوة إقليمية وآلة عسكرية ضخمة والتى تمخضت عن خسارة فلسطين، ومشكلة دائمة للاجئين، واحتلال أراض من ثلاث دول عربية، وليس قبل وصولى لإسرائيل اكتشفت أن الإحساس متبادل، فالإسرائيليون كذلك يشعرون فى العمق بعدم الأمان لكونهم وسط جيران أعداء. إن كل طرف لديه خوف أصيل من الآخر، ولديه شعور عميق

أن أمنه الشخصى والوجودى مهدد من جانب الآخر، كـذلك فإن كلا الطرفين يشتركان فى شىء آخـر: الافتقـار شـبه الكامل لفهم عمق لعدم الأمان الذى يشعر به كل منهما تجـاه الآخر".(١٠)

وتوجد كذلك شهادات مذهلة تُحيى الإسرائيليين الذين كانت لـديهم فرصـة العيش مع الفلسطينيين والعرب.

وبطريقة ما؛ فإن المشاعر المتصلة بكون الفرد ضحية ربما قـد لا تكـون متناسقة أو متساوية، فالفلسطينيون ربما يشعرون بأنهم ضحية ومظلومون نتيجة ما تعتبرونه عدم العدالة التى لحقت بهم، فيما تستمر أطراف ثالثة فى التعـاطف مـع أعدائهم وظالميهم. وربما يكون إحساس الإسرائيليين بكونهم ضحية أكثر ارتباطـا بذعر وجودى عميق من الإفناء؛ حيث شعروا فى أوقات بأن "العالم كلـه ضـدنا"، هذه البارانويا والمخاوف تحـول دون إدراك الإسـرائيليين لغـضب الفلـسطينيين وعنفهم كتعبيرات مشروعة لمقاومتهم العيش تحت الاحتلال وكفاحهم مـن أجـل دولتهم الخاصة بهم. وقد أدى كسب سلسلة من الحروب دون أن يؤدى ذلـك إلـى الحصول على السلام الحقيقى؛ إلى تعزيز مشاعر اليأس والسخرية بين العديد مـن الإسرائيليين، وهو ما أسهم فى تدعيمه تصرفات القادة الـسياسيين؛ وأدى إلـى أن يقنع الناس أنفسهم بأن المشكلة ما زالت قائمة لأنه لا يوجد من يمكن الحديث معـه فى الطرف الآخر(١١)، وأنه لا يوجد خيار سوى محاربة العرب لأنهم لن يرتـاحوا حتى يدمروا إسرائيل.

ويسهل فهم موقف كثير من الفلسطينيين الذين سـحقتهم الهـزائم والتـشتت والخسارة على يد الإسرائيليين الأقوياء، غير القادرين على التعاطف مع ادعـاءات

الآخرين بالإحساس بالهشاشة وعدم الأمان، بل على العكس يشعر العديد منهم بأن لديهم تبريرًا للجوء للقوة والعنف فى محاولاتهم استعادة أراضيهم التى خسروها أو مقاومة الاحتلال، كذلك فإنهم يتصرفون تحت إحساس بالتخلى عنهم؛ تدعمه حقيقة تبنى المجتمع الدولى نظريًا وبشكل خطابى لمطالبهم وشكواهم، فى حين يتم تجاهلها من الناحية العملية من قبل إسرائيل القوية التى تحظى بتأييد القوى الغربية ويهود العالم، وبشكل قد يبدو للعديد من الإسرائيليين أنه مناف للعقل، يعتقد الكثير من الفلسطينيين أن التاريخ الحديث يُثبت أن القادة الإسرائيليين ينوون بالفعل القيام بتطهير عرقى للأرض من سكانها الأصليين العرب الفلسطينيين وتوسيع الحدود لتوفير مساحة كافية لمزيد من اليهود، وأن كل التعبيرات الإسرائيلية عن الرغبة فى السلام هى مجرد خداع.

إنه من الصعب الخروج من هذا الإدراك والاتجاهات المتبادلة من قبل كل طرف تجاه الآخر، فالإسرائيليون والفلسطينيون الذين يتقوقع كل منهم فى وضعية الضحية الحقيقية يدافعون عن مطالبهم ويرفضون المطالب المضادة التى يقدمها الطرف الآخر، بما يعنيه ذلك من دائرة مغلقة للمنطق يلزم كسرها عبر العديد من الموضوعات، وفى أقصى الأشكال تطرفًا يبدو كل طرف وكأنه يقول: "الطرف الآخر ليست لديه قضية، وموقف طرفنا لا يبارى ولا يمكن هزيمته، قصة الطرف الآخر هى دعاية بالكامل وليس ثمة شيء للنقاش، إذا لندع الصراع يستمر حتى يكسب طرفنا فى النهاية مهما أخذ ذلك من وقت طويل"[١٢].

والاختراقات الجزئية يمكن أن تكون ممكنة فقط عندما تُظهر هذه العقليات المنغلقة بعض الانفتاح كأن يتقبل أحد الأطراف، حتى إن كان ذلك بشكل نسبى، فكرة أنه "ربما يكون للطرف الآخر قضية فى بعض الشكاوى المنتقاة، وأن رواية

الطرف الآخر تتضمن بعض النقاط الصحيحة؛ ولكنها لا تزال مغلفة بدعاية تخدم الذات ولا تلغى صدقية روايتنا الأكثر أصالة، وربما توجد إمكانية لمناقشة بعض مظاهر الصراع بشكل حذر إذا ما أظهر الطرف الآخر انفتاحا لتغيير آرائه".

وفى النهاية فأولئك المستعدون تماما للتوفيق والتسوية يجب أن يطوروا تفكيرهم بشكل أكبر ليصيروا قادرين على القول: "رواية الطرف الآخر شرعية لكنها مختلفة عن روايتنا، وكلانا يحتاج لمعرفة المزيد عن قصة الآخر بعقل متفتح بغض النظر عما قد يسببه ذلك من مشاعر عدم الارتياح، فالروايتان تتضمن أخطاء وسوء فهم، ولكن يمكن الإقلال منها أو استبعادها تمامًا، ونحتاج للقيام بذلك معًا من خلال حوار يغلب عليه صفة الاحترام حول قصصنا المتصارعة"، وأى تحرك يسعى لتحقيق درجة من التوفيق والتسوية يتطلب أن يتحرك المفاوضون وقادة الرأى والقادة السياسيون على الجانبين نحو هذا الأسلوب من أساليب التفكير والذى صار شائعًا فى مجموعات الحوار.

إلا أن مثل هذه التحولات فى الاتجاهات ليس من السهل الوصول إليها وتتطلب مراجعات صعبة للغاية (بالنسبة للبعض لا يمكن التفكير فيها) لمعتقدات أساسية لدى الشعوب، فقبول شرعية أجزاء أساسية من قصة الآخر؛ ربما يحمل فى طياته الإمكانية المقلقة للغاية فى أن يصبح وضع الطرف الذى يقدم على ذلك ووجوده وحقوقه أقل صلابة مما كان عليه من قبل، كذلك يعنى التعرض للوم وتحميله المسئولية عن التسبب فى الإضرار أو ظلم الطرف الآخر بما يقلب المعتقدات التى تم تناقلها على مدار أجيال من أن طرفهم لا يمكن توجيه اللوم له.

وأى جهد يسعى لإيضاح أو إعادة تعريف أسباب شعور كل طرف بأنه ضحية الآخر؛ هو دائما خطوة مهمة نحو إعداد الأطراف لمصالحة مستقبلية، واستنادًا إلى السجل التاريخى والمشاعر الحالية، فإنه لسوء الحظ يصعب الوصول

إلى نتيجة مفادها أن كلا الطرفين سيتغلب بسهولة على تسلط فكرة كون كل منهما الضحية الأصيلة؛ أو أن الأطراف ستقترب من الاعتراف بنصيبيهم من المسئولية في الأخطاء التي تم ارتكابها في الماضي والمشاق التي تم إلحاقها بالآخرين.

وعلى أي حال؛ فالصراع على الأرض سيحتاج إلى أن يكون ساكنًا لفترة ممتدة- هدنة فعالة مخططة كانت أم بطريق المصادفة- قبل أن تكون الشعوب قادرة على النظر في القيام بالخطوات العقلية التي تم تناولها عاليه، ولسوء الحظ فإن تاريخ التوترات العميقة قد أثبت أن العنف يمكن أن ينفجر فجأة في أي وقت وغالبا يكسر فترات هدوء مفسدًا الجهود الرامية إلى تقليل مستوى عدم الثقة وتشجيع التفاهم المتبادل.

عقبات أمام فهم الصراع:

يعتبر فهمنا للموضوعات محل النزاع والروايات التاريخية المتضاربة لأطرافه فقط؛ أحد أبعاد التحدي الذي نواجهه في محاولتنا لفهم الصراع. وجهودنا يمكن أن تدعمها- أو تضعفها- الطرق التي نختارها لدراسة وتقديم القضايا، وكما رأينا في الفصل (١١) يوجد عدد من الطبقات الذي يفرضه في بعض الأحيان الأكاديميون والمراقبون حول التواريخ المتضاربة والطريقة التي يختارونها لتقديم الصراع، ما قد يؤدي إلى إحداث تشوهات بدلاً من توضيح القضايا وهو ما يعني إضافة المزيد من العقبات أمام قدرتنا على فهم الصراع، وفيما يلي قائمة قصيرة من الأشياء التي يلزم تفاديها إذا ما ركز المرء - بشكل مفيد - على التواريخ المتضاربة للعرب والإسرائيليين والفلسطينيين بهدف الفهم الأفضل للصراع الحالي الذي لم يحل:

١) تجنب التركيز على تأييد أوضح للحجج:

بطريقة تحترم وتعكس المصطلحات المستخدمة بشكل متوازٍ من قبل الأطراف الواقعية منها والتشاؤمية؛ أبرزت معالجتنا لأصول وتطور الصراع العربي- الإسرائيلي الحالي (في الفصول من ٣ إلى ١٠) سلسلة مكونة من أحد عشر مأزقًا، متشابكة أحيانًا، ولم يتم حلها (المقولات الأساسية)، وبينما يرجع للقراء الحرية في التنبؤ حول كيفية الخروج من هذه المآزق، باغتنام الفرص أكثر منه بفقدها (انظر النقطة الثانية)، فإنني أعتقد أن معظم هذه القضايا الإحدى عشرة هي أساسًا لا يمكن حلها- سواء على الأرض أو على مستوى الحوار والنقاش- وفي ضوء العقليات المغلقة للأطراف (كضحايا حقيقيين)؛ فإنه غالبًا ما يصعب قبول ادعاءات طرف من قبل الطرف الآخر. وحتى مع اللجوء إلى أفضل الحجج وأكثرها مهارة وفصاحة وعاطفية، فإنه لا يوجد أي فرصة حقيقية في أن ينجح طرف بإقناع الآخر بتغيير موقفه، فهذه تمثل أساسا حججًا "لا مكسب" أو لا طائل منها؛ حيث إن تقديم حقائق صحيحة أو تفسيرات مختلفة لتلك المفترض خطؤها أو المفقودة أو الذاهبة في اتجاه خاطئ؛ هو عمل لا ينال الشكر، في وقت تظل فيه الحجة محل خلاف بين الأطراف المتصارعة.

وأنا هنا لا أذهب إلى أن الأطراف يجب عليها أو يمكنها أن تنحي جانبا حججها لأنها ببساطة غير مجدية، ولكنني أوصي أي شخص يريد حقًا أن يفهم الصراع بألا يضيع كثيرًا من الوقت والجهد في محاولة أن يثبت بشكل نهائي أيًا من ادعاءات الطرفين صحيح وأيها يجانبه الصواب، فبينما البحث في جميع الجوانب يبدو مفيدًا في بعض الحالات، فإن السعي الهادف- على وجه التحديد- لحل هذه التناقضات في الحجج والذي قد يبدو ظاهريًا مثيرًا، فإنه في النهاية ليس مما يساعد كثيرًا.

٢) تجنب استخدام مقترب الفرص الضائعة من أجل لوم الأطراف:

كما رأينا فى الفصل السابق، هنـــاك الكثيـــر الـــذى يمكـــن تعلمـــه حـــول المتصارعين وتطور الصراع من خلال التحليل العكسى للوقائع، ولكن مـــا يجـــب تجنبه هو إغراء اللجوء إلى التفسيرات المبسطة حول أسباب عـــدم تحقيـــق لمـــاذا السلام أو النصر؟ فلا يوجد الكثير مما يمكن الحصول عليه، باستثناء إثارة الجـــدال وتحقيق مزايا لمؤيدى طرف أو آخر، من استثمار الجهد والوقت الثمين فى محاولة إثبات ضرورة توجيه اللوم إلى الفلسطينيين أو العرب أو الإســـرائيليين أو زعـــيم بعينه على ضياع الفرص لتحقيق السلام.

إن المراجعة الواقعية والفهم الدقيق للفرص الضائعة؛ يمكن أن يكـــون مـــع ذلك مفيدا كأداة فى تطوير الحجج حول الذى جرى خطأ فى الماضى، وللوصـــول إلى النتائج الأفضل فإن البحث يجب ألا توجهه أجندة خاصة، فكـــل حالـــة يجـــب دراستها باستخدام كل المصادر المتاحة وباتباع منهجية أكاديمية جادة، فمثـــل هـــذا التحليل التاريخى يمكن أن يقود بدوره لمناقشات مفيـــدة حـــول قبـــول أو رفـــض مقترحات معاصرة لتحقيق السلام أو يوفر خلفية لصانعى القرار الحـــاليين الـــذين يواجهون خيارات استراتيجية أخرى.

٣) تجنب تحميل البحث بقضايا العدل والحق والاعتراف:

من الصعب استبعاد اعتبارات العدالة (تصحيح الأخطاء التى تم ارتكابهـــا؛ النضال ضد الظلم والاحتلال وإنكار الحقوق؛ التتوق للحصول على وطن؛ البحـــث عن الأمن فى مواجهة العنف والإرهاب) من المناقشات حول تاريخ الصراع، فمما لا شك فيه أن البحث عن العدالة والاعتراف يشجع المتصارعين، كذلك فإن البحث

عن العدالة والحقيقة يثير المحترفين المعنيين بالكتابة والتعليق على التواريخ المتضاربة للفلسطينيين والإسرائيليين.

إننا نفوض السياسيين والمدافعين وكذلك قادة المجتمع ورجال الدين؛ ليرشدونا ويتصرفوا نيابة عنا بهدف تحقيق ما نعتقد أنه الحق والعدل، وفي المقابل فإنه من غير الواضح بالنسبة لي إلى أي مدى يجب أن نتطلع إلى الباحثين والمؤرخين ليقوموا بالشيء نفسه، فعندما يقدم الأكاديميون على ذلك يصيرون جزءًا من آليات الدفاع عن أحد الأطراف الذين يتناولونها بالدراسة، كذلك عندما يُضمن المؤرخين أو يعطون أولوية لمثل هذه المهام في أعمالهم وأبحاثهم عن الموضوع فإنهم يعرضون أنفسهم لمخاطر الإعاقة أو الانحراف عن تقديم أعمال أكثر حرفية ومناسبة. وفضلاً عما تقدم فإنه إذا ما اعتنق الأكاديميون رواية أحد الأطراف وسعيه للحصول على الاعتراف أو العدالة باعتبارها الرواية الوحيدة الصحيحة، فإن محاضراتهم ومؤلفاتهم في خدمته ستلحق الضرر بطلابهم وقرائهم الذين من حقهم الحصول على فهم غير متحيز لمطالب واتجاهات وآراء الأطراف المتصارعة، فالأساتذة، حتى إن كانوا متعاطفين مع موقف ما، يمكنهم أن يقدموا الكثير لتلاميذهم وقرائهم بإبعاد أنفسهم عن العقلية التي تستند إلى مقولة "نحن الطيبون" في مواجهة "هم الأشرار"، التي تسيطر على الأطراف المعنيين أنفسهم. والمفهوم الذي يُلزم الأكاديميين بالتسويق من خلال كتاباتهم لروايات البحث عن الاعتراف أو تأييد مظالم طرف ضد آخر يبدو لي مفهومًا محمودًا؛ حيث يتضمن فرض قيود على الذات وهي ما افتقدته الدراسات الأكاديمية في الأعوام الأخيرة، فهناك مساحة كبيرة في المنتديات السياسية العامة والإعلام للدفاع عن بحث الأطراف عن الاعتراف والعدالة أو التعامل مع المظالم دون أن يتم تصدير ذلك إلى اختصاصات الباحثين.

٤) تجنب مخاطر التفكير بالتمنى:

يعتقد الأشخاص الذين يتجه تفكيرهم نحـــو إيجـــاد تـــسوية وذوى العقليـــة الإنسانية أن هذا الصراع يجب أن يحل يوما؛ وحيث إن له تبعات إنـــسانية علـــى المنخرطين فيه فإنه، وببساطة، يجب ألا يستمر، فبالنسبة لهؤلاء فإن الهـــدف مـــن الكتابة والتعليم والتعلم حول هذا الصراع هو إلى حد كبير هدف عملى: تعلم أفضل طريقة لوضع نهاية له؛ حيث يحتاج للاعتقاد أنه بشكل ما هناك "ضوء فى نهاية النفق".

هذه الغرائز الطبيعية والنبيلة تحمل فى طياتها عدة مخاطر كامنة، إحداها أن تركيز الباحث على "ما كان يجب أن يكون" أو"ما يجب أن يكـــون" يتحقـــق غالبًـــا بشكل مضلل على حساب التقديم الدقيق حول "ما كان بالفعل" و"ما يحدث حقا"، وإذا كانت الدوافع الإنسانية أو التوجهات لصنع السلام لا يمكن السيطرة عليها، فإنـــه لا يجب الاندفاع فيها على حساب القراءة الدقيقة للتواريخ المتضاربة للأطراف– ماذا حدث بالفعل، ماذا شعرت به الأطراف فعلاً وما الأفعال أو ردود الأفعـــال التـــى قامت بها فعلاً– مهما كان هذا التاريخ وهذه الحقائق غير سارة فى وقت ما.

إن الدراسات المتعمقة للسلام العربى– الإسرائيلى كانت دائمًا موجـــودة وإن كان ذلك على مستوى متواضع، إلا أنها انتشرت بشكل كبير فى السنوات الأخيـــرة خاصة خلال فترة التفاؤل التى أعقبت توقيع اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣، وظهـــور كثير من المبادرات لبناء السلام من جانب منظمات المجتمع المدنى فـــى إســـرائيل وفلسطين والخارج بهدف التغلب على المخاوف ودعم التفـــاهم والمـــصالحة بـــين الشعوب[١٣]. وبالقدر الذى تستند هذه الجهود إلى تقدير جيد للتـــواريخ المتـــضاربة للإسرائيليين والفلسطينيين، فإنها ستستمر وتنتشر وتسفر عن خلق حساسية أوســـع بين الرأى العام تجاه مواقف ومشاعر الطرف الآخر وتوفر له إدراكًا ذكيًا للفجوات

وسبل جسرها. ومع فشل قمة كامب ديفيد وانفجار انتفاضة الأقصى عـام ٢٠٠٠؛ فإن قطاعات واسعة من الفلسطينيين والإسرائيليين بمن فيهم بعض ممن هم أكثـر المناضلين من أجل السلام والتوفيق شعروا بالصدمة والتحرر من الـوهم، وعلـى الرغم من ذلك استمر تصميم ناشطى السلام على الاستمرار فى الـسعى لتحقيـق التفاهم المتبادل وهو ما تم التعبير عنه (كما رأينا فى الفصل ١٠) فى مبادرة جنيف التى تم إطلاقها أواخر ٢٠٠٣، وهذا الجهد الأخير يمكن اقتباسه كمثال جيد علـى الواقعية المثالية التى تتجنب بنجاح فجاجة التفكير بالتمنى أساسًا؛ لأنها كانت نتاجًـا لعمل الفلسطينيين والإسرائيليين الذين كانت لهم خبرة فى المفاوضات الأخيرة[١٤].

وفى النطاق الواسع للتواريخ المتضاربة للفلسطينيين والإسرائيليين؛ يمكن أن نرى أن تطورا قد تحق بالفعل من المقاطعة المتبادلة، التى سادت حتى الثمانينيات، نحو الاعتراف المتبادل وتقليل مستوى التصعيد منذ ١٩٩١، وعلى الرغم من كـل هذا فإن فجوات كبيرة تظل باقية فى حاجة إلى ملئها.

ستة تفسيرات:

خلال جهودى لفهم واجتياز تعقيدات الـصراعات العربيـة- الإسـرائيلية والفلسطينية- الإسرائيلية؛ حاولت أن أقدم قائمة للتفسيرات الممكنة التى تم تقـديمها لتسجيل بدايات الصراع العربى- الإسرائيلى والأسباب التى تجعل من تسويته أمرًا صعبًا، وتقدم التفسيرات الستة التالية أداة لتلخيص وفهم الطرق المتعددة التى تم من خلالها تقديم هذا الصراع من جانب أطرافه، ومؤيـديهم والمـؤرخين، والطلبـة المهتمين به[١٥]:

١) منذ عصور قديمة كان العرب واليهود أعداء ومتنافسين، كل طرف يمثل حضارة مختلفة وله نظرته للعالم ودينه، وكان كل منهم (وسيكون دائمًا) في حرب مع الآخر.

٢) منذ نهاية ١٨٠٠؛ بدأ اليهود والصهاينة في تنفيذ أهدافهم المتصلة بالهجرة والاستيطان في فلسطين بشكل عدواني، وسيطروا على البلاد دونما احترام لحقوق السكان العرب المقيمين فيها منذ أمد طويل.

٣) الفلسطينيون/العرب اتصفوا بالأنانية وعدم العقلانية في رفضهم قبول وصنع السلام مع اليهود والصهاينة، رافضين الاعتراف بالحق التاريخي لليهود في العودة إلى وطنهم القومي القديم.

٤) القوى الخارجية (الإمبريالية- بريطانيا- فرنسا- الولايات المتحدة - الاتحاد السوفيتي) في سعيهم للسيطرة على إقليم الشرق الأوسط قاموا بالتلاعب بالعرب واليهود وأوصلوهم إلى الشك المتبادل والكراهية والصراع من أجل تحقيق أهدافهم الأنانية.

٥) اليهود والعرب يتصلون بالكاد ببعضهم بعض وصراعهم مبني على سوء التفاهمات والمخاوف وعمليات غسيل المخ (الدعاية).

٦) اليهود والعرب منغلقون في صدام لا يمكن تجنبه بين مجموعتين قوميتين متنافستين على السيطرة على الإقليم ذاته.

إن كل هذه التفسيرات له مؤيدوه والمدافعون عنه والمعتقدون بصحته، وكل منها يحوي جزءًا من الحقيقة والواقعية ويمكن أن يؤيده من خلال قراءة منتقاة في الدلائل التاريخية، وكل يقدم لمواليه بعض المضمون الأيديولوجي والرمزي، وكل من هذه التفسيرات الستة مبنية كذلك على افتراضات تقوم بتوزيع المسئولية واللوم بطرق مختلفة، فالأول مثلاً يعكس منظورًا واسعًا؛ حيث البشر العادي (من أي

معسكر) ليسوا فعلا مسئولين ما عدا - ربما- المدى الذى يقومون فيه أو لا يقومون بتحقيق الإرادة الإلهية كما يفهمها المنتمون لهذه المدرسة أوتلك. والثانى هو صياغة تقليدية لوجهة نظر العرب عن الصهيونية وإسرائيل كاستعمار يغتصب فلسطين وحقوق العرب. فيما أن الثالث يعكس وجهة النظر الصهيونية وإسرائيل؛ حيث يحمل العرب والفلسطينيين معظم اللوم بسبب الصراع. ويبتعد التفسير الرابع عن كل من العرب والإسرائيليين ويوجه اللوم إلى الأطراف الخارجية. هذا بينما الخامس يشير إلى أن فقط عددًا قليلاً من القادة المنخرطين فى عملية غسيل المخ هم المسئولون.

وبمنطق الحلول، فإن كل واحد من التفسيرات الستة يمكن ربطه بالتوصية بنمط معين من العلاج لإنهاء أو التقليل من الخسائر التى تسبب فيها أولئك محل اللوم، فالذين يؤيدون التفسير الأول سيقترحون ببساطة استبعاد المتطفلين، أيًا كانوا، حتى يتم تنفيذ الوعد الإلهى بالخلاص من خلال إقامة إما دولة يهودية وإما دولة إسلامية فى الإقليم المتنازع عليه؛ وأولئك المتمسكون بالتفسير الثانى فحلهم للصراع يتمثل فى إزالة الاقتحام الشائن من قبل الصهيونية وإعادة الأرض المتنازع عليها إلى مالكيها العرب الفلسطينيين. أما هؤلاء الذين يعتنقون التفسير الثالث؛ فيتوقعون من الزعماء العرب والفلسطينيين أن يقبلوا عقلانية المشاركة وتقسيم الأرض المتنازع عليها بإيجاد مكان لليهود لممارسة حقهم فى العودة لوطنهم القومى القديم؛ فى حين يدفع المعتقدون فى التفسير الرابع بضرورة عزل الصراع عن النفوذ الخارجى السلبى حتى يتسنى تقاسم ثمار السلام بين محبى السلام الإسرائيليين والفلسطينيين والعرب؛ أما التفسير الخامس فإنه يطالب الناشطين الذين يبحثون عن الجذور العميقة للصراع بأن يرتكزوا إلى مجتمع مدنى يقظ وعلى درجة عالية من الحساسية للإصرار على سياسات متفتحة من قبل قياداتهم.

وعلى الرغم مما يلقاه التفسير الرابع من شعبية فى بعض الدوائر (بمن فيهم منظرو المؤامرة؛ فإننى أعتقد أن صياغته العكسية تحظى باستحسان فى السجل التاريخى (الدور الإيجابى للقوى الخارجية)[١٦]، فالتدخل الأمريكى والدولى هو الذى أدى إلى تحقيق مكاسب محدودة من قبيل السلام المصرى- الإسرائيلى (١٩٧٧/١٩٧٩)، والاختراقات الإسرائيلية- الفلسطينية والإسرائيلية- الأردنية فى أعقاب مؤتمر مدريد للسلام والمفاوضات فى القناة الخلفية فى أوسلو (١٩٩١-١٩٩٣)، وبقدر ما يمكن لوم التدخل الخارجى المدفوع بمصالح خاصة عن فقدان بعض الفرص، بقدر ما يحسب لتدخل الطرف الثالث للمساعدة فى أنه قام بشكل مساو (إن لم يكن أكثر) بالإسهام فى إبعاد الأطراف المتصارعة عن المواجهة وحثهم على الاتجاه نحو البحث عن تسوية. وفى ضوء الطبيعة الوجودية للمأزق الفلسطينى- الإسرائيلى وعمق جذور العداوة وعدم الثقة المتبادلتين بين طرفيه، فإن التقدم خلال العقد الجارى نحو تحقيق اختراقات؛ يبدو أنه يحتاج دورا من أطراف ثالثة سواء كانت دولية أو إقليمية: أمريكية، أردنية، مصرية، ومن قبل جامعة الدول العربية.

والفرضية المنطقية التى بنى عليها هذا الكتاب؛ هى – بالطبع – أن التفسير السادس هو أكثر التفسيرات مصداقية، فالسجل التاريخى خلال ما يربو على القرن يشير إلى وجود فجوة لا يمكن جسرها بين الطموحات الوطنية المعلنة للفلسطينيين العرب والصهاينة الإسرائيليين، كذلك فإن المئة والثلاثين عاما الماضية مليئة بالأمثلة التى تبرز تصميم وقدرة كلا الطرفين على التمسك بهذه الأهداف الوطنية التى لا يمكن التوفيق بينها على الرغم من المعاناة المتوالية والخسائر والنكسات.

وفى الختام، دعنا نتذكر التوازى بين اعتراف كل من "ديفيد بن جوريون" و"عونى عبد الهادى" عامى ١٩١٩ و١٩٣٢ على التوالى بالصدام بين قوميتهما، وكذلك الآراء الأكثر حداثة لـ "مردخاى بار أون"، وهو عسكرى حارب سنة ١٩٤٨ وخدم بعد ذلك كمدير لمكتب "موشى ديان" فى الخمسينيات، وأصبح فيما بعد أكاديميًا وناشطًا للسلام، ونقتبس قوله:

"إن الصراع خلال قرن بين الحركة الصهيونية والحركة القومية العربية هو ليس نتاج خطأ ارتكبه أى طرف أو نتيجة سوء الفهم من قبل أى طرف للدوافع الحقيقية للآخر، فالمواجهة المريرة كان لا يمكن تجنبها منذ اللحظة التى قرر فيها اليهود فى نهاية القرن التاسع عشر استعادة سيادتهم الوطنية فى فلسطين، جزء أرض كانوا يشيرون إليها دائمًا كأرض إسرائيل (إيريتز إسرائيل)، والتى كان يحتلها شعب آخر. فجذور الصراع تكمن فى تصادم مأساوى بين مجموعتين من الدوافع والعمليات التى، فى البداية، كانت أساسا مستقلة عن بعضها بعض ولكنها مع الوقت صارت متشابكة ولا يمكن فصلها، إنه صدام بين مجموعة أهداف ودوافع دفينة كل منها تبلور فى ظروف وأماكن وأوقات مختلفة تمامًا، يدفع المتصارعين إلى حروب عنيفة ومستمرة"(١٧).

هذا التفسير للصراع ربما لا يكون مقبولاً من الجميع، إلا أنه يمثل نقطة بداية مخلصة، من منظور واحد من المتصارعين، لفهم عن أى شىء يدور الصراع، ولماذا لم تتم تسويته حتى الآن، بل ولماذا لن يتم أبدًا حله بشكل كامل.

الهوامش

(١) من أجل مناقشات فكرية حول تسوية الصراعات الممتدة انظر مايكل بريشر وجوناثان ويلكنفيلد، *A Study of Crises*، آن أربور: دار نشر جامعة ميتشجان، سنة ٢٠٠٠. فريد تشارلز إيكليه، *Every War Must End* الطبعة الثانية المنقحة، نيويورك: دار نشر جامعة كولومبيا.

(٢) من أجل تقويم أقل تشاؤمًا انظر برنارد وزارستين، *Israelis and Palestinians*، مرجع سابق، الطبعة الثالثة دار نشر جامعة يال/ لندن *Profile Books*، ٢٠٠٨. إن الإسرائيليين والفلسطينيين كما كتب فى الصفحة الثانية (ليسوا أعداءًا بسبب جنون سيكوباتي، إنهم يتحاربون حول مصالح يمكن تحديدها وتحركهم نظم قيمية يمكن تفهمها باستهداف غايات معينة يمكن تحديدها). وكتابه هذا المثير للفكر يفحص الأوجه الديموجرافية والاقتصادية الاجتماعية والبيئية والإقليمية للصراع مع وجهة نظر متفائلة تجاه احتمالات المستقبل لإنهاء الصراع.

(٣) جليد شير، *"The Israeli-Palestinien Peace Negotiations 1999-2001: Within Reach"*، نيويورك، *Routledge* ، ٢٠٠٦. مناحم كلاين، *A Possible Peace Between Israel and Palestine* استعراض من الداخل لمبادرة جنيف، ترجمة حاييم واتزمان، نيويورك: دار نشر جامعة كولومبيا، سنة ٢٠٠٧. ديفيد ماتز (*Trying to Understand the Taba Talks*)، الجزء الأول (المجلة السياسية لفلسطين وإسرائيل، الإقتصاد والثقافة ١٠: ٣ سنة ٢٠٠٣، ص:٩٦-١٠٥، و(*Why did Taba End?*) الجزء الثانى، *Palestine-Israel Journal of Politics Economics and Culture* ١٠: ٤، ٢٠٠٣ ص:٩٢-٨.

(٤) تنظر المجلة المثيرة لديفيد شولمان، *Dark Hope*: عمل من أجل السلام فى إسرائيل وفلسطين، دار نشر جامعة شيكاغو، سنة ٢٠٠٧.

(٥) مشروع الشرق الأوسط للبحث عن أرضية مشتركة، دخول على الموقع ٢٦ أغسطس ٢٠٠٨: http://www.sfig.org/programs/cgp/cgp_tsotf2.html .

(٦) ناعومى شيبرد، (*One State*: حل لإسرائيل/فلسطين أو تهديد؟)، الجارديان ٢٢ أغسطس ٢٠٠٨، جرى الدخول عليها يوم ٢٥ أغسطس ٢٠٠٨ على: ***guardian.co.uk*** .

(٧) حول المحاولة الأخيرة عن الخيار الحالى من خلال الماضى انظر (تقرير لجنة بيل سنة ١٩٣٧ زيارة ثانية) تعليق يوسى ألفر وغسان الخطيب، ودان شيوفتان وموسى بوديرى، تحرير ١٤ يناير سنة ٢٠٠٠، ***betterlemons.org Palestinian-Israeli Cross Fire*** ، تم الدخول عليها يوم ٢٥ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع: http://www.betterlemons.org/previous/b1140108ed02.html.

(٨) عاموس عوز، ***How to Cure a Fanatic*** ، دار نشر جامعة برينستون ، سنة ٢٠٠٦ ص:٨٩.

(٩) عاموس عوز، ***Under This Blazing Light***: مقالات، ترجمة نيكولاس ديلانج، نيويورك دار نشر جامعة كامبريدج، سنة ١٩٩٥، ص:٨-٩.

(١٠) مروان معشر، ***The Arab Center***: الوعد بالاعتدال، ***Newheaven, CT***: دار نشر جامعة يال، ٢٠٠٨، ص:٦٠. وهناك محاولة حازت على جائزة صحفية لتصوير المخاوف والتعرضات للخطر من جانب الإسرائيليين والفلسطينيين انظر ديفيد شيبلر، ***Arab And Jew***: الأرواح المجروحة فى أرض الميعاد، طبعة منقحة، نيويورك بنجوين سنة ٢٠٠٢.

(١١) انظر البحث الممتع حول رئيس وزراء إسرائيل السابق إيهود باراك والذى قام به دانيال بار تال وإيرين هالبرين فى الدورية العبرية (ميجاموت) فى صيف ٢٠٠٨ والذى جرى مناقشتها فى (***Face The Nation***) من جانب أكيفا إلدار، هاآرتس يوم ١٩ أغسطس ٢٠٠٨.

(١٢) بعض العرب لديهم الأمل النابع من السابقة التاريخية للغزو الرومانى الكاثوليكى الصليبى الذين احتلوا القدس عام ١٠٩٩ ، ولكنهم فى النهاية طردوا من الأرض المقدسة عام ١٢٩١.

(١٣) من أجل دراسة عامة للأنشطة التى تبدأ من القاعدة انظر (***Just Vision supporting Israeli and Palestinian NON Violent Civic Peace Builders through media and Education***) دخول على الموقع يوم ٢٢ أغسطس ٢٠٠٨: http://www.justvision.org/ . ***Bridging the Divide***: بناء السلام فى الصراع الفلسطينى- الإسرائيلى، تحرير إيدى كوفمان، ووليد سالم وجولييت فيرهوفن وتقديم ن.شازان و ح. سنيورة، ***Boulder, CO: Lynne Rienner*** ، ٢٠٠٦.

(١٤) انظر مناحم كلاين، *A Possible Peace Between Israel and Palestine* ، مرجع سابق ترجمة حاييم واتزمان، نيويورك، دار نشر جامعة كولومبيا، (*The Geneva Initiative*: إنهاء الصراع العربي- الإسرائيلي) جرى الدخول على الموقع ٢٢ أغسطس ٢٠٠٨: http://www.geneva-accord.org/ .

(١٥) هذا التبويب جرى استلهامه من جانب هاركابي (*Who is to Blame for the Persistence of the Arab-Israel conflict?*: دروس من تفسيرات خمسة) وذلك في كتاب هاركابي: *Palestinians and Israel* ، نيويورك: جون ويلي (*Halsted Press*)، ١٩٧٤، ص: ٢٢٠-٤١، وجرى تطبيقه في عدة دراسات للمفاوضات العربية - الصهيونية والإسرائيلية العربية، وانظر نيل كابلان (*Negotiation and the Arab-Israeli conflict*) دورية القدس ربع السنوية ٦ (شتاء ١٩٧٨)، ص:٣-١٩. لورا زيترين أيزنبرج ونيل كابلان، مرجع سابق ص:١٧-١٨.

(١٦) شبلي تلحمي يعتبر أيضًا أن وساطة طرف ثالث فعال كواحد من العوامل الثلاثة التي يمكن أن تؤدي إلى اختراق بالنسبة لذلك الصراع المستحيل الحل. شبلي تلحمي (*Beyond Resolution? The Palestinian-Israeli conflict*) وذلك في *Grassping the Nittle*: تحليل قضايا ومسائل الصراع المستحيل، تحرير شستر كروكر، *Fen Osler Hampson* وباميلا آل، دار نشر معهد الولايات المتحدة للسلام، ٢٠٠٥ ص: ٣٦٩-٧٢.

(١٧) موردخاي بار أون (*Remembering 1948*: استعادة الذكريات الشخصية، الذاكرة الجماعية والبحث عن ماذا حدث حقيقة) وذلك في الكتاب الذي حرره بيني موريس وآن أربور: دار نشر جامعة ميتشيجان، ٢٠٠٧، ص: ٣٢-٣ تحت عنوان: *Making Israel*.

التسلسل الزمنى

١٨٨٢: أول مجموعة من الصهاينة يهاجرون من روسيا القيصرية إلى فلسطين العثمانية، وهذه بداية المستوطنات (موجة الهجرة الصهيونية).

١٨٩١: أول عريضة إلى السلطات العثمانية من جانب العرب الفلسطينيين احتجاجًا على الهجرة اليهودية وبيع الأرض.

١٨٩٦: تيودور هيرتزل ينشر كتابه (الدولة اليهودية).

١٨٩٧: انعقاد أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بازل بسويسرا.

١٩٠٣: بداية الموجة الثانية من المستوطنات.

١٩٠٨: ثورة الشباب التركى؛ البرلمان العثمانى يتم إعلانه.

١٩١٣: المؤتمر القومى العربى الأول يلتقى فى باريس.

١٩١٤: الحرب العالمية؛ الأتراك يتحالفون مع ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا.

١٩١٥: السير هنرى مكماهون ومراسلاته مع ملك الحجاز الملك حسين.

١٩١٦: اتفاق سايكس بيكو لتقسيم الهلال الخصيب لمناطق نفوذ بعد الحرب.

١٩١٧ – نوفمبر/ ديسمبر: صدور وعد بلفور، والقوات البريطانية تدخل القدس.

١٩١٨- أكتوبر: القوات البريطانية تتحرك إلى شمال فلسطين؛ الأتراك وتوقيع الهدنة وإعلان الأمير فيصل بن الحسين ملكًا في دمشق (حتى يوليو ١٩٢٠).

١٩١٩- يناير: حاييم وايزمان وفيصل يوقعان معاهدة في لندن استعدادا لمؤتمر باريس للسلام.

يوليو: أغسطس: لجنة كينج/ كرين تزور الشرق الأوسط وتصدر تقريرها.

١٩٢٠- أبريل: المظاهرات والهجمات على اليهود في القدس؛ مجلس عصبة الأمم يكلف بريطانيا بالانتداب على فلسطين والعراق وفرنسا على سوريا أثناء مؤتمر سان ريمو.

يوليو: وصول السير هربرت صمويل باعتباره المندوب السامى البريطاني إلى فلسطين؛ انتهاء الإدارة العسكرية.

ديسمبر: المؤتمر العربى الفلسطينى يلتقى فى حيفا، اختيار المجلس التنفيذى العربى ممثلاً للمصالح الفلسطينية؛ اتفاقية تأسيس الهيستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود)، مع وجود مسئوليات عن الهاجاناة (الميليشيات تحت الأرض).

١٩٢١- مارس: وزير المستعمرات وينستون تشرشل يزور فلسطين؛ اعتماد حكم الأمير عبد الله على الأردن كجزء من الانتداب على فلسطين.

مايو: مظاهرات العرب والهجمات على اليهود في حيفا والمستوطنات المجاورة؛ تسمية الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الكبير.

أكتوبر: لجنة هاى كرافت تصدر تقريرها عن الاضطرابات فى يافا.

١٩٢٢- مارس: انتخاب أمين الحسينى رئيسًا للمجلس الأعلـــى الإســـلامى الذى جرى إنشاؤه مؤخرًا.

يونيو: بريطانيا تصدر إعلانًا بسياستها (ورقة تشرشل البيضاء).

يوليو: عصبة الأمم تقر الانتداب على فلسطين.

سبتمبر ١٩٢٢ إلى نوفمبر ١٩٢٣: بريطانيا تحاول دونمـــا نجـــاح إنـــشاء مجلس تشريعى منتخب، ومجلس استشارى، ووكالة عربية.

١٩٢٦-١٩٢٧: أوقات صعبة فى فلسطين؛ مزيد مـــن الهجـــرة اليهوديـــة العكسية؛ البطالة تـــزداد؛ المطالبات المستمرة تؤدى بالبريطـــانيين إلـــى خفـــض وجودهم العسكرى.

١٩٢٨- سبتمبر: حادث عند الحائط الغربى يسبب إثـــارة واحتجاجًـــا مـــن جانب اليهود؛ المسلمون بدورهم يعربون عن المخاوف من التحرشـــات اليهوديـــة بالأماكن الإسلامية المقدسة.

١٩٢٩- أغسطس: التوترات والأحداث حول الحائط تؤدى إلـــى هجمـــات عربية على اليهود فى مدينة القدس القديمة؛ الهجمات تنتشر فى الخليل وصفد.

١٩٣٠- أبريل: إصدار لجنة شو تقريرها حول أحداث أغسطس ١٩٢٩.

أكتوبر: تقرير هوب سيمسون حول تسوية مشكلة الأرض والهجرة والتنمية. مع إعلان السياسة البريطانية الجديدة (ورقة باسيفيلد البيضاء).

١٩٣١- فبراير: رئيس الوزراء البريطانى رمزى ماكدونالد ينشر خطابه إلى الدكتور حاييم وايزمان يؤكد له فيه دعم بريطانيا المستمر للصهيونية؛ العرب يدينون الكتاب الأسود لمكادونالد.

ديسمبر: المؤتمر الإسلامى ينعقد فى القدس برئاسة الحاج أمين الحسينى؛ اجتماعات موازية للقوميين العرب.

١٩٣٢- أغسطس: عونى عبد الهادى وآخرون يؤسسون حزب الاستقلال.

أكتوبر: العراق تصبح مستقلة وتنضم إلى عصبة الأمم.

نوفمبر: إعلان السير أرثر وشوب الرغبة فى إنشاء مؤسسات تمثيلية فى فلسطين ابتداء من الانتخابات البلدية.

١٩٣٣- يناير: أدولف هتلر يتم تعيينه مستشارًا لألمانيا.

مارس: المجلس العربى التنفيذى يتبنى قرارات بعدم التعاون والمقاطعة للسلع البريطانية والصهيونية، وحول بيع الأراضى.

أغسطس: طرد البوليس الفلسطينى للفلاحين المستأجرين العرب من وادى الحواريت.

أكتوبر: مظاهرات العرب الفلسطينيين غير القانونية فى يافا وحيفا ونابلس تتحول إلى العنف؛ الاحتجاجات تتوجه ضد بريطانيا فقط.

١٩٣٤- ديسمبر: تكوين حزب الدفاع القومى برئاسة راغب النشاشيبى.

١٩٣٥- مارس: تكوين حزب فلسطين العربى برئاسة جمال الحسينى.

يونيو: تكوين حزب الإصلاح برئاسة عمدة القدس الدكتور حسين فخرى الخالدى.

سبتمبر: ختام المؤتمر التاسع عشر الصهيونى؛ إعلان ديفيد بـن جوريـون رئيسًا تنفيذيًا للوكالة اليهودية.

أكتوبر: اكتشاف المفتش البريطانى لميناء يافا أسلحة مهربة للهاجانـاة إلـى فلسطين.

نوفمبر: وفاة المتمرد الشيخ عز الدين القسام مع العديد من أتباعه فى معركة بالبنادق مع القوات البريطانية؛ اجتذبت جنازته فى حيفا أعدادًا كبيرة ممن يعتبرون القسام بطلاً وشهيدًا.

نوفمبر: تشكيل تآلف من خمسة أحزاب سياسية فلـسطينية وتقـديم ثلاثـة طلبات إلى بريطانيا:

أ) الوقف الفورى للهجرى اليهودية.

ب) منع نقل الأراضى من العرب إلى اليهود.

جـ) إنشاء حكومة ديمقراطية.

ديسمبر: المندوب السامى يكشف عن مقترحات لمجلس تشريعى.

١٩٣٦- فبراير إلى أبريل: مجلس الوزراء البريطانى يـصدر مقترحاتـه لمجلس تشريعى لفلسطين؛ مناقشات برلمانية؛ العرب الفلـسطينيون يـدعون إلـى إرسال وفد إلى لندن للتشاور.

أبريل: المتمردون العرب يهاجمون قافلة، ومقتل مسافرين يهوديين، ما أدى إلى هجمات مضادة؛ التوترات والمظاهرات تنتشر قرب يافا وتل أبيب؛ بريطانيـا

تعلن حالة الطوارئ؛ اللجنة العربية العليا يتم تشكيلها للتنسيق حول الإضراب العام حتى تتم الاستجابة للطلبات الفلسطينية الثلاثة.

أبريل إلى أكتوبر: الإضراب العربي العام يسبب الشلل في البلاد، ويؤدى إلى الإرهاب من جانب المتمردين.

أكتوبر: إعلان اللجنة العربية العليا إنهاء الإضراب العام.

نوفمبر: اللجنة الملكية برئاسة اللورد بيل تصل إلى فلسطين لسماع الشهادة حول الأسباب الكامنة وراء الإضطرابات والأحداث الأخرى.

١٩٣٧- يوليو: لجنة بيل الملكية تنشر تقريرًا يقترح تقسيم فلسطين؛ اللجنة العربية العليا ترفض، والتمرد العربي يستأنف.

يوليو/ أغسطس: المؤتمر الصهيوني العاشر يوافق بشروط على تقسيم لجنة بيل.

سبتمبر: اجتماع للقوميين العرب في بلودان في سوريا يعلن رفضه للتقسيم؛ إرهابيون فلسطينيون يغتالون مسئولاً بريطانيًا رفيع المستوى في الناصرة.

أكتوبر: اللجنة العربية العليا يتم حظرها، المفتي يهرب إلى بيروت، ومن ثم إلى العراق فألمانيا.

١٩٣٨- يوليو: مؤتمر في إيفيان يناقش مسألة اللاجئين اليهود من الأوروبيين، ولكنه لا يتوصل إلى حلول.

أكتوبر: المؤتمر البرلماني الدولي للدفاع عن فلسطين يعقد بالقاهرة.

١٩٣٩- فبراير/ مارس: مؤتمرات الموائد المستديرة العربية البريطانية، والبريطانية الصهيونية في قصر سانت جيمس لا تتوصل إلى اتفاق.

مايو: بيان للسياسة البريطانية، "كتاب ماكدونالد الأبيض" مقيدًا للهجرة اليهودية وبيع الأراضى؛ العرب والصهاينة يرفضون الإجراءات الجديدة.

سبتمبر: اندلاع الحرب العالمية الثانية.

١٩٤٢- يناير: مسئولون نازيون يجتمعون فى مؤتمر وانسى ببرلين لتنسيق خطط الحل النهائى، وهى الإبادة التامة لليهود الأوروبيين.

مايو: اجتماع طوارئ صهيونى بفندق بلتمور بنيويورك يتبنى قرارًا يطالب بكومونولث يهودى وهجرة حرة إلى فلسطين.

١٩٤٣- أبريل: مؤتمر برمودا يناقش مسألة المهاجرين اليهود من الأوروبيين، ولا يتوصل لأى حلول.

١٩٤٤- نوفمبر: إرهابيون صهاينة يغتالون اللورد موين فى القاهرة.

١٩٤٥- مارس: جامعة الدول العربية تطالب بفلسطين عربية مستقلة.

مايو: نهاية الحرب العالمية الثانية.

نوفمبر: اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق تم تعيينها.

١٩٤٦- مايو: اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق تصدر تقريرًا يوصى بالقبول الفورى لمئة ألف لاجئ يهودى من أوروبا.

يوليو: إرهابيون صهاينة ينسفون أحد أجنحة فندق الملك داود فى القدس الذى يضم المقر الرئيسى للقوات البريطانية.

سبتمبر: مؤتمر لندن للقادة العرب، واجتماعات بريطانية مع مسئولين صهاينة؛ لم يتم التوصل إلى اتفاق.

١٩٤٧- فبراير: بريطانيا تعلن نيتها إعادة فلسطين لإشراف الأمم المتحدة.

مايو: الجمعية العامة للأمم المتحدة تعين لجنة اليونسكوب للتحقيق وتقديم التوصيات.

أغسطس/ سبتمبر: اليونسكوب توصى بتقسيم فلسطين؛ بريطانيا تعلن قرار إنهاء الانتداب والانسحاب من فلسطين.

نوفمبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى قرار ١٨١ متضمنًا ما جاء في توصيات اليونسكوب؛ اللجنة العربية العليا ترفض؛ النزاع المسلح يشتد للسيطرة على المناطق العربية واليهودية فى فلسطين؛ الجامعة العربية تبدأ فى التخطيط لمنع تطبيق قرار الأمم المتحدة.

١٩٤٨- مايو: البريطانيون يغادرون فلسطين؛ بن جوريون يعلن قيام دولة إسرائيل.

سبتمبر: إرهابيون يقومون باغتيال الوسيط الأممى برنادوت.

ديسمبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى قرار ١٩٤ بإنشاء لجنة للتسوية التى طالبت بعودة أو تعويض اللاجئين الفلسطينيين، بالإضافة إلى تدويل القدس.

١٩٤٩- فبراير: مصر وإسرائيل يوقعان اتفاق وقف إطلاق نار فى رودس تحت رعاية المكلف بدور الوسيط الأممى رالف بنش

مارس: توقيع اتفاقات وقف إطلاق بين إسرائيل ولبنان، وبين إسرائيل والأردن

أبريل إلى سبتمبر: لجنة التسوية التابعة للأمم المتحدة تستضيف مؤتمرًا للسلام بلوزان (لا نتيجة).

مايو : إسرائيل تم قبولها عضوًا بالأمم المتحدة.

يوليو: توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بين سوريا وإسرائيل.

١٩٥٠- يناير إلى يوليو: لجنة التسوية التابعة للأمم المتحدة تستضيف مؤتمرًا للسلام بجنيف (لا نتيجة).

ديسمبر: الأردن تضم الضفة الغربية.

١٩٥١: يوليو: اغتيال الملك عبد الله ملك الأردن أثناء زيارته للقدس.

سبتمبر إلى نوفمبر: لجنة التسوية التابعة للأمم المتحدة تستضيف مؤتمرًا للسلام فى باريس (لا نتيجة).

١٩٥٢- يوليو: ضباط الجيش المصرى، ومن ضمنهم جمال عبد الناصر الرئيس فى المستقبل، يطيحون بالملك فاروق.

١٩٥٣- مايو: حسين يصبح ملكا للأردن (حتى١٩٩٩).

أكتوبر: إسرائيل تشن غارة انتقامية على قيبية تحت إشراف أرييل شارون.

١٩٥٥- فبراير: الهجوم الإسرائيلى على غزة.

سبتمبر: إعلان عن حزمة مساعدات سوفيتية شاملة لمصر.

١٩٥٦- يوليو: عبد الناصر يقوم بتأميم شركة قناة السويس.

أكتوبر: إسرائيل تغزو غزة وسيناء المصرية، يليه احتلال بريطاني- فرنسي لمنطقة قناة السويس؛ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والأمم المتحدة تضغط على الأطراف للانسحاب.

نوفمبر: الأمم المتحدة تنشئ قوات حفظ سلام على امتداد الحدود المصرية- الإسرائيلية.

١٩٥٧- يناير/ مارس: القوات الإسرائيلية تنسحب بالكامل من قطاع غزة، سيناء، وشرم الشيخ.

١٩٥٩- يناير: ياسر عرفات وآخرون يؤسسون حركة التحرير.

١٩٦٤ - يناير: الجامعة العربية تجتمع بالقاهرة وتنشيء منظمة التحرير الفلسطينية.

مايو: المجلس الوطني الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية يعقد أول اجتماع له في القدس الشرقية، ويتبنى المثياق الوطني الفلسطيني١٩٦٥.

يناير: فتح تشن أول غارة على إسرائيل من داخل الأراضي الأردنية.

١٩٦٦- نوفمبر: غارة انتقامية إسرائيلية واسعة النطاق على بلدة السموع في الضفة الغربية بالأردن.

١٩٦٧- أبريل/ مايو: توترات وهجمات متصاعدة على امتداد الحدود الإسرائيلية- السورية.

مايو: عبد الناصر يجهز القوات، ويأمر بطرد قوات حفظ السلام الدولية التابعة للأمم المتحدة خارج سيناء، ويغلق مضيق تيران أمام السفن من وإلى إسرائيل.

يونيو: انتصار إسرائيلى حاسم فى الحرب ضد مصر، سوريا، الأردن.

نوفمبر: مجلس الأمن يتبنى قرار ٢٤٢؛ مطالبًا إسرائيل بالانسحاب إلى الحدود الآمنة والمعترف بها، يتم تعيين جونار يارينج مندوبا خاصا للأمم المتحدة.

ديسمبر: تكوين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحت قيادة جورج حبش.

١٩٦٨- مارس: القوات المحتلة الإسرائيلية تقاتل فلسطينيين وأردنيين فى الكرامة بالأردن.

يوليو: الاجتماع الرابع للمجلس الوطنى الفلسطينى بالقاهرة يراجع الميثاق الوطنى الفلسطينى؛ اختطاف طائرة إسرائيلية من جانب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى الجزائر.

١٩٦٩- فبراير: انتخاب عرفات من فتح لرئاسة منظمة التحرير الفلسطينية.

مارس ١٩٦٩ إلى أغسطس ١٩٧٠: حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل.

١٩٧٠- سبتمبر: وفاة الرئيس المصرى عبد الناصر، يخلفه أنور السادات؛ اختطافات عدة من جانب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تقتاد طائرات إلى الأردن؛ الجيش الأردنى يقاتل ويطرد عصابات فلسطينية؛ المقر الرئيسى لمنظمة التحرير ينتقل إلى بيروت.

١٩٧٢- مايو: هجمات إرهابية في مطار تل أبيب.

سبتمبر: فلسطينيو "سبتمبر الأسود" الإرهابيون يهاجمون رياضيين إسرائيليين في أوليمبيات ميونيخ.

١٩٧٣- أكتوبر: مصر وسوريا تهاجمان إسرائيل؛ مجلس الأمن يصدر قرار ٣٣٨ بالتأكيد على قرار ٢٤٢ مطالبا بالمفاوضات.

ديسمبر: الجلسة الافتتاحية لمؤتمر جنيف.

١٩٧٤- يونيو: الاجتماع الثاني عشر للمجلس الوطني الفلسطيني بالقاهرة؛ يتبنى برنامجًا سياسيًا جديدًا ويوافق على إقامة سلطة وطنية في أي منطقة محررة من فلسطين.

أكتوبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة واجتماع جامعة الدول العربية في الرباط يعترفان بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني.

نوفمبر: ياسر عرفات يخاطب الجمعية العامة للأمم المتحدة.

١٩٧٥- سبتمبر: توقيع الاتفاق النهائي المصري- الإسرائيلي للانسحاب من سيناء؛ الولايات المتحدة وإسرائيل توافقان على شروط للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية.

نوفمبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى قرار ٣٣٧٩ بإعلان الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.

١٩٧٧- مايو: إسرائيل تنتخب مناجم بيجن رئيسا للوزراء، أول انتصار لليكود على حزب العمال.

نوفمبر: الرئيس المصرى السادات يصبح أول قائد عربى يزور إسرائيل، يبدأ مفاوضات السلام.

١٩٧٨- سبتمبر: إسرائيل ومصر توقعان اتفاقات كامب ديفيد بوساطة الرئيس الأمريكى جيمى كارتر.

١٩٧٩- مارس: إسرائيل ومصر توقعان اتفاقية السلام.

١٩٨١- يونيو: طائرات إسرائيلية تدمر المفاعل النووى العراقى قرب بغداد.

أكتوبر: اغتيال السادات، يخلفه حسنى مبارك.

١٩٨٢ - أبريل: إسرائيل تكمل انسحابها من سيناء.

يونيو: الاجتياح الإسرائيلى للبنان.

سبتمبر: خطة ريجان؛ القمة العربية فى فاس تتبنى الخطة السعودية للملك فهد (١٩٨١)؛ الكتائب تقوم بمذبحة ضد مخيمات صبرا وشاتيلا للاجئين خارج بيروت؛ منظمة التحرير الفلسطينية تنقل مقرها الرئيسى إلى تونس.

١٩٨٥- أكتوبر: القوات الجوية الإسرائيلية تقصف مقر منظمة التحرير بتونس

١٩٨٦- أكتوبر: أعضاء من جبهة التحرير الفلسطينية يختطفون الباخرة الإيطالية أكيلى لاورو.

١٩٨٧- ديسمبر: اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

١٩٨٨- فبراير أول ظهور لحركة حماس.

يوليو: الملك حسين ينهى المسئولية الإدارية للأردن على الضفة الغربية.

نوفمبر: المجلس الوطنى الفلسطينى يجتمع فى الجزائر ويعلن الدولة الفلسطينية، ويعترف ضمنيًا بإسرائيل.

ديسمبر: عرفات يخاطب الجمعية العامة للأمم المتحدة ويعلن اعتراف منظمة التحرير بقرارات مجلس الأمن ٢٤٢و٣٣٨.

١٩٩٠- العراق يغزو الكويت.

١٩٩١- يناير: الولايات المتحدة تبدأ الحرب ضد العراق (حرب الخليج).

أكتوبر: مؤتمر مدريد للسلام تحت رعاية الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب، أعقبه فى ديسمبر محادثات فى واشنطن.

١٩٩٢- يونيو: إسحاق رابين من حزب العمال ينتخب رئيسًا لوزراء إسرائيل.

١٩٩٣- سبتمبر: رابين وعرفات يوقعان خطابات اعتراف متبادل واتفاق أوسلو (إعلان مبادئ) للحكم الذاتى للفلسطينيين والانسحاب الإسرائيلى.

١٩٩٤- يوليو: عرفات يعود لرئاسة السلطة الفلسطينية عقب البدء فى انسحاب إسرائيل من الأراضى الفلسطينية.

أكتوبر: إسرائيل والأردن توقعان اتفاق سلام.

١٩٩٥- سبتمبر: اتفاق أوسلو ٢ بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية لمزيد من الانسحاب الإسرائيلى.

نوفمبر: اغتيال رابين.

١٩٩٦- يناير: انتخاب عرفات رئيسا للسلطة الفلسطينية.

مايو: بنيامين نتنياهو من الليكود يهزم شيمون بيريز مـــن العمـــال ليـــصبح رئيسًا للوزراء.

١٩٩٧- يناير: نتنياهو وعرفات يوقعان بروتوكولاً لإخلاء الخليــل تحــت وساطة أمريكية.

١٩٩٨: أكتوبر: نتنياهو وعرفات يتفاوضان حول اتفاقية وأى ريفر من أجل مزيد من الانسحاب الإسرائيلى تحت وساطة الرئيس الأمريكى بيل كلينتون.

١٩٩٩- فبراير: وفاة الملك حسين ملك الأردن، يخلفه عبد الله الثانى.

مايو: إيهود باراك من العمال يهزم نتنياهو من الليكود ويصبح رئيسًا للوزراء.

سبتمبر: توقيع اتفاق فلسطينى- إسرائيلى فى شرم الشيخ.

٢٠٠٠- مايو: إسرائيل تنسحب بشكل منفرد من المناطق المتبقيـــة فـــى جنـــوب لبنان.

يوليو: كلينتون يدعو عرفات وباراك فى كامب ديفيد، لم يتم التوصل لاتفاق.

سبتمبر: أرييل شارون يزور الحرم القدسى الشريف، المظاهرات المتتاليـــة والعنف من جانب الشرطة يفجر الانتفاضة الفلسطينية الثانية.

ديسمبر: الرئيس الأمريكى كلينتون يحدد الخطوط العريضة لمتطلبات اتفاق إسرائيلى- فلسطينى.

٢٠٠١- يناير: محادثات إسرائيلية- فلسطينية فى طابا، دون التوصل لاتفاق.

فبراير: أرييل شارون من الليكود يهزم باراك من العمال ويصبح رئيسًا للوزراء.

سبتمبر: الهجمات الإرهابية للقاعدة فى نيويورك وواشنطن.

٢٠٠٢- مارس: الجامعة العربية تؤيد المبادرة السعودية للسلام خلال اجتماعها فى بيروت؛ مجلس الأمن يتبنى قرار ١٣٩٧ مؤيدًا حل الدولتين؛ بعد تصاعد العنف، إسرائيل تعيد احتلال أجزاء من الضفة الغربية.

٢٠٠٣- أبريل: محمود عباس أبو مازن يصبح أول رئيس وزراء فلسطينى؛ الرباعى المكون من الولايات المتحدة وروسيا والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى يصدر نص خارطة الطريق للسلام الإسرائيلى- الفلسطينى.

يونيو: شارون وعباس يعقدان لقاء قمة فى العقبة بالأردن تحت رعاية الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن؛ إسرائيل تبدأ فى بناء "السياج الأمنى".

أكتوبر: قرار مجلس الأمن ١٥١٥ بتأييد خارطة الطريق وحل الدولتين؛ مفاوضون غير حكوميين فلسطينيين وإسرائيليين يكشفون النقاب عن اتفاق جنيف.

٢٠٠٤- أبريل: شارون يعلن عن خطط إسرائيلية لانسحاب أحادى الطرف من أراضى فلسطينية.

نوفمبر: وفاة عرفات فى باريس.

٢٠٠٥- يناير: انتخاب محمود عباس رئيسا للسلطة الفلسطينية.

أغسطس: إسرائيل تسحب قواتها وتطرد ما بين ٨٠٠٠ و ٩٠٠٠ مستوطن من قطاع غزة.

٢٠٠٦- يناير: رئيس الوزراء الإسرائيلى شارون يصاب بالعجز جراء جلطة دماغية، يخلفه إيهود أولمرت، حماس تفوز بالأغلبية فى انتخابات المجلس التشريعى الفلسطينى.

يوليو: حرب إسرائيل وحزب الله على امتداد الحدود الإسرائيلية- اللبنانية.

٢٠٠٧- مارس: تأييد خطة الجامعة العربية للسلام خلال قمة السعودية.

يونيو: ميليشيات حماس تهزم قوات فتح فى حرب أهلية بغزة.

يوليو: ممثلو الجامعة العربية يزورون القدس لتعزيز اتفاق السلام.

نوفمبر: أولمرت وعباس يحضران مؤتمر أنابوليس للسلام برعاية الـرئيس الأمريكى بوش.

المراجع

1948: Sixty Years After. special issue of *Palestine–Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 15:1–2 (2008).

Abbas, Mahmoud [Abu Mazen]. *Through Secret Channels: The Road to Oslo: Senior PLO Leader Abu Mazen's Revealing Story of the Negotiations with Israel*. Concord, MA: Paul [Reading: Garnet]. 1995.

Abbasi, Mustafa, "The End of Arab Tiberias: The 1948 Battle for the City." *Journal of Palestine Studies* 37:3 (Spring 2008). 6–29.

Abboushi, W. F., *The Unmaking of Palestine*. Wisbech, UK: Middle East and North African Studies Press / Boulder, CO: Lynne Rienner. 1985.

Abcarius, M[ichel] F[red]. *Palestine through the Fog of Propaganda*. introduction by Major-General Sir E. L. Spears. London /New York [etc.]: Hutchinson. 1946. [Westport, CT: Hyperion Press reprint 1976].

Abdel-Jawad, Saleh, "The Arab and Palestinian Narratives of the 1948 War," in *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*. ed. Robert I. Rotberg. Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press. 2006. 72–114.

Abu El-Haj, Nadia, *Facts on the Ground: Archeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society*. Chicago: University of Chicago Press. 2001.

Abu-Amr, Ziad, "Hamas: A Historical and Political Background," *Journal of Palestine Studies* 22:4 (Summer 1993). 5–19.

Abu-Odeh, Adnan, *Jordanians, Palestinians and the Hashemite Kingdom in the Middle East Peace Process*. Washington, DC: United States Institute of Peace Press. 1999.

Abu-Sharif, Bassam, and Uzi Mahnaimi, *Best of Enemies: The Memoirs of Bassam Abu-Sharif and Uzi Mahnaimi*. Boston, MA: Little, Brown. 1995.

Abunimah, Ali, "Israel's 'Auschwitz Borders' Revisited," *Desertpeace*. 8 December 2008. accessed online 14 February 2009 at http://desertpeace.wordpress.com/2008/12/08/israels-auschwitz-borders-revisited/

Adam, Heribert, and Kogila Moodley, *Seeking Mandela: Peacemaking between Israelis and Palestinians*. Philadelphia, PA: Temple University Press. 2005.

Agha, Hussein, Shai Feldman, Ahmad Khalidi, and Zeev Schiff. *Track-II Diplomacy: Lessons from the Middle East*, Cambridge, MA: MIT Press, 2003.

Alami, Musa. "The Lesson of Palestine." *Middle East Journal* 3:4 (October 1949), 373–405.

Antonius, George. *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement*, New York: G. P. Putnam's Sons, 1946 [orig. London: Hamish Hamilton, 1938; reprinted New York: Capricorn, 1965].

Appleby, Joyce, Lynn Hunt, and Margaret Jacob. *Telling the Truth about History*, New York / London: W. W. Norton, 1994.

Arab Executive Committee. Memorandum on the White Paper of October 1930, prepared by Aouni Abdul-Hadi, Jerusalem, December 1930, reproduced in *Documents of the Palestinian National Movement, 1918–1939: From the Papers of Akram Zuaytir*, ed. Bayan Nuwayhid al-Hout, Beirut: Institute for Palestine Studies, 1979, doc. 167 [pp. 333–53].

Arab Higher Committee, *Memorandum Submitted by the Arab Higher Committee to the Permanent Mandates Commission and the Secretary of State for the Colonies*, [Jerusalem] dated 23 July 1937, reprinted in *The Rise of Israel* v. 17, *Arab–Jewish Relations, 1921–1937*, ed. and introduced by Aaron S. Klieman, New York / London: Garland Publishing, 1987, 216–30.

The Arab–Israeli Conflict, ed. John Norton Moore, 3 vols., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1974.

The Arab–Israeli Conflict: Perspectives, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein, New York: HarperCollins, 1991.

The Arab–Israeli Conflict: Two Decades of Change, eds. Yehuda Lukacs and Abdalla M. Battah, Boulder, CO / London: Westview Press, 1988.

Arab–Jewish Relations: From Conflict to Resolution? Essays in Honour of Prof. Moshe Ma'oz, eds. Elie Podeh and Asher Kaufman, Brighton: Sussex Academic Press, 2005.

Arab Nationalism: An Anthology, ed. with an introduction by Sylvia G. Haim, Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1962.

Aronson, Geoffrey, *Creating Facts: Israel, Palestinian and the West Bank*, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987.

The Assassination of Yitzhak Rabin, ed. Yoram Peri, Stanford, CA: Stanford University Press, 2000.

Avineri, Shlomo. *The Making of Modern Zionism: Intellectual Origins of the Jewish State*, New York: 1981.

Avineri, Shlomo. "The Socialist Zionism of Chaim Arlosoroff." *Jerusalem Quarterly* 34 (Winter 1985), 68–87.

Avneri, Arieh L., *The Claim of Dispossession: Jewish Land-Settlement and the Arabs, 1878–1948*, New Brunswick, NJ: Transaction Books, 1984 (transl. from the Hebrew [1980] by the Kfar-Blum Translation Group).

Avnery, Uri, *My Friend, the Enemy*, Westport, CT: Lawrence Hill, 1986.

Baihum, Muhammad Jamil. "Arabism and Jewry in Syria," (1957), transl. in *Arab Nationalism: An Anthology*, ed. with an introduction by Sylvia G. Haim, Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1962, 128–46.

Barak, Ehud. "The Myths Spread about Camp David Are Baseless," in *The Camp David Summit—What Went Wrong? Americans, Israelis, and Palestinians Analyze the Failure of the Boldest Attempt Ever to Resolve the Palestinian-Israeli Conflict*, eds. Shimon Shamir and Bruce Maddy-Weitzman. Brighton, UK / Portland, OR: Sussex Academic Press, 2005, 117–47.

Bar-On, Dan, and Saliba Sarsar. "Bridging the Unbridgeable: The Holocaust and al-Nakba," *Palestine–Israel Journal* 11:1 (2004), 63–70.

Bar-On, Dan, and Sami Adwan. "The Psychology of Better Dialogue between Two Separate but Interdependent Narratives," in *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*, ed. Robert I. Rotberg. Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006, 205–24.

Bar-On, Mordechai. *The Gates of Gaza: Israel's Road to Suez and Back, 1955–1957*, transl. Ruth Rossing. New York: St. Martin's Press, 1994.

Bar-On, Mordechai. "Historiography as an Educational Project: The Historians' Debate in Israel and the Middle East Peace Process," in *The Middle East Peace Process: Interdisciplinary Perspectives*, ed. Ilan Peleg. Albany: State University of New York Press, 1998, 21–38.

Bar-On, Mordechai. "Remembering 1948: Personal Recollections, Collective Memory, and the Search for 'What Really Happened'," in *Making Israel*, ed. Benny Morris. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2007, 29–46.

Bar-On, Mordechai. "Three Days in Sèvres, October 1956," *History Workshop Journal* 62 (2006), 172–86.

Bar-On, Mordechai, Benny Morris, and Motti Golani. "Reassessing Israel's Road to Sinai/Suez, 1956: A Trialogue," in *Traditions and Transitions in Israel Studies: Books on Israel volume 6*, eds. Laura Zittrain Eisenberg, Neil Caplan, Naomi B. Sokoloff, and Mohammed Abu-Nimer. Albany: State University of New York Press, 2002, 3–41.

Bar-Siman-Tov, Yaacov. *The Israeli–Egyptian War of Attrition, 1969–1970*. New York: Columbia University Press, 1980.

Bar-Yaacov, N.. *The Israeli–Syrian Armistice: Problems of Implementation, 1949–1966*. Jerusalem: Magnes Press (Hebrew University), 1967.

Bauer, Yehuda. "From Cooperation to Resistance: The Haganah 1938–1946," *Middle Eastern Studies* II (1965–1966), 182–210.

Bauer, Yehuda. *From Diplomacy to Resistance: A History of Jewish Palestine, 1939–1945*, transl. Alton M. Winters. Philadelphia, PA: Jewish Publication Society, 1970.

Bauer, Yehuda. *A History of the Holocaust*. Danbury, CT: Franklin Watts, 1982.

Bauer, Yehuda. *Rethinking the Holocaust*. New Haven, CT / London: Yale University Press, 2001.

Begin, Menachem. *The Revolt [Story of the Irgun]*, foreword by Rabbi Meir Kahane. Los Angeles: Nash Publishing, 1972 [orig. New York: Schuman / London: W. H. Allen, 1948/1951].

Beilin, Yossi. *Touching Peace: From the Oslo Accord to a Final Agreement*, transl. from the Hebrew by Philip Simpson. London: Weidenfeld and Nicolson, 1999.

Bell, J. Bowyer. *Terror out of Zion: Irgun Zvai Leumi, LEHI, and the Palestine Underground, 1929–1949*. New York: St. Martin's Press, 1977 [reissued as *Terror out*

of Zion: The Fight for Israeli Independence, with a new introduction by the author and a foreword by Moshe Arens. New Brunswick, NJ: Transaction, 1996].

Ben-David, Calev. "Heroes under Attack," *The Jerusalem Report*, 29 December 1994, 12–17.

Ben-Gurion, David. *My Talks with Arab Leaders*, transl. Aryeh Rubinstein and Misha Louvish, ed. Misha Louvish. Jerusalem: Keter, 1972.

Ben-Gurion, David. "Our Friend: What Wingate Did for Us," *Jewish Observer and Middle East Review*, 27 September 1963, 15–16, reproduced in *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, ed. and introduced by Walid Khalidi. Beirut: 1971; 2nd printing, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987, 382–7.

Benvenisti, Meron. *Conflicts and Contradictions*. New York: Villard Books, 1986.

Benvenisti, Meron. *Sacred Landscape: The Buried History of the Holy Land since 1948*, transl. Maxine Kaufman-Lacusta. Berkeley / London: University of California Press, 2000.

Ben-Yehuda, Hemda. "Policy Transformation in the Middle East: Arms Control Regimes and National Security Reconciled," in *Review Essays in Israel Studies: Books on Israel, vol. V*, eds. Laura Zittrain Eisenberg and Neil Caplan. Albany: State University of New York Press, 2000, 173–91.

Ben-Yehuda, Nachman. *The Masada Myth: Collective Memory and Mythmaking in Israel*. Madison: The University of Wisconsin Press, 1995.

Berger, Earl. *The Covenant and the Sword: Arab–Israeli Relations, 1948–56*. Toronto: University of Toronto Press [London: Routledge and Kegan Paul], 1965.

Bickerton, Ian J., and Carla L. Klausner. *A History of the Arab–Israeli Conflict*, 5th ed., Upper Saddle River, NJ: Pearson / Prentice Hall, 2007.

Biger, Gideon. "The Boundaries of Israel–Palestine, Past, Present and Future: A Critical Geographical View," *Israel Studies* 13:1 (Spring 2008), 68–93.

Bishara, Marwan. *Palestine/Israel: Peace or Apartheid: Prospects for Resolving the Conflict*. London: Zed Books / Halifax, NS: Fernwood, 2001.

Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question, eds. Edward W. Said and Christopher Hitchens. London / New York: Verso: 1988.

Blechman, Barry M., "The Impact of Israel's Reprisals on Behavior of the Bordering Arab Nations Directed at Israel," *Journal of Conflict Resolution* 16:2 (June 1972), 155–81.

Boutros-Ghali, Boutros. *Egypt's Road to Jerusalem*. New York: Random House, 1997.

Bowden, Tom. "The Politics of the Arab Rebellion in Palestine, 1936–39," *Middle Eastern Studies* XI:2 (May 1975), 148–74.

Bowersock, G. W., "Palestine: Ancient History and Modern Politics," *Journal of Palestine Studies* 56 (Summer 1985), 49–57, reproduced in *Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question*, eds. Edward W. Said and Christopher Hitchens. London: Verso, 2001, 181–91.

Brecher, Michael. *Decisions in Israel's Foreign Policy*. New Haven, CT: Yale University Press, 1975.

Brecher, Michael. *The Foreign Policy System of Israel: Setting, Images, Process.* London / Toronto / Melbourne: Oxford University Press, 1972.

Brecher, Michael, and Jonathan Wilkenfeld. *A Study of Crisis.* Ann Arbor: The University of Michigan Press, 2000.

Bridging the Divide: Peacebuilding in the Israeli–Palestinian Conflict, eds. Edy Kaufman, Walid Salem, and Juliette Verhoeven, foreword by N. Chazan and H. Siniora. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2006.

Bronstein, Eitan. "The Nakba in Hebrew: Israeli–Jewish Awareness of the Palestinian Catastrophe and Internal Refugees." in *Catastrophe Remembered: Palestine, Israel and the Internal Refugees: Essays in Memory of Edward W. Said*, ed. Nur Masalha. London / New York: Zed Books, 2005, 214–41.

Bruno, Michael. "Israeli Policy in the 'Administered Territories'." in *Israel, the Arabs and the Middle East*, eds. Irving Howe and Carl Gershman. New York: Bantam, 1972, 249–65.

Brzezinski, Zbigniew. *Power and Principle: Memoirs of the National Security Advisor, 1977–1981*. New York: Farrar, Straus, Giroux, 1983.

Buehrig, Edward H.. *The UN and the Palestinian Refugees: A Study in Nonterritorial Administration*. Bloomington: Indiana University Press, 1971.

Burg, Avraham. *The Holocaust is Over: We Must Rise from Its Ashes*. London: Palgrave-Macmillan, 2008.

Burns, E. L. M.. *Between Arab and Israeli*. New York: Ivan Obolensky, 1963.

The Camp David Summit—What Went Wrong? Americans, Israelis, and Palestinians Analyze the Failure of the Boldest Attempt Ever to Resolve the Palestinian–Israeli Conflict, eds. Shimon Shamir and Bruce Maddy-Weitzman. Brighton, UK /Portland, OR: Sussex Academic Press, 2005.

Caplan, Neil. "Arab–Jewish Contacts in Palestine after the First World War." *Journal of Contemporary History* XII:4 (October 1977), 635–68.

Caplan, Neil. "Faisal Ibn Husain and the Zionists: A Re-examination with Documents." *International History Review* V:4 (November 1983), 561–614.

Caplan, Neil. *Futile Diplomacy*. vol. I: *Early Arab–Zionist Negotiation Attempts, 1913–1931*. London: Frank Cass, 1983.

Caplan, Neil. *Futile Diplomacy*, vol. II: *Arab–Zionist Negotiations and the End of the Mandate*, London: Frank Cass, 1986.

Caplan, Neil. *Futile Diplomacy*. vol. III: *The United Nations, the Great Powers and Middle East Peacemaking, 1948–1954*, London: Frank Cass, 1997.

Caplan, Neil. *Futile Diplomacy*. vol. IV: *Operation Alpha and the Failure of Anglo–American Coercive Diplomacy in the Arab–Israeli Conflict, 1954–1956*. London: Frank Cass, 1997.

Caplan, Neil. "The Holocaust and the Arab-Israeli Conflict." in *So Others Will Remember: Holocaust History and Survivor Testimony*, ed. Ronald Headland. Montreal: Vehicule Press, 1999, 82–97.

Caplan, Neil. "Negotiation and the Arab-Israeli Conflict." *Jerusalem Quarterly* 6 (Winter 1978), 3–19.

Caplan, Neil. *Palestine Jewry and the Arab Question, 1917–1925*. London: Frank Cass, 1978.

Caplan, Neil. "The 'Sharettist Option' Revisited," in *Arab–Jewish Relations: From Conflict to Resolution? Essays in Honour of Prof. Moshe Ma'oz*, eds. Elie Podeh and Asher Kaufman. Brighton: Sussex Academic Press, 2005, 64–73.
Caplan, Neil. "Zionist Visions of Palestine, 1917–1936." *The Muslim World* LXXXIV: 1–2 (January–April 1994), 19–35.
Carter, Jimmy. *Keeping Faith: Memoirs of a President*. New York: Bantam, 1982.
Carter, Jimmy. *Palestine: Peace not Apartheid*. New York: Simon and Schuster, 2007.
Cattan, Henry. *Palestine and International Law: The Legal Aspects of the Arab–Israel Conflict*. 2nd ed., foreword by W. T. Mallison, Jr., London: Longman, 1976.
Chapman, Colin. *Whose Promised Land?* updated ed., Oxford: Lion Publishing, 1992.
Childers, Erskine B., "The Other Exodus," *The Spectator* (London), 12 May 1961, reproduced in *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, ed. and introduced by Walid Khalidi, Beirut: 1971; 2nd printing, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987, 795–806.
Childers, Erskine B., "The Wordless Wish: From Citizens to Refugees," in *The Transformation of Palestine*, ed. Ibrahim Abu Lughod, 2nd ed., Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987, 165–202.
Chill, Dan S., *The Arab Boycott of Israel: Economic Aggression and World Reaction*. New York: Praeger, 1976.
Chomsky, Noam. *Peace in the Middle East? Reflections on Justice and Nationhood*. New York, 1974.
Christison, Kathleen. "The Arab–Israeli Policy of George Shultz," *Journal of Palestine Studies* 18:2 (Winter 1989), 29–47.
Cleveland, William. *A History of the Modern Middle East*. Boulder, CO: Westview Press, 2005.
Cohen, Aharon, *Israel and the Arab World*, New York: Funk and Wagnalls, 1970.
Cohen, Avner, *Israel and the Bomb*. New York: Columbia University Press, 1998.
Cohen, Geula, *Woman of Violence: Memoirs of a Young Terrorist, 1943–1948*, transl. Hillel Halkin, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1966.
Cohen, Hillel, "Why Do Collaborators Collaborate? The Case of Palestinians and Zionist Institutions, 1917–1936," in *Arab–Jewish Relations: From Conflict to Resolution? Essays in Honour of Prof. Moshe Ma'oz*, eds. Elie Podeh and Asher Kaufman. Brighton: Sussex Academic Press, 2005, 43–63.
Cohen, Israel. *The Zionist Movement*. London: Frederick Muller, 1945.
Cohen, Michael J., "Churchill and the Balfour Declaration: The Interpretation, 1920–1922," in *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988, 91–108.
Cohen, Michael J., "Sir Arthur Wauchope, the Army, and the Rebellion in Palestine, 1936," *Middle Eastern Studies* IX (1973), 19–34.
Cohen, Michael J., *Palestine and the Great Powers, 1945–1948*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1982.
Cohen, Stanley. *States of Denial. Knowing about Atrocities and Suffering*. Cambridge, UK / Malden, MA: Polity/Blackwell, 2001.

Cohen, Stephen. "Intractability and the Israeli–Palestinian Conflict." in *Grasping the Nettle: Analyzing Cases of Intractable Conflict*. Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2005, 343–55.

Collins-Kreiner, N., Y. Mansfeld, and N. Kliot. "The Reflection of a Political Conflict in Mapping: The Case of Israel's Borders and Frontiers." *Middle Eastern Studies* 42:3 (2006), 381–408.

Corbin, Jane. *Gaza First: The Secret Norway Channel to Peace between Israel and the PLO*. London: Bloomsbury, 1994.

Crocker, Chester A., Fen Osler Hampson, and Pamela Aall. "From Intractable to Tractable: The Outlook and Implications for Third Parties." in *Grasping the Nettle: Analyzing Cases of Intractable Conflict*. Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2005, 375–86.

Crossman, Richard. *Palestine Mission: A Personal Record*. New York: Harper and Bros., 1947.

Crum, Bartley. *Behind the Silken Curtain: A Personal Account of Anglo–American Diplomacy in Palestine and the Middle East*. New York: Simon and Schuster, 1947.

Dann, Uriel. "Glubb's Ouster and its Aftermath." in U. Dann, *King Hussein and the Challenge of Arab Radicalism: Jordan, 1955–1967*. New York / Oxford: Oxford University Press, 1989, 31–8.

Davis, Uri. *Apartheid Israel: Possibilities for the Struggle Within*. London: Zed Books, 2003.

Davis, Uri. *Israel: An Apartheid State*. London: Zed Books, London 1987 and 1990.

Dawidowicz, Lucy S., *The War against the Jews, 1933–1945*. New York, etc.: Bantam Books, 1986.

Dayan, Moshe. *Breakthrough: A Personal Account of the Egypt–Israel Peace Negotiations*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1981.

Dayan, Moshe. *Diary of the Sinai Campaign*. New York: Harper and Row, 1966.

Dayan, Moshe. "Israel's Border and Security Problems." *Foreign Affairs* 33:2 (January 1955), 250–67.

Dayan, Moshe. *Living with the Bible*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1978.

Dekel, Ephraim. *Briha: Flight to the Homeland*, transl. from the Hebrew by Dina Ettinger, ed. Gertrude Hirschler, New York, Herzl Press, 1973.

Dershowitz, Alan. *The Case for Israel*. New York: John Wiley, 2003.

Dershowitz, Alan. "Civil Liberties in Israel: The Problem of Preventive Detention." in *Israel, the Arabs and the Middle East*, eds. Irving Howe and Carl Gershman. New York: Bantam, 1972, 266–99.

Dessouki, Ali E. Hillal. "Arab Intellectuals and al-Nakba: The Search for Fundamentalism." *Middle Eastern Studies* IX (1973), 187–95.

Diamant, Etty. "Return to Haifa Confronts Holocaust Victims with Palestinian Refugees." *Palestine–Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 15:1–2 (2008), 210–12.

Dissenter in Zion: From the Writings of Judah L. Magnes, ed. Arthur A. Goren. Cambridge, MA / London: Harvard University Press, 1982.

A Documentary History of the Arab–Israeli Conflict, ed. and with historical introductions by Charles L. Geddes. New York, etc.: Praeger, 1991.

Doumani, Beshara, "Rediscovering Ottoman Palestine: Rewriting Palestinians into History," in *The Israel/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999, 11–40.
Dowek, Ephraim, *Israeli–Egyptian Relations, 1980–2000*, foreword by Yitshak Shamir, London: Frank Cass, 2001.
Dowty, Alan, *Israel/Palestine*, 2nd ed., Malden, MA / Cambridge, UK: Polity Press, 2008.
Dowty, Alan, *The Jewish State: A Century Later*, Berkeley / Los Angeles / London: University of California Press, 1998.
Dumper, Michael, *The Politics of Sacred Space: The Old City of Jerusalem in the Middle East Conflict*, Boulder, CO: Lynne Rienner, 2002.
Dynamics of a Conflict: A Re-examination of the Arab–Israeli Conflict, ed. Gabriel Sheffer, Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1975.
Eban, Abba, *An Autobiography*, New York: Random House, 1977.
Eban, Abba, *Personal Witness: Israel through My Eyes*, New York: G. P. Putnam's Sons, 1992.
Eban, Abba, "Some Unsystematic Thinking about the Arab–Israeli Conflict," in *Dynamics of a Conflict: A Re-examination of the Arab–Israeli Conflict*, ed. Gabriel Sheffer, Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1975, 349–66.
Efrat, Elisha, "Jerusalem: Partition Plans for a Holy City," in *Israel: The First Hundred Years*, vol. 2, *From War to Peace?* ed. Efraim Karsh, London: Frank Cass, 2000, 238–57.
Eisenberg, Laura Zittrain, and Neil Caplan, *Negotiating Arab–Israeli Peace: Patterns, Problems, Possibilities*, Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 1998.
Elam, Yigal, "*Haganah*, *Irgun* and 'Stern': Who Did What?" *Jerusalem Quarterly* 23 (Spring 1982), 70–8.
Eldar, Akiva, "The Refugee Problem at Taba: Akiva Eldar Interviews Yossi Beilin and Nabil Sha'ath," *Palestine–Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 9:2 (2002), 12–23.
Elon, Amos, *The Israelis: Founders and Sons*, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1971.
Elpeleg, Zvi, *The Grand Mufti: Haj Amin al-Hussaini, Founder of the Palestinian National Movement*, transl. David Harvey, ed. Shmuel Himelstein, London: Frank Cass, 1993.
Encyclopedia of the Palestinians, rev. ed., ed. Philip Mattar, New York: Facts on File, 2005.
ESCO Foundation for Palestine, Inc., *Palestine: A Study of Jewish, Arab, and British Policies*, 2 vols., New Haven, CT: Yale University Press, 1947.
Evans, Richard J., *In Defense of History*, London / New York: W. W. Norton, 1999.
Evron, Boaz, "The Holocaust: Learning the Wrong Lessons," *Journal of Palestine Studies* 10:3 (Spring 1981), 16–25.
Exile and Return: Predicaments of Palestinians and Jews, eds. Ann M. Lesch and Ian S. Lustick, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005.
Feinberg, Nathan, "The Question of Sovereignty over Palestine," *On an Arab Jurist's Approach to Zionism and the State of Israel*, reproduced in *The Arab–Israeli*

Conflict: Readings and Documents, abridged and rev. ed., ed. John Norton Moore. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1977, 63–5.
Feinberg, Nathan. *Studies in International Law: With Special Reference to the Arab–Israel Conflict*. Jerusalem: Magnes Press, Hebrew University, 1979.
Finkelstein, Israel, and Neil Asher Silberman. *The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts*. New York: Free Press, 2001.
Finkelstein, Norman G., "Disinformation and the Palestine Question: The Not-So-Strange Case of Joan Peters's *From Time Immemorial*," in *Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question*, eds. Edward W. Said and Christopher Hitchens. London: Verso, 2001, 33–69.
Finkelstein, Norman G., *Image and Reality of the Israel–Palestine Conflict*, new and rev. ed., New York: W. W. Norton [2nd ed., London: Verso], 2003.
Firestone, Reuven. *Children of Abraham: An Introduction to Judaism for Muslims*. Hoboken, NJ: Ktav, 2001.
Fischbach, Michael R., "Palestinian and Mizrahi Jewish Property Claims in Discourse and Diplomacy," in *Exile and Return: Predicaments of Palestinians and Jews*, eds. Ann M. Lesch and Ian S. Lustick. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005, 207–24.
Fischbach, Michael R., "Palestinian Refugee Compensation and Israeli Counter-claims for Jewish Property in Arab Countries," *Journal of Palestine Studies* 38:1 (Autumn 2008), 6–24.
Flapan, Simha, *The Birth of Israel: Myths and Realities*. New York: Pantheon, 1987.
Flapan, Simha, *Zionism and the Palestinians*. New York: Barnes and Noble / London: Croom Helm, 1979.
Forsythe, David P., *United Nations Peacemaking: The Conciliation Commission for Palestine*. Baltimore, MD / London: Johns Hopkins University Press, 1972.
Freiberg, Dov. *To Survive Sobibor*, transl. Barbara Doron. Jerusalem / New York: Gefen, 2007.
Friedman, Isaiah. *Palestine, A Twice-Promised Land?* New Brunswick, NJ: Transaction Publishers, 2000.
Friedman, Isaiah. *The Question of Palestine, 1914–1918: British–Jewish–Arab Relations*. London: Routledge and Kegan Paul, 1973.
Friedman, Robert I., *Zealots for Zion: Inside Israel's West Bank Settlement Movement*. New York: Random House, 1992.
From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948, ed. and introduced by Walid Khalidi. Beirut: 1971; 2nd printing, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987.
Frye, Northrop, "The Knowledge of Good and Evil," in N. Frye, Stuart Hampshire, and Conor Cruise O'Brien, *The Morality of Scholarship*, ed. Max Black. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1967, 3–28.
Frye, Northrop, Stuart Hampshire, and Conor Cruise O'Brien. *The Morality of Scholarship*, ed. Max Black. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1967.
The Future of Palestine and Israel: From Colonial Roots to Postcolonial Realities, ed. Aslam Farouk-Alli. Midrand, South Africa: Institute for Global Dialogue, 2007.

Gabbay, Rony E., *A Political Study of the Arab–Jewish Conflict: The Arab Refugee Problem (A Case Study)*. Geneva: Librairie E. Droz [Paris: Librairie Minard], 1959.
Galnoor, Yitzhak, *The Partition of Palestine: Decision Crossroads in the Zionist Movement*. Albany: State University of New York Press, 1995.
Garcia-Granados, Jorge, *The Birth of Israel: The Drama as I Saw It*. New York: Knopf, 1948.
Garfinkle, Adam M., "Genesis," in *The Arab–Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein. New York: HarperCollins, 1991, ch. 1.
Gazit, Mordechai, "Egypt and Israel—Was there a Peace Opportunity Missed in 1971?" *Journal of Contemporary History* 32:1 (January 1997), 97–115.
Gazit, Shlomo, *Trapped Fools: Thirty Years of Israeli Policy in the Territories*, introduction by Shimon Peres. London: Frank Cass, 2003.
Gelber, Yoav, "The History of Zionist Historiography: From Apologetics to Denial," in *Making Israel*, ed. Benny Morris. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2007, 47–80.
Gershoni, Israel, "Rejecting the West: The Image of the West in the Teachings of the Muslim Brotherhood, 1928–1939," in *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988, 370–90.
Gerson, Allan, *Israel, the West Bank and International Law*. London / Totowa, NJ: Frank Cass, 1978.
Gervasi, Frank, *The Case for Israel*, foreword by Abba Eban. New York: Viking Press, 1967.
Gilbert, Martin, *The Routledge Atlas of the Arab–Israeli Conflict*, 7th ed., London / New York: Routledge, 2002.
Ginor, Isabella, "The Cold War's Longest Cover-up: How and Why the USSR Instigated the 1967 War," *MERIA* 7:3 (September 2003).
Ginor, Isabella, "The Russians Were Coming: The Soviet Military Threat in the 1967 Six-Day War," *MERIA* 4:4 (December 2000).
Ginor, Isabella, "Under the Yellow Arab Helmet Gleamed Blue Russian Eyes: Operation *Kavkaz* and the War of Attrition," *Cold War History* 3:1 (October 2002), 129–56.
Ginor, Isabella, and Gideon Remez "The Six-Day War as a Soviet Initiative: New Evidence and Methodological Issues," *MERIA* 12:3 (September 2008).
Ginor, Isabella, and Gideon Remez, "The Spymaster, the Communist, and Foxbats over Dimona: The USSR's Motive for Instigating the Six-Day War," *Israel Studies* 11:2 (Summer 2006), 88–130.
Glock, Albert, "Archaeology as Cultural Survival: The Future of the Palestinian Past," *Journal of Palestine Studies* 23:3 (1994), 70–84.
Glock, Albert, "Cultural Bias in the Archaeology of Palestine," *Journal of Palestine Studies* 24:4 (1995), 48–59.
Glubb, J. B., "Violence on the Jordan–Israel Border: A Jordanian View," *Foreign Affairs* 32:4 (July 1954), 552–62.
Gluska, Ami, " 'The War over the Water' during the 1960s," in *A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On. Westport, CT / London: Praeger, 2004, 109–31.

Goitein, S. D., *Jews and Arabs: Their Contacts through the Ages*, 3rd ed., New York: Schocken, 1974.
Golan, Galia, *Israel and Palestine: Peace Plans and Proposals from Oslo to Disengagement*. Princeton, NJ: Markus Wiener, 2007.
Golani, Motti, *Israel in Search of War: The Sinai Campaign, 1955–1956*. Brighton: Sussex Academic Press, 1998.
Gonen, Jay Y., *A Psychohistory of Zionism*. New York: Mason-Charter, 1975.
Gorenberg, Gershom, *The Accidental Empire: Israel and the Birth of the Settlements, 1967–1977*. New York: Times Books, 2006.
Gottheil, Fred M., "Arab Immigration into Pre-State Israel: 1922–1931," in *Palestine and Israel in the 19th and 20th Centuries*, eds. Elie Kedourie and Sylvia G. Haim. London: Frank Cass, 1982, 143–52.
Grasping the Nettle: Analyzing Cases of Intractable Conflict. eds. Chester A. Crocker, Fen Osler Hampson, and Pamela Aall. Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2005.
Great Britain. The Anglo–American Committee of Enquiry Regarding the Problems of European Jewry and Palestine. *Report, 1946* (Lausanne 20 April 1946). Cmd. 6808. London: HMSO, 1946.
Great Britain. Colonial Office. *Palestine: Report on Immigration, Land Settlement and Development by Sir John Hope Simpson*, Cmd. 3686, October 1930.
Great Britain, Colonial Office. *Palestine: Statement of Policy*. Cmd. 3692, October 1930 ("Passfield White Paper," reproduced in *A Documentary History of the Arab–Israeli Conflict*, ed. and with historical introductions by Charles L. Geddes. New York, etc.: Praeger, 1991, 113–40).
Great Britain, Colonial Office, *Palestine: Statement of Information Relating to Acts of Violence*, July 1946. Cmd. 6873, London: HMSO, 1946.
Great Britain, Palestine Royal Commission. *Minutes of Evidence Heard at Public Sessions (with Index)*, Colonial No. 134, London: HMSO, 1937. Reproduced in *The Rise of Israel, vol. 22: The Palestine Royal Commission*, ed. and with an introduction by Aaron S. Klieman. New York / London: Garland, 1987.
Great Britain. Palestine Royal Commission. *Report Presented by the Secretary of State for the Colonies to Parliament by Command of His Majesty, July 1937*, Cmd. 5479, London: HMSO, 1937.
Great Britain [United Kingdom]. *A Survey of Palestine, Prepared in December 1945 and January 1946 for the Information of the Anglo–American Committee of Inquiry*. HMSO: 1946, reprinted 1991 by the Institute for Palestine Studies, Washington, DC.
The Great Powers in the Middle East, 1919–1939, ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988.
Grob, Leonard, and John K. Roth, eds., *Anguished Hope: Holocaust Scholars Confront the Palestinian–Israeli Conflict*, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008.
Gross, Netty C., "Demolishing David," *Jerusalem Report*, 11 September 2000, 40–6.
Gunning, Jeroen, *Hamas in Politics: Democracy, Religion and Violence*, New York: Columbia University Press, 2008.

Habibi, Emil, "Your Holocaust, Our Catastrophe." *The Tel Aviv Review* I:1 (January 1988), 332-6.
Hadawi, Sami. *Arab Boycott of Israel: Peaceful, Defensive and Constructive*. Ottawa: Arab League Information Center, 1977.
Hanieh, Akram. *The Camp David Papers*. Ramallah: Al-Ayyam Newspaper, 2000; an abbreviated version appears in the *Journal of Palestine Studies* 30:2 (Winter 2001), 75-97.
Hareven, Shulamith. *The Vocabulary of Peace: Life, Culture and Politics in the Middle East*. San Francisco: Mercury House, 1995.
Harkabi, Yehoshafat. "The Debate at the Twelfth Palestinian National Council" (July 1974), in Harkabi, *Palestinians and Israel*. New York: John Wiley (Halsted Press), 1974, 269-83.
Harkabi, Yehoshafat. "The Last Reminiscence, January 14, 1994" an interview with Pinhas Ginossar and Zaki Shalom. *Israel Studies* I:1 (Spring 1996), 171-95.
Harkabi, Yehoshafat. "The Meaning of 'a Democratic Palestinians State'" (April 1970), in Harkabi, *Palestinians and Israel*, New York: John Wiley (Halsted Press), 1974, 70-106.
Harkabi, Yehoshafat. *The Palestinian Covenant and Its Meaning*. London: Valentine Mitchell, 1979.
Harkabi, Yehoshafat. *Palestinians and Israel*. New York: John Wiley (Halsted Press), 1974.
Harkabi, Yehoshafat. "Who is to Blame for the Persistence of the Arab-Israel Conflict?: Lessons from Five Explanations," in Harkabi, *Palestinians and Israel*, New York: John Wiley (Halsted Press), 1974, 220-41.
Heikal, Mohamed. *The Road to Ramadan*. New York: Quadrangle, 1975.
Heikal, Mohamed. *Secret Channels: The Inside Story of Arab-Israeli Peace Negotiations*. London: HarperCollins, 1996.
Heller, Joseph. *The Birth of Israel, 1945-1949: Ben-Gurion and His Critics*. Gainesville, etc.: University Press of Florida, 2000.
Heller, Joseph. *The Stern Gang: Ideology, Politics, and Terror, 1940-1949*. London / Portland, OR: Frank Cass, 1995.
Heller, Mark A., *A Palestinian State: The Implications for Israel*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1983.
Heller, Mark A., and Sari Nusseibeh. *No Trumpets, No Drums: A Two-State Settlement of the Israeli-Palestinian Conflict*. New York: Hill and Wang, 1991.
Herman, Simon N., "In the Shadow of the Holocaust," *Jerusalem Quarterly* 3 (Spring 1977), 85-102.
Herman, Simon N., *Israelis and Jews: The Continuity of an Identity*. Philadelphia, PA: Jewish Publication Society, 1971.
Herzog, Chaim. *The Arab-Israeli Wars*. New York: Random House, 1982.
Herzog, Chaim. *The War of Atonement: The Inside Story of the Yom Kippur War*. London: Greenhill Books, 2003.
Hitchens, Christopher, "Broadcasts," in *Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question*, eds. Edward W. Said and Christopher Hitchens, London: Verso, 2001, 73-83.

Horowitz, David. *State in the Making*, transl. Julian Meltzer. New York: Alfred A. Knopf, 1953.

Hourani, Albert. "The Case against a Jewish State in Palestine: Albert Hourani's Statement to the Anglo-American Committee of Enquiry of 1946." *Journal of Palestine Studies* 35:1 (Autumn 2005), 80–90.

Hourani, Cecil A., "The Moment of Truth: Towards a Middle East Dialogue," *Encounter* 29:5 (1967), 3–14, reproduced in *A Middle East Reader*, ed. Irene L. Gendzier. Indianapolis / New York: Pegasus, 1969, 384–405.

Hurewitz, J. C., *The Struggle for Palestine*. New York: Norton, 1950 [Greenwood Reprint 1968].

Hurewitz, J. C., ed., *Diplomacy in the Near and Middle East: A Documentary Record 1535–1956*, Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

Hutchison, E. H., *Violent Truce: A Military Observer Looks at the Arab–Israeli Conflict, 1951–1955*, New York: Devin-Adair, 1956.

Iklé, Fred Charles, *Every War Must End*, 2nd rev. ed., New York: Columbia University Press, 2005.

Ilan, Amitzur, *Bernadotte in Palestine: A Study in Contemporary Humanitarian Knight-Errantry*, New York: St. Martin's Press, 1989.

Intifada: the Palestinian Uprising against Israeli Occupation, eds. Zachary Lockman and Joel Beinin, Boston, MA: South End Press, 1989.

Israel in the Middle East: Documents and Readings on Society, Politics, and Foreign Relations, Pre-1948 to the Present, 2nd Edition, eds. Itamar Rabinovich and Jehuda Reinharz, Lebanon, NH: Brandeis University Press / University Press of New England, 2008.

Israel State Archives, *Documents on the Foreign Policy of Israel*, vol. 6 (1951), ed. Yemima Rosenthal, Jerusalem: 1991.

Israel State Archives, *Documents on the Foreign Policy of Israel*, vol. 8 (1953), ed. Yemima Rosenthal, Jerusalem: 1995.

The Israel–Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict, 7th rev. ed., eds. Walter Laqueur and Barry Rubin, New York: Penguin, 2008.

The Israel/Palestine Question, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999.

Israeli, Raphael, "Is Jordan Palestine?," in *Israel, the Hashemites and the Palestinians: The Fateful Triangle*, eds. Efraim Karsh and P. R. Kumaraswamy, London: Frank Cass, 2003, 49–66.

Israeli Historical Revisionism: From Left to Right, eds. Anita Shapira and Derek J. Penslar, London: Frank Cass, 2003.

Israeli Historiography Revisited, Special issue of *History & Memory* 7:1 (Spring/Summer 1995), ed. Gulie Ne'eman Arad.

Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix, ed. Robert I. Rotberg, Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006.

The Israeli–Palestinian Conflict: A Documentary Record, 1967–1990, ed. Yehuda Lukacs, Cambridge: Cambridge University Press, 1992.

Jeffay, Nathan, "The Other Middle East Refugees," *Jerusalem Report*, 4 August 2008, 33–4.

Jeffries, J. M. N., *Palestine: The Reality*, London, Longmans Green, 1939.

John, Robert, and Sami Hadawi. *The Palestine Diary*. 2 vols., foreword by Arnold J. Toynbee. Beirut: Palestine Research Center, 1970.
Kabha, Mustafa. "A Palestinian Look at the New Historians and Post-Zionism in Israel," in *Making Israel*, ed. Benny Morris. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2007, 299–318.
Kahan, Yitzhak, Aharon Barak, and Yona Efrat. *Report of the Commission of Inquiry into the facts and factors connected with the atrocity carried out by a unit of the Lebanese Forces against the civilian population in the Shatilla and Sabra camps*. Jerusalem, 7 February 1983, accessed online 22 July 2008 at http://www.mideastweb.org/Kahan_report.htm
Kamel, Mohamed Ibrahim. *The Camp David Accords: A Testimony*. New York: KPI, 1986.
Kanafani, Ghassan. *Palestine's Children: Returning to Haifa and Other Stories*, transl. Barbara Harlow and Karen E. Riley. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2000.
Kaniuk, Yoram. *Commander of the Exodus*, transl. Seymour Simckes. New York: Grove Press, 1999.
Karsh, Efraim. "1948, Israel, and the Palestinians: Annotated Text," *Commentary* [April?] 2008, accessed June 2008 online at http://www.commentarymagazine.com/viewarticle.cfm/1948-israel-and-the-palestinians-annotated-text-11373.
Karsh, Efraim. *Fabricating Israeli History: The "New Historians,"* 2nd rev. ed., London: Frank Cass, 2000.
Karsh, Efraim, "*Nakbat Haifa*: The Collapse and Dispersion of a Major Palestinian Community," *Middle Eastern Studies* 37:4 (October 2001), 25–70.
Katz, Samuel [Shmuel]. *Battleground: Fact and Fantasy in Palestine*, updated and expanded ed., New York / Jerusalem: Steimatsky, 1985.
Katz, Samuel [Shmuel]. *Days of Fire: The Secret Story of the Making of Israel*. Jerusalem: Steimatsky [London: W. H. Allen], 1968.
Katz, Sheila H., *Women and Gender in Early Jewish and Palestinian Nationalism*. Gainesville, etc.: University Press of Florida, 2003.
Katz, Yossi. *Partner to Partition: The Jewish Agency's Partition Plan in the Mandate Era*. London / Portland, OR: Frank Cass, 1998.
Kaufman, Edward [Edy], and Manuel Hassassian. "Understanding Our Israeli/Palestinian Conflict and Searching for Its Resolution," in *Regional and Ethnic Conflicts: Perspectives from the Front Lines*, eds. Judy Carter, George E. Irani, and Vamik D. Volkan. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, 2008, 87–129.
Kayyali, A. W., *Palestine: A Modern History*. London: Croom Helm, [1978].
Kedar, Benjamin Z., "Masada: The Myth and the Complex," *Jerusalem Quarterly* 24 (Summer 1982), 57–63.
Kedourie, Elie, "Great Britain and Palestine: The Turning Point," in *Islam in the Modern World and Other Studies*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1980, 93–170.
Kedourie, Elie. *In the Anglo-Arab Labyrinth: The McMahon–Husayn Correspondence and Its Interpretations, 1914–1939*. Cambridge: Cambridge University Press, 1976, reprinted London: Frank Cass, 2000.
Kedourie, Elie. "Religion and Politics," in *The Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1970, 317–50.

Kelman, Herbert C., "Creating the Conditions for Israeli-Palestinian Negotiations," *The Journal of Conflict Resolution* 26:1 (March 1982), 39–75.

Kelman, Herbert C., "Overcoming the Barriers to Negotiation of the Israeli-Palestinian Conflict," *Journal of Palestine Studies* 16:1 (Autumn 1986), 13–28.

Kerr, Malcolm H., *The Arab Cold: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958–1970*, 3rd ed., London / New York: [for the Royal Institute of International Affairs] Oxford University Press, 1971.

Khalidi, Rashid, *The Iron Cage: The Story of the Palestinian Struggle for Statehood*, Boston, MA: Beacon, 2006.

Khalidi, Rashid, *Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consciousness*, New York: Columbia University Press, 1997.

Khalidi, Rashid, *Under Siege: P.L.O. Decisionmaking during the 1982 War*, New York: Columbia University Press, 1986.

Khalidi, Walid, *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948*, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1992.

Khalidi, Walid, *Before Their Diaspora: A Photographic History of the Palestinians, 1876–1948*, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1984.

Khalidi, Walid, "The Fall of Haifa," *Middle East Forum* 35:10 (December 1959), 22–32, reproduced in "The Fall of Haifa Revisited," *Journal of Palestine Studies* 37:3 (Spring 2008), 30–58.

Khalidi, Walid, *Palestine Reborn*, London / New York: I. B. Tauris, 1992.

Khalidi, Walid, "Plan Dalet Revisited: Master Plan for the Conquest of Palestine," *Journal of Palestine Studies* 18:1 (Autumn 1988), 3–37.

Khalidi, Walid, "Revisiting the UNGA Partition Resolution," *Journal of Palestine Studies* 27:1 (Autumn 1997), 5–21.

Khalidi, Walid, "Selected Documents on the 1948 Palestine War," *Journal of Palestine Studies* 27:3 (Spring 1998), 60–105.

Khalidi, Walid, "Thinking the Unthinkable: A Sovereign Palestinian State," *Foreign Affairs* 56:4 (July 1978), 695–713, reproduced in Walid Khalidi, *Palestine Reborn*, London / New York: I. B. Tauris, 1992, 82–104.

Khalidi, Walid, "The United States and the Palestinian People," (Georgetown University, March 1989), reproduced in Walid Khalidi, *Palestine Reborn*, London / New York: I. B. Tauris, 1992, 141–71.

Khalidi, Walid, "Why Did the Palestinians Leave, Revisited," *Journal of Palestine Studies* 34:2 (Winter 2005), 42–54.

Khouri, Fred J., "Friction and Conflict on the Israeli-Syrian Front," *Middle East Journal* 17:1–2 (Winter–Spring 1963), 14–34.

Khouri, Fred J., "The Policy of Retaliation in Arab-Israeli Relations," *Middle East Journal* 20:4 (Autumn 1966), 435–55.

Kimmerling, Baruch, and Joel S. Migdal, *The Palestinian People: A History*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003.

Klein, Menachem, *Jerusalem: The Contested City*, transl. Haim Watzman, New York: New York University Press, 2001.

Klein, Menachem, *The Jerusalem Problem: The Struggle for Permanent Status*, transl. Haim Watzman, Gainesville: University Press of Florida, 2003.

Klein, Menachem. *A Possible Peace between Israel and Palestine: An Insider's Account of the Geneva Initiative*, transl. Haim Watzman. New York: Columbia University Press, 2007.

Klieman, Aaron S., "Bureaucratic Politics at Whitehall in the Partitioning of Palestine, 1937," in *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988, 128–53.

Klieman, Aaron S., *Israel and the World After 40 Years*, Washington, etc.: Pergamon-Brassey's, 1990.

Kolinsky, Martin, *Law, Order and Riots in Mandatory Palestine, 1928–35*, London: St. Martin's Press, 1993.

Korn, David A., *Stalemate: The War of Attrition and Great Power Diplomacy in the Middle East, 1967–1970*, Boulder, CO: Westview Press, 1992.

Kyle, Keith, *Suez: Britain's End of Empire in the Middle East*, New York: I. B. Tauris, 2003 [earlier edition 1991].

Laqueur, Walter Z., *A History of Zionism*, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1972; reissued New York: Schocken Books, 1989 (with a new preface by the author).

Lassner, Jacob, and S. Ilan Troen. *Jews and Muslims in the Arab World: Haunted by Pasts, Real and Imagined*, Lanham / Boulder, etc.: Rowman and Littlefield, 2007.

Lazarus, Ned, "Making Peace with the Duel of Narratives: Dual-Narrative Texts for Teaching the Israeli–Palestinian Conflict," *Israel Studies Forum* 23:1 (Summer 2008), 107–24.

Lesch, Ann Mosely, *Arab Politics in Palestine, 1917–1939: The Frustration of a National Movement*, Ithaca, NY / London: Cornell University Press, 1979.

Lesch, David W., *The Arab–Israeli Conflict: A History*, New York / Oxford: Oxford University Press, 2008.

Litvak, Meir, and Esther Webman, "Perceptions of the Holocaust in Palestinian Public Discourse," *Israel Studies* 8:3 (Fall 2003), 123–40.

Lorch, Netanel, *One Long War: Arab Versus Jew since 1920*, New York: Herzl Press, 1976.

Louis, Wm. Roger, and Roger Owen, eds., *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*, Oxford: Clarendon Press, 1989.

Love, Kennett, *Suez: The Twice-Fought War*, New York / Toronto: McGraw-Hill, 1969.

Lowdermilk, Walter Clay, *Palestine, Land of Promise*, 2nd ed., New York and London: Harper and Bros., 1944.

Lowi, Miriam R., *Water and Power: The Politics of a Scarce Resource in the Jordan River Basin*, New York / Cambridge: Cambridge University Press, 1993.

Lozowick, Yaacov, *Right to Exist: A Moral Defense of Israel's Wars*, New York, etc.: Doubleday, 2003.

Lustick, Ian S., "Changing Rationales for Political Violence in the Arab–Israeli Conflict," *Journal of Palestine Studies* 20:1 (Autumn 1990), 54–79.

Lustick, Ian S., *For the Land and the Lord: Jewish Fundamentalism in Israel*, New York: Council on Foreign Relations, 1988.

Lustick, Ian S., "Terrorism in the Arab–Israeli Conflict: Targets and Audiences," in *Terrorism in Context*, ed. Martha Crenshaw. University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1995, 514–52.

Lustick, Ian S., *Unsettled States, Disputed Lands: Britain and Ireland, France and Algeria, Israel and West Bank-Gaza*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1993.

MacDonald, Robert W., *The League of Arab States: A Study in the Dynamics of Regional Organization*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1965.

Majali, Abdul Salam, Jawad A. Anani, and Munther J. Haddadin. *Peacemaking: The Inside Story of the 1994 Jordanian–Israeli Treaty*, foreword by HRH Prince El Hassan Bin Talal of Jordan, preface by David L. Boren. Norman: University of Oklahoma Press, 2006.

Making Israel, ed. Benny Morris. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2007.

Malik, Charles, "The Near East: The Search for Truth," *Foreign Affairs* 30 (January 1952), reprinted in *Arab Nationalism: An Anthology*, ed. with an introduction by Sylvia G. Haim. Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1962, 189–224.

Mallison, Jr., W. T., "The Balfour Declaration: An Appraisal in International Law," in *The Transformation of Palestine*, ed. Ibrahim Abu Lughod. 2nd ed., Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987, 61–111.

Mallison, W. Thomas, and Sally V. Mallison. *The Palestine Problem in International Law and World Order*. Harlow, UK: Longman, 1986.

Mandel, Daniel. *H. V. Evatt and the Establishment of Israel: The Undercover Zionist*. London: Frank Cass, 2004.

Mandel, Neville J., *The Arabs and Zionism before World War I*. Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1976.

Ma'oz, Moshe, *Palestinian Leadership on the West Bank: The Changing Role of the Mayors under Jordan and Israel*, with a contribution from Mordechai Nisan. London: Frank Cass, 1984.

Maoz, Zeev, *Defending the Holy Land: A Critical Analysis of Israel's Security and Foreign Policy*. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2006.

Marblestone, Howard, "The Great Archaeological Debate," *Israel Studies Bulletin* 16:1 (Fall 2000), 23–9.

Marcus, Amy Dockser, *The View from Nebo: How Archaeology is Rewriting the Bible and Reshaping the Middle East*. Boston, MA: Little, Brown, 2000.

Marlowe, John, *Rebellion in Palestine*. London: Cresset Press, 1946.

Marmorstein, Emile, "European Jews in Muslim Palestine," in *Palestine and Israel in the 19th and 20th Centuries*, eds. Elie Kedourie and Sylvia G. Haim. London: Frank Cass, 1982, 1–14.

Masalha, Nur, *The Bible and Zionism: Invented Traditions, Archaeology and Post-Colonialism in Palestine–Israel*. London / New York: Zed Books, 2007.

Masalha, Nur, "A Critique of Benny Morris," *Journal of Palestine Studies* 21:1 (Autumn 1991), 90–7, reproduced in *The Israel/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999, 211–20.

Masalha, Nur, *Expulsion of the Palestinians: The Concept of "Transfer" in Zionist Political Thought, 1882–1948*. Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1992.

Massad, Joseph. "Palestinians and Jewish History: Recognition or Submission?" *Journal of Palestine Studies* 30:1 (Autumn 2000), 52–67.
Massad, Joseph A., *The Persistence of the Palestinian Question: Essays on Zionism and the Palestinians*. London: Routledge, 2006.
Matthews, Weldon C., *Confronting an Empire, Constructing a Nation: Arab Nationalists and Popular Politics in Mandate Palestine*. London / New York: I. B. Tauris, 2006.
Mattar, Philip. "al-Aqsa Intifada," *Encyclopedia of the Palestinians*, rev. ed., ed. Philip Mattar. New York: Facts on File, 2005, 23–4.
Mattar, Philip. *The Mufti of Jerusalem: al-Hajj Amin al-Husayni and the Palestinian National Movement*, rev. ed., New York: Columbia University Press, 1992.
Matz, David. "Reconstructing Camp David," *Negotiation Journal* 22:1 (January 2006), 89–103.
Matz, David. "Trying to Understand the Taba Talks (Part I)," *Palestine–Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 10:3 (2003), 96–105.
Matz, David. "Why Did Taba End?" Part II, *Palestine–Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 10:4 (2003), 92–8.
Meital, Yoram. "Egyptian Perspectives on the Suez War," in *The 1956 War: Collusion and Rivalry in the Middle East*, ed. David Tal. London: Frank Cass [Cummings Center Series], 2001, 195–207.
Meital, Yoram. *Peace in Tatters: Israel, Palestine, and the Middle East*. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2006.
Michelson, Benny. "Insurgency and Counterinsurgency in Israel, 1965–1985," in *A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On. Westport, CT / London: Praeger, 2004, 179–91.
The Middle East Peace Process: Interdisciplinary Perspectives, ed. Ilan Peleg. Albany: State University of New York Press, 1998.
A Middle East Reader, ed. Irene L. Gendzier. Indianapolis / New York: Pegasus, 1969.
The Middle East: Ten Years after Camp David, ed. William B. Quandt. Washington, DC: The Brookings Institution, 1988.
Miller, Aaron David. *The Much Too Promised Land: America's Elusive Search for Arab–Israeli Peace*. New York: Random House (Bantam Dell), 2008.
Miller, Aaron David. "The Palestinian Dimension," in *The Arab–Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein. New York: HarperCollins, 1991, ch. 5.
Mishal, Shaul, and Avraham Sela. *The Palestinian Hamas: Vision, Violence and Coexistence*. New York: Columbia University Press, 2000.
Mitchell, Thomas G., *Native vs. Settler: Ethnic Conflict in Israel/Palestine, Northern Ireland, and South Africa*. Westport, CT: Greenwood Press, 2000.
Moratinos Document (Taba, January 2001), as given in Akiva Eldar, "The Peace that Nearly Was at Taba," *Ha-Aretz*, 15 February 2002. Available online at www.mideastweb.org/moratinos.htm.
Morris, Benny. *1948: A History of the First Arab–Israeli War*. New Haven, CT: Yale University Press, 2008.
Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947–1949*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited*. Cambridge, UK / New York: Cambridge University Press, 2004.
Morris, Benny. "The Crystallization of Israeli Policy against a Return of the Arab Refugees: April–December, 1948." *Studies in Zionism* 6:1 (Spring 1985), 85–118.
Morris, Benny. An Interview with Ehud Barak. "Camp David and After: An Exchange." *New York Review of Books* 49:10 (13 June 2002); accessed 15 September 2008 at http://www.nybooks.com/articles/15501.
Morris, Benny. *Israel's Border Wars, 1949-1956: Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown to the Suez War*. Oxford: The Clarendon Press, 1993.
Morris, Benny. "A New Exodus for the Middle East?" *The Guardian*, 2 October 2002 accessed online at: www.guardian.co.uk
Morris, Benny. "Peace? No Chance." *The Guardian*, 21 February 2002.
Morris, Benny. "Politics by Other Means." *The New Republic*, 22 March 2004.
Morris, Benny. "Response to Finkelstein and Masalha." *Journal of Palestine Studies* 21:1 (Autumn 1991), 98–114.
Morris, Benny. *Righteous Victims: A History of the Zionist Arab Conflict, 1881–1999*. New York: Alfred A. Knopf, 1999 / London: John Murray, 2000.
Morris, Benny, and Ehud Barak. "Camp David and After—Continued." *New York Review of Books* 49:11 (27 June 2002), accessed 15 September 2008 at http://www.nybooks.com/articles/15540.
Mosley, Leonard. "Orde Wingate and Moshe Dayan." in *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, ed. and introduced by Walid Khalidi. Beirut: 1971; 2nd printing, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987, 375–82.
Muasher, Marwan. *The Arab Center: The Promise of Moderation*. New Haven, CT: Yale University Press, 2008.
Muslih, Muhammad. "Towards Coexistence: An Analysis of the Resolutions of the Palestine National Council." *Journal of Palestine Studies* 19:4 (Summer 1990), 3–29; reprinted in *From War to Peace: Arab-Israeli Relations 1973–1993*, eds. Barry Rubin, Joseph Ginat, and Moshe Ma'oz. New York: New York University Press, 1995, 265–91.
Myths and Facts: A Guide to the Arab–Israeli Conflict, ed. Mitchell G. Bard; foreword by Eli E. Hertz. Chevy Chase, MD: American–Israeli Cooperative Enterprise, 2001; rev. and updated 2002.
Narratives of 1948, Special issue of *Palestine–Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 9:4 (2002).
Nashashibi, Nasser Eddine. *Jerusalem's Other Voice: Ragheb Nashashibi and Moderation in Palestinian Politics, 1920–1948*. Exeter: Ithaca Press, 1990.
Naylor, Tom. "Palestine & Zionism: Ten Myths." *This Magazine*, December 1981–January 1982.
Neff, Donald. "Nixon's Middle East Policy: From Balance to Bias." in *US Policy on Palestine from Wilson to Clinton*, ed. Michael W. Suleiman. Normal, IL: AAUG Press, 1995, 133–62.
Nelson, Walter Henry, and Terence C. F. Prittie. *The Economic War against the Jews*. New York: Random House, 1977.

Netanyahu, Benjamin. *A Durable Peace: Israel and Its Place among the Nations*, rev. ed., New York: Warner Books, 2000.
A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History. ed. Mordechai Bar-On. Westport, CT / London: Praeger, 2004.
Nevo, Joseph. *King Abdallah and Palestine: A Territorial Ambition*. London / New York: Macmillan [St. Antony's Series]. 1996.
New Perspectives on Israeli History: The Early Years of the State. ed. Laurence J. Silberstein. New York: New York University Press. 1991.
Nisan, Mordechai. "Harkabi's Despair" *Midstream* XXV:5 (May 1979). 9–17.
Nusseibeh, Sari. with Anthony David. *Once upon a Country: A Palestinian Life*. New York: Farrar, Straus, and Giroux. 2007.
O'Brien, Conor Cruise. *The Siege: The Saga of Israel and Zionism*. New York: Simon and Schuster. 1986.
Oren, Michael B., *Origins of the Second Arab–Israel War: Egypt, Israel and the Great Powers: 1952–56*. London: Frank Cass. 1992.
Oren, Michael B., *Six Days of War: June 1967 and the Making of the Modern Middle East*. Oxford: Oxford University Press. 2002.
Oz, Amos. *How to Cure a Fanatic*. Princeton, NJ: Princeton University Press. 2006.
Oz, Amos. "The Tender among You, and Very Delicate." in *In the Land of Israel*. New York: Harcourt Brace Jovanovich. 1983. 87–100.
Oz, Amos. *Under This Blazing Light: Essays*. transl. Nicholas de Lange. New York: Cambridge University Press. 1995. 8–9.
Palestine and Israel in the 19th and 20th Centuries. eds. Elie Kedourie and Sylvia G. Haim. London: Frank Cass. 1982.
The Palestinian–Israeli Peace Agreement: A Documentary Record, rev. 2nd ed., Washington, DC: Institute for Palestine Studies. 1994.
The Palestinians: People, History, Politics. eds. Michael Curtis, Joseph Neyer, Chaim I. Waxman, and Allen Pollack. New Brunswick, NJ: Transaction Books [prepared under the auspices of the American Academic Association for Peace in the Middle East]. 1975.
Pappé, Ilan. *Britain and the Arab–Israeli Conflict, 1948–51*. London: Macmillan Press / St. Antony's College. 1988.
Pappé, Ilan. *The Ethnic Cleansing of Palestine*. Oxford: Oneworld Publications. 2006.
Pappé, Ilan. *A History of Modern Palestine: One Land, Two Peoples*. 2nd ed., Cambridge: Cambridge University Press. 2006.
Pappé, Ilan. "Introduction: New Historical Orientations in the Research on the Palestine Question," in *The Israel/Palestine Question*. ed. Ilan Pappé. London / New York: Routledge. 1999. 1–7.
Pappé, Ilan. "Jordan between Hashemite and Palestinian Identity." in *Jordan in the Middle East: The Making of a Pivotal State*. eds. Joseph Nevo and Ilan Pappé. London: Frank Cass. 1994. 61–91.
Pappé, Ilan. *The Making of the Arab–Israeli Conflict, 1947–51*. London / New York: I. B. Tauris / St. Martin's Press. 1992.

Parker, Richard B., *The Politics of Miscalculation in the Middle East*. Bloomington: Indiana University Press, 1993.

Patai, Raphael. *The Arab Mind*. New York: Charles Scribner's Sons, 1973.

Patai, Raphael. *The Seed of Abraham: Jews and Arabs in Contact and Conflict*. Salt Lake City: University of Utah Press, 1986.

Pelcovits, Nathan A., *The Long Armistice: UN Peacekeeping and the Arab–Israeli Conflict, 1948–1960*, foreword by Samuel W. Lewis. Boulder / San Francisco / Oxford: Westview Press, 1993.

Peleg, Ilan, *Begin's Foreign Policy, 1977–1983: Israel's Turn to the Right*. Westport, CT: Greenwood, 1987.

Peleg, Ilan. *Human Rights in the West Bank and Gaza: Legacy and Politics*. Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1995.

Penslar, Derek. *Israel in History: The Jewish State in Comparative Perspective*. London / New York: Routledge, 2007.

People and Politics in the Middle East, ed. Michael Curtis. New Brunswick, NJ: Transaction Books / E. P. Dutton [proceedings of the annual conference of the American Academic Association for Peace in the Middle East], 1971.

Peres, Shimon. *Battling for Peace: A Memoir*, New York: Random House, 1995.

Peretz, Don. *Israel and the Palestine Arabs*. Washington, DC: Middle East Institute, 1958.

Peters, Joan. *From Time Immemorial: The Origins of the Arab–Jewish Conflict over Palestine*. New York: Harper and Row, 1984.

Plascov, Avi, *The Palestinian Refugees in Jordan, 1948–1957*. London: Frank Cass, 1981.

Podeh, Elie. *From Fahd to Abdallah: The Origins of the Saudi Peace Initiatives and Their Impact on the Arab System and Israel*. Jerusalem: Hebrew University, Truman Institute, 2003.

Podeh, Elie, "History and Memory in the Israeli Educational System: The Portrayal of the Arab–Israeli Conflict in History Textbooks (1948–2000)." *History and Memory* 12 (2000), 65–100.

Podeh, Elie, "Regaining Lost Pride: The Impact of the Suez Affair on Egypt and the Arab World," in *The 1956 War: Collusion and Rivalry in the Middle East*, ed. David Tal, London: Frank Cass [Cummings Center Series], 2001, 209–24.

Popp, Roland, "Stumbling Decidedly into the Six-Day War," *Middle East Journal* 60:2 (Spring 2006), 281–309.

Porat, Dina, *The Blue and the Yellow Stars of David: The Zionist Leadership in Palestine and the Holocaust, 1939–1945*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1990.

Porath, Yehoshua, *The Emergence of the Palestinian Arab National Movement, 1918–1929*, London: Frank Cass, 1974.

Porath, Yehoshua, "Mrs. Peters's Palestine," *New York Review of Books*, 32:21–2, 16 January 1986, available at http://www.nybooks.com/articles/5249; "Mrs. Peters's Palestine: An Exchange" (Ronald Sanders, Daniel Pipes, Yehoshua Porath), *New York Review of Books*, 35:5, 27 March 1986, available at http://www.nybooks.com/articles/5172.

Porath, Yehoshua, *The Palestinian Arab National Movement, 1929–1939: From Riots to Rebellion*, London: Frank Cass, 1977.
Pressman, Jeremy, "Mediation, Domestic Politics, and the Israeli–Syrian Negotiations, 1991–2000," *Security Studies* 16:3 (July–September 2007), 350–81.
Pressman, Jeremy, "The Second Intifada: Background and Causes of Israeli–Palestinian Conflict," *Journal of Conflict Studies* 22:2 (Fall 2003), 114–41.
Pressman, Jeremy, "Visions in Collision: What Happened at Camp David and Taba?" *International Security* 28:2 (Fall 2003), 5–43.
Pundak, Ron, "From Oslo to Taba: What Went Wrong?" in *The Israeli–Palestinian Peace Process: Oslo and the Lessons of Failure: Perspectives, Predicaments and Prospects*, eds. Robert L. Rothstein, Moshe Ma'oz, and Khalil Shikaki, Brighton, UK / Portland, OR: Sussex Academic Press, 2002, 88–113.
Quandt, William B., *Camp David: Peacemaking and Politics*, Washington, DC: The Brookings Institution, 1986.
Quigley, John, *The Case for Palestine: An International Law Perspective*, rev. and updated ed., Durham / London: Duke University Press, 2005.
Qurie, Ahmed [Abu Ala], *From Oslo to Jerusalem: The Palestinian Story of the Secret Negotiations*, London: I. B. Tauris, 2006.
Rabie, Mohamed, *US–PLO Dialogue: Secret Diplomacy and Conflict Resolution*, Gainesville: University Press of Florida, 1995.
Rabinovich, Abraham, *The Yom Kippur War: The Epic Encounter that Transformed the Middle East*, New York: Schocken, 2005.
Rabinovich, Itamar, *The Road Not Taken: Early Arab–Israeli Negotiations*, New York / Oxford: Oxford University Press, 1991.
Rabinovich, Itamar, "Seven Wars and One Peace Treaty," in *The Arab–Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein, New York: HarperCollins, 1991, ch. 2.
Rabinovich, Itamar, *Waging Peace: Israel and the Arabs, 1948–2003*, rev. and updated ed., Princeton, NJ: Princeton University Press, 2004.
Rafael, Gideon, *Destination Peace: Three Decades of Israeli Foreign Policy: A Personal Memoir*, New York: Stein and Day, 1981.
Rejwan, Nissim, "Arab Advocate of Westernization," *New Outlook* 15 (October 1972), 27–34.
Review Essays in Israel Studies: Books on Israel, volume V, eds. Laura Zittrain Eisenberg and Neil Caplan, Albany: State University of New York Press, 2000.
Rodinson, Maxime, "Israël, fait colonial?" *Les Temps modernes* 22 (1967) 253bis, 17–88, later transl. as *Israel: A Colonial Settler-State?* intro. Peter Buch, transl. David Thorstad, New York, 1973.
Rodinson, Maxime, *Israel and the Arabs*, transl. Michael Perl, Harmondsworth: Penguin, 1968.
Ro'i, Yaacov, "The Zionist Attitude to the Arabs, 1908–1914," in *Palestine and Israel in the 19th and 20th Centuries*, eds. Elie Kedourie and Sylvia G. Haim, London: Frank Cass, 1982, 15–59.

Rokach, Livia. *Israel's Sacred Terrorism: A Study Based on Moshe Sharett's Personal Diary and Other Documents*. Belmont, MA: Association of Arab-American University Graduates, 1980.
Ross, Dennis. *The Missing Peace: The Inside Story of the Fight for Middle East Peace*. New York: Farrar, Straus, and Giroux, 2004.
Rouhana, Nadim N., "Zionism's Encounter with the Palestinians: The Dynamics of Force, Fear, and Extremism." in *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*. ed. Robert I. Rotberg. Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006, 115–41.
Roy, Sara. "Humanism, Scholarship, and Politics: Writing on the Palestinian–Israeli Conflict." *Journal of Palestine Studies* XXXVI:2 (Winter 2007), 54–65.
Rubenberg, Cheryl A., "The Bush Administration and the Palestinians." in *U.S. Policy on Palestine from Wilson to Clinton*, ed. Michael W. Suleiman, Normal, IL: AAUG Press, 1995, 195–21.
Rubin, Barry, "America as Junior Partner: Anglo-American Relations in the Middle East, 1919–1939." in *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988, 238–51.
Rubin, Jacob A., *True and False about Israel*. New York: Herzl Press, for the American Zionist Federation, 1972.
Rubinstein, Alvin Z., "Transformation: External Determinants." in *The Arab–Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein. New York: HarperCollins, 1991, ch. 3.
Rubinstein, Amnon, *From Herzl to Rabin: The Changing Image of Zionism*. New York: Holmes and Meier, 2000.
Rubinstein, Amnon. *The Zionist Dream Revisited: From Herzl to Gush Emunim and Back*. New York: 1984.
Sachar, Howard M., *A History of Israel: From the Rise of Zionism to Our Time*. New York: Alfred A. Knopf, 1976.
Sadat and His Legacy: Egypt and the World, 1977–1997, ed. and introduced by Jon B. Alterman. Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, 1998.
Said, Edward W., *The Question of Palestine*. New York: Vintage 1980.
Saliba, Samir N., *The Jordan River Dispute*. The Hague: Martinus Nijhoff, 1968.
Salibi, Kamal. *The Bible Came from Arabia*. London: J. Cape, 1985.
Samuel, Edwin. *A Lifetime in Jerusalem*. Jerusalem: Israel Universities Press, 1970.
Samuel, Maurice. *Harvest in the Desert*. Philadelphia, PA: Jewish Publication Society, 1944.
Sasson, Ted, and Shaul Kelner. "From Shrine to Forum: Masada and the Politics of Jewish Extremism." *Israel Studies* 13:2 (Summer 2008), 146–63.
Saunders, Harold H., *The Other Walls: The Arab–Israeli Peace Process in a Global Perspective*, rev. ed., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1991.
Savir, Uri. *The Process: 1,100 Days that Changed the Middle East*. New York: Random House, 1998.
Sayigh, Yezid. "Arafat and the Anatomy of a Revolt." *Survival* 43:3 (Autumn 2001), 47–60.

Sayigh, Yezid. *Armed Struggle and the Search for State: The Palestinian National Movement, 1949–1993*. Oxford: Oxford University Press / Washington, DC: The Institute for Palestine Studies, 1997.
Sayigh, Yezid. "The Palestinian Strategic Impasse." *Survival* 44:4 (Winter 2002), 7–21.
Schiff, Ze'ev, and Ehud Ya'ari. *Intifada: The Palestinian Uprising—Israel's Third Front*. New York: Simon and Schuster, 1990.
Schueftan, Dan. "The Israeli–Egyptian 'War of Attrition,' 1969–1970," in *A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On. Westport, CT / London: Praeger, 2004, 147–59.
Segev, Samuel. "The Arab–Israeli Conflict under President Bush," in *From Cold War to New World Order: The Foreign Policy of George H. W. Bush*, eds. Meena Bose and Rosanna Perotti. Westport, CT: Greenwood, and Hofstra University, 2002, 113–36.
Segev, Tom. *1949: The First Israelis*, ed. Arlen Neal Weinstein. New York: Free Press / London: Collier Macmillan, 1986.
Segev, Tom. *The Seventh Million: The Israelis and the Holocaust*. New York: Hill and Wang, 1993.
Sela, Avraham. "Arab Historiography of the 1948 War: The Quest for Legitimacy," in *New Perspectives on Israeli History: The Early Years of the State*, ed. Laurence J. Silberstein. New York: New York University Press, 1991, 124–54.
Sela, Avraham. "Arab Nationalists and Nazi Germany, 1939–1945," in *So Others Will Remember: Holocaust History and Survivor Testimony*, ed. Ronald Headland. Montreal: Vehicule Press, 1999, 70–81.
Sela, Avraham. "The 'Wailing Wall' Riots (1929) as a Watershed in the Palestine Conflict," *The Muslim World* LXXXIV: 1–2 (January–April 1994), 60–94.
Shafir, Gershon. *Land, Labor, and the Origins of the Israeli–Palestinian Conflict, 1882–1914*. Cambridge, UK /New York: Cambridge University Press, 1989; updated ed., Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1996.
Shafir, Gershon. "Zionism and Colonialism: A Comparative Approach," in *The Israel/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé. London / New York: Routledge, 1999, 81–96.
Shaked, Haim. "Continuity and Change: An Overview," in *The Arab–Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein. New York: HarperCollins, 1991, 191–214.
Shalev, Aryeh. *The Israeli–Syria Armistice Regime, 1949–1955*. Boulder, CO: Westview Press / Jerusalem: The Jerusalem Post [Jaffee Center for Strategic Studies, Study No. 21], 1993.
Shalev, Michael. *Labour and the Political Economy in Israel*. Oxford: Oxford University Press, 1992.
Shamir, Shimon. "The Collapse of Project Alpha," in *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*, eds. Wm. Roger Louis and Roger Owen. Oxford: Clarendon Press, 1989, 73–100.
Shamir, Yitzhak. "Israel's Role in a Changing Middle East," *Foreign Affairs* 60:4 (Spring 1982), 789–801.

Shanks, Hershel. "Archeology as Politics." *Commentary* (August 1986). 50–2.
Shapira, Anita. *Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881–1948*. transl. William Templer. Stanford, CA: Stanford University Press, 1999.
Shared Histories: A Palestinian–Israeli Dialogue. eds. Paul Scham, Walid Salem, and Benjamin Pogrund. Walnut Creek, CA: Left Coast Press, 2005.
Sharett, Moshe. "The 1953 Qibya Raid Revisited: Excerpts from Moshe Sharett's Diary." special document introduced by Walid Khalidi, annotated by Neil Caplan. *Journal of Palestine Studies* 31:4 (Summer 2002). 77–98.
Sharon, Ariel, with David Chanoff. *Warrior: The Autobiography of Ariel Sharon*. New York: Simon and Schuster, 1989.
Sheffer, Gabriel. "Principles of Pragmatism: A Reevaluation of British Policies toward Palestine in the 1930s." in *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*. ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988, 109–27.
Shenhav, Yehouda. "Arab Jews, Population Exchange, and the Palestinian Right of Return." in *Exile and Return: Predicaments of Palestinians and Jews*. eds. Ann M. Lesch and Ian S. Lustick. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005. 225–45.
Sher, Gilead. *The Israeli–Palestinian Peace Negotiations, 1999–2001: Within Reach*. New York: Routledge. 2006
Shikaki, Khalil. "Ending the Conflict: Can the Parties Afford It?" in *The Israeli–Palestinian Peace Process: Oslo and the Lessons of Failure: Perspectives, Predicaments and Prospects*. eds. Robert L. Rothstein, Moshe Ma'oz, and Khalil Shikaki. Brighton, UK / Portland, OR: Sussex Academic Press, 2002. 37–46.
Shikaki, Khalil. "Refugees and the Legitimacy of Palestinian–Israeli Peace Making." in *Arab–Jewish Relations from Conflict to Resolution: Essays in Honour of Professor Moshe Ma'oz*. eds. Elie Podeh and Asher Kaufman. Brighton: Sussex Academic Press, 2006, 363–74.
Shimshoni, Jonathan. *Israel and Conventional Deterrence: Border Warfare from 1953 to 1970*. Ithaca, NY / London: Cornell University Press. 1988.
Shipler, David K.. *Arab and Jew: Wounded Spirits in a Promised Land*, rev. ed., New York: Penguin, 2002.
Shlaim, Avi. *Collusion across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine*. Oxford: Clarendon Press, 1988.
Shlaim, Avi. "The Debate about 1948." in *The Israel/Palestine Question*. ed. Ilan Pappé. London / New York: Routledge, 1999, 171–92.
Shlaim, Avi. "Husni Za'im and the Plan to Resettle Palestinian Refugees." *Journal of Palestine Studies* 15:4 (Summer 1986). 68–80.
Shlaim, Avi. *The Iron Wall: Israel and the Arab World*, London: Allen Lane / Penguin Press, 2000.
Shlaim, Avi. *Lion of Jordan: King Hussein's Life in War and Peace*. London: Penguin, 2007.
Shlaim, Avi. "The Protocol of Sèvres: Anatomy of a War Plot." in *The 1956 War: Collusion and Rivalry in the Middle East*, ed. David Tal. London: Frank Cass [Cummings Center Series], 2001, 119–44.

Shlaim, Avi. "The Rise and Fall of the All-Palestine Government in Gaza." *Journal of Palestine Studies* 20:1 (Autumn 1990). 37–53.
Shulman, David. *Dark Hope: Working for Peace in Israel and Palestine*. Chicago: University of Chicago Press. 2007.
Siegman, Henry. "The Perils of Messianic Politics" (1988), in *Wrestling with Zion: Progressive Jewish-American Responses to the Israeli–Palestinian Conflict*, ed. and with an introduction by Tony Kushner and Alisa Solomon. New York: Grove Press, 2003. 113–15.
Simons, Chaim. *International Proposals to Transfer Arabs from Palestine, 1895–1947: A Historical Survey*. Hoboken, NJ: Ktav Publishing. 1988.
The Six Day War: A Retrospective, ed. Richard B. Parker. Gainesville: University Press of Florida. 1996.
Slater, Jerome "Lost Opportunities for Peace in the Arab–Israeli Conflict: Israel and Syria, 1948–2001." *International Security* 27:1 (Summer 2002). 79–106.
Slater, Jerome. "What Went Wrong? The Collapse of the Palestinian–Israeli Peace Process." *Political Science Quarterly* 116:2 (Summer 2001). 171–99.
Smith, Charles D.. "The Invention of a Tradition: The Question of Arab Acceptance of the Zionist Right to Palestine during World War I." *Journal of Palestine Studies* XXII:2 (Winter 1993). 48–61.
Sofer, Arnon, *Rivers of Fire: The Conflict over Water in the Middle East*, transl. Murray Rosovsky and Nina Copaken, Lanham, MD: Rowman and Littlefield. 1999.
Spiegel, Steven L.. *The Other Arab–Israeli Conflict: Making America's Middle East Policy from Truman to Reagan*. Chicago: University of Chicago Press. 1985.
Stein, Kenneth W.. *Heroic Diplomacy: Sadat, Kissinger, Carter, Begin and the Quest for Arab-Israeli Peace*. New York: Routledge. 1999.
Stein, Kenneth W.. "The Intifada and the 1936–39 Uprising: A Comparison." *Journal of Palestine Studies* 19:4 (Summer 1990). 64–85.
Stein, Kenneth W.. *The Land Question in Palestine, 1917–1939*. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1984.
Stein, Leonard, *The Balfour Declaration*. London: Valentine Mitchell, 1961.
Stone, I. F.. *Underground to Palestine, and Reflections Thirty Years Later* [reprint of the original 1946 edition]. New York: Pantheon, 1978.
Stone, Julius, *Israel and Palestine: Assault on the Law of Nations*, Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press. 1981.
The Suez–Sinai Crisis 1956: Retrospective and Reappraisal, eds. Selwyn Ilan Troen and Moshe Shemesh. London: Frank Cass. 1990.
Susser, Asher, "Jordan, the PLO and the Palestine Question." in *Jordan in the Middle East: The Making of a Pivotal State*, eds. Joseph Nevo and Ilan Pappé, London: Frank Cass, 1994, 211–28.
Swedenburg, Ted, *Memories of Revolt: The 1936–1939 Rebellion and the Palestinian National Past*, Fayetteville: University of Arkansas Press, 2003.
Swisher, Clayton E.. *The Truth about Camp David: The Untold Story about the Collapse of the Middle East Peace Process*. New York: Nation Books, 2004.
Sykes, Christopher, *Crossroads to Israel, 1917–1948*, Bloomington: Indiana University Press, 1965 [Midland pb edition, 1973].

Syrkin, Marie. "The Palestinian Refugees: Resettlement, Repatriation or Restoration?" [from *Commentary* magazine 41:1 (1966)], in *Israel, the Arabs and the Middle East*, eds. Irving Howe and Carl Gershman. New York: Bantam, 1972, 157–85.

Syrkin, Marie. *The State of the Jews*. Washington, DC: New Republic Books / Herzl Press, 1980.

Syrkin, Marie. "Who Are the Palestinians?" in *People and Politics in the Middle East*, ed. Michael Curtis. New Brunswick, NJ: Transaction Books / E. P. Dutton [proceedings of the annual conference of the American Academic Association for Peace in the Middle East], 1971, 93–110.

Tal, Uriel. "Foundations of a Political Messianic Trend in Israel." *Jerusalem Quarterly* 35 (Spring 1985), 36–45.

Tamari, Salim. "In League with Zion: Israel's Search for a Native Pillar." *Journal of Palestine Studies* 12:4 (Summer 1983), 41–56.

Tawil, Raymonda Hawa. *My Home, My Prison*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1979.

Tekoah, Yosef. *In the Face of the Nations: Israel's Struggle for Peace*, ed. David Aphek. New York: Simon and Schuster, 1976.

Telhami, Shibley. "Beyond Resolution? The Palestinian–Israeli Conflict," in *Grasping the Nettle: Analyzing Cases of Intractable Conflict*. Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2005, 357–72.

Tessler, Mark. *A History of the Israeli–Palestinian Conflict*. Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 1994; revised ed. 2009.

Tessler, Mark. "Intifada, 1987–1993." *Encyclopedia of the Palestinians*, rev. ed., ed. Philip Mattar. New York: Facts on File, 2005, 224–32.

Tessler, Mark. "Narratives and Myths about Arab Intransigence toward Israel," in *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*, ed. Robert I. Rotberg. Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006, 174–93.

Teveth, Shabtai. *Ben-Gurion and the Holocaust*. New York: Harcourt Brace, 1996.

Teveth, Shabtai. *Ben-Gurion: The Burning Ground, 1886–1948*. Boston, MA: Houghton Mifflin, 1987.

Teveth, Shabtai. "The Palestinian Refugee Problem and Its Origins" (review article). *Middle Eastern Studies* 26:2 (April 1990), 214–49.

Tibawi, A. L. "T. E. Lawrence, Faisal and Weizmann: The 1919 Attempt to Secure an Arab Balfour Declaration." *Royal Central Asian Journal* 56:2 (June 1969), 156–63.

Tibawi, A. L. "Visions of the Return: The Palestine Arab Refugees in Arabic Poetry and Art." *Middle East Journal* 17:5 (Autumn, 1963), 507–26.

Touval, Saadia. *The Peace Brokers: Mediators in the Arab-Israeli Conflict, 1948–1979*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1982.

Toward Peace in the Middle East, report of the Brookings Institution Middle East Study Group. Washington, DC: December 1975.

Traditions and Transitions in Israel Studies: Books on Israel volume 6, eds. Laura Zittrain Eisenberg, Neil Caplan, Naomi B. Sokoloff, and Mohammed Abu-Nimer. Albany: State University of New York Press, 2002.

The Transformation of Palestine: Essays on the Origins and Development of the Arab-Israeli Conflict. 2nd ed., ed. Ibrahim Abu Lughod, foreword by Arnold J. Toynbee. Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987.

Troen, S. Ilan. "De-Judaizing the Homeland: Academic Politics in Rewriting the History of Palestine," *Israel Affairs* 13:4 (2007), 872–84.

Troen, S. Ilan. "The Protocol of Sèvres: British/French/Israeli Collusion against Egypt, 1956," *Israel Studies* 1:2 (Fall 1996), 122–39.

Turki, Fawaz. *The Disinherited: Journal of a Palestinian Exile*. 2nd ed., London / New York: Monthly Review Press, 1974.

United Nations Resolutions on Palestine and the Arab-Israeli Conflict, vol. I: 1947–1974, rev. ed., ed. George J. Tomeh. Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1988.

United Nations Special Committee on Palestine (UNSCOP): *Report* of the United Nations Special Committee on Palestine (USNCOP), 3 September 1947, accessed online 21 March 2008 at http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/99818751a6a4c9c6852560690077ef61/07175de9fa2de563852568d3006e10f3.

United Nations, Division for Palestinian Rights, "The Origins and Evolution of the Palestine Problem: 1917–1988—PART I, 1917–1947," posted 30 June 1990, accessed 13 April 2008 at http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/561c6ee353d740fb8525607d00581829/aeac80e740c782e4852561150071fdb0.

United Nations. *The Question of Palestine*. New York: United Nations, 1979 [prepared for, and under the guidance of, the Committee on the Exercise of the Inalienable Rights of the Palestinian People].

Vance, Cyrus. *Hard Choices: Critical Years in America's Foreign Policy*. New York: Simon and Schuster, 1983.

Viorst, Milton. *Reaching for the Olive Branch: UNRWA and Peace in the Middle East*. Washington, DC: Middle East Institute, 1989.

Von Horn, Carl. *Soldiering for Peace*. London: Cassell, 1966.

The War for Palestine: Rewriting the History of 1948, eds. Eugene L. Rogan and Avi Shlaim. Cambridge: Cambridge University Press, 2001.

Wasserstein, Bernard. *Divided Jerusalem: The Struggle for the Holy City*. 3rd ed., New Haven, CT: Yale University Press, 2008.

Wasserstein, Bernard. *Israelis and Palestinians: Why Do They Fight? Can They Stop?* 3rd ed., New Haven, CT / London: Yale University Press / London: Profile Books, 2008.

Weinstock, Nathan. *Le Sionisme contre Israël*. Paris: François Maspéro, 1969.

Weizman, Ezer. *The Battle for Peace*. New York: Bantam, 1981.

Weizmann, Chaim. *The Letters and Papers of Chaim Weizmann*, series B: vol. II, December 1931–April 1952, ed. Barnet Litvinoff. Rutgers, NJ: Transaction Books / Jerusalem: Israel Universities Press, 1984.

Weizmann, Chaim. "Palestine's Role in the Solution of the Jewish Problem," *Foreign Affairs* 20:2 (1942), 324–38, reprinted in *A Middle East Reader*, ed. Irene L. Gendzier. Indianapolis / New York: Pegasus, 1969, 311–25.

Weizmann, Chaim. *Trial and Error: The Autobiography of Chaim Weizmann*. London: Hamish Hamilton, 1949.

West, Deborah L., *Myth and Narrative in the Israeli–Palestinian Conflict*, Cambridge, MA: World Peace Foundation [WPF Report #34], 2003.

When Enemies Dare to Talk: An Israeli–Palestinian Debate (5/6 September 1978), ed. Simha Flapan, London: Croom Helm, 1979.

Wilson, Evan M., *A Calculated Risk: The U.S. Decision to Recognize Israel*, foreword by William B. Quandt, Cincinnati, OH: Clerisy Press, 2008 [reprint of *Decision on Palestine: How the U.S. Came to Recognize Israel* (1979)].

Wilson, Mary, *King Abdullah, Britain and the Making of Jordan*, Cambridge, UK / New York / etc.: Cambridge University Press, 1987.

Yehoshua, A. B. "The Holocaust as Junction," in *Between Right and Right*, New York: Doubleday, 1981, 1–19.

Zartman, I. William, *Cowardly Lions: Missed Opportunities to Prevent Deadly Conflict and State Collapse*, Boulder, CO / London: Lynne Rienner, 2005.

Zertal, Idith, *From Catastrophe to Power: Holocaust Survivors and the Emergence of Israel*, Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1998.

Zertal, Idith, *Israel's Holocaust and the Politics of Nationhood*, Cambridge: Cambridge University Press, 2005.

Zertal, Idith, and Akiva Eldar, *Lords of the Land: The War over Israel's Settlements in the Occupied Territories, 1967–2007*, transl. from the Hebrew by Vivian Eden, New York: Nation Books, 2007.

Zerubavel, Yael, *Recovered Roots: Collective Memory and the Making of Israeli National Tradition*, Chicago / London: University of Chicago Press, 1995.

The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader, ed. and introduced by Arthur Hertzberg, Garden City, NJ: 1959, reprinted New York: Atheneum, 1969.

Zisser, Eyal, "The 1982 'Peace for Galilee' War: Looking Back in Anger—Between an Option of a War and a War of no Option," in *A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On, Westport, CT / London: Praeger, 2004, 193–210.

Zuraik, Constantine, "Today and Yesterday—Two Prominent Aspects of the New Meaning of the Disaster," *Middle East Forum* XLIII:2–3 (1967), 13–20.

Zurayk, Constantine K., *The Meaning of the Disaster*, transl. R. Bayly Winder, Beirut: Khayat's, 1956.

المؤلف فى سطور:

نيل كابلان

- حاصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية من مدرسة لندن للاقتصاد السياسى.
- ألف سبعة كتب كلها عن تاريخ الصراع العربى- الإسرائيلى.
- يعمل حاليا فى كلية فانيير، وأستاذ مساعد للتاريخ بجامعة كونكورديا بكندا.
- يُعد حاليا كتابا حول مذكرات موشى شاريت أول وزير خارجية لإسرائيل وثانى رئيس وزراء لها.

المترجم فى سطور

محمد محمود العشماوي

- ولد فى ١٢/٠١/١٩٤٩.
- حاصل على بكالوريوس فى العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية القاهرة عام ١٩٧١.
- التحق بالسلك الدبلوماسى المصرى عام ١٩٧٥.
- زميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا ١٩٨٨.
- حاصل على وسام الاستحقاق من رتبة ضابط عظيم من جمهورية النيجر عام ٢٠٠٩.
- ترجم كتابا من الإنجليزية إلى العربية وهو "الإمبراطورية الصينية الجديدة وما تعنيه للولايات المتحدة الأمريكية"، وصدر عن المركز القومى للترجمة عام ٢٠١٠.
- وقد أورى المترجم اهتماما بالشئون الفلسطينية وصلتها باعتبارات الأمن القومى المصرى والعربى منذ بداية دراسته وخلال حياته العملية؛ حيث قام بإعداد وشارك فى بحوث ودراسات وتقديرات للموقف حول هذا الموضوع.

المراجع فى السطور:

عماد الدين صالح عواد

- ولد فى القاهرة عام ١٩٥٨.
- حاصل على دكتوراه فى العلوم السياسية- جامعة القانون والعلوم الأجتماعية باريس٢- فرنسا- امتياز مع تهنئة لجنة التحكيم- مارس ١٩٩٠.(موضوع الرسالة "التسوية السلمية للصراع العربي- الإسرائيلى: نحو مؤتمر دولى جديد؟).
- حاصل على درجة أستاذ- جامعة القانون والعلوم الاجتماعية- باريس٢- فرنسا- أكتوبر ١٩٩٤.
- بريد إلكترونى: ***emadawwed@yahoo.fr***

الخبرة الوظيفية:

- نائب المنسق الوطنى لمشروع دعم القدرات فى مجال حقوق الإنسان بجمهورية مصر العربية.(منذ بداية ٢٠٠٦)
- مستشار لرئيس مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية منذ سبتمبر ٢٠٠٦.

- نشر أكثر من سبعين مقالاً باللغة الفرنسية فـي مجلـة "*Defense Nationale*" الصادرة عن لجنة دراسات الدفاع الوطنى التابعة لوزارة الدفاع الفرنسية، فضلا عن الأهرام إيدو، ومركز الدراسات بجامعة مونتريال بكندا.

- من مؤسسى سلسلة دراسات استراتيجية ومستقبلية الصادرة عـن معهـد البحوث والدراسات العربية؛ حيث نشر الدراسة الثانيـة (عـام ٢٠٠٠) تحت عنوان (الخطوط الحمراء: مقومات السلام الإسـرائيلى) والدراسـة الثامنة (عام ٢٠٠٣) بعنوان الشرق الأوسط وتحـديات النظـام الـدولى الجديد.

- "أنابوليس"، قدمه السيد الأستاذ الدكتور بطرس بطرس غـالى، أصـدرته دار النهضة العربية فى يناير ٢٠٠٨.

- نشر كتاب باللغة العربية تحت عنوان "المواطنة والأمن"، ٢٠٠٩، قدمـه السيد الأستاذ الدكتور بطرس بطرس غالى.

التصحيح اللغوى: كريمان البـــدرى

الإشـــراف الفنى: محســـن مصطفى